



مرکز تحقیقات اسلامی

اصفهان

گامی



عمران
علیه السلام

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

مَنْهَاجُ الْبِرِّ

فَتْحُ مَنَاجِجِ الْبِلَاقَةِ

لِلْأَمِيرِ

الْعَالِمِ الْمُتَمَيِّزِ وَالْمُتَجَلِّدِ الْعَلِيمِ الْهَادِي

السُّيُوفِيِّ

الجزء التاسع

من مشوراته

الكتاب الإسلامي

في مشورته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه

نويسنده:

حبيب الله خوئى

ناشر چاپى:

المكتبه الاسلاميه

ناشر ديجيتالى:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

فهرست

٥	فهرست
١٤	منهاج البراعه فى شرح نهج البلاغه (عربى - فارسى) جلد ٩
١٤	مشخصات كتاب
١٥	تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره
١٥	اشاره
١٦	و من خطبه له عليه السلام فى الاستسقاء و هى المأه و الثالثه
١٦	اشاره
١٧	اللغه
١٨	الاعراب
١٩	المعنى
١٩	اشاره
٢٧	تنبيه
٢٨	الترجمه
٣٠	و من خطبه له عليه السلام و هى المأه و الرابعه
٣٠	اشاره
٣٠	الفصل الاول
٣٠	اشاره
٣١	اللغه
٣١	الاعراب
٣٢	المعنى
٣٢	اشاره
٣٨	تنبيه
٥٠	الترجمه
٥١	الفصل الثانى

٥١	اشاره
٥٢	اللغه
٥٢	الاعراب
٥٢	المعنى
٥٢	اشاره
٥٥	تنبيه
٥٧	الترجمه
٥٧	و من خطبه له عليه السلام و هي المأه و الخامسه
٥٧	اشاره
٥٨	اللغه
٥٩	الاعراب
٥٩	المعنى
٦٢	الترجمه
٦٣	و من كلام له عليه السلام و قد استشاره عمر بن الخطاب
٦٣	اشاره
٦٤	اللغه
٦٥	الاعراب
٦٥	المعنى
٦٥	اشاره
٦٨	تبصره
٧٤	الترجمه
٧٥	و من خطبه له عليه السلام و هي الماه و السابعه
٧٥	اشاره
٧٧	اللغه
٧٨	الاعراب
٧٩	المعنى

٧٩	اشاره
٧٩	الفصل الاول
٨٢	الفصل الثاني
٨٥	الفصل الثالث
٨٦	الفصل الرابع
٨٦	اشاره
٩٥	تنبيه
٩٥	المقام الاول
٩٧	الثاني في حقيقه الكبر و ماهيته
٩٨	الثالث في المتكبر عليه
٩٨	القسم الاول
٩٩	القسم الثاني
١٠٠	القسم الثالث
١٠١	الرابع في ما به التكبر
١٠١	الاول العلم
١٠٢	الثاني العمل و العباده
١٠٢	الثالث النسب
١٠٢	الرابع التفاخر بالحسن و الجمال
١٠٢	الخامس الثروه و المال
١٠٢	السادس القوه و شدّه البطش
١٠٢	السابع الملك و السلطنه و كثره الأتباع و الخدم و الجنود و الجيوش
١٠٤	الخامس في معالجه الكبر
١٠٤	أما الاول
١٠٤	و اما الثاني
١٠٨	و أما الثالث
١١٦	و اما الامر الرابع

الترجمه ١١٧

و من خطبه له عليه السلام فى ذكر اهل البصره و هى المأه ١١٩

اشاره ١١٩

اللغه ١٢٠

الاعراب ١٢٠

المعنى ١٢٠

الترجمه ١٢٥

و من كلام له عليه السلام قبل موته و هو المأه و التاسع ١٢٦

اشاره ١٢٦

اللغه ١٢٧

الاعراب ١٢٩

المعنى ١٣٠

اشاره ١٣٠

تذكره ١٤٠

تكمله ١٤٣

بيان ١٤٤

الترجمه ١٤٥

و من خطبه له عليه السلام فى الملاحم و هى المأه ١٤٧

اشاره ١٤٧

اللغه ١٤٨

الاعراب ١٤٩

المعنى ١٥٠

اشاره ١٥٠

الفصل الاول ١٥٠

الفصل الثانى ١٥٤

الفصل الثالث ١٥٦

١٥٦	اشاره
١٦٥	تنبيه
١٧١	الترجمه
١٧٣	و من خطبه له عليه السلام و هي المأه و الواحد
١٧٣	اشاره
١٧٥	اللغه
١٧٧	الاعراب
١٧٧	المعنى
١٨٥	الترجمه
١٨٨	و من خطبه له عليه السلام و هي المأه و الثانى و الخمسون
١٨٨	اشاره
١٨٨	الفصل الاول
١٨٨	اشاره
١٨٩	اللغه
١٨٩	الاعراب
١٨٩	المعنى
١٩٧	الترجمه
١٩٨	الفصل الثانى منها
١٩٨	اشاره
١٩٩	اللغه
١٩٩	الاعراب
٢٠٠	المعنى
٢٠٠	اشاره
٢٠٦	تنبيه
٢٠٨	تذييل
٢٢٣	الترجمه

٢٢٤	الفصل الثالث و الرابع منها
٢٢٤	اشاره
٢٢٥	اللغه
٢٢٤	الاعراب
٢٢٤	المعنى
٢٢٤	اشاره
٢٤١	تذييل
٢٤٢	الترجمه
٢٤٤	و من خطبه له عليه السلام و هى المأه و الثالث و الخمسون
٢٤٤	اشاره
٢٤٤	الفصل الاول
٢٤٥	الفصل الثانى (منها)
٢٤٤	اللغه
٢٤٤	الاعراب
٢٤٤	المعنى
٢٤٤	اشاره
٢٤٧	تبصره
٢٤٩	الترجمه
٢٧١	و من خطبه له عليه السلام يذكر فيها بديع خلقه الخفاش و هى
٢٧١	اشاره
٢٧٣	اللغه
٢٧٤	الاعراب
٢٧٥	المعنى
٢٧٥	اشاره
٢٧٩	ظريفه فى نوادر الخفاش
٢٨١	الترجمه

٢٨٣	و من كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصره على
٢٨٣	اشاره
٢٨٣	الفصل الأول منه
٢٨٣	اشاره
٢٨٣	اللغه
٢٨٣	الاعراب
٢٨٤	المعنى
٢٨٤	اشاره
٢٨٥	تذييل فى ذكر عايشه و ذكر أسباب ضغنها
٢٩٧	الترجمه
٢٩٨	الفصل الثانى
٢٩٨	اشاره
٣٠٠	اللغه
٣٠٠	الاعراب
٣٠١	المعنى
٣٠١	اشاره
٣٠١	الفصل الاول (منه)
٣٠٣	الفصل الثانى (منه)
٣٢٠	تنبيهات
٣٢٠	الاول
٣٢١	بيان
٣٢١	الثانى
٣٢٢	تذييل فى أحكام البغاه
٣٢٢	الاول فى كفرهم
٣٢٤	الثانى فيما اغتتمه المسلمون من أموال البغاه
٣٢٥	تكملة

٣٢٤	الترجمه
٣٢٨	و من خطبه له عليه السلام و هي المأه و السادسه
٣٢٨	اشاره
٣٣٠	اللغه
٣٣٠	الاعراب
٣٣٢	المعنى
٣٤٥	الترجمه
٣٤٧	و من خطبه له عليه السلام و هي المأه و السابعه
٣٤٧	اشاره
٣٤٨	اللغه
٣٤٩	الاعراب
٣٥٠	المعنى
٣٥٠	اشاره
٣٥٠	الفصل الاول
٣٥٣	الفصل الثانى (منها)
٣٥٥	الترجمه
٣٥٧	و من خطبه له عليه السلام و هي المأه و الثامنه
٣٥٧	اشاره
٣٥٧	اللغه
٣٥٧	الاعراب
٣٥٧	المعنى
٣٥٨	الترجمه
٣٥٩	و من خطبه له عليه السلام و هي المأه و التاسعه
٣٥٩	اشاره
٣٥٩	الفصل الاول
٣٥٩	اشاره

٣٦٠	اللغه
٣٦٠	الاعراب
٣٦٠	المعنى
٣٧٠	الترجمه
٣٧٢	الفصل الثانى (منها)
٣٧٢	اشاره
٣٧٥	اللغه
٣٧٦	الاعراب
٣٧٧	المعنى
٣٧٧	اشاره
٤٠٩	تذييلان
٤٠٩	الاول
٤١٣	التذييل الثانى
٤١٧	الترجمه
٤٢١	و من خطبه له عليه السلام و هى المأه و الستون
٤٢١	اشاره
٤٢٢	اللغه
٤٢٣	الاعراب
٤٢٣	المعنى
٤٢٩	الترجمه
٤٣٢	درباره مركز

منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی - فارسی) جلد ۹

مشخصات کتاب

سرشناسه: خوئی، حبيب الله بن محمد هاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ق.

عنوان و نام پدیدآور: منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه / لمولفه حبيب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحيحه و تهذيبه ابراهيم الميانجی.

مشخصات نشر: تهران: مکتبه الاسلاميه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهري: ۲۰ ج.

شابک: ۱۵۰ ريال (ج. ۸)

یادداشت: عربی.

یادداشت: فهرست نویسی بر اساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق. = ۱۳۴۴.

یادداشت: چاپ دوم.

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- کلمات قصار

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- خطبه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. -- نامه ها

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده: میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره: BP۳۸/۰۲ /خ ۹ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی: ۱۹۹۲۰۶

تمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره

اشاره

و من خطبه له عليه السلام في الاستسقاء وهي الماء و الثالثة

اشاره

و الاربعون من المختار في باب الخطب

ألا و إنّ الأرض التي تحملكم، و السّماء التي تظلكم، مطيعتان لربكم، و ما أصبحتا تجودان لكم ببركتيهما توجعا لكم، و لا زلفه إليكم، و لا- لخير ترجوانه منكم، و لكن أمرتا بمنافعكم فأطاعتا، و أقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا، إنّ الله يبتلى عباده عند الأعمال السيئه بنقص الثمرات، و حبس البركات، و إغلاق خزائن الخيرات، ليتوب تائب، و يقلع مقلع، و يتذكر متذكر، و يزدجر مزدجر، و قد جعل الله سبحانه الاستغفار سببا لدرور الرزق، و رحمه الخلق، فقال: - استغفروا ربكم إنّه كان غفارا، يرسل السماء عليكم مدرارا و يمددكم بأموال و بنين - فرحم الله امرء استقبل توبته، و استقال

خطيئته، و بادر مئيتته. اللهم إنا خرجنا إليك من تحت الأستار و الأكنان، و بعد عجيج البهائم و الولدان، راغبين في رحمتك، و راجين فضل نعمتك، و خائفين من عذابك و نعمتك، اللهم فاسقنا غيثك، و لا تجعلنا من القانطين، و لا تهلكنا بالسَّنين، و لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا يا أرحم الرَّاحمين، اللهم إنا خرجنا إليك نشكو إليك ما لا يخفى عليك حين ألجأتنا المضائق الوعره، و أجائتنا المقاحط المجدبه، و أعتنا المطالب المتعسِّره، و تلاحمت علينا الفتن المستصعبه، اللهم لا تردنا خائبين، و لا تقلبنا واجمين، و لا تخاطبنا بذنوبنا، و لا تقايسنا بأعمالنا، اللهم انشر علينا غيثك و بركتك و رزقك و رحمتك، و اسقنا سقيا نافعه مرويه معشبه تنبت بها ما قد فات، و تحيي بها ما قد مات، نافعه الحيا، كثيره المجتنى، تروى بها القيعان، و تسيل البطان، و تستورق الأشجار، و ترخص الأسعار، إنك على ما تشاء قدير.

اللغه

(الأرض) مؤنثه و الجمع أرضون بفتح الرّاء (و السّماء) المظله للأرض

قال ابن الأنباري: تذكّر و تؤنّث و قال الفراء: التذكير قليل و هو على معنى السّقف و السّماء أيضا المطر قال الفيومي: مؤنّثه لأنها في معنى السّحابه و كلّ عال مظلّ سماء حتّى يقال اظهر الفرس سماء و (جاد) بالمال بذله و جادت السّماء أمطرت و الأرض أنبتت و (توجّع) لفلان رثاه و (أقلع) عن الأمر اقلعا تركه و (الاكنان) جمع الكنّ و هو ما ستر من الحرّ و البرد من كنته أى سترته و أخفيته فى كنهه بالكسر.

و (السّنين) جمع السنه و هى الجذب و أرض سنواء و سنهاء أصابتها السنه و (المضايق) جمع المضيق و هو ما ضاق من الأمور و (الوعر) بسكون العين و كسرهما ضدّ السّهل قال الشارح المعتزلى: الوعره بالتسكين و لا يجوز التحريك و (المقاحط) أماكن القحط أو أزمانه جمع المحقّط يأتى للمكان و الزّمان و (الوجم) و الواجم العبوس المطرق لشده الحزن و (السّقيا) بالضمّ اسم من سقاه الله الغيث أنزله له و (القيعان) جمع القاع و هو المستوى من الأرض.

و (تسيل) فى بعض النسخ بفتح التاء مضارع سال كباع و فى بعضها بالضمّ من باب الافعال و (البطنان) بالضمّ جمع البطن كعبد و عبدان و ظهر و ظهران و هو المنخفض من الأرض كما قاله الطريحي، أو الغامض منها كما فى شرح المعتزلى و قال الفيروز آبادى جمع الباطن و هو مسيل الماء فى غلظ و (الرخص) بالضمّ ضدّ الغلاء و رخص الشىء من باب قرب فهو رخيص و يتعدّى بالهمزه فيقال: أرخص الله السّير و تعديته بالتضعيف غير معروف و (الأسعار) جمع سعر بالكسر و هو تقدير أثمان الأشياء و ارتفاعه غلاء و انحطاطه رخص و قيل تقدير ما يباع به الشىء طعاما كان أو غيره، و يكون غلاء و رخصا باعتبار الزيادة على المقدار الغالب فى ذلك المكان و الأوان و النقصان عنه.

الاعراب

جملة تجودان، منصوبه المحلّ على أنّه خير أصبحت أو أصبح بمعنى صار قال نجم الأئمه ما محصّيه: إنّ من خصائص كان ما ذهب إليه ابن درستويه،

و هو أنّه لا يجوز أن يقع الماضي خبر كان فلا يقال كان زيد قام، و فعل ذلك لدلاله كان على المضىّ فيقع المضىّ في خبره لغوا فينبغى أن يقال كان زيد قائما أو يقوم، و كذا ينبغى أن يمنع يكون زيد يقوم لتلك العله إلى أن قال: و منع ابن مالك و هو الحقّ من مضىّ خبر صار و ليس و ما دام و كلّ ما كان ماضيا من ما زال و لا زال و مراد فاتها، لدلاله صار على الانتقال في الزمن الماضي إلى حاله مستمرّه و هي مضمون خبرها، و كذا ما زال و أخواتها موضوعه لاستمرار مضمون اخبارها في الماضي و ما يصلح الاستمرار هو الاسم الجامد نحو هذا أسد أو الصّفه نحو زيد قائم أو غنىّ أو مضروب أو الفعل المضارع نحو زيد يقدم في الحرب و يسخو بموجوده، فناسبت الثلاثه لصلاحيتها للاستمرار أن يقع خيرا لصار و أخواتها من أصبح و أمسى و ظلّ و بات و كذا ما زال و أخواتها بخلاف الماضي فأنّه لا يستعمل في استمرار هذه الثلاثه فلم يقع خيرا لهذه الأفعال.

و توجّعا، مفعول لأجله و العامل فيه تجودان، و قوله ليتوب، تعليل لبيتلى و متعلّق به، و مدرارا، حال من السّماء و الفاء في قوله: فرحم الله، فصيح و الجملة دعائيه لا محلّ لها من الاعراب.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه خطبها في الاستسقاء و طلب السّقياء كالخطبه المأه و الرابعه عشر، و قد قدّمنا في شرح تلك الخطبه كيفيه الاستسقاء و ما يناسب شرحها من الأخبار.

و أقول هنا: أنّه عليه السّلام لما كان بصدد الدعاء و طلب الرحمه من الله سبحانه و تعالى و كانت استجابته الدّعاء موقوفه على وجود المقتضى و انتفاء الموانع، قدّم أمورا مهمّه أمام الدّعاء تنبيهها للسامعين و من كان معه عليه السّلام من المستسقين على ماله مدخله في استجابته دعائهم و انجاح مقصدهم كى لا يردّوا خائبين و لا ينقلبوا و اجمين.

فتبّه أوّلا على أنّ الأرض و السّماء مخلوقان مقهوران تحت قدره الله سبحانه و النّفع و الضّرر الحاصلان منهما بالجود و الامسك لا ينشآن منهما بنفسهما و بالاستقلال

و إنما ينشآن منهما بتعلق مشييه الفاعل المختار و تدبير الحكيم المدبر سبحانه و على ذلك فاللآزم على العباد فى الداهيه و الند أن تقرعوا بأيدى السؤل و الذلّ و الابتهاى بابه، و يتوجهوا فى انجاء الآمال إلى جنبه عزّ و جلّ.

و هو قوله: (ألا و إنّ الأرض التى تحملكم و السماء التى تظلكم) أى تملوكم و تشرف عليكم أو تلقى اليكم ظلّها و المراد بالسماء إمّا معناها المجازى أعنى السحاب، أو الحقيقى باعتبار أنّ زوال المطر من السماء لا لكون السماوات بحركاتها أسبابا معده لكلّ ما فى هذا العالم من الحوادث كما زعمه الشارح البحرانى.

و يؤيد الثانى ظواهر الآيات التى تدلّ على نزول المطر من السماء مثل قوله سبحانه: «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» و قوله: «وَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» و نحوها مما يقرب عشرين آيه.

و يؤيد الأوّل ظاهر قوله سبحانه: «اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتَبَثُّرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» و قوله: «هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ» الآية.

و يدلّ على الاحتمالين ما فى البحار من علل الشرائع للصدوق عن أبيه عن الحميرى عن هارون عن ابن صدقه عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهم السلام قال: كان علىّ عليه السلام يقوم فى المطر أوّل مطر يمطر حتّى يبتلّ رأسه و لحيته و ثيابه فيقال له: يا أمير المؤمنين الكنّ الكنّ فيقول: إنّ هذا ماء قريب العهد بالعرش ثمّ أنشأ عليه السلام يحدث فقال إنّ تحت العرش بحرا فيه ماء ينبت به أرزاق الحيوانات و إذا أراد الله أن ينبت به ما يشاء لهم رحمه منه أوحى الله عزّ و جلّ فمطر منه ما شاء من سماء إلى سماء حتّى يصير إلى السماء الدنيا، فتلقيه إلى السحاب و السحاب بمنزله الغربال ثمّ يوحى الله عزّ و جلّ إلى السحاب أن اطحنيه و اذيبه ذوبان الملح فى الماء ثم انطلقى به إلى موضع كذا و كذا و عابا أو غير عباب، فتقطر عليهم على النحو الذى يأمرها به فليس من قطره تقطر إلاّ و معها ملك حتّى تضعها بموضعها، الحديث.

و رواه فى الكافى عن هارون عن مسعده بن صدقه نحوه.

قال الرّازى فى تفسير قوله: «هُوَ الَّذِى أُنزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» اختلف الناس فيه:

فقال الجبائى إنّه تعالى ينزل الماء من السّماء إلى السّحاب و من السّحاب إلى الأرض يقال لأنّ ظاهر النصّ يقتضى نزول المطر من السّماء و العدول عن الظاهر إلى التّأويل إنّما يحتاج إليه عند قيام الدليل على أنّ إجراء اللفظ على ظاهره غير ممكن، و فى هذا الموضع لم يقم دليل على امتناع نزول المطر من السّماء فوجب إجراء اللفظ على ظاهره إلى أن قال:

و القول الثّانى المراد انزل من جانب السّماء ماء.

و القول الثّالث انزل من السّحاب ماء و سمّا الله السّحاب سماء لأنّ العرب تسمى كلّ ما فوقك سماء كسماء البيت، انتهى.

و رويح فى موضع آخر نزول المطر من السّحاب قال: لأنّ الانسان ربما كان واقفا على قله جبل عال و يرى الغيم أسفل فاذا نزل من ذلك الجبل يرى الغيم مطرا عليهم، و إذا كان هذا الأمر مشاهدا بالبصر كان النزاع باطلا، هذا.

و قوله: (مطيعتان لربكم) وصفهما بالاطاعة تنبيها على عظمه قدرته سبحانه و نفوذ امره فيهما كما قال تعالى: «فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ انْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالتا أَتِينا طائِعِنا» (و ما أصبحتا تجودان لكم ببركتهما) أى ما صارت السّماء تجود لكم بالأمطار و لا الأرض تجود لكم بالانبات (توجعا لكم) أى تألما لما أصاب بكم (و لا زلفه) و تقربا (اليكم) و لا لخير ترجوانه منكم) كما هو المعهود المتعارف فى جود النّاس بعضهم لبعض حيث إنهم يبذلون المال للترحم أو التقرب أو لجلب الخير أو لدفع الضرر أو نحو ذلك، و أمّا السّماء و الأرض فلا يتصوّر فى حقوقهما ذلك لأنّهما أجسام جامده غير شاعره لا يوجد ما يوجد منهما بالارادة و الاختيار.

(و لكنّ) هما مسخّرتان تحت قدره الله و مشيئته تعالى (أمرتا بمنافعكم فأطاعتا و اقيمتا على حدود مصالحكم فقامتا) و المراد بالأمر و الاقامه الأمر و الاثبات التكويني كما أنّ المراد بالقيام و الاطاعة الثبات و الجرى على وفق ما أراد الله

و فى هاتين القريبتين تلميح إلى قوله سبحانه: «وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ» أى يريكُم البرق خوفاً من الصّاعقه و للمسافر و طمعا فى الغيث و للمقيم، و ينزل من السّماء مطر فيحى به الأرض بالنبات بعد موتها و يبسها و جدوبها، و قيام السّماء و الأرض بأمره باقامته لهما و إرادته لقيامهما.

قال الطبرسى: بلاد عامه تدعمها و لا علاقته تتعلّق بهما بأمره لهما بالقيام كقوله تعالى:

«إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» و قيل بأمره أى بفعله و امساكه إلا أنّ افعال الله عزّ اسمه تضاف إليه بلفظ الأمر لأنّه أبلغ فى الاقتدار فإنّ قول القائل أراد فكان أو أمر فكان أبلغ فى الدلاله على الاقتدار من أن يقول فعل فكان، و معنى القيام الثبات و الدوام انتهى.

و قد مضى تفصيل الكلام فى منافع السّماء و الأرض و تحقيق ما يتعلّق بمصالحها فى شرح الخطبه التسعين فليراجع هناك هذا.

و لما نبه على أنّ السّماء و الأرض مخلوقان مسخّران تحت قدره الفاعل المختار و أنّ جودهما بالامطار و الانبات إنّما هو بتعلّق أمر الله سبحانه و مشيئته و إرادته أردف ذلك بالتنبيه على أنّ المانع من نزول الخير و إفاضه الجود إنّما هو أمر راجع إلى الخلق و حادث من جهه العبد و هو سوء فعله و ذنبه المانع من استعداده لقبول الرّحمه و فيضان الجود فقال (إنّ الله يبتلى عباده عند الأعمال السيئه) لأنّ البلاء للظالم أدب (بنقص الثمرات و حبس البركات و إغلاق خزائن الخيرات) كما قال سبحانه «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرَاتِ».

و إنّما يبتليهم بذلك لطفاً منه تعالى (ليتوب تائب) عن سوء عمله (و يقلع مقلع) أى يكفّ عن ضلاله و زلله (و يتذكّر متذكّر) بما أعدّ الله سبحانه

من النعيم في دار القرار للمتقين الأبرار (ويزدجر مزدجر) بما أعد الله تعالى من العذاب الأليم في دار البوار للفجار والأشرار.

ثم تبيّه على ما به يرتفع المانع من الخير والجود ويتأهّل لافاضه الرّحمه من واجب الوجود فقال (وقد جعل الله سبحانه الاستغفار) ممحاه للذنب و (سببا لدرور الرزق) و كثرته (فقال) في سورة نوح (استغفروا ربكم أنّه كان غفّارا يرسل السماء عليكم مدرارا و يمددكم بأموال و بنين) و يجعل لكم جنّات و يجعل لكم أنهارا.

قال الطبرسي في تفسيره: أي اطلبوا منه المغفره على كفركم و معاصيكم إنّّه كان غفارا لكلّ من طلب منه المغفره، فمتى رجعتم عن كفركم و معاصيكم و أظعتموه يرسل السماء عليكم مدرارا، أي كثيره الدّور بالغيث، و قيل: إنّهم كانوا قد قحطوا و استنوا و هلكت أموالهم و أولادهم فلذلك رغّبهم في ردّ ذلك بالاستغفار مع الايمان و الرجوع إلى الله تعالى، و يمددكم بأموال و بنين، أي يكثر أموالكم و أولادكم الدّكور، و يجعل لكم جنّات، أي بساتين في الدّنيا و يجعل لكم أنهارا تسقون بها جنّاتكم، قال قتاده: علم نبيّ الله نوح عليه السّلام أنّهم كانوا أهل حرص على الدّنيا فقال: هلمّوا إلى طاعه الله فإنّ فيها درك الدّنيا و الآخره.

و روى الزّبيح بن صبيح أنّ رجلا أتى إلى الحسن عليه السّلام فشكى إليه الجدوبه فقال له الحسن عليه السّلام: استغفر الله، و أتاه آخر فشكى إليه الفقر، فقال له: استغفر الله و أتاه آخر فقال: ادع الله أن يرزقني ابنا، فقال له: استغفر الله، فقلنا: أتاك رجال يشكون أبوابا و يسألون أنواعا، فأمرتهم كلّهم بالاستغفار، فقال عليه السّلام: ما قلت ذلك من ذات نفسي إنّما اعتبرت فيه قول الله تعالى حكاية عن نبيّه نوح عليه السّلام أنّه قال لقومه: «اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً» إلى آخره، هذا.

و الآيات و الأخبار في فضيله الاستغفار و كونه سببا لدرور الرزق و سائر ما يترتب عليه من الثمرات كثيره.

فمن الآيات مضافه إلى ما مرّ قوله تعالى في سورة هود عليه السّلام حكاية عنه أنّه

قال لقومه: «وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا» و من الأخبار فى الكافى باسناده عن زراره قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إن العبد إذا أذنب ذنبا أجلا من غدوه إلى الليل فإن استغفر الله لم يكتب عليه و عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال: من عمل سيئه أجل فيها سبع ساعات من النهار، فإن قال: أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم، ثلاث مرّات لم تكتب عليه.

و عن عبد الصّمد بن بشير عن أبى عبد الله عليه السلام قال: العبد المؤمن إذا أذنب ذنبا أجله الله سبع ساعات و إن استغفر الله لم يكتب عليه شىء و إن مضت الساعات و لم يستغفر كتب الله عليه سيئه و إن المؤمن ليذكر ذنبه بعد عشرين سنة حتّى يستغفر ربّه فيغفر الله له و إن الكافر لينساه من ساعته.

و فيه مرسلا عن أبى عبد الله عليه السلام قال: ما من مؤمن يقارف فى يومه و ليلته أربعين كبيره فيقول و هو نادم: أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم بديع السماوات و الأرض ذو الجلال و الاكرام و أسأله أن يصلّى على محمّد و آل محمّد و أن يتوب علىّ، إلا غفرها الله له عزّ و جلّ و لا خير فى من يقارف فى يوم أكثر من أربعين كبيره.

و فى ثواب الأعمال بسنده عن السيكونى عن أبى عبد الله عليه السلام، عن أبيه عن آبائه عليه السلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: لكلّ داء دواء و دواء الذنوب الاستغفار.

و فيه عن سلام الخياط عن أبى عبد الله عليه السلام قال: من قال: أستغفر الله مائة مرّه حين ينام بات و قد تحاطت الذنوب كلّها عنه كما تتحاط الورق من الشجر و يصبح و ليس عليه ذنب.

و عن مسعده بن صدقه عن جعفر الصّادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: طوبى لمن وجد فى صحيفته يوم القيامة تحت كلّ ذنب أستغفر الله و عن جابر الجعفى عن أبى جعفر عليه السلام قال: من استغفر الله بعد صلاة الفجر

سبعين مرّه غفر الله له و لو عمل ذلك اليوم سبعين ألف ذنب، و من عمل أكثر من سبعين ألف ذنب فلا خير له.

و فى الوسائل من الكافى عن ياسر الخادم عن الرضا عليه السّلام قال: مثل الاستغفار مثل ورق على شجره تحرك فثناثر، و المستغفر من ذنب و يفعله كالمستهزىء برّبّه و عن عبيد بن زراره قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: إذا كثّر العبد من الاستغفار رفعت صحيفته و هى تتألأ.

و عن السيكونى عن أبى عبد الله عن آباءه عليهم السّلام فى حديث قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: من كثرت همومه فعليه بالاستغفار.

و فيه من عدّه الدّاعى لأحمد بن فهد قال: قال عليه السّلام إنّ للقلوب صداء كصداء النّحاس فأجلوها بالاستغفار.

قال: و قال: من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كلّ همّ فرجا و من كلّ ضيق مخرجا و رزقه من حيث لا يحتسب.

و فيه من أمالى ابن الشّيخ مسندا عن أبى الحسن المنقرى قال: سمعت على بن أبى طالب عليه السّلام يقول: عجا لمن يقنط و معه الممحاء: قيل: و ما الممحاء؟ قال: الاستغفار.

و فيه من كتاب ورام بن أبى فراس قال: قال عليه السّلام أكثروا الاستغفار إنّ الله لم يعلمكم الاستغفار إلّا و هو يريد أن يغفر لكم، هذا.

و لَمّا تَبّه على كون الاستغفار سببا لدرور الرزق و استشهاد عليه بالآيه الشريفه أردفه بالدّعاء على المستغفرين التائبين بقوله (فرحم الله امرء استقبل توبته) أى استأنفها (و استقال خطيئته) أى طلب الاقاله منها و من المؤاخذه بها قال الشّارح البحرانى: و لفظ الاقاله استعاره و وجهها أنّ المخطى كالمعاهد و الملتزم لعقاب اخرويّه بلدّه عاجله لما علم من استلزام تلك اللذّه المنهيه عنها للعقاب، فهو يطلب للاقاله من هذه المعاهده كما يطلب المشتري الاقاله من البيع (و بادر متيته) أى سارع

إليها بالتوبه، و الاستقاله قبل إدراكها له، هذا.

و لما فرغ عليه السلام من تمهيد مقدمات الدعاء شرع فيه فقال (اللهم إنا خرجنا إليك من تحت الأستار و الأكنان) التي ليس من شأنها أن تفارق إلا لضروره شديده (و بعد عجيج البهائم و الولدان) و أصواتها المرتفعه بالبكاء و النحيب (راغبين) في برك و رحمتك و راجين فضل) منك و (نعمتك و خائفين من عذابك و نعمتك اللهم فأسقنا غيثك) المغدق من السحاب المنساق لنبات أرضك المونق (و لا- تجعلنا من القانطين) الآيسين (و لا- تهلكننا بالسّينين و لا- تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا يا أرحم الراحمين) و المراد بالسّفهاء الجهّال من أهل المعاصي و بفعلهم معاصيهم المبعده عن رحمته سبحانه كما في قوله سبحانه حكايه عن موسى عليه السلام: «أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا» ثم عاد عليه السلام إلى تكرير شكوى الجذب بذكر أسبابها الحامله عليها فقال:

(اللهم إنا خرجنا إليك نشكو إليك ما لا يخفى عليك) من الضرّ و السوء (حين أَلجأنا المضائق الوعره) المستصعبه (و أَلجأنا المقاحط المجدبه) أي الشنون المحلّه (و أَعَيْتَنَا المطالب المتعسره، و تلاحمت علينا الفتن المستصعبه) أي تراحمت علينا امور من الجوع و العرى و سائر مسببات القحط ما كانت لنا فتنه أي بلاء و محنه أي صارفه للقلوب عمّا يراد بها.

(اللهم) إنا نسألك أن (لا تردنا خائبين) من رحمتك (و لا تقلبنا و اجمين) محزونين باليأس عن عطيتك (و لا تخاطبنا بذنوبنا) قال الشارح المعتزلي: أي لا تجعل جواب دعائنا لك ما يقتضيه ذنوبنا كأنه يجعله كالمخاطب لهم و المجيب عمّا سألوه إياه كما يفاوض الواحد منّا صاحبه و يستعطفه فقد يجيبه و يخاطبه بما يقتضيه ذنبه إذا اشتدّت موجدته عليه و نحوه قوله (و لا تقايسنا بأعمالنا) أي لا- تجعل ما تجيبنا به مقاييسا و مماثلا لأعمالنا السيئه، و بعباره اخرى لا تجعل فعلك بنا مقاييسا لأعمالنا السيئه و مشابهها لها و سيئه مثلها.

(اللهم انشر علينا غيثك و بركتك و رزقك و رحمتك، و اسقنا سقيا نافعه)

سالمه من الافساد بالافراط (مرويه) مسكته للعطش (معشبه) أى ذات العشب و الكلاء(تنبت بها ما قد فات)أى مضى و ذهب(و تحيى بها ما قد مات).

قال بعض الأفاضل: أى تخرج و تعيد بها ما قد ذهب و يبس من أصناف النبات و ضروب الأعشاب و ألوان الأزهار و أنواع الأشجار و الثمار، و ما انقطع من جوارى الجداول و الأنهار فاستعار الاحياء الذى حقيقته هو إفاضه الرّوح على الجسد للإخراج و الاعاده المذكورين كما استعار الموت الذى هو حقيقه انقطاع تعلق الرّوح بالجسد لليبس و الذّهاب، و الجامع فى الاولى إحداث القوى النّامية فى المواد و المنافع المترتبه على ذلك، و فى الثانيه استيلاء اليبوسه و عدم النّفع، و هما استعارتان تبعيتان لأنّ المستعار فى كلّ منهما فعل و القرينه فى الاولى المجرور أعنى الضمير فى بها العايد إلى السّقيا لظهور عدم حصول الاحياء الحقيقى بالسّقيا، و فى الثانيه الاسناد إلى الفاعل لأنّ الموت الذى يحيى المتّصف به بالسقى لا يكون حقيقيا البته.

(نافعه الحياء) و المطر (كثيره المجتنى) و الثّمر (تروى بها القيعان) و الأراضى المستويه(و تسيل بها البطنان)و الأراضى المنخفضه، و نسبه السّيلان أو الاساله إلى البطنان من المجاز العقلى إذ حقه أن يسند أو يوقع على الماء، لأنّه الماء حقيقه و لكنّه أوقع على مكانه لملاسته له كما اسند الفعل إليه فى سال النهر، و الغرض طلب كثره المطر،(و تستورق الأشجار، و ترخص الأسعار، إنك على ما تشاء قدير) و بالاجابه حقيق جدير.

تنبيه

قال بعض شرّاح الصحيفه الكامله: اختلف فى التّسعير فقيل هو من فعل الله سبحانه و هو ما ذهبت إليه الأشاعره بناء على أصلهم من أنّه لا- فاعل إلا- الله تعالى، و لما ورد فى الحديث حين وقع غلاء بالمدينه فاجتمع أهلها إليه و قالوا: سّعّر لنا يا رسول الله، فقال: المسّعّر هو الله.

و اختلف المعتزله فى هذه المسأله فقال بعضهم هو فعل المباشر من العبد إذ

ليس ذلك إلا- مواضعه منهم على السبع و الشرى بثمان مخصوص، و قال آخرون هو متولد من فعل الله تعالى و هو تقليل الأجناس و تكثير الرغبات بأسباب هي من الله تعالى.

و الذى تذهب إليه معشر الاماميه أن خروج السّعر عن مجرى عادته ترقيا أو نزولا إن استند إلى أسباب غير مستنده إلى العبد و اختياره نسب إلى الله تعالى.

و إلا نسب إلى العبد كجبر السلطان الرّعيه على سعر مخصوص، و ما ورد فى الحديث النبوى المذكور محمول على أنه لا ينبغي التسعير، بل يفوّض إلى الله، ليقرّره بمقتضى حكمته البالغه و رحمته الشامله.

و ما ورد من الأخبار عن أهل البيت عليهم السّلام فى هذا المعنى كما روى عن على بن الحسين عليهما السّلام أنه قال: إنّ الله و كلّ ملكا بالسّعر يدبّره بأمره، و عن أبى عبد الله عليه السّلام إنّ الله و كلّ بالأسعار ملكا يدبّرها بأمره، فالمراد بالسّعر ما لم يكن للعبد و أسبابه مدخل، و الله أعلم.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن ولی دین و سید وصیین است در مقام استسقا و باران خواستن از خدا که فرموده:

آگاه باشید بدرستی که زمینی که بر می دارد شما را، و آسمانی که سایه می افکند بر شما، مطیع و منقاد هستند پروردگار شما را، و نگردیده اند آن آسمان و زمین که ببخشد بشما برکت خودشان را بجهه غمخواری از برای شما، و نه بجهه تقرّب و منزلت بسوی شما، و نه از جهه خیری که امیدوار باشند بآن از شما، و لکن مأمور شدند از جانب خداوند قادر قاهر بمنفعتهای شما، پس اطاعت کرده اند و بر پا داشته شده اند بر نهایت مصلحت های شما، پس قیام نموده اند.

پس بدرستی که خداوند تعالی مبتلا- می نماید و امتحان می فرماید بندگان خود را هنگام اقدام بر اعمال ناشایست بنقص میوجات و حبس کردن برکات و بستن خزینهای خیرها تا این که توبه نماید توبه کننده، و ترک کند گناه را ترک کننده،

و متذکر شود صاحب تذکر، و منزجر شود قابل زجر.

و بتحقیق که گردانیده حق تعالی طلب مغفرت و استغفار را سبب فرود آمدن روزی و رحمت از برای خلق، پس فرمود در کلام مجید خود: «إِسْتَعْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً»، یعنی طلب مغفرت و آمرزش نمائید از پروردگار خود بدرستی که اوست صاحب مغفرت و آمرزنده، تا بفرستد ابر را بر شما در حالتی که ریزان شود بباران، و مدد فرماید شما را بأموال و اولاد، پس رحمت نماید خدا بر کسی که روی آورد بدرگاه خدا به توبه و انابه و طلب اقاله و فسخ خطای خود را نمود و مبادرت و پیش دستی کرد بسوی مرگ خود با توبه نمودن از معصیت.

بار الها بدرستی که ما بیرون آمده ایم بسوی رحمت تو از زیر پردها و پوششها یعنی از خانهای خود بیرون آمده و پا برهنه رو بصحرا نهاده و متوجه تو شده بعد از ناله چهارپایان و فرزندان در حالتی که راغبیم در رحمت تو، و امیدواریم بزیادتی نعمت تو، و ترسانیم از عذاب تو و عقاب تو، بار پروردگارا پس آب ده ما را بباران خودت، و مگردان ما را از نومیدان، و هلاک مکن ما را بسالهای قحطی، و مؤاخذه مکن بما بجهت فعل قبیح سفیهان و بی خردان ما ای پروردگاری که ارحم الراحمین هستی.

بار خدایا بدرستی که ما بیرون آمده ایم بسوی تو شکایت می کنیم بسوی تو چیزی را که پنهان و پوشیده نیست بتو وقتی که مضطر گردانید ما را تنگیها بغایت سخت، و ملجأ نمود ما را سالهای قحطی، و عاجز ساخت ما را مطلب هائی دشوار، و هجوم آور شد بما فتنه های صعب و با شدت.

بار الها بدرستی که ما سؤال می کنیم از فضل و کرم تو این که برنگردانی ما را در حالتی که مأیوس باشیم، و باز نبری ما را در حالتی که محزون و پریشان شویم و خطاب عتاب نکنی بما بجهه گناهان ما، و قیاس نکنی ما را بأعمال قبیحه ما..

پروردگارا پراکنده کن بر ما باران خود را، و سیراب کن ما را سیرابی با منفعت که سیراب سازنده هر موجود است، و رویاننده گیاه که برویانی بسبب آن

سیرابی آنچه که فوت شده باشد از غلّات، و زنده گردانی بواسطه آن آنچه که مرده از نبات، آن چنان سیرابی که صاحب باران را منفعت باشد، و بسیار شود میوه آن که سیراب گردانی بآن زمینهای هموار را، و روان گردانی بآن زمینهای پست را، و برگ دار گردانی درختان را بآن، و آرزان گردانی نرخها را، بدرستی که تو بر آنچه که می خواهی از رخص و جذب صاحب قدرت و توانائی.

و من خطبه له علیه السلام و هی الماء و الرابعه

اشاره

و الاربعون من المختار فی باب الخطب

و شرحها فی فصلین:

الفصل الاول

اشاره

بعث رسله بما خصّهم به من وحيه، و جعلهم حجّه له على خلقه، لثلاً- تجب الحجّه لهم بترك الإعتذار إليهم، فدعاهم بلسان الصّيدق إلى سبيل الحقّ، ألا إنّ الله قد كشف الخلق كشفه، لا أنّه جهل ما أخفوه من مصون أسرارهم، و مكنون ضمائرهم، و لكن ليلوهم أيهم أحسن عملاً، فيكون الثواب جزاء، و العقاب بواء، أين الذين زعموا أنّهم التراسخون في العلم دوننا كذبا و بغيا علينا، أن رفعنا الله و وضعهم، و أعطانا و حرمهم، و أدخلنا و أخرجهم، بنا يستعطى الهدى، و يستجلى العمى، إنّ الأئمه من قریش، غرسوا في هذا البطن من هاشم،

ص: ۱۶

لا تصلح على سويهم، و لا تصلح الولاه من غيرهم.

اللغة

(الاعدار) التخويف و الوعيد و (الكشف) الاظهار و رفع كل شىء عما يواريه و يستره و (البواء) الكفوء و باء الرّجل بفلان قتل به، و أبأت القاتل بالقتل و استبأته أى قتلته به و (كذب) يكذب من باب حسب كذّبا و كذبا و كذبه و كذّبه و كذّابا و (البطن) دون القبيله أو دون الفخذ و فوق العماره كذا فى القاموس و قيل: أول العشيره الشعب قال سبحانه: «وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا» ثم القبيله، ثم البطن، ثم العماره ثم الفخذ.

الاعراب

قوله: من وحيه، بيان لما الموصوله، و قوله: ليلوهم أيهم أحسن عملا كلمه أى استفهاميه مضافه إلى ما بعدها و هى مبتدأ و أحسن خبره، و عملا تميز و جمله الاستفهام بدل من مفعول يبلو على حدّ قوله سبحانه: «وَ أَسِرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ» فانّ جمله هل هذا إلا بشر، بدل من النجوى.

و يجوز أن يكون الجملة الاستفهاميه استينافا بيانيا، كأنه سئل عن المبتلين و قيل: من هم؟ ف قيل: أيهم أحسن عملا نظير ما قاله بعض النحويين فى قوله:

«لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ أَيْهَمُّ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا» من أنّ أى استفهاميه و جمله الاستفهام مستأنفه، و من كل شيعه، مفعول نزعن، و المعنى لنزعن بعض كل شيعه، و كأنّ قائلا يقول: و من المترعين؟ ف قيل: أيهم أشدّ.

و قوله: أين الذين، استفهام على سبيل التقرير و التوبيخ، و قوله: دوننا فى محلّ النصب حال من فاعل الرّاسخون و هو بمعنى سوى و غير مبنى على الفتح لملازمته الاضافه، و كذّبا و بغيا منصوبان على الحال من فاعل زعموا و هما بمعنى الفاعل أى كاذبين فى زعمهم، و علينا، متعلّق ببغيا، و أن رفعنا، فى محلّ النصب مفعول له لبغيا، أى بغيمهم علينا لأنّ رفعنا الله، و قوله: لا تصلح، فاعله راجع إلى

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبه حسب ما أشار اليه الشارحان البحراني و المعتزلي منافره بينه و بين قوم من الصّيحابه الذين كانوا ينازعونه الفضل، و صدّر الفصل بالاشاره إلى بعث الرّسل و الحكمه في بعثهم فقال: (بعث رسله بما خصّهم به من وحيه) الضمائر راجعه إلى الله سبحانه و إن لم يجر له ذكر لعدم الالتباس كما في قوله تعالى: «فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ» و الوحي كلام مأخوذ من الله سبحانه بواسطة الملك، و الالهام يحصل منه سبحانه بغير واسطه، و قيل: الوحي قد يحصل بشهود الملك و سماع كلامه فهو من الكشف الصّورى المتضمّن للكشف المعنوى، و الالهام من المعنوى، و أيضا الوحي من خواصّ الرّساله و متعلّق بالظاهر، و الالهام من خواصّ الولايه، و أيضا هو مشروط بالتبليغ كما قال: «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» دون الالهام، و منهم من جعل الالهام نوعا من الوحي فيكون إطلاق الوحي على الالهام في قوله سبحانه:

«وَ أَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ» «وَ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ» على سبيل الحقيقه، و أمّا على الأقوال السّابقه فهو من باب التوسّع و التجوّز.

(و جعلهم حجّه له على خلقه لثلا) يكون للناس على الله حجّه بعد الرّسل و (تجب الحجّه لهم عليه بترك الاعذار) و التّخويف و إبداء العذر في العقاب و تقديمه (إليهم) يعنى أنّه سبحانه إنّما أرسل رسله مبشّرين و منذرين إتماما للحجّه و إزاله للعذر عنه في العقاب على العصيان لأنّ العقاب بلا بيان قبيح على الحكيم كما قال تعالى: «وَ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا».

فان قلت: هذا ينافى بالقول بالواجبات العقليه و كفايه حكم العقل بالوجوب أو التحريم فيما استقل بحسنه أو قبحه و لو لم يبعث الرّسل كما هو مذهب العدليه من الاماميه و المعتزله.

قلت: قد أجاب عنه الشارح المعتزلي بأن صحه مذهبهم يقتضى أن يحمل عموم الألفاظ على أن المراد بها الخصوص، فيكون التأويل لثلاثين للناس على الله حجه فيما لم يدل العقل على وجوبه ولا قبحه كالشروعات، وكذلك ما كنا معدّين على ما لم يكن العقل دليلاً عليه حتى نبعث رسولا، ومحضه أن العمومات مخصوصه بغير المستقلات، وأن المقصود بالآيه وما كنا معدّين قبل بعث الرسل إلا فيما استقلّ لحكمه العقل، هذا.

ويمكن الجواب بابقاء الآيه على عمومها والتصرف في البعث بأن يجعل بعث الرسل كناية أو مجازا عن مطلق بيان التكليف ولو بلسان العقل كما في المستقلات العقلية إلا أنه لما كان الغالب بل الأغلب كون البيان بالرسل، فعبر به عنه كما في قولك لا أبرح هذا المكان حتى يؤذن المؤذن، مريدا به دخول الوقت إذ كثيرا ما يعلم دخوله به.

(فدعاهم بلسان الصدق) وهو لسان الأنبياء والحجج، لأنهم تراجعهم وحى الله سبحانه و يقرب منه ما في شرح البحراني قال: هو لسان الشريعة الناطقه عن مصباح النبوه المشتعل عن نور الحق سبحانه (إلى سبيل الحق) وهو سبيل الدين و نهج الشرع المبين.

ولما أشار عليه السلام إلى الحكمه في بعث الرسل أردفه بالتنبيه على الغرض من التكليف وهو قوله: (ألا- إن الله تعالى قد كشف الخلق كشفه) أى أبداهم و أظهر حالهم بما تعبدهم به من الأحكام إذ بالتعبّد بها يظهر ما هم عليه من السعاده و الشقاوه و الجحود و التسليم، وهذا معنى ما قيل إنه أراد بالكشف الاختبار و الابتلاء (لا) ل (أنه جهل ما أخفوه من مصون أسرارهم و) أضمره من (مكون ضمائرهم) بل هو العالم بالسرائر و الخبير بمكنونات الضمائر.

و إن تجهر بالقول فإنه يعلم السر و أخفى، و لا يعزب عنه مثقال ذره في الأرض و لا في السماء، و ما يكون من نجوى ثلاثه إلا هو رابعهم و لا خمسهم إلا هو سادسهم و لا أدنى من ذلك و لا أكثر إلا هو معهم، على ما مرّ تحقيقا و تفصيلا في

تنبيهات الفصل السابع من الخطبه الأولى، و في شرح الخطبه التاسعه و الأربعين و الخطبه الخامسه و الثمانين فليراجع (و لكن) كشفهم (ليلوهم أيهم أحسن عملا) اقتباس من الآية الشريفة في سورة هود قال تعالى: «وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا».

قال الطبرسي: معناه أنه خلق الخلق و دبر الامور ليظهر إحسان المحسن فإنه الغرض في ذلك أي ليعاملكم معامله المبتلى المختبر لئلا يتوهم أنه سبحانه يجازى العباد على حسب ما في معلومه أنه يكون منهم قبل أن يفعلوه.

و في سورة الملك «الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا».

قال الطبرسي: أي ليعاملكم معامله المختبر بالأمر و النهي فيجازى كلّ عامل بقدر عمله، و قيل: ليلوكم أيكم أكثر للموت ذكرا و أحسن له استعدادا و أحسن صبورا على موته و موت غيره، و أيكم أكثر امتثالا للأوامر و اجتنابا عن التواهي في حال حياته.

قال أبو قتاده سألت النبي صلى الله عليه و آله عن قوله تعالى: «أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» ما عنى به؟ فقال صلى الله عليه و آله و سلم: يقول: أيكم أحسن عقلا ثم قال: أتمكم عقلا، و أشدكم لله خوفا، و أحسنكم فيما أمر الله به و نهى عنه نظرا، و إن كان أقلكم تطوعا.

و عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه و آله أنه تلى تبارك الذي بيده الملك إلى قوله:

أيكم أحسن عملا، ثم قال: أيكم أحسن عقلا، و أروع عن محارم الله، و أسرع في طاعه الله، و عن الحسن أيكم أزهدي في الدنيا و أترك لها انتهى.

أقول: و قد مضى تفصيل الكلام في معنى ابتلاء الله سبحانه لعباده في شرح الخطبه الثانيه و الستين، و محضله أنه سبحانه يختبر عباده مع علمه بما يؤل إليه أمرهم من سعادته أو شقاوه بأوامره و نواهيه، و يعاملهم معامله المختبر ليجازى كلّ عامل بمقتضى فعله و عمله، كما لا يجازى المختبر للغير إلا بعد وقوع الفعل و العمل منه (فيكون الثواب) منه تعالى (جزاء) للحسنات بمقتضى فضله (و العقاب بواء) للسيئات بمقتضى عدله.

ثم إنه لمّا أشار الى الحكمه فى بعث الرّسل ونبّه على الغرض من التّكليف أردفه بقوله: (أين العذّين زعموا أنّهم الرّاسخون فى العلم دوننا) و غرضه بذلك توبيخ الرّاعمين لذلك و الانكار عليهم و التّنبيه على أنّ الرّسوخ فى العلم مخصوص بأهل بيت الولاية عليهم السّلام و أنّ غيرهم كاذب فى دعوى الرّسوخ.

و هذه الدّعوى منهم أعنى اختصاصهم بالرّسوخ قد شهد عليه البراهين العقليه و النقليه و نصّ عليه العامّه و الخاصّه.

اما العامه فلما أورده الشّارح المعتزلى فى شرح هذا المقام حيث قال: إنّ كناية و إشاره إلى قوم من الصّيحابه كانوا ينازعونه الفضل، فمنهم من كان يدعى له أنّه أفرض، و منهم من كان يدعى له أنّه أقرء، و منهم من كان يدعى له أنّه أعلم بالحلال و الحرام، هذا.

مع تسليم هؤلاء له أنّه عليه السّلام أفضل «أفضى ظ» الامّه و أنّ القضاء يحتاج إلى كلّ هذه الفضائل و كلّ واحده منها لا تحتاج إلى غيرها، فهو إذا أجمع للفقّه و أكثرهم احتواء عليه إلّا- أنه لم يرض بذلك، و لم يصدق الخبر (1) الذى قيل أفرضكم فلان إلى آخره، فقال إنّ كذب و افتراء حمل قوما على وضعه الحسد و البغى و المنافسه لهذا الحىّ من بنى هاشم.

و أما الخاصه فقد تظافرت رواياتهم على ذلك.

ففى البحار من بصائر الدّرجات باسناده عن أبى بصير عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: نحن الرّاسخون فى العلم و نحن نعلم تأويله.

و من البصائر أيضا عن إبراهيم بن إسحاق عن عبد الله بن حمّاد عن بريد البجلي «العجلى ظ» عن أحدهما عليهما السّلام فى قوله تعالى: «و ما يعلم تأويله إلّا الله و الرّاسخون فى العلم» آل محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم فرسول الله أفضل الرّاسخين فى العلم قد علّمه الله جميع ما أنزله عليه من التنزيل و التأويل، و ما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله، و أوصياؤه من بعده يعلمونه كلّه.

ص: ٢١

١- (١) و هو ما رووه من أنّ أفرضكم زيد بن ثابت و أقرءكم أبى، منه

و من مناقب ابن شهر آشوب عن أبي القاسم الكوفي قال: روى في قوله:

«وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ» إِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْ قَرْنِهِمُ الرَّسُولَ بِالْكِتَابِ وَ أَخْبَرَ أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ.

قال صاحب المناقب: و في اللغة الراسخ هو اللّازم لا يزول عن حاله و ليس يكون كذلك إلاّ من طبعه الله على العلم في ابتداء نشوه كعيسى عليه السلام في وقت ولادته قال: «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ» الآية، فأما من يبقى السنين الكثيره لا يعلم ثم يطلب العلم فينال منه فليس ذلك من الراسخين يقال: رسخت عروق الشجر في الأرض و لا يرسخ إلاّ صغيرا انتهى.

و هذا هو الدليل العقلي على اختصاص الراسخ لهم مضافا إلى الأدله الاخر لا تطول بذكرها.

و لمكان الاختصاص كذب المدّعين للاتصاف بالرسوخ و الزاعمين لاختصاصه بهم دونهم بقوله (كذبا و بغيا علينا) و حسدا لنا و عله كذبهم و بغيتهم (أن رفعنا الله و وضعهم) أى رفع الله درجاتنا في الدنيا و الآخرة على الكافه و وضعهم.

كما يدلّ عليه قوله سبحانه: «فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ» فقد روى في غايه المرام من تفسير الثعلبي في تفسير هذه الآية برفع الاسناد إلى أنس بن مالك قال: قرء رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم هذه الآية فقام رجل فقال: يا رسول الله أى بيوت هذه؟ قال:

بيوت الأنبياء، فقام إليه أبو بكر فقال: يا رسول الله هذا البيت منها؟ يعنى بيت عليّ و فاطمه، قال صلى الله عليه و آله و سلم: نعم من أفاضلها، و بمعناها روايات اخر عاميه و خاصيه.

(و أعطانا و حرمهم) أى آتانا النبوه و الخلافه و الامامه و حرمهم هذه كما قال تعالى: «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ»، قال أبو جعفر عليه السلام في المروى من بصائر الدرّجات: فنحن الناس المحسودون على ما آتانا الله من الامامه دون خلق الله جميعا.

و من مناقب ابن شهر آشوب و تفسير العياشى عن أبي سعيد المؤدب عن ابن عباس في قوله «أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ» قال: نحن الناس

(و أدخلنا) فى عناية الخاصه (و أخرجهم) منها و من جمله تلك العناية الخاصه أنه سبحانه أمر بسد الأبواب الشارعه فى المسجد غير باب أمير المؤمنين عليه السلام، روى الحموينى بسنده عن بريد الأسلمى قال: أمر رسول الله صلى الله عليه و آله بسد الأبواب فشق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله فلم يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم دعا الصيلاه جامعه حتى إذا اجتمعوا سعد المنبر فلم يسمع لرسول الله تحميذا و تعظيما فى خطبه مثل يومئذ فقال: يا أيها الناس ما أنا سدتها و لا أنا فتحتها، بل الله عز و جل سدها، ثم قرء: «وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَ مَا عَوَىٰ وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ»، و قال رجل: دع لى كوه تكون فى المسجد فأبى و ترك باب على صلوات الله عليه مفتوحا و كان يدخل و يخرج منه و هو جنب.

(بنا يستعطى الهدى) لأنهم عليه السلام الأعلام و المنار و نور الأنوار و شمس الضياء و كواكب الدجى و نجوم الظلماء، و الهداه لمن اهتدى فى الآخرة و الاولى على ما مرّ تحقيقا و تفصيلا فى شرح الخطبه الرابعه.

(و يستجلى العمى) و هو استعاره وفاقته مرشحه حيث استعير العمى للضلاله بجامع عدم الاهتداء و قرن بما يلايم المستعار منه و هو الاستجلاء.

و قوله عليه السلام (إن الأئمه من قريش) مأخوذ من الحديث النبوى المعروف بين الفريقين حسب ما تطلع عليه فى التنبيه الآتى، و هو مفيد للحصر كما تبه عليه العلامه التفتازانى فى باب تعريف المسند من شرح التلخيص حيث قال: إن المعرف بلام الجنس إن جعل مبتدأ فهو المقصور على الخبر سواء كان الخبر معرفا بلام الجنس أو غيره، نحو الكرم هو التقوى أى لا غيرها، و الأمير الشجاع أى لا الجبان و الأمير هذا أو زيد أو غلام زيد أو كان غير معرف أصلا نحو التوكل على الله و التفويض إلى أمر الله و الكرم فى العرب و الامام من قريش لأن الجنس حينئذ يتحد مع واحد مما يصدق عليه الخبر فلا يتحقق بدون ذلك الواحد، لكن يمكن تحقق واحد منه فى الجملة بدون ذلك الجنس فيلزم أن يكون الكرم مقصورا على الاتصاف بكونه

فى العرب؁ و لا يلزم أن يكون ما فى العرب مقصورا على الاتصاف بالكرم؁ و على هذا القياس.

قال المحقق الشريف فى وجه إفادته القصر لأن المعنى أنّ كلّ توكلّ على الله و كلّ تفويض إلى أمر الله و كلّ كرم فى العرب فىلزم أن يكون الكرم مقصورا على الاتصاف بكونه فى العرب؁ لأنّ كلّ فرد منه موصوف بكونه فىهم فلا- يوجد فرد منه فى غيرهم؁ و لا يلزم من ذلك أن يكون كلّ ما هو كائن فى العرب موصوفا بكونه كرما؁ لئلا يلزم قصر الخبر على المبتدأ انتهى.

فقد ظهر بذلك أنّه لا غبار على إفادته القصر و إن اختلف أنظارهم فى وجه إفادته له؁ و ليكن هذا على ذكر منك تشبّه به على فساد أكثر ما ذهب إليه المعتزله فى باب الامامه حسب ما حكاه الشّارح المعتزلى عنهم على ما تطلع عليه فى التنبيه الآتى إنشاء الله.

و قوله:(غرسوا فى هذا البطن) المعين (من هاشم) أراد به نفسه الشّريف مع الأحد عشر من ولده على ما هو مذهب أصحابنا الاماميه المحقّه رضوان الله عليهم و قوله:(لا- تصلح) أى الامامه المستفاده من سوق الكلام (على سواهم و لا تصلح الولاه من غيرهم) و هو تأكيد لما قد دلّ عليه القصر السابق و اختصاص الامامه بالعترة الطاهره أعنى الأئمه الاثنى عشر عليهم السّلام كما هو مدلول فقره الأخيره.

و وجهه أنّ للولايه و الامامه خصائص بها يتأهل لها؁ و تلك الخصائص موجوده فىهم غير موجوده فى غيرهم؁ فلا تصلح إلا لهم عليهم السّلام كما تقدّم تحقيق ذلك و توضيحه فى شرح الفصل الخامس من الخطبه الثانيه فى معنى قوله: و لهم خصائص حقّ الولايه؁ و فىهم الوصيّه و الوراثه.

تنبيه

قال الشّارح المعتزلى فى شرح قوله: إنّ الأئمه من قريش إلى آخر الفصل

ما لفظه: قد اختلف الناس فى اشتراط النسب فى الامامه.

فقال قوم من قدماء أصحابنا: النسب ليس فيها شرطاً أصلاً و أنها تصلح فى القرشيين و غير القرشيين إذا كان فاضلاً مستجمعا للشرائط المعبره و اجتمعت الكلمه و هو قول الخوارج.

و قال أكثر أصحابنا و أكثر الناس: إن النسب شرط فيها و إنها لا تصلح إلا فى العرب خاصه و من العرب فقريش خاصه.

و قال أكثر أصحابنا: معنى قول النبى صلى الله عليه و آله و سلم: الأئمه من قريش أن القرشيه شرط إذا وجد فى قريش من يصلح للامامه فان لم يكن فيها من يصلح فليست القرشيه شرطاً فيها.

و قال بعض أصحابنا. معنى الخبر أنه لا يخلو قريش أبداً ممن يصلح للامامه فأوجبوا بهذا الخبر وجود من يصلح من قريش لها فى كل عصر و زمان.

و قال معظم الزيديه: إنها فى الفاطميين خاصه من الطالبين لا تصلح فى غير البطينين و لا تصح إلا بشرط أن يقوم بها و يدعو إليها فاضل زاهد عالم عادل شجاع سائس و بعض الزيديه يجيز الامامه فى غير الفاطميين من ولد علي و هو من أقوالهم الشاذه.

و أما الراونديه فانهم خصصوها بالعباس و ولده من بطون قريش كلها و هو القول الذى ظهر فى أيام المنصور و المهدي.

و أما الاماميه فانهم جعلوها ساريه فى ولد الحسين عليه السلام فى الأشخاص المخصوصين و لا تصح عندهم لغيرهم.

و جعلها الكيسانيه فى محمد بن الحنفيه و ولده.

و منهم من نقلها منه إلى ولد غيره.

ثم قال الشارح: فان قلت: إنك شرحت هذا الكتاب على قواعد المعتزله و اصولهم فما قولك فى هذا الكلام و هو تصريح بأن الامامه لا يصلح من قريش إلا فى بنى هاشم خاصه و ليس ذلك بمذهب المعتزله لا متقدميهم و لا متأخريهم.

قلت: هذا الموضوع مشكل ولي فيه نظر و إن صحَّ أن عليا قاله كما قال لأنه ثبت عندى أن النبي صَلَّى الله عليه و آله قال: إنه مع الحقَّ و إنَّ الحقَّ يدور معه حيثما دار، و يمكن أن يتأوَّل على مذهب المعتزله فيحمل أن المراد به كمال الامامه كما حمل قوله صَلَّى الله عليه و آله و سلَّم: لا- صلاه لجار المسجد إلّا- فى المسجد على نفى الكمال لا على نفى الصَّحه، انتهى كلامه هبط مقامه.

أقول محصَّل: ما حكاه الشَّارح من الأقوال و أوردته فى هذا المقام عن أصحابه المعتزله و غيرهم عشره.

أمَّا القول الأوَّل فيبطله قوله صَلَّى الله عليه و آله و سلَّم: الأئمه من قريش لافادته القصر و اشتراطه النَّسب حسب ما عرفت سابقا.

و أمَّا القول الثانى فهو مسلَّم لكن لا على اطلاقه بل بتقييد القرشى بالبطن المخصوص من هاشم أعنى عليا و ولده للأدله الآتية الداله عليه مضافه إلى ما تقدَّم من تصريح عليّ عليه السَّلام به.

و أمَّا القول الثالث ففيه إنا قدّمنا أن معنى التَّبوى أنه لا بدَّ أن يكون الامام من قريش، و عليه فلا معنى لقولهم فان لم يكن فيها من يصلح فليست القرشيه شرطاً فيها، ضروره أنه إذا لم تكن شرطاً فيها على تقدير عدم وجود من يصلح لجاز أن يكون من غيرها لكنه باطل بمقتضى القصر و لازمه أنه إذا فرض عدم وجود من يصلح من قريش لها أن لا يكون هناك امام أصلاً على ما هو قضيه الشرطيه المستفاده من القصر لا وجوده من غير قريش على ما زعموا.

و أمَّا القول الرَّابع ففيه أن مفاد الخبر أن الامام لا بدَّ أن يكون من قريش و أما أن قريشا لا بدَّ أن يكون منهم فى كلِّ عصر و زمان من يصلح للامامه فلا دلالة للخبر عليه باحدى من الدلالات، نعم قد قامت الأدله العقليه و النقليه على ما تقدّمت فى شرح الفصل الخامس عشر من الخطبه الاولى و فى غيره أيضا على أن الزَّمان لا يخلو من حجّه، فيضمُّ قوله: إنَّ الأئمه من قريش إلى تلك الأدله يثبت أن قريشا لا تخلو من أن يكون منهم فى كلِّ عصر إمام، نظير دلالة قوله سبحانه:

«وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِينَ عَنْ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ» بضميمه قوله: «وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر إلا أنه دلالة تبعيته غير مقصوده.

و أما القول الخامس فهو مسلم لكن لا في مطلق الطالبي و الفاطمي، بل في الأشخاص المخصوصه أعنى الأئمه الاثنى عشر، و ما ذكره من الشروط أعنى القيام و الدعوه و السياسه لم يدل عليها دليل من الكتاب و السنه، و عمدته شروطها العصمه و النص و الأفضليه، و لها شرايط اخر مذكوره في الكتب الكلاميه لأصحابنا و أما القول السادس و السابع فشاذان ضعيفان لا يعبا بهما مع قيام الأدله القاطعه على خلافهما.

و أما القول الثامن فهو المذهب الحقّ الذي أحقّ أن يدان و يتبع، و عليه دلّت النصوص المعتمده المتواتره.

و أما القول التاسع و العاشر فكالسادس و السابع ضعيفان أيضا، هذا.

و بقى الكلام مع الشارح فيما ذكره جوابا عن الاعتراض الذى أورده على نفسه أعنى قوله قلت: هذا الموضوع مشكل ولى فيه نظر إلى قوله: حيثما دار.

فأقول: هذا الجواب يستشّم منه ميل الشارح إلى مذهب الشيعه الاماميه كما هو زعم بعض العامه بل أكثرهم حيث ينسبونه إلى التشيع و يتبرون منه إلا أنّ أكثر كلماته صريحه فى اختياره مذهب الاعتزال حسب ما عرفتها و ستعرفها إنشاء الله فى تضاعيف الشرح على ما جرى عليه ديدنا و التزمنا به من حكايه كلما وقع فيه منه خطأ و زلّه من كلامه و تعقيبه بالتنبيه على هفواته و آثامه.

ثم أقول: إنّ هذا الموضوع ليس محلّ اشكال و لا نظر لأنّ صحّه الروايه لا- غبار عليها فأنها و إن رواها السيّد (ره) على نحو الارسال إلا أنّ مضمونها معتضد و موافق للاخبار النبويه و غير التّبويه المعتمده العاميه و الخاصيه القطعيه السّند حسب ما تعرف جملة منها عن قريب انشاء الله تعالى، و بالجمله فليس الدليل منحصر فى المقام فى هذه الروايه حتّى يستشكل فى صحّتها، بل لنا على هذه الدعوى أدله قاطعه متظافره بل متواتره حسب ما تطلع عليها.

و أما قول الشارح و يمكن أن يتأول و يطبق على مذهب المعتزله ففيه:

أولاً إنّ الامامه منصب إلهى و ملك عظيم غير قابل للكمال و التقصان و الشده و الضعف، بل لها شروط و خصال بها يتأهل لها، فحيث ما وجدت تلك الشرائط وجدت، و حيث ما انتفت انتفت، فلا معنى لحمل قوله عليه السلام: الأئمة من قريش، على الامامه الكامله إذ ليس لنا إمامه ناقصه.

اللهمّ إلا أن يجعل المراد بالامام معناه اللغوى أعنى مطلق المقتدى فحينئذ يصح توصيفه بالكمال و التقصان، فيراد بالكمال الأئمة الذين يهدون بالحقّ و به يعدلون، و بالتأقص الأئمة الذين يدعون إلى النار و هم للحقّ جاهدون، و على ذلك فيكون معنى قوله: الأئمة من قريش آه، المقتدين الكاملين يعنى أئمة الهدى من قريش غرسوا فى البطن المخصوص من هاشم، فلا ينافى وجود المقتدين الناقصين أعنى أئمة الضلال من غير ذلك البطن.

لكن هذا المعنى مضافا إلى أنه مجاز مّا لا يلتزم به الشارح، لأنّ غرضه من حمل الحديث على كمال الامامه، و من تمحل ذلك التأويل إنّما هو تصحيح مذهب المعتزله و رفع تضادّ الحديث لذلك المذهب، فكيف يقرّ و يدعن بضلال أئمته و له أن يجيب عن ذلك و يقول إنّ المراد بالامام الكامل الأفضل و الأجمع للخلال (1) الحميده، و بالتأقص من دون ذلك كما يؤمى إليه اعترافه وفاقا لأصحابه المعتزلى بأنّ عليّا أفضل من سائر الخلفاء على ما تقدّم تفصيلا حكاية عنه فى المقدمه الثانيه من مقدّمات الخطبه الثالثه المعروفه بالششقيه.

إلا أنّه يتوجه عليه ما قدّمناه فى المقدمه المذكوره فى المقصد الثاني منها من أنّه بعد القول و الالتزام بأفضليته أمير المؤمنين عليه السلام لا يبقى لغيره إمامه و خلافه أصلا، لقبح ترجيح المرجوح على الراجح و غير الأفضل على الأفضل عقلا و شرعا فيبقى ايراد الذى أوردناه أعنى عدم كون الامامه قابله للتقصان على حالها.

ص: ٢٨

١- (١) الظاهر الخصال يكون صحيحا و ان كان فى الاصل الخلال منه

و ثانياً إنّ بعد الغضّ عمّا قلنا و المماشاه نقول: إنّ قوله: الأئمه من قريش، جمع محلّي باللام و كذلك قوله، لا تصلح الولاه من غيرهم، و الجمع المحلّي مفيد للعموم و حقيقه فى الاستغراق الحقيقى على ما قرر فى الاصول و حملها على الأئمه و الولاه الكاملين يوجب صرف الاستغراق إلى المجاز أعنى الاستغراق العرفى و الأصل فى الاستعمال الحقيقه.

لا يقال: لا نسلم كون اللام فى لفظ الأئمه و الولاه للاستغراق، و إنّما هى للجنس كما صرح به العلامة التفتازانى على ما حكايته عنه فيما تقدّم، و عليه فلا ينافى كون بعض أفراد الأئمه أعنى غير الكاملين من غير قريش.

لأننى أقول: مراده من الجنس هو الاستغراق، لأنّه صرح فى باب تعريف المسند إليه بكون الاستغراق قسما من الجنس تبعا لصاحب التلخيص، و يومى إلى ذلك أيضا ما قال المحقق الشريف: من أنّ معنى قولنا: التوكّل على الله و الكرم فى العرب، أنّ كلّ توكّل على الله، و كلّ كرم فى العرب، سلّمنا و لكن نقول إنّ كون بعض أفراد الأئمه من غير قريش ينافى القصر المستفاد من الحديث على ما حقّقه المحققان المذكوران و قدّمنا حكايته عنهما فيما تقدّم.

هذا كلّه مضافا إلى وقوع التصريف «يح ظ» فى الأخبار النبويه الآتية بالاستغراق الحقيقى و عدم احتمالها للتأويل لكونها نصّا فى العموم و هو مؤكّد لكون الاستغراق هنا أيضا حقيقيا.

و ثالثا أنّ قياس الحديث على نحو لا صلاحه لجار المسجد و التمثيل به فاسد ضروره أنّ لاء التّافيه للجنس موضوعه لِنفى الماهيه و حقيقه فيه كما فى لا رجل فى الدار، و استعماله فى نفى صفة من صفات الجنس كالصّححه و الكمال و نحوهما مجاز لا يصار إليه إلاّ بدليل، و قد قام الدليل على إرادته المعنى المجازى نحو لا صلاحه لجار المسجد إلاّ فى المسجد، و لا طلاق إلاّ بشهود، و لا نكاح إلاّ بوليّ، و لا عتق إلاّ فى ملكك، و ما ضاهاها، لعلمنا بأنّ الماهيه موجوده فيها جزما، و إنّما المنفى

صحتها أو كمالها، و أما فيما نحن فيه فأصالة الحقيقه محكمه لم يقم دليل على خلافها، فلا وجه للتأويل بكمال الامامه على ما زعمه.

إذا عرفت ذلك فلتتصدّ لذكر الأخبار الداله على أنّ الأئمه كلهم من قريش و أنّ الامامه مخصوصه بعليّ أمير المؤمنين عليه السلام و ولده الأحد عشر، و هي كثيره جدًا عاميّه و خاصيّه و نحن نوره طائفه منها من طريق العامّه لكونها أفلح لعذر الخصم و أبلغ حجّه، نرويها من كتاب غايه المرام للسيد المحدّث العلامة السيد هاشم البحراني و هو أحد و عشرون حديثًا.

الاول أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل البخارى فى صحيحه عن عبد الملك قال:

سمعت جابر بن سمره قال: سمعت النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: يكون بعدى اثنا عشر أميرًا فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم كلمه لم أسمعها فسألت أباى ما ذا قال؟ قال: إنّه قال: كلهم من قريش.

الثانى البخارى رفعه إلى ابن عيينه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثنا عشر رجلا، ثمّ تكلم بكلمه خفيت عليّ فسألت أباى ما ذا قال رسول الله؟ فقال: قال: كلهم من قريش.

الثالث مسلم فى صحيحه مسندا عن حصين عن جابر بن سمره قال: دخلت مع أباى على النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فسمعتة يقول: إنّ هذا الأمر لا ينتضى حتى يمضى فيه اثنا عشر خليفه، قال: ثمّ تكلم بكلام خفى عليّ قال: فقلت لأباى ما قال؟ قال:

كلهم من قريش.

الرابع مسلم فى صحيحه قال: حدّثنا ابن أباى عمر و قال: حدّثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمره قال: سمعت النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: لا يزال أمر الناس ماضيًا ما وليهم اثني عشر رجلا. ثمّ تكلم النبيّ بكلمه خفيت عليّ فسألت أباى ما ذا قال رسول الله؟ فقال: قال: كلهم من قريش.

الخامس مسلم فى صحيحه قال: حدّثنا هذاب بن خالد الأزدي قال: حدّثنا حماد بن سلمه عن سماك بن حرب قال: سمعت جابر بن سمره يقول: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: لا يزال الاسلام عزيزا الى اثني عشر خليفه ثمّ قال كلمه

لم أفهمها فقلت لأبي ما قال؟ فقال: قال: كلهم من قريش.

السادس مسلم فى صحيحه قال حدّثنا أحمد بن عثمان التّوفلى حدّثنا أزر حدّثنا أحمد بن عون بن عثمان عن الشعبي عن جابر بن سمره قال: انطلقت إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ومعى أبى فسمعتة يقول: لا يزال هذا الدّين عزيزا منيعا إلى اثنى عشر خليفه فقال صلّى الله عليه وآله وسلم كلمه أخفيها النّاس فقلت لأبى ما قال؟ قال: كلهم من قريش السابع الحميدى فى الجمع بين الصحيحين قال: و فى روايه مسلم عن حديث عامر بن أبى وقاص قال: كتب إلى جابر بن سمره مع غلامى نافع أن أخبرنى بشىء سمعتة من رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فكتب إلى: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يوم جمعه عشيه رجم الأسلمى قال: لا يزال الدّين قائما حتّى تقوم و يكون عليهم اثنى عشر خليفه كلهم من قريش، الحديث.

قال السيّد البحرانى: بعد ايراد هذه الأخبار السّبعه و عشر روايات كلّها من طريق المخالفين عن جابر بن سمره ما لفظه: أقول: قد ذكر يحيى بن الحسن البطريق فى كتاب المستدرک أنّه ذكر فى كتاب العمده من طريق العامّه عشرين طريقا فى أنّ الخلفاء بعده اثنا عشر خليفه كلّها من الصّحيح البخارى ثلاثه طرق، و من مسلم تسعه، و من صحيح أبى داود ثلاثه، و فى الجمع بين الصحاح الستة طريقين، و منها من الجمع بين الصحيحين للحميدى ثلاثه كلّها ينطق بأنّه لا يزال الاسلام عزيزا إلى اثنى عشر خليفه و ماوليهم اثنى عشر خليفه كلهم من قريش الثامن أبو على الطبرسى الفضل بن الحسن فى كتاب اعلام الورى من طريق المخالفين و هو عدّه روايات منها ما رواه عن أبى سلمه القاضى قال: أخبرنا أبو القاسم القسوى «أبو العباس النسوى خ» حدّثنا أبو بكر بن أبى شيبه حدّثنا حاتم بن إسماعيل عن المهاجر بن مسمار عن عامر بن سعد بن أبى وقاص قال: كتبت إلى جابر بن سمره مع غلامى نافع أن أخبرنى بشىء سمعتة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم فكتب إلى أنى سمعت رسول الله يوم جمعه عشيه رجم الأسلمى يقول: لا يزال الدّين قائما حتى تقوم الساعه و يكون عليكم اثنى عشر خليفه كلهم من قريش و سمعتة يقول. أنا

التاسع ما رواه من طريق المخالفين الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفيد عن محمد بن عثمان الذهبي حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي قال: حدثنا عيسى ابن يونس عن مجالد عن الشعبي عن مسروق قال: كنا عند عبد الله بن مسعود فقال له رجل: أحدثكم بنبيكم كم يكون بعده من الخلفاء؟ فقال له: نعم من الخلفاء عدّه نقيباً موسى اثني عشر خليفه كلهم من قريش.

العاشر ما رواه حماد بن زيد عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عبد الله ابن مسعود و زاد فيه قال: كنا جلوساً إلى عبد الله يقرينا القرآن، فقال له رجل:

يا عبد الرحمن هل سألتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كم يملككم أمر هذه الأمة خليفه بعده فقال له عبد الله: ما سألتني بها أحد منذ قدمت العراق، نعم سألتنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: اثني عشر عدّه نقيباً بنى اسرائيل.

الحادي عشر ما رواه عبد الله بن أبي امية مولى مجامع عن يزيد الرفاشي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لم يزل هذا الدين قائماً إلى اثني عشر من قريش فاذا مضوا هاجت الأرض بأهلها.

الثاني عشر ما رواه سليمان بن أحمد قال: حدثنا أبو عون عن الشعبي عن جابر بن سمره أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا يزال أهل هذا الدين ينصرون على من ناداهم إلى اثني عشر خليفه فجعل الناس يقومون ويقعدون، و تكلم بكلمه لم أفهمها فقلت لأبي أو لأخي: أي شيء قال؟ قال: كلهم من قريش.

الثالث عشر ما رواه قطر بن خليفه عن أبي خالد الوالبي عن جابر بن سمره عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثله.

الرابع عشر ما رواه سهل بن حماد عن يونس بن أبي يعفور قال: حدثني عون بن أبي جحيفه عن أبيه قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و عمي جالس بين يدي فقال

رسول الله صَلَّى الله عليه وآله لا يزال أمر امتي صالحا حتى يمضي اثنا عشر خليفه كلهم من قريش اسم أبي جحيفه وهب بن عبد الله.

الخامس عشر ما رواه الليث بن سعد عن خالد بن زيد عن سعد بن أبي هلال عن ربيعة بن سيف قال: كنا عند شقيق الأصبحي فقال: سمعت عبد الله بن عمر يقول: سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم يقول: يكون خلفي اثني عشر خليفه.

السادس عشر ما رواه الشيخ أبو عبد الله جعفر بن محمد بن أحمد الدورستي في كتابه في الرد على الزيدية قال: أخبر أبي قال: أخبرنا الشيخ أبو جعفر بن بابويه قال: حدثنا محمد بن علي ماجيلويه عن عمه عن أحمد بن أبي عبد الله عن أبيه عن خلف بن حماد الأسدي عن الأعمش عن عبايه بن ربيعي عن ابن عباس قال:

سألت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله حين حضرته وفاته فقلت إذا كان ما نعوذ بالله منه فإلى من؟ فأشار إلى علي عليه السلام فقال: هذا، فإنه مع الحقّ و الحقّ معه ثم يكون بعده أحد عشر إماما مفترضه طاعتهم كطاعته.

السابع عشر الدورستي أيضا قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن وهبان قال: حدثنا أبو بشر أحمد بن إبراهيم بن أحمد قال: أخبرنا محمد بن زكريا بن دينار العلاني حدثنا سليمان بن إسحاق عن سليمان بن عبد الله بن العباس قال: حدثني أبي قال: كنت يوما عند الرّشيد فذكر المهدي و ما ذكر من عدله فأطنب من ذلك فقال للرّشيد: إنني أحسبكم أنكم تحسبونونه أبا المهدي حدثني أبي عن أبيه عن جدّه عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب أنّ النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم قال: يا عم تملك من ولدي اثني عشر خليفه ثم يكون امور كريبه و شدّه عظيمه ثم يخرج المهدي من ولدي يصلح الله أمره في ليله فيملاء الأرض عدلا كما ملئت جورا يمكث في الأرض ما شاء الله ثم يخرج الدجال.

قال أبو علي الطبرسي عقيب هذه الأخبار و ما بمعناها ممّا لم نوردها: هذا بعض ما جاء من الأخبار من طريق المخالفين و رواياتهم في النص على عدد الأئمة الاثني عشر عليهم السلام و إذا كانت الفرقة المخالفه قد نقلت ذلك كما نقلته الشيعه

الاماميه و لم ينكر ما تضمّنه الخبر فهو أدل دليل على أنّ الله تعالى هو الذى سخر لروايته اقامه لحجّته و إعلاء لكلمته و ما هذا الأمر إلا كالخارق للعادة و الخارج عن الامور المعتاده، و لا يقدر عليها إلا الله تعالى الذى يذلّ الصّعب و يقلّب القلب و يسهّل له العسير و هو على كلّ شيء قدير انتهى.

الثامن عشر صدر الأئمه أخطب خوارزم أبو المؤيد موفق بن أحمد فى كتاب فضائل أمير المؤمنين قال: حدّثنا فخر القضاة نجم الدّين أبو منصور محمّد بن الحسين بن محمّد البغدادى فيما كتب إلّى من همدان، قال: أنبأنا الامام الشّريف نور الهدى أبو طالب الحسن بن محمّد الرّينى قال: أخبرنا إمام الأئمه أحمد بن محمّد بن شاذان قال: حدّثنا أحمد بن محمّد بن عبد الله الحافظ قال: حدّثنا علىّ بن سنان الموصلى عن أحمد بن محمّد بن صالح عن سلمان بن محمّد بن زيد بن مسلم عن زياد بن محمّد بن عبد الرّحمن بن يزيد عن جابر عن سلامه عن أبى سليمان الرّاعى راعى رسول الله قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: ليله اسرى بى إلى السّماء قال لى الجليل جلّ جلاله. آمن الرّسول بما انزل اليه من ربّه فقلت: و المؤمنون، فقال: صدقت يا محمّد من خلفت فى امتك؟ فقلت: خيرها، قال: علىّ بن أبى طالب؟ قلت: نعم يا ربّ قال: يا أحمداننى اطلعت على الأرض اطلاعه فاخترتك منها فاشتقت لك اسما من اسمائى فلا اذكر فى موضع إلا ذكرت معى فأنا المحمود و أنت محمّد، ثمّ اطلعت الثانيه فاخترت منها عليّ فاشتقت له اسما من اسمائى فأنا الأعلى و هو علىّ، يا محمّد إننى خلقتك و خلقت عليّ و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمه من ولده من نور من نورى، و عرضت ولايتكم على أهل السّماوات و الأرضين، فمن قبلها كان عندى من المؤمنين، و من جحدّها كان عندى من الكافرين، يا محمّد لو أنّ عبدا من عبادى عبدنى حتّى ينقطع أو يصير كالشّنّ البالى، ثمّ أتانى جاحدا لولايتكم ما غفرت له حتّى يلقانى بولايتكم، يا محمّد تحبّ أن تراهم؟ قلت: نعم يا ربّ، قال: فالتفت عن يمين العرش، فالتفت فاذا بعليّ و فاطمه و الحسن و الحسين و علىّ بن الحسين و محمّد بن علىّ و جعفر بن محمّد و موسى بن جعفر و علىّ بن موسى و محمّد بن علىّ و علىّ

ابن محمّد و الحسن بن عليّ و المهدي في ضحضاح من نور قيام يصلّون، و هو في وسطهم يعني المهدي كأنه كوكب درّيّ، و قال: يا محمّد هولاء الحجج و هذا السائر من عترتك و عزّتي و جلالتي أنّه الحجّج الواجبه و المنتقم.

قال السيّد المحدّث البحراني: روى هذا الحديث جماعه من الخاصّه و العامّه: رواه الشّيخ الطوسي في الغيبه و أبو الحسن محمّد بن أحمد بن الحسن بن شاذان في المناقب المأه من طريق العامّه، و رواه صاحب المقتضب و صاحب الكنز الخفيّ و الحمويّ من العامّه التاسع عشر إبراهيم بن محمّد الحمويّ من أعيان علماء العامّه في كتاب فرائد السمطين في فضائل المرتضى و فاطمه و الحسن و الحسين بسنده عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن العباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّ خلفائي و أوصيائي و حجج الله على الخلق بعدى الاثنى عشر أولهم أخي و آخرهم ولدي، قيل:

يا رسول الله و من أخوك؟ قال: عليّ بن أبي طالب، قيل: فمن ولدك؟ قال: المهدي الذي يملاءها قسطا و عدلا كما ملئت جورا و ظلما، و ألمدي بعثني بالحقّ بشيرا لو لم يبق من الدّنيا إلّا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتّى يخرج فيه ولدي المهدي فينزل فيه روح الله عيسى بن مريم فيصلّي خلفه و تشرق الأرض بنور ربّها و يبلغ سلطانه المشرق و المغرب.

العشرون الحمويّ هذا بالاسناد إلى ابن بابويه قال: حدّثنا أحمد بن الحسن القطان قال: حدّثنا أحمد بن يحيى بن زكريّا القطان قال حدّثنا بكر بن عبد الله بن حبيب قال: حدّثنا الفضل بن الصّيرم العبدى قال: حدّثنا أبو معاويه عن الأعمش عن عبايه بن ربيع عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أنا سيّد النّبيين و عليّ بن أبي طالب سيّد الوصيّين و إنّ أوصيائي بعدى اثني عشر أولهم عليّ بن أبي طالب و آخرهم القائم.

الحاديّ و العشرون محمّد بن أحمد بن شاذان أبو الحسن الفقيه في المناقب المأه و الفضائل لأمير المؤمنين و الأئمّه من طريق العامه عن سلمان المحدّي قال:

دخلت على النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله وسلم إذا الحسين بن عليّ عليّ فخذته وهو يقبل عينيه ويلثم فاه وهو يقول: أنت سيّد و ابن سيّد و أبو السادات أنت إمام ابن إمام أبو الأئمة، أنت حجّه ابن حجّه أبو الحجج تسعه من صلبك تاسعهم قائمهم.

و الأخبار في هذا المعنى كثيره لا تستقصى و فيما ذكرناه كفايه في هذا الباب و من أراد الزيادة فعليه بكتاب غايه المرام، و قد عقد السيّد المحدّث البحراني فيه با بين على هذا المعنى قال: الباب الرابع و العشرون في أنّ الأئمه بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلّم اثني عشر بنصّ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلّم إجمالاً- و تفصيلاً: عليّ و بنوه الأحد عشر من طريق العامه و فيه ثمانيه و خمسون حديثاً، ثمّ أورد الزوايات العاميه فقال: الباب الخامس و العشرون في أنّ الأئمه بعد رسول الله اثني عشر إجمالاً و تفصيلاً: عليّ بن أبي طالب و بنوه الأحد عشر من طريق الخاصّه و فيه خمسون حديثاً ثمّ روى الأحاديث الخاصيه و الله الهادي إلى سواء السبيل.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن امام مبین و ولی ربّ العالمین است که متضمّن فائده بعثت پیغمبران عالیقدر و اظهار مناقب عترت رسول مختار و أهل بیت اطهار است چنانچه فرموده:

مبعوث فرمود حق سبحانه و تعالی پیغمبران خود را بآن چه که مخصوص ساخت ایشان را از وحی خود، و گردانید ایشان را حجّه واضحه از برای خود بر مخلوقات خود تا این که واجب نشود حجّت مر ایشان را بسبب ترک تخویف و ترساندن ایشان، پس خواند ایشان را بزبان راست که دعوت انبیاء است بسوی راه درست که طریق شریعت غرّا است، آگاه باشید بدرستی که خداوند آشکارا ساخت خلق را آشکار ساختنی نه از جهه این که جاهل بود به آن چه مخفی داشته اند از اسرار محفوظه و مکنونات قلوب ایشان، و لیکن از جهه این که امتحان نماید ایشان را تا کدام یک از ایشان بهترند از حیث عمل تا باشد ثواب جزای حساب و عقاب

کجایند کسانی که دعوی باطل کردند که ایشان راسخان در علمند نه ما از روی دروغ و ظلم بر ما بجهه این که خداوند رتبه ما را بلند فرموده و پست کرد ایشان را، و عطا نمود بما منصب امامت و خلافت را و محروم کرد ایشان را، و داخل نمود ما را در عنایت خاصه خود و خارج کرد ایشان را، بوجود ما خواسته می شود هدایت، و طلب روشنی می شود از کوری و ضلالت، بدرستی که امامان از طائفه قریش اند کاشته شدند در این بطن معین از هاشم بن عبد مناف یعنی در ذریه علویه صلاحیت ندارد امامت بر غیر ایشان و صلاحیت ندارند والیان از غیر ایشان.

الفصل الثانی

اشاره

منها: آثروا عاجلا و أخروا آجلا و ترکوا صافیا و شربوا آجنا، کأنی أنظر إلى فاسقهم و قد صحب المنکر فألفه، و بسأ به و وافقه، حتی شابت علیه مفارقه و صبغت به خلائقه، ثم أقبل مزبدا کالتیار لا یبالی ما غرق، أو کوقع النار فی الهشیم لا یحفل ما حرق، أين العقول المستصبحة بمصاییح الهدی، و الأبصار اللامحه إلى منار التّقوی، أين القلوب الّتی وهبت لله، و عوقدت علی طاعه الله؟ ازدحموا علی الحطام، و تشاخّوا علی الحرام، و رفع لهم علم الجنّه و النار، فصرفوا عن الجنّه و جوههم، و أقبلوا علی النار بأعمالهم، و دعاهم ربّهم فنفروا و ولّوا، و دعاهم الشّیطان فأطاعوا و أقبلوا

(الآجن) الماء المتغير الطعم واللون و (بساً) به كجعل و فرح بسئا و بسئا و بسوء أنس و (المفارق) جمع المفرق و زان مجلس و مقعد وسط الرأس، و هو الذى يفرق فيه الشعر و (الخلاثق) جمع الخليقه أى الطبيعه و (أزبد) البحر أى صار ذا زبد و رجل مزبد أى ذو زبد و هو ما يخرج من الفم كالرغوه و (التّيار) مشدّده موج البحر و (الهشيم) الثّبت اليابس المتكسر أو يابس كلّ كلاء و (حفل) الماء يحفل من باب ضرب حفلا و حفولا اجتمع، و قال الشّارح المعتزلى لا يحفل أى لا يبالي و (المستصبحه) فى بعض النسخ بتقديم الحاء على الباء من الاستصحاب و فى بعضها بالعكس كما ضبطناه من الاستصباح و هو الأوفق.

الاعراب

ما فى قوله: ما غرق، موصول فى محلّ النّصب أى لا يبالي ممّا غرق، و كذلك فى قوله ما حرق إن كان يحفل بمعنى يبالي كما فسّره الشارح و إن كان بمعنى يجتمع كما فى القاموس فما فى محلّ الرّفْع فاعل له و هو ظاهر.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل وارد فى معرض التّوبيخ و التّقريع لطائفه غير مرضيه الطريقه.

فقال بعض الشّارحين: إنّه عنى بذلك الصّحابه الذين مضى ذكرهم فى الفصل السّابق يعنى الذين زعموا أنّهم الرّاسخون فى العلم.

و قال بعضهم: إنّ المراد به بنو امّيه.

و قال الشّارح البحرانى: أراد بذلك من تخلف من النّاس إلى زمانه ممّن هو غير مرضى الطريقه و إن كان معدودا من الصّحابه بالظاهر كالمغيره بن شعبه و عمرو بن العاص و مروان بن الحكم و معاويه و نحوهم من امراء بنى امّيه، و يقرب منه

و كيف كان فقوله (آثروا عاجلا و آثروا آجلا) أراد به أنهم اختاروا الدنيا على الآخرة و قدّموها عليها و آثروها عنها و ذلك لكون شهواتها حاضره معجله و لذاتها غائبه مؤجله (و تركوا صافيا و شربوا آجنا) أى تركوا اللذات الآخرويه الصّافيه من الكدورات و العلائق البدئيه، و استلذّوا باللذات الدنيويه المشوبه بالآلام و الاسقام فاستعار لفظ الآجن للذاتها و الجامع عدم السّوغ أو عدم الصّفاء فيها كما أنّ الماء المتغير الطعم و اللون لا يسوغ و لا يصفى و ذكر الشرب ترشيح.

(كأنى أنظر إلى فاسقهم) قال الشارح البحرانى: يحتمل أن يريد فاسقا معينا كعبد الملك بن مروان، و يكون الصّمير عائد إلى بنى اميه و من تابعهم، و يحتمل أن يكون مطلق الفاسق أى من يفسق من هؤلاء فيما بعده و يكون بالصّفات التى أشار إليها بقوله (و قد صحب المنكر فألفه) أى أخذه الفاله (و بسأ به و وافقه) أى استأنس به و وجده موافقا لطبعه (حتى شابت عليه مفارقه) و هو كناية عن طول عهده بالمنكر إلى أن بلغ عمره غايته، لأنّ شيب المفارق عبارته عن بياضها و هو إنّما يكون إذا بلغ الشيوخيه و لتأخر شيب المفارق عن شيب الصّيدغ و تأكّد دلالته على طول العهد خصّيه بالدّكر (و صبغت به خلأثقه) أى صارت طبائعه مصبوغه ملوّنه بالمنكر أى صار المنكر خلقا له و سجيّه، فاستعار لفظ الصبغ لرسوخ المنكر فى جبلته لشده ملازمته له.

(ثمّ أقبل مزبدا كالتيار) شبّه بالبحر المّواج و رشح التشبيه بذكر لفظ الازباد و وجه الشبه أنّه عند الغضب لا يبالي بما يفعله فى الناس من المنكرات كما (لا يبالي) البحر ب (ما غرق) و شبّه اخرى بالنّار المضرمة الملتهبه فقال (أو كوقع النّار فى الهشيم) يعنى أنّ حركاته فى الظّلامات مثل وقع النّار فى النّبت اليابس و الدّقاق من الحطب و وجه الشّبّه أنّه (لا يحفل) و لا يبالي بظلمه

كما لا يحفل وقع النار ولا يبالى ب(ما حرق)(1) أو أنّ ما أفسده لا يرجى اصلاحه كما أنّ ما حرقه النار لا يمكن اجتماعه.

ثمّ استفهم على سبيل الأسف و التحسّر فقال(أين العقول المستصباحه بمصايح الهدى)استعار لفظ المصايح لأولياء الدّين و أئمه اليقين المقتبس عنهم نور الهدايه و رشح بذكر لفظ الاستصباح، و يجوز أن يكون استعاره لأحكام الشّرع المبيّن الموصله لآخذها و السالكة بعاملها إلى حظيره القدس.

و مثله لفظ المنار فى قوله(و الأبصار اللامحه إلى منار التقوى)إذ أئمه الهدى أعلام التّقى بهم يهتدى فى ظلمات الضّلال و غياهب الدّجى و كذلك بأحكام سيّد الأنام و الانقياد بها يهتدى إلى نهج الحقّ و سواء الطريق الذى يؤمن لسلو كها و يتقى من النار و ينجى من غضب الجبار جلّ و تعالى.

ثمّ استفهم اخرى بقوله (أين القلوب الّتى وهبت لله) أى وهبها أهلها لله سبحانه و المراد بهبتها له جعلها مستغرقة فى مطالعه أنوار كبريائه و التوجّه إلى كعبه و جوب وجوده و هى القلوب الّتى صارت عرش الرّحمن و اشير اليها فى الحديث القدسى لا يسعنى أرضى و لا سمائى و لكن يسعنى قلب عبدى المؤمن.

(و عوقدت على طاعه الله) أى أخذ الله عليهم العهد بطاعته إمّا فى عالم الميثاق أو بألسنه الأنبياء و الرّسل و إليه اشير فى قوله سبحانه: «مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» ثمّ رجع إلى ذمّ الفرقه المتقدّمه المصدّره بهذا الفصل فقال(ازدحموا على الحطام)أى تراحموا على متاع الدّنيا و استعار له لفظ الحطامالموضوع لليابس من التّبت المتكسّر لسرعه فئائه و فساده (و تشاخوا على الحرام) أى تنازعوا عليه لأنّ غرض كلّ منهم جذبته اليه (و رفع لهم علم الجنّه و النار) قال الشّارح البحرانى: أشار بعلم الجنّه إلى قانون الشريعه القائد إلى الجنّه و بعلم النار إلى

ص: ٤٠

١- (١) هذا مبنى على جعل يحفل بمعنى يجتمع كما أنّ الأول مبنى على جعله بمعنى يبالى على ما مضى سابقا، منه ره

الوساوس المزيّنة لقنّيات الدّنيا، و العلم الأوّل بيد الدّعاء إلى الله و هم الرّسول و من بعده من أولياء الله من أهل بيته و التّابعين لهم باحسان، و العلم الثّاني بيد ابليس و جنوده من شياطين الجنّ و الانس الدّاعين إلى النار.

(فصرفوا عن الجنّة و جوههم) و أعرضوا عنها (و أقبلوا إلى النار بأعمالهم) القبيحة الموصلة إليها (و دعاهم ربّهم فنفروا) و استكبروا (و ولّوا و دعاهم الشيطان فأطاعوا و أقبلوا) و استجابوا.

تنبيه

قال الشارح المعتزلي في شرح هذا الفصل:

فان قلت: هذا الكلام يرجع إلى الصّحابه الذين مضى ذكرهم في أوّل الخطبه.

قلت: لا و إن زعم قوم أنّه عناهم، بل هو إشاره إلى قوم ممّن يأتي من الخلف بعد السلف، ألا تراه قال: كأني أنظر إلى فاسقهم و قد صحب المنكر فألفه، و هذا اللفظ إنّما يقال في حقّ من لم يوجد بعد كما قال في حقّ الأتراك:

كأني أنظر اليهم قوما كأنّ و جوههم المجان، و كما قال في حقّ صاحب الزّنج كأني به يا أحنف و قد سار بالجيش، و كما قال في الخطبه التي ذكرناها آنفا كأني به قد نعق بالشّام، يعني به عبد الملك.

و حوشى عليه السيّلام أن يعني بهذا الكلام الصّحابه لأنّهم ما آثروا العاجل، و لا أخّروا الآجل، و لاصحبوا المنكر، و لا أقبلوا كالتيار لا يبالي ما غرق، و لا كالنار لا يبالي ما احترقت، و لا ازدحموا على الحطام، و لا تشاخوا على الحرام، و لا صرفوا و جوههم عن الجنّة، و لا أقبلوا إلى النّار بأعمالهم، و لا دعاهم الرّحمن فولّوا، و لا دعاهم الشيطان فاستجابوا، و قد علم كلّ أحد حسن سيرتهم و سداد طريقتهم و إعراضهم عن الدّنيا و قد ملكوها، و زهدهم فيها و قد تمكّنوا منها، و لو لا قوله: كأني أنظر الى فاسقهم، لم أبعد أن يغنى بذلك قوما ممّن عليهم اسم الصّحابه و هو ردّي الطريقه كالمغيره بن شعبه، و عمرو بن العاص، و مروان بن الحكم، و معاويه،

و جماعه معدوده أحبوا الدنيا و استغواهم الشيطان، و هم معدودون فى كتب أصحابنا من اشتغل بعلوم السيره و التواريخ عرفهم بأعيانهم انتهى كلامه.

أقول: و لا يبعد عندى أن يعنى عليه السلام به المتقدمين ذكرهم فى أول الخطبه و استبعاد الشارح له بظهور لفظ كأتى أنظر فى حق من لم يوجد بعد لا وجه له، لا مكان أن يقال: إن نظره فى الاتيان بهذا اللفظ إلى الغايه أعنى قوله: حتى شابت عليه مفارقه، و بعباره اخرى سلمنا ظهور هذا اللفظ فى حق ما لم يوجد إلا- أن مراده عليه السلام به ليس نفس الفاسق حتى يقال إنه كان موجودا فى زمانه عليه السلام، و إنما مراده بذلك الاخبار عن استمرار الفاسق فى فسقه و تماديه فى المنكرات الى آخر عمره، و هذا الوصف للفاسق لم يكن موجودا، فحسن التعبير بهذه اللفظه فافهم جيدا و أما استيحاشه من أن يعنى به الصحابه بأنهم ما آثروا العاجل إلى آخر ما ذكره فهو أوضح فسادا لأنه لو لا اختيارهم الدنيا على الاخرى لم يعدلوا عن امام الورى، فعدو لهم عنه دليل على أنهم اشتروا الضلاله بالهدى، و آثروا العاجل، و آخروا الآجل و قد تركوا الشرب من الماء المعين، و منهل علوم رب العالمين، و استبدوا بعقولهم الكاسده، و ارتوتوا من آرائهم اللآجنه الفاسده، و مصاحبتهم جميعا للمنكر بالبدعات التى أحدثوها واضحه، و اقبال فاسقهم كالتيار و النار لا يبالي مما غرق و حرق لا غبار عليه و ما فعل عثمان من ضرب ابن مسعود و كسر بعض أضلاعه، و ضرب عمار و إحداث الفتق فيه، و ضربه لأبى ذرّ و إخراجة إلى الرّبذه و نحوها مما تقدّم ذكرها فى شرح الكلام الثالث و الأربعين و غيره شاهد صدق على ما قلناه.

و كذلك اجتماعه مع «بنى ظ» أبيه إلى الحطام و مشاحتهم على الحرام و حضمهم لمال الله خضم الابل نبتة الرّبيع على ما تقدّم فى شرح الخطبه الثالثه أوضح دليل على ما ذكرنا فبعدولهم جميعا عن الله و عن وليه صرفوا وجوههم عن الجنّه، و أقبلوا بأعمالهم إلى النار، فاستحقّوا الخزي العظيم و العذاب الأليم فى أسفل درك من الجحيم.

بعض دیگر از این خطبه در ذمّ و توبیخ طائفه غیر مرضیه از غاصبین خلافت و بنی امیه و أمثال ایشان می فرماید که:

اختیار کردند ایشان متاع دنیای ناپایدار را، و تأخیر انداختند امورات دار القرار را، و ترک کردند زلال صافی را، و آشامیدند از آب متغیر گندیده، گویا من نظر میکنم بسوی فاسق ایشان در حالتی که مصاحب شده است با قبایح و منکرات و الفت گرفته به آنها و استیناس یافته به آنها و موافق طبع خود یافته آنها را تا آنکه عمر او بپایان رسید، و سفید شده میانهای سر او و رنگ گرفته به آنها طبیعتهای او.

پس از آن رو آورد در حالتی که کف بر آورده مثل دریای موج دار اصلا باک ندارد از آنچه غرق گرداند، یا مثل افتادن آتش در گیاه خشک که هیچ باک نمی کند از آنچه که سوزاند، کجایند عقلهای چراغ بر افروزنده بچراغهای هدایت، و چشمهای نظر کننده به نشانهای تقوی، کجایند قلبهایی که بخشیده شده اند بخدا، و بسته شدند بر طاعت خدا، ازدحام کردند آن طایفه بد کردار بر متاع دنیای بی اعتبار، و نزاع کردند با یکدیگر در بالای حرام، و بلند شد از برای ایشان علم بهشت و جهنم، پس گردانیدند از بهشت روهای خود را، و اقبال کردند بسوی دوزخ باعملهای خود، و دعوت کرد ایشان را پروردگار ایشان بعبادت و اطاعت پس رمیدند و اعراض نمودند، و دعوت کرد ایشان را شیطان لعین بسوی قبائح پس قبول کردند و اقبال نمودند.

و من خطبه له علیه السلام و هی المآه و الخماسه

اشاره

و الأربعون من المختار فی باب الخطب

أیها الناس، إنما أنتم فی هذه الدنیا غرض تنتضل فیہ المنایا،

مع كل جرعه شرق، و في كل أكله غصص، لا تنالون منها نعمه إلا بفراق أخرى، و لا يعمر معمر منكم يوما من عمره إلا بهدم آخر من أجله، و لا تجدد له زياده في أكله إلا بنفاد ما قبلها من رزقه، و لا يحيى له أثر إلا مات له أثر، و لا يتجدد له جديد إلا بعد أن يخلق جديد، و لا تقوم له نابته إلا و تسقط منه محصوده، و قد مضت أصول نحن فروعها، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله منها و ما أحدثت بدعه إلا ترك بها سنه، فاتقوا البدع، و ألزموا المهيع، إن عوازم الامور أفضلها، و إن محدثاتها شرارها

اللغة

(الغرض) ما ينصب للرمى و هو الهدف و (ناضلته) مناضله و نضالا راميته فضلته نضالا من باب قتل غلبته في الرمي، و تناضل القوم و انتضلوا تراموا للسبق و (الشرق) محرّكه مصدر من شرق فلان بريقه من باب تعب غصّ و (الغصص) محرّكه أيضا مصدر من غصصت بالطعام كتعب أيضا، قال الشارح المعتزلي:

و روى غصص جمع غصّه و هي الشجى و (المهيع) من الطّريق وزان مقعد الواضح اليّن.

و (العوازم) جمع العوزم و هي النّاقه المسنّه و العجوز قال الشارح المعتزلي:

عوازم الامور ما تقادم منها، من قولهم: عجوز عوزم، أى مسنّه، و يجمع فوعل على فواعل كدورق و هو جلّ و يجوز أن يكون جمع عازمه و يكون فاعل بمعنى مفعول

أى معزوم عليها أى مقطوع معلوم بيقين صحتها، و يجىء فاعله بمعنى مفعوله كثيرا كقولهم: عيشه راضيه بمعنى مرضيه، ثم قال: و الأول أظهر عندى، لأن فى مقابلته قوله: و أنّ محدثاتها شرارها، و المحدث فى مقابله القديم.

الاعراب

قوله: فما بقاء فرع، الفاء فصيحه و الاستفهام إمّا للتعجب كما فى قوله تعالى:

«ما لى لا أرى الهدهد» أو للتحقير.

المعنى

اعلم أنّ مقصوده بهذه الخطبه التنفير عن الدنيا و الترغيب عنها بالتنبيه على معايها و مثالبها المنفره منها فقوله (أيها الناس انما أنتم فى هذه الدنيا غرض) من باب التشبيه البليغ و رشح التشبيه بقوله (تنتضل فيه المنايا) و هى استعاره بالكنايه حيث شبه المنايا بالمتناضلين بالسهم باعتبار قصدها للانسان كقصد المتناضلين للهدف، و ذكر الانتضال تخييل، و المعنى أنكم فى هذه الدنيا بمنزله هدف تترامى فيه المنايا بسهامها، و سهامها هى الأعراض و الأمراض، و جمع المنايا إمّا باعتبار تعدد الأسباب من الغرق و الحرق و التردى فى بئر و السقوط من حائط و نحوها، و إمّا باعتبار تعدد من تعرض عليه و كثره أفراد الأموات، و لكل نفس موت مخصّص بها.

(مع كلّ جرعه شرق و فى كلّ اكله غصص) قال الشارح البحرانى: كنى بالجرعه و الاكله عن لذات الدنيا، و بالشرق و الغصص عما فى كلّ منها فى ثبوت الكدورات اللازمه لها طبعاً من الأمراض و المخاوف و ساير المنقصات لها.

أقول: و محصل مراده عليه السلام أنّ صحتها مقرونه بالمحنه، و نعمتها مشفوعه بالنقمه و احسانها معقبه بالاسائه، و لذتها مشوبه بالكدوره.

و لكمال الاتصال بين هذه الجمله و بين الجمله التاليه لها أعنى قوله (لا- تنالون منها نعمه إلا بفراق اخرى) وصل بينهما و لم يفصل بالعاطف، فانه لما أشار إلى أنّ الدنيا رتق المشرب ردغ المشرع لذاتها مشوبه بالكدورات عقبه بهذه الجمله،

لأنها تؤكد و تحقيق و بيان لما سبق، و فيه زياده تثبيت له.

و المراد بها أنّ الانسان لا يكون مشغولا بنوع من اللذات الجسمانيه إلاّ و هو تارك لغيره، و ما استلزم مفارقه نعمه اخرى لا يعدّ في الحقيقه نعمه ملتذا بها.

توضيح ذلك ما أشار إليه الشّارح البحراني: من أنّ كلّ نوع من نعمه فانما يتجدّد شخص منها و يلتدّب به بعد مفارقه مثله، كلكّه اللقمه مثلا، فإنّها تستدعى فوت اللّعه باختها السّابقه، و كذلك لده ملبوس شخصي أو مركوب شخصي و سائر ما يعدّ نعماً دنيويّه ملتذاً بها، فإنّها إنّما تحصل بعد مفارقه ما سبق من أمثالها، بل و أعّم من ذلك فإنّ الانسان لا يتهيأ له الجمع بين الملاذّ الجسمانيه في وقت واحد، بل و لا اثنين منها، فانه حال ما يكون آكلا لا يكون مجامعا و حال ما هو في لده الأكل لا يكون يلتذّ بمشروب، و لا حال ما يكون خاليا على فراشه الوثير يكون راكبا للنزّه و نحو ذلك.

(و لا يعمر معمر منكم يوما من عمره إلاّ بهدم آخر من أجله) لظهور أنّ بقائك إلى الغد مثلا لا يحصل إلاّ بانقضاء اليوم الذي أنت فيه و هو من جمله أيام عمرك و بانقضائه ينقص يوم من عمرك، و تقرب إلى الموت بمقدار يوم، و اللذه بالبقاء المستلزم للقرب من الموت ليست لده في الحقيقه (و لا تجدد له زياده في أكله إلاّ بنفاد ما قبلها من رزقه) أي من رزقه المعلوم أنّه رزقه و هو ما وصل إلى جوفه مثلا، فإنّ ما لم يصل جاز أن يكون رزقا لغيره، و من المعلوم أنّ الانسان لا يأكل لقمه إلاّ بعد الفراغ من أكل اللقمه التي قبلها فهو اذا لا يتجدّد له زياده في أكله إلاّ بنفاد رزقه السّابق و ما استلزم نفاد الرّزق لا يكون لذيذا في الحقيقه.

(و لا يحيى له أثر الآ مات له أثر) قال الشّارح البحراني: أراد بالأثر الذكر أو الفعل، فإنّ ما كان يعرف به الانسان في وقت ما من فعل محمود أو مذموم أو ذكر حسن أو قبيح و يحيى له بين النّاس يموت منه ما كان معروفا به قبله من الآثار و ينسى.

(و) كذلك (لا- يتجدد له جديد) من زيادات بدنه و نقصانه و أوقاته (الآ- بعد أن يخلق له جديد) إلا بتحلل بدنه و معاقبه شيخوخته بشبابه و مستقبل أوقاته لسالفها.

(و) كذلك (لا- تقوم له نابتة إلا و تسقط منه محصوده) أراد بالنابته ما ينشأ من الأولاد و الأحفاد، و بالمحصوده من يموت من الآباء و الأجداد، و لذلك قال (و قد مضت اصول) يعني الآباء (نحن فروعها).

و لما استعار الاصول و الفروع اللذين هما من وصف الأشجار و نحوها للسلف و الخلف و كان بناء الاستعاره على تناسي التشبيه حسن التعجب بقوله (فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله) لأن الشجر إذا انقطع أصله أو انقلع لا يبقى لفرعه قوام، و لا يكون له ثبات و مثل هذا التعجب له المبني على تناسي التشبيه قول الشاعر:

فبت أثم عينها و من عجب إني أقبل أسيفا سفكن دمي.

و قد مرّ مثال آخر في التقسيم السادس من تقسيمات الاستعاره في أوائل هذا الشرح.

قال السيد ره (منها) أي بعض هذه الخطبه في النهي عن متابعه البدعات و التنبه على ضلالها و الأمر بالتجنب عنها، و قد مضى معنى البدعه و تحقيق الكلام فيها في شرح الكلام السابع عشر، و قال الشارح المعتزلي هنا: البدعه كلّ ما احدث لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله، فمنها الحسن كصلاه التراويح، و منها القبيح كالمنكرات التي ظهرت في أوائل الخلافه العثمانيه و إن كانت قد تكلفت الاعذار عنها.

إذا عرفت ذلك فنقول قوله: (و ما احدث بدعه إلا ترك بها سنّه) معناه أنّ السنّه مقتضيه لترك البدعه و حرمتها بقوله صلى الله عليه و آله و سلّم: كلّ بدعه ضلاله و كلّ ضلاله في النار، فاحداث البدعه يوجب ترك السنه أعني مخالفه قول رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم لا محاله، و في هذا تعريض على الخلفاء في بدعاتهم التي أحدثوها بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم على ما تقدمت تفصيلها في الخطبه التي رويها عن أمير المؤمنين عليه السلام في شرح الخطبه الخمسين فتذكر.

(فاتقوا البدع و الزموا المهيع) أى الطريق الواضح و النهج المستقيم و هى الجاده الوسطى التى من سلکها فاز و نجى، و من عدل عنها ضلّ و غوى، و هى التى تقدّمت ذكرها فى شرح الفصل الثانی من الکلام السادس عشر عند شرح قوله هناك: اليمين و الشمال مضلّه و الطريق الوسطى هى الجاده، عليها باقى الكتاب و آثار النبوه، و منها منفذ السنه، فليراجع ثمه.

و عللّ وجوب التجنب من البدع و لزوم سلوک المهيع بقوله: (إنّ عوازم الامور أفضلها) أراد بها الامور القديمه التى كانت على عهد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و على التفسير الآخر الامور المقطوع بصحتها و الخاليه عن الشكوك و الشبهات و المصداق واحد.

(و انّ محدّثاتها شرارها) لكونها خارجه عن قانون الشريعه مستلزمه للهرج و المرج و المفساد العظيمه، ألا ترى إلى البدعه التى أحدثها عمر من التفضيل فى العطاء فضلا عن سائر بدعاته أى مفسد ترتبت عليها حسب ما عرفتها فى شرح الکلام المأه و السادس و العشرين، و الله الموفق و المعين.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن امام مبین و وصی رسول ربّ العالمین است در مذمت دنیا و تنبیه بر معایب آن غدار بی وفا می فرماید:

أى گروه مردمان جز این نیست که شما در این دنیا بمنزله هدف و نشانگامید که تیر اندازند در او مرگ ها، با هر آشامیدنی از شراب دنیا اندوهی است گلو گیر، و در هر خوردنی محنتها است گلو گرفته، نمی رسید از دنیا بنعمتی مگر بجدا شدن از نعمت دیگر، و معمر نمی شود هیچ طویل العمری از شما یک روزی از عمر خود مگر بویرانی یک روز دیگر از عمر او، و تجدید کرده نمی شود از برای او زیادتى در خوردن او مگر به ناپود شدن آنچه پیش از این زیادتى است از روزی

او، و زنده نمی شود از برای او اثری مگر آنکه می میرد از برای او اثر دیگر، و تازه نمی شود از برای او هیچ تازه مگر بعد از آنکه کهنه شود از برای او تازه دیگر، و قائم نمی شود از برای او روینده مگر آنکه می افتد از او روینده خشک شده، و بتحقیق که گذشت اصلهائی که ما فرعهای ایشانیم یعنی پدرانی که ما فرزندان ایشانیم، پس چه عجب است باقی ماندن فرع بعد از رفتن اصل او.

از جمله فقرات این خطبه در نهی از متابعت بدعت می فرماید:

و پدید آورده نشد هیچ بدعتی مگر آنکه ترک کرده شد بجهت آن بدعت سنتی، پس پرهیز نمائید از بدعتها، و لازم شوید براه روشن آشکارا، بدرستی که امرهای قدیمه بهترین امرها است، و بدرستی که امور متجدده تازه پیدا شده بدترین امور است، زیرا که مخالف دین خاتم النبیین است.

و من کلام له علیه السلام و قد استشاره عمر بن الخطاب

اشاره

فی الشخوص لقتال الفرس بنفسه و هو المأه

و السادس و الاربعون من المختار فی باب الخطب

و قد رواه غیر واحد من الخاصه و العامه علی اختلاف تطلع علیه:

إنّ هذا الأمر لم یکن نصره و لا خذلانه بکثره و لا بقله، و هو دین الله الذی أظهره، و جنده الذی أعدّه و أمده، حتّی بلغ ما بلغ، و طلع حیث ما طلع، و نحن علی موعود من الله، و الله منجز وعده، و ناصر جنده، و مکان القیم بالأمر مکان النّظام من الخرز، یجمعه و یضمّه، فإذا انقطع النّظام تفرّق الخرز و ذهب ثمّ لم یجتمع بحذافیره

ص: ۴۹

أبداً، و العرب اليوم و إن كانوا قليلاً- فهم كثيرون بالإسلام، عزيزون بالاجتماع، فكن قطبا و استدر الرّحى بالعرب، و أصلهم دونك نار الحرب، فإنّك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها و أقطارها، حتّى يكون ما تدع ورائك من العورات أهمّ إليك ممّا بين يديك، إنّ الأعاجم إن ينظروا إليك غدا يقولوا هذا أصل العرب فإذا قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشدّ لكلّهم عليك و طمعهم فيك، فأما ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين، فإنّ الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك، و هو أقدر على تغيير ما يكره، و أمّا ما ذكرت من عددهم فإنّنا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، و إنّما كنّا نقاتل بالنصر و المعونه.

اللغة

فى بعض النسخ بدل قوله (أعدّه) أعزّه و (طلع) الكوكب طلوعاً ظهر و طلع الجبل علاه و (نظمت) الخرز نظماً من باب ضرب جعلته فى خيط جامع له و هو النظام بالكسر و (الخرز) محرّكه معروف و الواحد خرزه كقصب و قصبه و (الحذفور) و زان عصفور الجانب كالحذفار و الجمع حذفير، و أخذه بحذفيره أى بأسره أو بجوانبه و (صلى) اللحم يصليه صلياً من باب رمى شواه أو ألقاه فى النّار للاحراق كأصلاه و صلاه و يده بالنّار سخنها و صلى النّار و بها كرضى صلياً و صلياً قاسى حرّها، و أصلاه النّار و صلا إياها و فيها و عليها أدخله إياها و أثواه فيها و (العوره) فى الثغر و الحرب خلل يخاف منه و الجمع عورات بالسكون

للتخفيف و القياس الفتح لأنه اسم و هو لغه هذيل و (الكلب) محرّكه الحرص و الشده.

الاعراب

قوله: و طلع حيث ما طلع، حيث ظرف مكان في محلّ النصب على الظرفيه أو جرّ بمن إن كان طلع بمعنى ظهر، و إن كان بمعنى علا- فهو مفعول لطلع كما في قوله تعالى: «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ»، و على أى تقدير فلفظ ما بعده مصدرية و فى بعض النسخ حيث طلع بدون ما، جملة يجمعه و يضمّه حال من النظام، و العامل فيها معنى التشبيه، و يجوز الوصف، و اليوم ظرف لقليلًا- و تقدّمه للتوسّع و اللأم فيه للعهد الحضورى، و الباء فى قوله: بالعرب، للاستعانه، و دونك، حال من فاعل أصل أى متجاوزا الاصلاء أو الصلى المستفاد منه عنك أو من نار الحرب فتقديمه على ذيها على التوسع، و يمكن كونه حالا من مفعول أصل أى متجاوزين عنك فافهم.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الكلام قاله عليه السّلام لعمر فى وقعه القادسيه أو نهاوند على اختلاف من الرواه تطلع عليه، و ذلك حين أراد عمر أن يغزو العجم و جيوش كسرى، و قد استشاره عمر و استشار غيره فى الشخص و الخروج لقتال الفرس بنفسه فأشاروا عليه بالشخص و نهاه عليه السّلام عن ذلك و أشار إلى وجه الصّواب و الرأى الصّواب بكلام مشتمل على أنواع البلاغه فقال (إنّ هذا الأمر) مؤكّدا بيانّ و اسميه الجملة لأنّ المخاطب إذا كان متردّدا فى الحكم حسن التقويه بمؤكّد، قال الشيخ عبد القاهر: أكثر مواقع إنّ بحكم الاستقراء هو الجواب، لكن يشترط فيه أن تكون للسائل ظنّ على خلاف ما أنت تجيبه به، هذا و تعريف المسند إليه بالاشاره و ايراده اسم الاشاره لقصد التعظيم و التفخيم على حدّ قوله سبحانه ذلك الكتاب تنزيلا لبعده درجته و رفعه محلّه منزله بعد المسافه، و المراد به الاسلام.

(لم يكن نصره و خذلانه بكثرة و لا- بقله) نشر على ترتيب اللف (و هو دين الله الذى أظهره) أى جعله غالبا على سائر الأديان بمقتضى قوله: ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون، و فى الاتيان بالموصول زياده تقرير للغرض المسوق له الكلام و هو ربط جاش عمرو سائر من حضر، و إزاله الخور و الفشل عنهم.

و لهذا الغرض أيضا عقبه بقوله (و جنده الذى أعدّه و أمده) أى هبأه أو جعله عزيزا و أعطاه مددا و كثره (حتى بلغ ما بلغ) من العزّه و الكثره (و طلع حيث ما طلع) أى ظهر فى مكان ظهوره و انتشر فى الآفاق، أو طلع من مطلعته أى أقطار الأرض و أطرافها، أو أنه علا مكان علوه و المحلّ الذى ينبغى أن يعلى عليه، و على أى تقدير فالاتيان بالموصول فى القرينه الاولى أعنى قوله: بلغ ما بلغ، و ابهام مكان الطلوع فى هذه القرينه على حدّ قوله تعالى: «فَعَشِيَهُمْ مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ».

قال أبو نواس:

و لقد نهزت مع الغواه بدلوهم و اسمت سرح اللحظ حيث أساموا

و بلغت ما بلغ امرء بشبابه فاذا عصاره كلّ ذاك ااثام

ثم أكد تقويه قلوبهم و تشديدها بقوله (و نحن على موعود من الله) أى وعدنا النصر و الغلبه و الاستخلاف بقوله: «وَعِدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَ لَكُمْ تَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا».

و عقبه بقوله (و الله منجز وعده و ناصر جنده) من باب الايغال الذى قدّمنا ذكره فى ضمن المحسّنات البديعيّه من ديباجه الشرح، و قد كان المعنى يتمّ دونه لظهور أنّ الله منجز لوعده لا محاله، لكن فى الاتيان به زياده تثبيت لقلوبهم و تسكين لها.

ثم قال: (و مكان القيم بالأمر) أى الامراء و الولا (مكان النظام من الخرز) و هو من التشبيه المؤكد بحذف الأداه، و الغرض به تقرير حال المشبه و وجه الشبه

ص: ٥٢

قول (يجمعه و يضمّه) يعنى أنّ انتظام أمر الرّعيه إنما هو برئيسهم كما أنّ انتظام الخرز إنّما هو بالنظام و الخيط الّذى ينتظم به و محلّه من الرّعيه محلّه من الخرز (فاذا انقطع النظام) و انضم (تفرّق الخرز و ذهب) و انتشر (ثمّ لم يجتمع بحذافيره) أى بجوانبه (أبدا) و كذلك إذا ارتفع الأمير من بين الرعيه و لم يكن فيهم فسد حال الرّعيه و ضاع نظم امورهم.

ثمّ رفع الفزع عن عمر بقله جنده و كثره العدوّ فقال (و العرب اليوم و ان كانوا قليلا) بالعدد (فهم كثيرون بالاسلام) قال الشارح البحرانى: أراد بالكثرة القوّه و الغلبه مجازا اطلاقا للاسم مظنّه الشىء على الشىء (عزيزون) أى غالبون (بالاجتماع) أى باجتماع الرأى و اتّفاق القلوب، و هو خير من كثره الأشخاص مع النفاق.

و لما مهّد ما مهّده من المقدّمه أمره بالقيام فى مقامه و الثبات فى مركزه فقال (فكن قطبا) قائما بمكانك (و استدر الرّحى) أى رعى الحرب (بالعرب) و استعانتهم (و اصلهم) أى ادخلهم (دونك نار الحرب) لأنّهم ان سلموا و غنموا فهو الغرض، و ان انقهروا و غلبوا كنت مرجعا لهم و ظهرا يقوى ظهورهم بك و تتمكّن من اصلاح ما فسد من امورهم.

و لما أمره بالثبات فى مقامه تبّهه على مفاصد الشخوص و ما فيه من الضّرر و هو أمران:

أحدهما ما أشار إليه بقوله: (فانك إن شخصت من هذه الأرض) و نهضت معهم إلى العدوّ (انتقضت عليك العرب من أطرافها) أى من أطراف الأرض (و أقطارها) و ذلك لقرب عهدهم يومئذ بالاسلام و عدم استقراره فى قلوبهم و ميل طبائعهم الى الفتنة و الفساد، و مع علمهم بخروجك و تركك للبلادهاج طمعهم و صار فتنتهم على الحرميين و ما يضاف إليهما (حتىّ يكون ما تدع ورائك من العورات) و خلل الثغور (أهمّ إليك ممّا بين يديك) و الأمر الثانى ما أشار إليه بقوله: (انّ الأعاجم إن) تخرج اليهم بنفسك

و (ينظروا إليك غدا) طمعوا فيك و (يقولوا هذا أصل العرب) أى به قوامهم و ثباتهم (فاذا قطعتموه استرحتم) إذ لا أصل لهم سواه و لا- لهم ظهر يلجئون به (فيكون ذلك أشدّ لكلّهم) و حرصهم (عليك و) أقوى ل (طمعهم فيك) ثم إن عمر حسب ما نذكره بعد تفصيلا قد كان قال له عليه السّلام فى جملة ما قال: إنّ هؤلاء الفرس قد قصدوا المسير إلى المسلمين و قصدهم إيّاهم دليل قوتهم و أنا أكره أن يغزونا قبل أن نغزوهم فأجابه عليه السّلام بقوله:(فأمّا ما ذكرت من مسير القوم إلى قتال المسلمين فإنّ الله سبحانه هو أكره لمسيرهم منك) و أشدّ كراهيته لذلك (و هو أقدر على تغيير ما يكره).

قال الشّارح البحرانى، و هذا الجواب يدور على حرف، و هو أنّ مسيرهم إلى المسلمين و ان كان مفسده إلا أنّ لقائه لهم بنفسه فيه مفسده أكبر، و إذا كان كذلك فينبغى أن يدفع العظمى و يكل دفع المفسده الاخرى إلى الله تعالى فإنّه كاره لها و مع كراهيته لها فهو أقدر على إزالتها.

(و أمّا ما ذكرت من) كثره القوم و (عددهم فانا لم نكن نقاتل) الأعداء (فيما مضى) أى فى زمن رسول الله و صدر الاسلام (بالكثرة و إنّما كنّا نقاتل بالنصر و المعونه) أى بنصر الله سبحانه و معونته.

و يصدّقه قوله تعالى: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ أَلْمَانَ خَفِيَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَ عَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضِعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ»

تبصره

قد أشرنا فيما مضى إلى أنّ هذا الكلام مما رواه الخاصّه و العامّه، و قد اختلف فى الحال التى قاله فيها لعمر، فقيل: قاله عليه السلام له فى غزاه القادسيّه، و قيل فى غزوه نهاوند، و لا بأس بايراد ما رووه.

فأقول: روى المحدث العلامة المجلسي في المجلد التاسع من البحار عن المفيد في الارشاد في فضل ما جاء عن أمير المؤمنين في معنى صواب الرأى و إرشاد القوم إلى مصالحهم و تداركه على ما كان يفسدهم لو لا تنبيهه على وجه الرأى عن سيابه بن سوار عن أبي بكر الهذلي قال:

سمعت رجالا من علمائنا يقولون: تكاتب الأعمام من أهل همدان و أهل الرى و اصفهان و قومس (١) و نهاوند و أرسل بعضهم إلى بعض أنّ ملك العرب الذى جاءهم بدينهم و أخرج كتابهم قد هلك، يعنون النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و أنّه ملكهم من بعده رجل ملكا يسيرا ثم هلك، يعنون أبا بكر، ثم قام بعده آخر قد طال عمره حتى تناولكم فى بلادكم و اغزاكم جنوده، يعنون عمر بن الخطاب، و أنه غير منته عنكم حتى يخرجوا من فى بلادكم من جنوده و تخرجون إليه و تغزون فى بلاده، فتعاقدوا على هذا و تعاهدوا عليه.

فلما انتهى الخبر إلى من بالكوفة من المسلمين أنهوه إلى عمر بن الخطاب فلما انتهى إليه الخبر فرع لذلك فزعا شديدا، ثم أتى مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فصعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال:

معاشر المهاجرين و الأنصار إنّ الشيطان قد جمع لكم جموعا و أقبل بها ليطفئ نور الله ألا إنّ أهل همدان و أهل اصفهان و أهل الرى و قومس و نهاوند مختلفه ألسنتها و ألوانها و أديانها، قد تعاقدوا و تعاهدوا أن يخرجوا من بلادهم إخوانكم من المسلمين و يخرجوا إليكم فيغزوكم فى بلادكم، فأشيروا إلى فاجزوا و لا تطنبا فى القول فانّ هذا يوم له ما بعده من الأيام فتكلموا.

فقام طلحة بن عبيد الله فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: يا أمير المؤمنين قد حنكتك (٢)

ص: ٥٥

١- (١) قومس صقع كثير من بلاد خراسان و اقليم بالاندلس، ق

٢- (٢) حنكتك الامور اراضتتك و هدبهتك و جرسك الدهور اى حنكتك و احكمتك التجارب اى جعلتك خيرا بالامور مجزبا و عجمتك البلايا اى خبرتك من العجم و هو البعث تقول عجمت العود اذا عضضته لتنظر أصلب هو أم رخو، بحار

الأُمور و جرسك الدهور و عجمتك البلايا و أحكمتك التجارب، و أنت مبارك الأمر و ميمون النقيه و قد وليت فخيرت و اختبرت و لم تكشف من عواقب قضاء الله إلا عن خيار فاحضر هذا الأمر برأيك و لا تغب عنه ثم جلس.

فقال عمر: تكلموا فقام عثمان بن عفان فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: أما بعد يا أمير المؤمنين إني أرى أن تشخص أهل الشام من شامهم و أهل اليمن من يمنهم و تسير أنت في أهل هذين الحرمين و أهل المصرين الكوفه و البصره فتلتقى جميع المشركين بجميع المؤمنين، فانك يا أمير المؤمنين لا تستبقى من نفسك باقيه بعد العرب، و لا تمتع من الدنيا بعزير و لا تلوذ منها بحريز فاحضره برأيك و لا تغب عنه ثم جلس فقال عمر: تكلموا فقال: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: الحمد لله حتى تم التحميد و الثناء على الله و الصيلاه على رسوله ثم قال: أما بعد فانك إن أشخصت أهل الشام من شامهم سارت أهل الزوم إلى ذراريهم، و إن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشه الى ذراريهم، و إن شخصت من هذين الحرمين انتقضت عليك العرب من أطرافها و أكنافها حتى تكون ما تدع وراء ظهرك من عيالات العرب و العجم أهم إليك مما بين يديك، فأما ذكرك كثره العجم و رهبتك من جموعهم فانا لم نكن نقاتل على عهد رسول الله بالكثرة، و إنما كنا نقاتل بالنصره و أما ما بلغك من اجتماعهم على المسير إلى المسلمين فإن الله لمسيرهم أكره منك لذلك و هو أولى بتغيير ما يكره، و إن الأعاجم إذا نظروا إليك قالوا: هذا رجل العرب فان قطعتموه قطعتم العرب و كنت أشد لكبهم و كنت قد ألبتهم (1) على نفسك و أمدهم من لم يكن يمدهم، و لكني أرى أن تقر هؤلاء في أمصارهم و تكتب إلى أهل البصره فليفترقوا على ثلاث فرق فليقم فرقه على ذراريهم حرسا لهم، و ليقم فرقه على أهل عهدهم لئلا ينتقضوا، و لتسر فرقه إلى إخوانهم مددا لهم.

ص: ٥٦

فقال عمر: أجل هذا الرأى، و قد كنت أحب أن اتابع عليه، و جعل يكرّر قول أمير المؤمنين عليه السّلام اعجابا و اختيارا له.

قال الشيخ المفيد (ره): فانظروا أيّدكم الله إلى هذا الموقف الذى ينبى بفضل الرأى، إذ تنازعه اولو الألباب و العلم، و تأملوا فى التوفيق الذى قرن الله به أمير المؤمنين عليه السّلام فى الأحوال كلّها و فرع القوم إليه فى المعضل من الامور، و اضيفوا ذلك إلى ما أثبتناه من الفضل فى الدّين الذى أعجز متقدّمى القوم حتّى اضطّروا فى علمه إليه، تجدوه من باب المعجز الذى قدّمناه و الله ولىّ التوفيق.

قال الشّارح المعتزلى فى شرح هذا المقام: و اعلم أنّ هذا الكلام قد اختلف فى الحال التّى قاله فيها لعمر، ف قيل قاله له فى غزوه القادسيّه، و قيل فى غزوه نهاوند، و الى هذا القول الأخير ذهب محمّد بن جرير الطّبرى فى التاريخ الكبير، و إلى هذا القول الأوّل ذهب المدائنى فى كتاب الفتوح.

أمّا وقعه القادسيّه فكانت فى سنه أربع عشر للهجره استشار عمر المسلمين فى أمر القادسيّه فأشار إليه عليّ بن أبى طالب عليه السّلام فى روايه أبى الحسن عليّ بن محمّد ابن سيف المدائنى أن لا يخرج بنفسه و قال: إنك إن تخرج تكن للعجم همّه لاستيصالك لعلمهم أنك قطب الرّحى للعرب فلا يكون للاسلام بعدها دوله و أشار عليه غيره من النّاس أن يخرج بنفسه فأخذ برأى عليّ، ثم أورد الشارح وقعه القادسيّه و لا حاجه بنا إلى ايرادها ثم قال:

فأما وقعه نهاوند فإنّ أبا جعفر محمّد بن جرير الطّبرى ذكر فى كتاب التاريخ أنّ عمر لما أراد أن يغزو العجم و جيوش كسرى و هى مجتمعه بنهاوند استشار الصّحابه.

فقام عثمان فتشّهّد فقال: أرى يا أمير المؤمنين أن تكتب إلى أهل الشّام فيسيروا من شامهم و تكتب إلى أهل اليمن فيسيروا من يمنهم ثمّ تسير أنت بأهل هذين الحرمين إلى المصرين البصره و الكوفه فتلقى جميع المشركين بجميع المسلمين فانك إذا سرت بمن معك و من عندك تكن فى نفسك بالكاثر من عدد

القوم و كنت أعزّ عَزًا و أكثر أنك لا تستبقى بعد اليوم باقيه و لا تمنع من الدّنيا بعزير و تكون منها فى حرز حريز، إنّ هذا يوم له ما بعده فاشهده برأيك و نفسك و لا تغب عنه.

قال أبو جعفر: و قام طلحه فقال: أمّا بعد يا أمير المؤمنين فقد أحكمتك الامور و عجمتك البلايا و حنكتك التجارب و أنت و شأنك و أنت و رأيك لا- تنبو فى يديك و لا نكل أمرنا إلّا إليك، فأمرنا نجب، و ادعنا نطع، و احملنا نركب، و قدمنا ننقد، فأنتك ولىّ هذا الأمر و قد بلوت و جربت و اختبرت فلم ينكشف شىء من عواقب الامور لك إلّا عن خيار.

فقال علىّ بن أبى طالب: أمّا بعد فإنّ هذا الأمر لم يكن نصره و لا خذلانه بكثرة و لا قلّه، إنّما هو دين الله الذى أظهره و جنده الذى أعزّه و أمده بالملائكة حتّى بلغ ما بلغ، فنحن على موعود من الله و الله منجز وعده و ناصر جنده، و إنّ مكانك منهم مكان النظام من الخرز يجمعه و يمسكه، فان انحلّ تفرّق ما فيه و ذهب ثمّ لم يجتمع بحذافيره أبدا، و العرب اليوم و إن كانوا قليلا فإنهم كثير، و عزيز بالاسلام، أقم مكانك و اكتب إلى أهل الكوفة فإنهم أعلام العرب و رؤسائهم، و لي شخص منهم الثلثان و لي قم الثلث، و اكتب إلى أهل البصره أن يمدّوهم ببعض من عندهم، و لا تشخص الشّام و لا اليمن إنّك إن أشخصت أهل الشّام من شامهم سارت الرّوم إلى ذراريهم و إن أشخصت أهل اليمن من يمنهم سارت الحبشه إلى ذراريهم و متى شخصت من هذه الأرض، انتقضت عليك العرب من أطرافها و أكنافها حتّى يكون ما تدع ورائك أهمّ إليك ممّا بين يديك من العورات و العيالات، إنّ الأعاجم إن ينظروا إليك غدا قالوا: هذا أمير العرب و أصلهم فكان ذلك أشدّ لكلبهم عليك و أمّا ما ذكرت من مسير القوم فإنّ الله هو أكره لمسيرهم منك و هو أقدر على تغيير ما يكره، و أمّا ما ذكرت من عددهم فانا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة و إنّما كنّا نقاتل بالصّبر و النّصر.

فقال عمر: أجل هذا الرأى و قد كنت أن اتابع عليه، فأشيروا علىّ برجل

اولئيه ذلك الثغر، قالوا أنت أفضل رأيا فقال: أشيروا عليّ به و اجعلوه عراقياً قالوا أنت أعلم بأهل العراق و قد وفدوا عليك فرأيتهم و كلمتهم، قال: أما و الله لأؤلينّ أمرهم رجلا يكون غمدا لأوّل الأسنّه فليل: و من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: النّعمان بن مقرن، قالوا: هولها و كان النّعمان يومئذ بالبصره فكتب إليه عمر فولاه أمر الجيش.

قال أبو جعفر: كتب اليه عمر: سر إلى نهاوند فقد وليتك حرب الفيروزان و كان المقدم على جيوش كسرى فان حدث بك حدث فعلى النّاس حذيفه بن اليمان، فان حدث به حدث فعلى النّاس نعيم بن مقرن، فان فتح الله عليكم فاقسم على النّاس ما أفاء الله عليهم و لا- ترفع إلىّ منه شيئا، و إن نكث القوم فلا ترانى و لا أراك، و قد جعلت معك طليحه بن جويلد و عمرو بن معديكرب لعلمهما بالحرب فاستشرهما و لا تولهما شيئا.

قال أبو جعفر: فسار النّعمان بالعرب حتّى وافى نهاوند و ذلك فى السنّه السّابعه من خلافه عمر، و ترائى الجمعان و نشب القتال و حجزهم المسلمون «المشركون» فى خنادقهم و اعتصموا بالحصون و المدن و شقّ على المسلمين ذلك، فأشار طليحه عليه فقال أرى أن تبعث خيلا ببعض القوم و تحمّشهم(1) فإذا استحمشوا خرج بعضهم و اختلطوا بكم فاستطردوا لهم فانهم يطمعون بذلك ثمّ نعطف عليهم حتّى يقضى الله بيننا و بينهم بما يجب، ففعل النّعمان ذلك فكان كما ظنّ طليحه و انقطع العجم عن حصونهم بعض الانقطاع فلتّيا أمعنوا فى الانكشاف للمسلمين حمل النعمان بالنّاس فاقتتلوا قتالا شديدا لم يسمع السّامعون مثله، و زلق النعمان فرسه فصرع و اصيب فتناول الرّايه أخوه فأثا حذيفه فدفعها إليه و كتم المسلمون مصاب أميرهم و اقتتلوا حتّى أظلم اللّيل و رجعوا و المسلمون ورائهم، فعمى عليهم قصدهم فتركوه و غشيههم المسلمون بالسيوف، فقتلوا منهم ما لا يحصى، و أدرك المسلمون الفيروزان و هو هارب و قد هارب و انتهى إلىّ ثيّه مشحونه ببغال موقّره عسلا فحبسته على أصله فقتل

ص: ٥٩

١- (١) حمشه و أحمسه جمعه و أغضبه و القوم ساقهم بغضب ق،

فقال المسلمون: إِنَّ لَّه جَنُودًا مِّن عَسَلٍ، وَ دَخَلَ الْمُسْلِمُونَ نَهَاوَنَد فَاحْتَوُوا عَلَيَّ مَا فِيهَا وَ كَانَتْ أَنْفَالٌ هَذَا الْيَوْمَ عَظِيمَةً.

الترجمه

از جمله کلام آن حضرتست در حالتی که مشاوره کرد باو عمر بن الخطاب در رفتن بمحاربه اهل فارس بنفس خود فرمود: که بدرستی این امر یعنی اسلام نیست یاری نمودن او و نه خواری او بزیادتی لشکر و نه بکمی آن و آن امر دین خدائست غالب گردانید او را بر همه ادیان و لشکر او است که مهیا فرمود و قوت داد آنرا بر دشمنان تا این که رسید آن مقامی را که رسید و بلند شد هر چه بلند شد و ما مستقریم بر وعده خداوند تعالی و خدا وفا کننده وعده خود است و نصرت دهنده لشکر خود و مکان قائم بامر مردمان و رئیس ایشان مکان خیاطه است از مهره که جمع میکنند آن را و انضمام می دهد او را بهم، پس اگر بریده شود مهره متفزع و پراکنده می شود مهرها و از هم بپاشند، پس از آن جمع نمی شود بتمامی خود هیچوقت و مردمان عرب اگر چه امروز اندکند نسبت بکافران پس ایشان بسیارند بجهت اسلام عزیزند بحسب اجتماع و اتفاق پس باش مثل قطب آسیا از جای خود حرکت مکن و بگردان آسیای حرب را با عرب و در آرایش آن را نه خود را در آتش مقاتله و محاربه، پس بدرستی که تو اگر بیرون روی از این زمین یعنی مدینه منوره فرود آیند بتو عربها از اطراف و جوانب تا این که باشد آنچه که ترک کرده آنرا در پشت خود از مواضع مخافت بر اسلام و اهل آن مهم تر بسوی تو از آنچه که در پیش تو است از محاربه دشمن بدرستی که عجمها اگر نظر کنند بسوی تو فردا گویند این مرد اصل عرب و امیر ایشانست پس اگر شما پاره پاره کردید او را راحت می شوید پس باشد رفتن تو بمحاربه ایشان باعث شدت حرص ایشان بر تو و طمع ایشان در تو، پس اما آنچه ذکر کردی از آمدن اهل فارس بمحاربه مسلمانان پس بدرستی که خدای تعالی ناخوش گیرنده تر است از تو رفتار ایشان را

و او قادر تر است بر تغییر آن چه که ناخوش می گیرد و اما آنچه که ذکر کردی از بسیاری عدد ایشان پس بدرستی که ما نبودیم که دعوا کنیم در زمان گذشته با بسیاری لشکر و جز این نیست که بودیم که محاربه می کردیم بمعاونت و نصرت پروردگار، یعنی در حرب اعدا توکل بخدا باید نمود و از کثرت اعدا نباید ترسید.

و من خطبه له علیه السلام و هی الماه و السابعه

اشاره

و الاربعون من المختار فی باب الخطب

فبعث محمّدا صلّى الله عليه و آله و سلّم بالحقّ ليخرج عباده من عباده الأوثان إلى عبادته، و من طاعه الشيطان إلى طاعته، بقرآن قد بينه و أحكمه ليعلم العباد ربّهم إذ جهلوه، و ليقروا به بعد إذ جحدوه، و ليثبتوه بعد إذ أنكروه، فتجلّى سبحانه لهم في كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أريهم من قدرته، و خوّفهم من سطوته، و كيف محق من محق بالمثلات، و احتصد من احتصد بالتقمات. و إنّه سيأتى عليكم من بعدى زمان ليس فيه شيء أخفى من الحقّ، و لا أظهر من الباطل، و لا أكثر من الكذب على الله و رسوله، و ليس عند أهل ذلك الزّمان سلعه أبور من الكتاب إذا تلى حقّ تلاوته، و لا أنفق منه إذا حرّف عن مواضعه، و لا في البلاد شيء أنكر من

ص: ٦١

المعروف، و لا- أعرف من المنكر، فقد نبذ الكتاب حملته، و تناساه حفظته، فالكتاب يومئذ و أهله طريدان منفيان، و صاحبان مصطحبان فى طريق واحد لا- يؤويهما مؤو، فالكتاب و أهله فى ذلك الزمان فى الناس و ليسا فيهم، و معهم و ليسا معهم، لأنّ الضّلاله لا- توافق الهدى و إن اجتمعا، فاجتمع القوم على الفرقه، و افترقوا عن الجماعه، كأنّهم أئمّه الكتاب و ليس الكتاب إمامهم، فلم يبق عندهم منه إلا اسمه، و لا يعرفون إلا خطّه و زبره، و من قبل ما مثلوا بالصّالحين كلّ مثله، و سمّوا صدقهم على الله فريه، و جعلوا فى الحسنه عقوبه السيئه. و إنّما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم، و تغيب آجالهم، حتّى نزل بهم الموعود الّذى تردّ عنه المعذره، و ترفع عنه التّوبه، و تحلّ معه القارعه و النّقمه، أيها الناس من استنصح لله و فّق، و من اتّخذ قوله دليلا هدى للّتى هى أقوم، فإنّ جار الله آمن، و عدوّ الله خائف. و إنّّه لا- ينبغى لمن عرف عظمه الله أن يتعظّم، فإنّ رفعه الّذين يعلمون ما عظمته أن يتواضعوا له، و سلامه الّذين يعلمون ما قدرته أن يستسلموا له، فلا- تنفروا من الحقّ نفار الصّحيح من الأجرّب، و البارىء من ذى السّقم، و اعلموا أنّكم لن تعرفوا الرّشد حتّى تعرفوا

الَّذِي تَرَكَه، و لَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ، و لَنْ تَمْسِكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ، فَاتَّمَسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، فَإِنَّهُمْ عِشَّ الْعِلْمِ، و مَوْتَ الْجَهْلِ، هُمُ الَّذِينَ يَخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنِ عِلْمِهِمْ، و صَمْتُهُمْ عَنِ مَنَاطِقِهِمْ، و ظَاهِرُهُمْ عَنِ بَاطِنِهِمْ، لَا يَخَالِفُونَ الدِّينَ، و لَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ، و صَامِتٌ نَاطِقٌ.

اللغة

(تجلى) الشيء انكشف و ظهر و (محق) الشيء محققا من باب منع أبطله و محاه و محق الله الشيء أذهب منه البركة و قيل هو ذهاب الشيء كله حتى لا يرى له أثر و (المثالات) جمع المثلة بفتح الميم و ضمّ الثاء المثلثة فيهما و هي العقوبة كذا في الاقيانوس و في القاموس، مثل بفلان نكل كمثل تمثيلا- و هي المثلة بضمّ الثاء و سكونها و الجمع مثولات و مثلات و قال الفيومي: و مثلت بالقتيل مثلا من باب قتل و ضرب اذا جدعته و ظهرت آثار فعلك عليه تنكيلا و التشديد مبالغه و الاسم المثلة و زان غرفه و المثلة بفتح الميم و ضمّ الثاء العقوبة.

و (حصد) الزرع و النبات و احتصده قطعه بالمنجل و حصدهم بالسيف و احتصدهم استأصلهم و (النقمة) بالكسر و بالفتح و كفرحه المكافاه بالعقوبة جمعه نقم ككلم و عنب و نقمات ككلمات و (بار) الشيء يبور من باب قال إذا فسد و (زبرت) الكتاب زبرا كتبته فهو زبور فعول بمعنى مفعول كرسول و الجمع زبر قال سبحانه: «وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ» و الزبر بالكسر الكتاب و جمعه زبور مثل قدر و قدور.

و (مثلوا) يروى بالتخفيف و التشديد معا أى نكلوا و (القارعه) الداهية

تفجؤ الانسان و قال الشارح المعتزلى: المصيبة تفرع أى تلقى بشده و قوه، و قوله. فان رفعه الذين، لفظه رفعه فى بعض النسخ بضم الزاء و فى أكثرها بالفتح و ضبط القاموس بالكسر قال: رفع ككرم رفاعه صار رفيع الصوت و رفعه بالكسر شرف و علا قدره فهو رفيع كذا فى الاوقيانوس.

الاعراب

قوله: ليعلم العباد، متعلق بقوله: بينه أو أحكمه أو كليهما على سبيل التنازع و قوله: و كيف، عطف على قوله: من سطوته، و من الموصوله فى قوله: من محق و من احتصد فى محلّ التّصّب مفعول به، و فاعل الأفعال الأربعة راجع إلى الله سبحانه، و قوله: ليس فيه شيء أخفى لفظه أخفى إمّا بتقدير الرّفْع صفه لشيء و يؤيده رفع لفظ أظهر و أكثر المعطوفين عليه كما فى بعض النسخ، و إمّا بتقدير التّصّب على أنّه خبر ليس و يكون فيه متعلقا به، و على الأوّل فهو خبر مقدّم و ليس مع اسمه و خبره فى محلّ الرّفْع صفه لزمان، و على تقدير نصب أخفى فيكون ما عطف عليه منصوبا كما فى نسخه الشارح المعتزلى و غيره، و مثله لفظ أبور و أنفق و أنكر و أعرف، و تروى جميعا بالرّفْع و التّصّب معا.

و قوله: و من قبل ما مثلوا بالصّالحين، لفظه ما مع الفعل بعدها فى حكم المصدر و محلّه الرّفْع بالابتداء، و من قبل خبرها أى مثلهم أو تمثيلهم بالصّالحين من قبل ذلك. و لا يجوز جعل ما موصوله و الجملة بعدها صلتها الخلوّها من الرّبْط و على فى قوله: و سمّوا صدقهم على الله فريه، متعلّقه بفريه لا بصدقهم قال الشارح المعتزلى، فان امتنع أن يتعلّق حرف الجرّ به لتقدّمه عليه و هو مصدر فليكن متعلّقا بفعل مقدّر دل عليه هذا المصدر الظاهر.

و قوله: و جعلوا فى الحسنه عقوبه السيئه، باضافه العقوبه و فى بعض النسخ العقوبه السيئه قال الشارح المعتزلى: و الزوايه الاولى بالاضافه أكثر و أحسن.

وقوله: إنه من استنصح، الضمير الشأن قال الشيخ عبد القاهر: إنَّ لضمير الشأن مع إنَّ حسنا ليس بدونها بل لا يصحَّ بدونها نحو: إنه من يتقَّ ويصبر، وإنه من يعمل سوء، وأنه لا يفلح الكافرون، قال الشَّارح المعتزلي: ما فى قوله: ما عظمته بمعنى أى شىء، و من روى بالنصب جعلها زائده

المعنى

إشارة

اعلم أن مدار هذه الخطبه على فصول أربعة:

الفصل الاول

فى الاشارة إلى بعثه الرسول صلَّى الله عليه وآله وسلم والغرض من بعثته

و هو قوله (فبعث الله محمداً بالحق) و إنما بعثه (ليخرج عباده من عباده الأوثان) و الأصنام (إلى عبادته و من طاعه الشيطان إلى طاعته) و لتخليص الخلق من عشق الدنيا و رِق الطَّبِيعه و عبودِيه الهوى، و تشويقهم إلى حظائر القدس و مجالس الانس، و إيقاظهم عن مراقد الأبدان و نوم الغافلين، و ايصالهم إلى منازل الأبرار و المقرَّبين و لم يقتصر سبحانه على مجرد بعثه و إرساله، بل بعثه صلَّى الله عليه و آله (ب) ما يدلّ على صدق دعواه و مقاله من البراهين و الدلائل الباهرات و المعجزات الخارقه للعادات و أعظمها (قرآن قد بينه و أحكمه) أى كشفه و أوضحه و جعله متقنا مضبوطا مستقيما نظمه خاليا عن الخلل و الاختلاف كما قال عزّ من قائل:

«هذا بيانٌ للنَّاسِ وَ هُدًى وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ» و قال «كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ» و فى موضع آخر «وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا».

و تخصيص القرآن بالذِّكر من بين سائر المعجزات لما أشرنا إليه من أنه أعظم

معجزاته و أقوىها و أكدها في باب التحدى، و ذلك لأنّ الغالب على العرب حين بعثه صلوات الله عليه و آله إنشاء الخطب و الرسائل و المبالغه في فصاحه الكلام و بلاغته و حسن البيان و سلاسته، و مراعات المطابقه لمقتضى الحال و المحافظه على محاسن اللفظ و بدائع النكت الغريبه، و لطائف المناسبات العجيبه و وجوه الاستعارات و التخيلات، و أنحاء المجاز و الكنايات، و سائر ما يزيد في الكلام رونقا و تأثيرا في القلوب.

فبعث الله النبيّ متحدّيا بالقرآن كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه بحجج و بينات و رسوم و آيات عجز عن الاتيان بما يماثلها أو يدانيها مصاقع الخطباء مشتملا على رموز و أسرار و علوم و أنوار تحيّرت في إدراكها عقول الأدباء، و مواظ و حكم تبلّدت عن فهمها أذهان الحكماء، و لم يتصدّ لمعارضه أقصر سورة من سورة واحد من الفصحاء، و لم ينهض للقدح في كلمه من كلماته ناهض من أذكيا البلغاء، مع طول المدّه و كثره العدّه، و شدّه الحرص و قوه الكدّ و غايه العصبية و نهايه الانانيه و الافراط في المضادّه و المضارّه، و الرّسوخ في المنافره و المفاخره فاختروا المقاتله بالسيف و السيّان على المعارضه بالكلام و البيان و الحجّج و البرهان، بعد ما خيروا بين الأمرين.

فعلم أنّ المأتى به خارج عن مقدره البشر، و إنّما هو أمر من عند خالق القوى و القدر، و به يهتدى إلى الرّشاد، و يحصل المعرفة بالمبدإ و المعاد كما قال عليه السّلام (ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه) يعنى بيان القرآن و أحكامه يحصل العلم بالربّ تعالى و ذلك لما اشتمل عليه من الآيات الدّاله على نعوت الجلال و صفات الجمال، و أدلّه التوحيد و براهين التّفريد مضافا إلى أنّه بنفسه مع قطع النّظر عن تلك الآيات كاف في الهدايه إلى الحقّ الأوّل سبحانه بما فيه من وصف الاعجاز حسب ما اشرنا إليه، هذا.

و العجب من الشارح البحرانى أنّه قال في شرح هذا المقام: و مدار هذا الفصل على بيان بعثه الرّسول، و بيان غايه البعثه، و السّبب المعدّ للوصول إلى تلك الغايه

ثم بيان غايه تلك الغايه، و الاشاره إلى البعثه بقوله: فبعث إلى قوله: بالحق، و أشار إلى غايتها بقوله: ليخرج إلى طاعته، و أشار إلى سبب تلك الغايه بقوله: بقرآن قد بينه، و أشار إلى غايه تلك الغايه أعنى غايه طاعه الله بقوله: ليعلم العباد إلى قوله: أنكره، انتهى.

و أنت خبير بأن طاعه الله سبحانه و عبادته إنما تحصل بعد حصول العلم بالرب، لأنها فرع الدين و هذا أصله و الأصل مقدم على الفرع فكيف يمكن جعله غايه لها و ما هو إلا من مفسد قلبه التدبر.

(و ليقروا به بعد إذ جحدوه و ليثبتوه بعد إذ أنكروه) إن كان المراد بالاقرار الاقرار باللسان وحده و بالاثبات الاثبات بالجنان يكون عطف الجمله الثانيه على الاولى من باب التأسيس، و إن اريد بكلّ منهما الأعمّ فالمعنى بالجملتين واحد و الاختلاف فى العبارة، و الايتان بهما للتفنن و على أى تقدير فالاثبات و الاقرار من جنود العقل، و الجحود و الانكار من جنود الجهل كما يفيد الحديث المروى فى الكافى فى باب العقل و الجهل عن أبى عبد الله عليه السلام هذا.

و لما ذكر أنّ بالقرآن يحصل العلم بالرب سبحانه و الاقرار به و إثباته أشار إلى كيفيه حصول هذا العلم بقوله: (فتجلى لهم سبحانه) أى ظهر ظهوراً بيناً (فى كتابه) ربما يفسر الكتاب هنا بعالم اليجاد و لما كان لفظ التجلى موهماً للظهور برؤيه البصر اتبعه بقوله (من غير أن يكونوا رأوه) من باب الاحتراس الذى عرفته فى المحاسن البديعيه من ديباجه الشرح يعنى أنه سبحانه تجلى لعباده و ظهر لهم لا برؤيه البصر بل برؤيه البصيره (بما أراهم من قدرته) و ذكرهم من بدائع مصنوعات و حكمته و عجائب مبدعاته و صنعته كما قال عزّ من قائل:

«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلُوكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْيِيرِ الرِّيحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» و قال «وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَ زُرْعٍ وَ نَخِيلٍ»

«صِنُونَا وَغَيْرُ صِنُونَانِ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْمَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» وقال «وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبُرُوقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعِيدًا مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» إلى غير ذلك مما لا نطيل بذكرها وقد مضى في شرح الخطبة التسعين لا سيما شرح الفصل السادس منها ما فيه غنية للطالب و كفايه للمهتدي فليراجع ثمه.

(و خَوْفُهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ) وَ حَذَرُهُمْ مِنْ نَقْمَتِهِ كَمَا قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ: «ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ وَ إِنَّا كُنَّا لَمُرُودًا عَلَيْهِمْ مُصِيبِينَ وَ بِاللَّيْلِ أَفْلَا تَعْقِلُونَ» وَ قَالَ «إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ وَ لَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيْنَهُمْ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» وَ غَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الْمَشْتَمَلَةِ عَلَى التَّحْذِيرِ بِقِصَصِ الْأَوَّلِينَ، وَ التَّخْوِيفِ بِمَا جَرَى عَلَى السَّلَفِ الْمَاضِينَ.

(وَ أَنَّهُ) كَيْفَ مَحَقٌّ مِنْ مَحَقِّ الْمَثَلَاتِ) أَيْ أَهْلَكَ مِنْ أَهْلِكَ مِنْهُمْ وَ أَذْهَبَ آثَارَهُمْ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ بِالْعُقُوبَاتِ النَّازِلَةِ عَلَيْهِمْ (وَ احْتَصَدَ مِنْ احْتِصَادِ النَّقْمَاتِ) أَيْ اسْتَأْصَلَ مِنْ اسْتَأْصَلَهُ بِمَا عَذَّبَهُمْ بِهِ مَكَافَاهُ لِسُوءِ أَعْمَالِهِمْ

الفصل الثاني

في الاخبار عن زمان يأتي بعده بالأوصاف المذكوره

وَ هُوَ قَوْلُهُ: (وَ أَنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ) الْأَظْهَرُ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ زَمَانَ بَنِي أُمَيَّةٍ وَ أَيَّامَ خِلَافَتِهِمْ لِاتِّصَافِهِ بِمَا وَصَفَهُ مِنْ أَنَّهُ (لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ وَ لَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ وَ لَا أَكْثَرَ مِنَ الْكُذْبِ عَلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ) وَ هُوَ ظَاهِرٌ لِلْخَبِيرِ بِالسَّيْرِ وَ الْأَخْبَارِ. فَقَدْ رَوَى عَنْ شُعْبَةَ وَ هُوَ إِمَامُ الْمُحَدِّثِينَ عِنْدَ الْعَامَّةِ أَنَّهُ قَالَ: تَسَعَهُ أَعْشَارُ الْحَدِيثِ كُذْبٌ، وَ عَنِ الدَّارِقُطْنِيِّ مَا الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، وَ قَدْ كَانَ جَعَلَ الْأَخْبَارَ الْكَاذِبَةَ وَ اسْتَهَارَهَا فِي زَمَنِ بَنِي أُمَيَّةٍ.

قال ابن عرفه المعروف بنفطويه و هو من أكابر محدثي العامة و أعلامهم

فى تاريخه: إن أكثر الأحاديث الموضوعه فى فضائل الصّحابه افتعلت فى أيام بنى اميه تقربا اليهم بما يظنون أنّهم يرغمون به أنف بنى هاشم.

و يشهد بذلك ما تقدّم روايته فى شرح الكلام السابع و التسعين من الخبر الذى رويناه من البحار عن كتاب سليم بن قيس الهلالي.

(و ليس عند أهل ذلك الزّمان سلعه أبور من الكتاب) أى متاع أكسد و أفسد من كتاب الله سبحانه (إذا تلى حقّ ثلاثه) و فسّر على الوجه الذى انزل عليه و على المعنى الذى اريد منه، و ذلك لمنافاه المعنى المراد و الوجه الحقّ لأغراض أهل ذلك الزّمان الغالب على أهله الباطل و اتّباع الهوى.

(و لا أنفق منه) بيعا و أكثر رواجا (إذا حرّف عن مواضعه) و مقاصده الأصليّه و ذلك لموافقه أغراضهم الفاسده (و لا فى البلاد شىء أنكر من المعروف و لا أعرف من المنكر) لما ذكرناه فى شرح الكلام السابع عشر من أنّ المعروف لما خالف أغراضهم و مقاصدهم طرحوه حتّى صار منكرًا بينهم يستقبحون فعله، و المنكر لما وافق دواعيهم لزموه حتّى صار معروفًا بينهم يستحسنون أخذه.

(فقد نبذ الكتاب) وراء ظهره (حملته) أى أعرض عنه و ترك التدبّر فيه و العمل به قرّأه الحاملون له كمثّل الحمار يحمل أسفارا (و تناساه حفظته) أى تغافلوا عن اتّباعه و عن امتثال أوامره و نواهيه (فالكتاب يومئذ و أهله) الذين يتلونه حقّ تلاوته و هم أئمّه الذين و اتّباعهم الذين يعملون به و يتبعونه (طريدان منفيان) لأنّ أهل ذلك الزّمان برغبتهم إلى الباطل و عدولهم عن الحقّ معرضون عن الكتاب الهادى إلى الحقّ و عن أهله الأدلاء اليه، بل مؤذون لهم فيما يخالفونهم فيه مما يقتضيه أحكام الكتاب، فكان إعراضهم عنه و عنهم إبعادا لهما و نفيًا و طردًا (و صاحبان مصطحبان فى طريق واحد) أى متلازمان متّفقان على الدلاله فى طريق الحقّ (لا يؤويهما مؤو) أى لا يضمّهما أحد من ذلك الزّمان إليه و لا ينزلهما عنده لنفرتة عنهما و مضادّتهما لهواه.

(فالكتاب و أهله فى ذلك الزّمان فى النّاس) و بينهم ظاهرا (و ليسا فيهم)

حقيقه لعدم اتّباعهما و الغاء فائدتهما فأشبهها ما ليس بموجود و معهم بالمصاحبه الاتفاقيه فى الوجود، و ليسا معهم لانتفاء ثمرتهما و منافعهما عنهم (لأنّ الضّلاله لا توافق الهدى) يعنى ضلالتهم لا توافق هدى الكتاب و أهله فكانا مضادّين لهم (و إن اجتماعا) فى الوجود.

(فاجتمع القوم على الفرقة) أى اتّفق أهل ذلك الزّمان على الافتراق من الكتاب و تركه و طرده (و افترقوا عن الجماعه) أى الجماعه المعهوده و هم أهل الكتاب العاملون به.

قال الشارح البحرانى (ره) فى شرح هذه القرينه و سابقته، أى اتّفقوا على مفارقه الاجتماع و ما عليه الجماعه، أمّا فى وقته عليه السّلام فكالخوارج و البغاه، و أمّا فيما يستقبل بعده من الزّمان فكالآخذين بالآراء و المذاهب المتفرّقه المحدثه فى الدّين و الاجتماع على الفرقة يلزم الافتراق عن الجماعه، انتهى.

و ما ذكرنا أقرب و أنسب بالسياق و أولى فافهم (كأنّهم أئمه الكتاب) يحزّفونه و يغيّرونه و يبدّلونه و يأوّلونه عن وجهه على ما يطابق أغراضهم الفاسده و يجبرون على مخالفته كما هو شان الامام مع الماموم (و ليس الكتاب إمامهم) الواجب عليهم اتّباعه و اللّازم لهم اقتفاء اثره.

و حيث إنهم خالفوه و نبذوه وراء ظهورهم (فلم يبق عندهم منه) فى مقام التّمسك و الاستناد (إلا اسمه و لا يعرفون) من آثاره و شئونه (إلا خطّه و زبره) أى رسمه و كتابته فقط دون اتّباع مقاصده (و من قبل ما مثلوا بالصّالحين كلّ مثله) أى من قبل الحالات المتقدّمه التى اشير اليها تنكيلهم بالصّالحين غايه تنكيل و عقوبتهم أشدّ عقوبه.

و لعلّه اشاره إلى ما صدر من بنى اميّه فى أوائل سلطنتهم، فقد روى العلامه الحلى قدّس الله روحه فى كشف الحقّ عن صاحب كتاب الهاويه أنّ معاويه قتل من المهاجرين و الأنصار و أولادهم أربعين ألفا، و فعل ابنه يزيد اللّعين بالحسين عليه السّلام و أصحابه فى الطّف غنى عن البيان، و كذلك ما فعله عبد الملك بن مروان و عامله

الحجاج عليهما لعائن الله سبحانه بالعراق والحجاز وغيرهما مشهور و مأثور، هذا.

و يحتمل أن يكون الاشاره بالكلام السابق أعنى قوله: و إته سيأتى عليكم من بعدى زمان، إلى قوله: و من قبل إلى ملك فراعنه الأئمه أعنى بنى العباس خذلهم الله، و يكون المراد بقوله: و من قبل الاشاره إلى زمن بنى اميه الكائن قبل زمن بنى العباس، فإن اتّصاف كلا الزمانين بالأوصاف المذكوره لا غبار عليه.

و قوله:(و سمّوا صدقهم على الله فريه) أى سمّوا صدق الصالحين افتراء على الله سبحانه و نسبوهم فى ما يقولون إلى الكذب (و جعلوا فى الحسنه عقوبه السيئه) يعنى أنّهم بغلبه الشرور و الفساد على طباعهم رأوا حسنات الصالحين سيئات، فعاقبوهم عليها و عدّبوهم بها كما يعاقب المسيء بإسائه.

الفصل الثالث

فى التصح و الموعظه و تنبيه المخاطبين

على وجوب قصر الآمال على مفاصد طول الأمل الذى هو من أعظم الموبقات و أخزى السيئات حسب ما عرفته فى الخطبه الثانيه و الأربعين و شرحها قال عليه السلام هنا:(و إنّما هلك) أراد به الهلاك الاخرى (من كان قبلكم) من القرون الماضيه (بطول آمالهم) فى الدنيا الموجب للاستغراق فى لذاتها و الانهماك فى شهواتها المبعده عن الله سبحانه (و تغيب آجالهم) عنهم الموجب للغفله عنها و عن أخذ الزاد ليوم المعاد (حتى نزل بهم الموعود) أى الموت (الذى تردّ عنه المعذره) أى لا يقبل فيه اعتذار معتذر (و ترفع عنه التوبه) لأنّ بابها تنسّد حين نزوله.

قال تعالى: «و لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِيمَانَ وَ لَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا » (و تحلّ معه القارعه) و المصيبه التى تفرع الناس بالإفزع و الأهوال (و) تتبعها (النقمه) و النكال.

وَلَمَّا خَوَّفَهُمْ مِنْ طُولِ الْأَمَلِ عَقَّبَهُ بِالْإِرْشَادِ وَالذَّلَالَةَ عَلَى مَا فِيهِ صَلَاحُهُمْ فَقَالَ (أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مِنْ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وَفَقَّ) أَيُّ مَنْ اتَّخَذَ اللَّهَ نَاصِحًا لَهُ وَاعْيَا لِكَلَامِهِ حَافِظًا لِأَمْرِهِ وَنَوَاهِيهِ وَفَقَّ لِكُلِّ خَيْرٍ (وَمَنْ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا) فِي مَطَالِبِهِ وَمَقَاصِدِهِ (هُدَى ل) لِطَرِيقِهِ (الَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) الطَّرِيقِ وَانْهَجَهَا.

وَفِي هَذِهِ الْقَرِينَةِ تَلْمِيحٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ» قَالَ الطَّبْرَسِيُّ: يَهْدِي إِلَى الدِّيَانَةِ وَالْمَلَّةِ وَالطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَشَدُّ اسْتِقَامَةً يُقَالُ هَذِهِ الطَّرِيقُ وَاللِّطْرِيقُ وَإِلَى الطَّرِيقِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ يَرشُدُ إِلَى الْكَلِمَةِ الَّتِي هِيَ أَعْدَلُ الْكَلِمَاتِ وَأَصْوَبُهَا وَهِيَ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ، وَقِيلَ: يَهْدِي إِلَى الْحَالِ الَّتِي هِيَ أَعْدَلُ الْحَالَاتِ وَهِيَ تَوْحِيدُ اللَّهِ وَالْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْعَمَلُ بِطَاعَتِهِ انْتَهَى.

وَالْأَخِيرُ أَظْهَرَ بِمَقْتَضَى عَمُومِ وَظِيْفَتِهِ، وَفِي تَفْسِيرِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّهُ يَهْدِي إِلَى الْإِمَامِ، فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى يَهْدِي إِلَى الْوَلَايَةِ.

وَلَمَّا ذَكَرَ أَنَّ اسْتَنْصَاحَ اللَّهِ يَسْتَلْزِمُ التَّوْفِيقَ وَاتِّخَاذَ قَوْلِهِ دَلِيلًا يَسْتَلْزِمُ الْهُدَى رَتَبَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ: (فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ آمِنٌ) تَنْبِيْهُا عَلَى ثَمَرِهِ التَّوْفِيقِ وَالْهُدَايَةِ وَهُوَ حَصُولُ الْجَوَارِ مِنَ اللَّهِ وَالْقُرْبُ الْمَحْصِيْلُ لِأَمْنِهِ (و) بِهِ يَعْرِفُ أَنَّ (عَدُوَّ اللَّهِ خَائِفٌ) لِأَنَّ تَرْكَ اسْتَنْصَاحِهِ تَعَالَى مَسْتَلْزِمٌ لِلْخِذْلَانِ وَعَدَمُ اتِّخَاذِ قَوْلِهِ دَلِيلًا مُوجِبٌ لِلضَّلَالِ الْمُبْعَدِينَ عَنْهُ سُبْحَانَهُ وَالْجَالِبِينَ لِعِدَاوَتِهِ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ الْخَوْفِ وَالْخَطَرِ.

الفصل الرابع

إشاره

فِي الْأَمْرِ بِالتَّوَاضِعِ وَالتَّسْلِيمِ وَالانْقِيَادِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ

وَبِالْمَتَابَعَةِ لِأَوْلِيَاءِ الدِّينِ وَالرَّجُوعِ إِلَيْهِمْ وَالأَخْذِ مِنْهُمْ وَهُوَ قَوْلُهُ (وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ) سُبْحَانَهُ وَجَلَالَهُ وَجَبْرُوتَهُ وَسُلْطَانَهُ (أَنْ يَتَعَظَّمُ) أَيُّ يَظْهَرُ الْعَظَمَةَ وَيَتَكَبَّرُ، وَتَخْصِيصُ النَّهْيِ عَنِ التَّعَظُّمِ بِمَنْ عَرَفَ عَظَمَتَهُ تَعَالَى لِاحْتِقَارِهِ نَفْسَهُ عِنْدَ مَلاحِظَتِهِ لِنَفْسِهِ وَنَسْبَتِهِ لَهَا إِلَى جَلَالِهِ تَعَالَى، فَهُوَ أَسْرَعُ انْفِعَالًا وَأَحْقَرُ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَتَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ.

فهو نظير قوله سبحانه: «قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا» فإِنَّ شَرْطَهَا فِي التَّعَوُّذِ مِنْهُ كَوْنُهُ تَقِيًّا، لِأَنَّ التَّقِيَّ إِذَا تَعَوَّذَ بِالرَّحْمَنِ مِنْهُ ارْتَدَعَ عَمَّا يَسْخَطُ اللَّهُ كَمَا تَقُولُ: إِنْ كُنْتُ مُؤْمِنًا فَلَا تَظْلِمْنِي قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: عَلِمْتُ أَنَّ التَّقِيَّ يَنْهَاهُ التَّقِيُّ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، هَذَا.

وَعَلَّلَ حَسَنُ التَّوَاضُعِ بِقَوْلِهِ (فَإِنَّ رَفْعَهُ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمْتَهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ) يَعْنِي أَنَّ تَوَاضُعَهُمْ سَبَبٌ لِرَفْعِهِ دَرَجَاتِهِمْ وَعَلَوِّ مَقَامِهِمْ عِنْدَ الْخَالِقِ وَالْخَلَائِقِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ أَمَّا فِي الدُّنْيَا فَمَعْلُومٌ بِالْبَدِيهِهِ وَالْعِيَانِ غَنَى عَنِ الْبَيَانِ، وَأَمَّا فِي الْعَقْبَى فَلِدَلَالَةِ الْأَخْبَارِ الْكَثِيرَةِ عَلَيْهِ.

رَوَى فِي الْبَحَارِ عَنْ أَبِي بَصِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ: إِنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ حَبَسَ عَنْهُ الْوَحْيُ ثَلَاثِينَ صَبَاحًا، فَصَعِدَ عَلَى جَبَلٍ بِالشَّامِ يُقَالُ لَهُ أَرِيحَا، فَقَالَ: يَا رَبِّ لِمَ حَبَسْتَ عَنِّي وَحْيِكَ وَكَلَامِكَ الذَّنْبُ أَذْنَبْتُهُ فَهِيَ أَنَا بَيْنَ يَدَيْكَ فَاقْتَصِ لِنَفْسِكَ رِضَاهَا، وَإِنْ كُنْتُ إِنَّمَا حَبَسْتَ عَنِّي وَحْيِكَ وَكَلَامِكَ لِذُنُوبِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَعَفُوكَ الْقَدِيمِ، فَأَوْحِ إِلَيَّ يَا مُوسَى تَدْرِي لِمَ خَصَصْتِكَ بِوَحْيِي وَكَلَامِي مِنْ بَيْنِ خَلْقِي؟ فَقَالَ: لَا أَعْلَمُهُ يَا رَبِّ، قَالَ: يَا مُوسَى إِنِّي أَطْلَعْتُ عَلَى خَلْقِي أَطْلَاعَهُ فَلَمْ أَرِ فِي خَلْقِي أَشَدَّ تَوَاضَعًا مِنْكَ، فَمَنْ تَمَّ خَصَصْتِكَ بِوَحْيِي وَكَلَامِي مِنْ بَيْنِ خَلْقِي، قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَكَانَ مُوسَى إِذَا صَلَّى لَمْ يَنْفُتِلْ حَتَّى يَلْصُقَ خَدَّهُ الْأَيْمَنَ بِالْأَرْضِ وَخَدَّهُ الْأَيْسَرَ بِالْأَرْضِ.

وَفِي عَدَّةِ الدَّاعِي عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى أَنْ تَدْرِي لِمَ اصْطَفَيْتَكَ بِكَلَامِي مِنْ دُونِ خَلْقِي؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ قَالَ: يَا مُوسَى إِنِّي قَلَّبْتُ عِبَادِي ظَهْرًا لِبَطْنٍ فَلَمْ أَرِ أَدْلَ نَفْسًا مِنْكَ، إِنَّكَ إِذَا صَلَّيْتَ وَضَعْتَ خَدَّيْكَ عَلَى التَّرَابِ.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى قَلَّبْتُ عِبَادِي ظَهْرًا لِبَطْنٍ فَلَمْ أَرِ أَدْلَ لِي نَفْسًا مِنْكَ فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرْفَعَكَ مِنْ بَيْنِ خَلْقِي.

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثَلَاثَةٌ لَا يَزِيدُ اللَّهُ بِهِنَّ إِلَّا خَيْرًا: التَّوَاضُعُ لَا يَزِيدُ اللَّهَ بِهِ إِلَّا ارْتِفَاعًا، وَذَلَّ النَّفْسُ لَا يَزِيدُ اللَّهَ بِهِ إِلَّا عِزًّا، وَالتَّعَقُّفُ لَا يَزِيدُ اللَّهَ بِهِ إِلَّا غِنَى.

و فى احياء العلوم لأبى حامد الغزالى قال رسول الله صلى الله عليه و آله: ما زاد الله عبدا بعفو إلا عزًا و ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله.

قال المسيح عليه السلام: طوبى للمتواضعين فى الدنيا هم أصحاب المنابر يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس فى الدنيا هم العذرين يرثون الفردوس، طوبى للمطهره قلوبهم فى الدنيا هم العذرين ينظرون إلى الله تعالى يوم القيامة و قال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه و آله إذا تواضع العبد رفعه الله إلى السماء السابعة و قال صلى الله عليه و آله: التواضع لا يزيد العبد إلا رفعه فتواضعوا يرحمكم الله و عن الفضيل و قد سئل عن التواضع ما هو، فقال: أن تخضع للحق و تنقاد له و لو سمعته من صبي قبلته و لو سمعته من أجهل الناس قبلته، هذا.

و التواضع من جنود العقل و يقابله التكبر العدى نشرح حاله فى التنبيه الآتى و هو من جنود الجهل، و الأول من منجيات الأخلاق و فضائل الأحوال، و الثانى من موبات الصفات و رذائل الخصال، و لا يحصل التواضع إلا بمعرفة النفس و معرفة الرب تعالى، فمهما عرف نفسه حق المعرفة علم أنه أذل من كل ذليل و أقل من كل قليل، و أنه لا يليق به إلا التواضع و الذل و المهانه، و إذا عرف ربه علم أنه لا يليق العظمه و الكبرياء إلا به.

و علله أيضا بقوله (و سلامه الذين يعلمون ما قدرته أن يستسلموا له) يعنى سلامه من علم عموم قدرته سبحانه و غلبه عزته تعالى من النار و من غضب الجبار إنما تحصل بالاستسلام و ترك الاستكبار و الأول من جنود العقل، و الثانى من جنود الجهل.

قال بعض شراح الكافى: الاستسلام هو الطاعه و الانقياد لكل ما هو حق، و هو من صفات المؤمن، و عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: المؤمنون هينون لئنون إن قيدوا انقادوا و ان انيخوا استنخوا، و ضد الانقياد الاستكبار و الانفه، و الفرق بينه و بين الكبر أن الكبر حاله نفسانيه كائنه فى النفس ربما لم يظهر أثره فى الخارج بخلاف الاستكبار

فأنه عبارته عن إظهار التكبر.

و لما أمرهم بالتواضع و الاستسلام لله سبحانه المستلزمين لأخذ الحق و قبوله من أهله اتبعه بقوله: (فلا تنفروا من الحق) و أهله و هم أولياء الدين (نفار الصحيح من الأجر و البرىء من ذى السيء) أى أشد النفار كما فى الشبه بهما، هذا و لما نهاهم عن النفار من الحق و أمرهم بلزومه عقبه بقوله (و اعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذى تركه) الرشد يساوق الحق كما أن الغى يساوق الباطل، و الغرض بهذه الجملة التنبيه على أن معرفه الرشد أى الحق تتوقف على معرفه تاركه أى أئمه الضلال و أهل الباطل إذ مع عدم معرفتهم ربما يشبهه فيزعم أن أقوالهم حق فيأخذ بها و يقع فى الخط و الضلال.

كما اشير إليه فى الخطبه الثامنه و الثلاثين بقوله: و إنما سميت الشبهه شبهه لأنها تشبه الحق فأما أولياء الله فضياءهم فيها اليقين و دليلهم سمت الهدى و أمّا أعداء الله فدعائهم فيها الضلال و دليلهم العمى، و قد مضى فى شرح هذه الخطبه ما ينفكك ذكره فى هذا المقام، فاللأزم على طالب الرشد أن يعرف أئمه الغى و الضلال و يجتنب عنهم.

و بما ذكر يظهر أيضا معنى قوله: (و لن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذى نقضه و لن تمسكوا به حتى تعرفوا الذى نبذه) توضيح ذلك أن كتاب الله سبحانه لما كان من أسباب الرشد كما قال تعالى: «إِنَّا سَجَعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ» و كان التمسك به منقذا من الضلال كما قال رسول الله صلى الله عليه و آله فى حديث الثقلين: انى قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى الثقلين و أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض و عترتى أهل بيتى، لاجرم كان الأخذ و التمسك به واجبا.

و لما كان معنى الأخذ و التمسك هو أتباعه و معرفه معناه حق العلم و العمل بمواثيقه و أحكامه التى هى عهد الله تعالى لزم على ذلك معرفه الناقضين لمواثيقه و النابذين لأحكامه وراء ظهورهم، و هم المحزفون المبدلون له و المغترون لأحكامه

والمفسّرون له بأرائهم المتبوّون مقعدهم من النار، و إنّما توقف الأخذوا لتمسّك على معرفه هؤلاء ليحترز عن الرجوع اليهم و الى تفاسيرهم كيلا يتبوّ مقعده مثلهم من النار.

و محصّل المراد من هذه الجملات الثلاث التّنبيه على وجوب التّبرّي من أتّمه الضّلال و المعاداه لأعداء الله سبحانه و قد دلّت عليه النصوص الكثيره.

مثل ما فى البحار من السرائر من كتاب انس العالم للصفوانى قال: إنّ رجلا قدم على أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: يا أمير المؤمنين إنّى احبّك و احبّ فلانا و سمى بعض أعدائه فقال: أما الآن فأنت أعور فإما أن تعمى و إما أن تبصر.

و قيل للصادق عليه السّلام: إنّ فلانا يواليكم إلاّ أنّه يضعف من البراءه من عدوّكم فقال هيهات كذب من ادعى محبّتنا و لم يتبرّء من عدوّنا.

و روى عن الرضا عليه السّلام أنه قال: كمال اللّدين ولايتنا و البراءه من عدوّنا.

ثمّ قال الصفوانى: و اعلم أنّه لا يتمّ الولاية و لا تخلص المحبّه و لا تثبت الموده لآل محمّد عليهم السّلام إلاّ بالبرائه من أعدائهم قريبا كان أو بعيدا، فلا تأخذك به رأفه فإنّ الله عزّ و جلّ يقول: «لا تجدُ قوماً يؤمنون بالله و اليَوْمِ الآخِرِ يُؤادونَ مَنْ حادَّ اللهَ وَ رَسولَهُ وَ لَوْ كانوا آباءَهُمْ أَوْ أبناءَهُمْ أَوْ إِخوانَهُمْ أَوْ عَشيرَتَهُمْ».

و فيه من تفسير العياشى عن أبى حمزه الثمالى قال: قال أبو جعفر عليه السّلام يا أبا حمزه أنّما يعبد الله من عرف الله، و أمّا من لا يعرف الله كأنّما يعبد غيره هكذا (١) ضالّا، قلت:

أصلحك الله و ما معرفه الله؟ قال: يصدّق الله و يصدّق محمّدا رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى موالاه علىّ و الائتمام به و بأئمّه الهدى من بعده، و البراءه إلى الله من عدوّهم، و كذلك عرفان الله، قال قلت: أصلحك الله أىّ شىء اذا علمته أنا استكملت حقيقه الايمان؟ قال: توالى أولياء الله و تعادى أعداء الله و تكون مع الصّادقين كما أمرك الله، قال: قلت: و من أولياء الله و من أعداء الله؟ فقال: أولياء الله محمّد رسول الله و علىّ و الحسن و الحسين

ص: ٧٦

١- (١) قوله هكذا كانه (عليه السلام) أشار الى الخلف أو الى اليمين أو الشمال، أى حادّ عن الطريق الموصل الى النجاه فلا يزيده كثره العمل إلاّ بعدا عن المقصود كمن ضلّ عن الطريق (بحار)

و علي بن الحسين، ثم انتهى الأمر إلينا ثم ابني جعفر و أمأه إلى جعفر عليه السلام و هو جالس، فمن والى هؤلاء فقد والى أولياء الله و كان مع الصادقين كما أمره الله قلت و من أعداء الله أصلحك الله؟ قال: الأوثان الأربعة قال: قلت: من هم؟ قال:

ابو الفصيل (1)، و رمع، و نعتل، و معاويه و من دان دينهم، فمن عادى هؤلاء فقد عادى أعداء الله.

و من عقايد الصّيدوق قال: اعتقادنا في الظالمين أنهم ملعونون و البراءة منهم واجبه، قال الله عزّ و جلّ: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ».

و قال ابن عباس في تفسير هذه الآية: إن سبيل الله عزّ و جلّ في هذا الموضع هو علي بن أبي طالب.

و الأئمة في كتاب الله عزّ و جلّ إمامان: إمام هدى و إمام ضلالة، قال جلّ ثناؤه «وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا» و قال عزّ و جلّ في أئمة الضلالة: «وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ وَ أَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ».

و لما نزلت هذه الآية: «وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» قال النبي صلى الله عليه و آله من ظلم عليا مقعدى هذا بعد وفاتي فكأنما جحد نبوتى و نبوه الأنبياء من قبلى، و من تولى ظالما فهو ظالم.

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَ إِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» و قال الله عزّ و جلّ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» و قال عزّ و جلّ «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ لَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ»

ص: ٧٧

١- (١) أبو الفصيل أبو بكر لأنّ الفصيل و البكر متقاربان في المعنى و رمع مقلوب عمر و نعتل هو عثمان كما في كتب اللغة (بحار)

وقال عز وجل: «وَلَا تَزْكُوتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ» و الظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، فمن ادعى الامامه و ليس بامام فهو ظالم ملعون.

وقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم من جحد عليا إمامته من بعدى فأنا جحد نبوتى، و من جحد نبوتى فقد جحد الله ربوبيته.

وقال النبي صلى الله عليه و آله و سلم لعلي عليه السلام: يا علي أنت المظلوم بعدى من ظلمك فقد ظلمنى و من أنصفك فقد أنصفنى و من جحدك فقد جحدنى و من الالك فقد والانى و من عاداك فقد عادانى و من أطاعك فقد أطاعتى و من عصاك فقد عصانى، الى غير ذلك مما لا نطيل بذكرها.

فقد علم بذلك كله وجوب التبرى عن أئمة الضلال و التولى لأئمة الهدى.

و ذلك لما نبه أمير المؤمنين عليه السلام على التنفير عن الفرقة الاولى بمعرفتهم و معرفه ما هم عليه من الخطاء و الجهل و الشبهه أمر باتباع الفرقة الاخرى و الرجوع اليهم بقوله:(فالتمسوا) و اطلبوا (ذلك) أى ما سبق ذكره يعنى الحق و الرشده و ميثاق الكتاب و كيفيه التمسك به (من عند أهله) أراد به نفسه الشريف و الطيبين من اولاده أعنى الأئمة المعصومين و ينابيع العلم و اليقين (فانهم عيش العلم و موت الجهل) أى بهم حياه العلم و ممات الجهل و استعار لهم هذين الوصفين باعتبار أن بهم ينتفع بالعلم و يحصل ثمراته و آثاره كما أن بحياه الشيء يوجد آثاره و ينتفع به، و كذلك بهم يبطل الجهل و يضمحل كما أن بالموت يبطل حياه الحي و يفنى.

(هم الذين يخبركم حكمهم عن علمهم) يجوز أن يراد بالحكم ما صدر عنهم من الأحكام الشرعيه و التكاليف الالهيه، و أن يراد به القضاء و فصل الخصومات فى الوقائع الشخصيه، و على أى تقدير يدل ما صدر عنهم من القضاء و الأحكام على غزاره علمهم و جم معرفتهم عليهم السلام، و ينبئك بذلك ما قد مناه فى شرح قوله عليه السلام: و عندنا أهل البيت أبواب الحكم، فى شرح الكلام المأه و التاسع عشر فتذكر.

(و صمتهم من منطقهم) فإن لصمت اللسن ذى الحكمة الغزيره هيئه

و حاله و وقارا يدل على حسن منطقته و علمه بما يقول (و ظاهرهم عن باطنهم) أى حسن أفعالهم و حركاتهم الظاهرية يكشف عن كمالا-تهم و ملكاتهم النفسانية (لا يخالفون الدين) لأنهم قوامه و أولياؤه و ملازمون له، معصومون من الذنوب، مبرؤون من العيوب (و لا-يختلفون فيه) أى لا-يختلف أحدهم للآخر فيما يؤدونه من أحكام الله و يبلغونه من أوامره، لأن علومهم كلها من نبع واحد ملقاه عن مهبط الوحي و معدن الرسالة، و بعد اتحاد المنبع لا- يتصور الاختلاف لمكان العصمة المانعه عن تعمد الكذب و الغلط و السهو و الخطاء الناشى منها الاختلاف.

روى فى الكافى عن أبى جعفر عليه السلام قال: قال الله عزّ و جلّ فى ليله القدر:

فيها يفرق كلّ أمر حكيم، يقول: ينزل فيها كلّ أمر حكيم، و المحكم ليس بشيئين، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم الله عزّ و جلّ، و من حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنّه مصيب فقد حكم بحكم الطّاعوت، الحديث و قد مرّ بتمامه فى شرح الفصل التاسع من الخطبه الاولى.

و فى البحار من معانى الأخبار عن الحسين الأشقر قال: قلت لهشام بن الحكم ما معنى قولكم: إنّ الامام لا يكون إلاّ معصوما؟ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك فقال: المعصوم هو الممتنع بالله من جميع محارم الله، و قال الله تبارك و تعالى:

«وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

قال المحدث العلامة المجلسي: قال الصدوق فى معانى الأخبار بعد خير هشام: الدليل على عصمه الامام أنّه لما كان كلّ كلام ينقل عن قائله يحتمل وجوها من التأويل كان أكثر القرآن و السنّه مما اجتمعت الفرقه على أنّه صحيح لم يغيّر و لم يبدل و لم يزد فيه و لم ينقص منه محتملا- لوجوه كثيره من التأويل، و جب أن يكون مع ذلك مخبر صادق معصوم من تعمد الكذب و الغلط منبىء عمّا عنى الله عزّ و جلّ فى الكتاب و السنّه على حقّ ذلك و صدقه، لأنّ الخلق مختلفون فى التأويل، كلّ فرقته تميل مع القرآن و السنّه إلى مذهبها، فلو كان الله تبارك و تعالى تركهم بهذه الصّيفه من غير مخبر عن كتابه صادق فيه لكان قد سوّغهم الاختلاف

فى الدّين و دعاهم اليه إذ أنزل كتابا يحتمل التأويل و سنّ نبيّه صلّى الله عليه و آله و سلّم سنّه تحتمل التأويل و أمرهم بالعمل بهما، فكأنّه قال: تأولوا و اعملوا، و فى ذلك إباحه العمل بالمتناقضات و الاعتماد للحقّ و خلافه، فلمّا استحال ذلك على الله عزّ و جلّ و جب أن يكون مع القرآن و السنّه فى كلّ عصر من يبيّن عن المعانى الّتى عنها الله عزّ و جلّ فى القرآن بكلامه دون ما يحتمل ألفاظ القرآن من التأويل، و يبيّن عن المعانى الّتى عنها رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى سنّته و أخباره دون التأويل الّذى يحتمله الأخبار المرويّه عنه المجمع على صحّحه نقلها، و إذا و جب أنّه لا بدّ من مخبر صادق و جب أن لا يجوز عليه الكذب تعمّدا، و لا الغلط فيما يخبر به عن مراد الله عزّ و جلّ و عن مراد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى أخباره و سنّته، و إذا و جب ذلك و جب أنّه معصوم، انتهى كلامه رفع مقامه.

فقد ظهر بذلك أنّه لا يتصوّر منهم الاختلاف فى شرائع الدّين لا من أحدهم للآخر و لا من كلّ منهم فيما يصدر عنه من الأحكام المتعدّده كما ظهر به و جوب الرجوع فى فهم مرادات الكتاب و السنّه إليهم حسب ما تبّه عليه أمير المؤمنين عليه السّلام بقوله آنفا: فالتمسوا ذلك من عند أهله، فافهم و اغتنم.

(فهو) أى الدّين بينهم (شاهد صادق) أى شاهد صدق يشهد على اتّفاقهم فيه و عدم اختلافهم و خلافهم له (و صامت ناطق) أى ساكت باعتبار كونه أمرا عرضيّا اعتباريّا لا وجود له فى الأعيان، و ناطق باعتبار افادته لكونهم ملازمين له و متّفقين عليه و إنبائه عن أنّهم على الحقّ و الحقّ معهم، هذا.

و ما ذكرناه فى تفسير هاتين الفقرتين أظهر و أولى ممّا قاله الشارح البحرانى حيث قال: و قوله: شاهد صادق أى شاهد يستدلون به على الأحكام و الوقائع النّازله بهم و بغيرهم لا يكذب من حيث هو شاهد، و صامت ناطق لكونه حروفا و أصواتا، و إنّما ينطق بألسنتهم فهو بمنزله النّاطق، انتهى.

قال الشّارح المعتزلى: فالدّين بينهم شاهد صادق يأخذون بحكمه كما يأخذ

بحكم الشاهد الصادق، و صامت ناطق لأنه لا- ينطق بنفسه بل لا بد له من مترجم فهو صامت في الصورة و في المعنى أنطق الناطقين، لأن الأوامر و النواهي و الآداب كلها مبنيّة عليه و متفرّعه عنه، انتهى.

و أنت خبير بما قالاه من الضعف و الفساد و كونه أجنبيًا على تقدير صحته من مساق كلام الامام عليه السلام فافهم و تأمل.

تنبيه

لمّا كانت هذه الخطبه الشريفه متضمنه للأمر بالتواضع و النهي عن التكبر و اشرنا إلى فضل التواضع و حسنه أحببنا أن نشرح صفه الكبر و نبين ما ورد فيه من الأدله الداله على قبحه و خسته و كونه من الموبقات، و الكلام فيه في مقامات

المقام الاول

في الآيات و الأخبار الوارده في النهي عن تلك الصفه

، و المتضمنه لقبحها و ذمها و ما يترتب عليه من الخزي و العقاب.

فأقول: قال الله تعالى في سورة الزمر: «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ» و في سورة المؤمن: «الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرًا مَّقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارًا» و في سورة المؤمن أيضا: «وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» أي صاغرين ذليلين.

و في سورة بنى اسرائيل: «وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا» قال الطبرسي: معناه لا تمش على وجه الأشر و البطر و الخيلاء و التكبر و قوله: إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ، هذا مثل ضربه الله تعالى، قال:

إنَّكَ أيُّها الإنسان لن تشقَّ الأرض من تحت قدمك بكبرك، و لن تبلغ الجبال بتناولك، و المعنى أنك لن تبلغ ممَّا تريد كثير مبلغ كما لا يمكنك أن تبلغ هذا فما وجه المنايذه على ما هذا سبيله مع أن الحكمة زاجره عنه، و أمَّا قال ذلك، لأنَّ من النَّاس من يمشى فى الأرض بطرا يدقُّ قدميه عليها ليرى بذلك قدرته و قوته و يرفع رأسه و عنقه، فيبين سبحانه أنه ضعيف مهين لا يقدر أن يخرق الأرض بدقِّ قدميه عليها حتَّى ينتهى إلى آخرها، و أنَّ طولها لا تبلغ طول الجبال و إن كان طويلا، هذا.

و الآيات الناهيه فى الكتاب العزيز كثيره لا حاجه إلى ايرادها.

و اما الاخبار فى الكافى باسناده عن أبى حمزه الثمالى قال. قال على بن الحسين صلوات الله عليهما: عجا للمتكبر الفخور الذى كان بالأمس نطفه ثم هو غدا جيفه.

و عن عيسى بن ضحاک قال: قال أبو جعفر عليه السَّلام: عجا للمختال الفخور و إنَّما خلق من نطفه ثم يعود جيفه و هو فيما بين ذلك لا يدري ما يصنع به.

و عن على بن إبراهيم عن أبيه عن التوفلى عن السِّكونى عن أبى عبد الله عليه السَّلام قال: أتى رسول الله صلَّى الله عليه و آله و سلَّم رجل فقال: يا رسول الله أنا فلان بن فلان حتى عدَّ تسعه.

فقال له رسول الله صلَّى الله عليه و آله و سلَّم: أما أنك عاشرهم فى النَّار.

و عن حكيم قال: سألت أبا عبد الله عليه السَّلام عن أدنى الالحاد، قال عليه السَّلام: إنَّ الكبر أدناه.

و عن العلاء بن الفضيل عن أبى عبد الله عليه السَّلام قال: قال أبو جعفر عليه السَّلام: العزَّ رداء الله، و الكبر ازاره، فمن تناول منه شيئا أكبه الله فى جهنم.

و عن عبد الأعلاب بن أعين قال: قال أبو عبد الله عليه السَّلام: قال رسول الله صلَّى الله عليه و آله: إنَّ أعظم الكبر غمس الخلق و سفه الحق، قلت: و ما غمس الخلق و سفه الحق؟ قال:

يجهل الحقَّ و يطعن على أهله، فمن فعل ذلك فقد نازع الله رداءه.

و عن أعظم بن كثير عن أبى عبد الله عليه السَّلام قال: إنَّ فى جهنم لواديا للمتكبرين

يقال له سقر شكى إلى الله شدة حرّه و سأله أن يأذن له أن يتنفس فتنفس فأحرق جهنم.

و عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من عبد إلا و في رأسه حكمه و ملك يمسكها فاذا تكبر قال له: اتضع وضعك الله، فلا يزال أعظم الناس في نفسه و أصغر الناس في أعين الناس، و إذا تواضع رفعها الله عزّ و جلّ ثمّ قال له: انتعش نعشك الله فلا يزال أصغر الناس في نفسه و أعظم الناس في أعين الناس.

و في احياء العلوم قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لا يدخل الجنّة من كان في قلبه مثقال حبه من خردل من كبر، و لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبه من خردل من ايمان.

و قال أبو هريره: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: يقول الله تعالى: الكبرياء ردائي و العظمة ازارى فمن نازعني واحدا منهما ألقته في جهنم و لا ابالي.

و قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: بئس العبد عبد تجبر و اعتدى و نسي الجبار الأعلى، بئس العبد عبد تجبر و اختال و نسي الكبير المتعال، بئس العبد عبد غفل و سهى و نسي المقابر و البلى، بئس العبد عبد عتا و بغى و نسي المبدأ و المنتهى.

و قال أبو هريره قال النبي صلّى الله عليه و آله: يحشر الجيّارون و المتكبرون يوم القيامة في صور الذر تطوهم الناس لهوانهم على الله تعالى.

و عن محمّد بن واسع قال: دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له: يا بلال إنّ أباك حدّثني عن أبيه عن النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال: إنّ في جهنم واديا يقال له هبهب حقّ على الله أن يسكنه كلّ جبار فإياك يا بلال أن تكون ممّن يسكنه.

الثاني في حقيقه الكبر و ماهيته

و هو الانتفاخ و التعزّز الحاصل من استعظام النفس و استحقار الغير،

و بعبارة اخرى هو أن يرى نفسه فوق غيره في صفات الكمال فيحصل من ذلك فيه نفخه و اهتزاز و تلك النفخه هي الكبر، و لذلك قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْخَةِ الْكِبْرِيَاءِ، وَ هَذِهِ الْحَالَةُ إِذَا حَصَلَتْ فِي النَّفْسِ اقْتَضَتْ أَعْمَالَ- فِي الظَّاهِرِ تَصَدَّرَ عَنِ الْجَوَارِحِ هِيَ ثَمَرَاتُ تِلْكَ الْخِصْلَةِ الرَّذِيلَةِ، فَالْكِبْرُ هِيَ الْحَالَةُ النَّفْسَانِيَّةُ وَ الْخَلْقُ الْبَاطِنِيُّ، وَ ثَمَرَاتُ تِلْكَ الْخِصْلَةِ وَ آثَارُهَا فِي الظَّاهِرِ تَسْمَى تَكْبِرًا كَالْتَرَفُّعِ فِي الْمَجَالِسِ وَ التَّقَدُّمِ عَلَى الْغَيْرِ وَ تَوْقِعِ السَّلَامِ وَ النَّظَرَ بَعَيْنِ التَّحْقِيرِ، فَانْ حَاجٌّ أَوْ نَاطِرٌ أَنْفٌ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ، وَ إِنْ وَعَظَ اسْتَنَكَفَ مِنْ قَبُولِ الْحَقِّ، وَ إِنْ وَعَظَ أَعْنَفَ فِي النَّصِيحِ، وَ إِنْ رَدَّ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ قَوْلِهِ غَضَبٌ، وَ إِنْ عَلَّمَ لَمْ يَرْفُقْ بِالْمُتَعَلِّمِينَ وَ اسْتَدَلَّ لَهُمْ وَ امْتَنَّنَ عَلَيْهِمْ، وَ إِنْ نَظَرَ إِلَى الْعَامَّةِ نَظَرَ إِلَيْهِمْ بَعَيْنِ الْاِحْتِقَارِ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى الْحَمِيرِ اسْتِجْهَالًا لَهُمْ وَ اسْتِحْقَارًا.

الثالث في المتكبر عليه

و الفرق بين الكبر و العجب بذلك، فإنَّ العجب لا- يستدعى غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان إلا- وحده يمكن أن يكون معجبا، بخلاف الكبر فإنه يتوقَّف على أن يكون هنا غير فيرى نفسه فوق هذا الغير في صفات الكمال، و ذلك الغير هو المتكبر عليه، و ينقسم الكبر باعتبار المتكبر عليه إلى ثلاثة أقسام:

القسم الاول

التكبر على الله سبحانه

و هو من أفحش أنواع الكبر و أفبَحها و أوبقها، و لا منشأ له إلا محض الجهل و الحمق و الطغيان، و ذلك مثل ما كان في نمرود حيث كان يحدث نفسه بأنه يقاتل ربَّ السَّماءِ، و في فرعون حيث قال أنا ربَّكم الأعلى و في شَدَادِ حيث بنى إرم ذات العماد، و نحو ذلك ممَّا صدر عن المدَّعين للرَّبوبيَّةِ و المترفِّعين عن درجه العبودية، «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَ مَا الرَّحْمَنُ »

«أَنْسُجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا».

القسم الثاني

التكبر على الأنبياء والرسل والأوصياء عليهم السلام

من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس، وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمه الجهل بكبره وهو ظان أنه محق فيه، وتارة يمنع مع المعرفة ولكن نفسه لا تطاوع الانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله عن قولهم: «مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ» وقوله: «إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا» «وَلَيْسَ أَطْعَمُكُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ».

وقال سبحانه فيما اخبر عن كفار قريش في رسول الله: «وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا» استبعدوا أن يكون من يأكل الطعام ويطلب المعاش في الأسواق رسولا- مطاعا واستحقروه لفقره حتى تمنوا له الكنز لينفق منه ويستغنى به عن الناس وتمنوا له البستان ليأكل من ثمارها.

وأخبر عنهم أيضا بقوله: «وَقَالُوا لَوْلَا نُنزِّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ» يعنون بالقريتين مكة والطائف وبالرجل العظيم الوليد بن المغيرة من مكة وأبا مسعود عروه بن مسعود الثقفي من الطائف، وانما قالوا ذلك لأن الرجلين كانا عظيمي قومهما ذوى الأموال الجسيمة فزعموا أن من كان كذلك أولى بالنبوة من غلام يتيم لا- مال له فرد الله عليهم بقوله: «أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ» أى النبوة بين الخلق يعنى أ بأيديهم مفاتيح الرسالة يضعونها حيث شاءوا، بل هى بيد الله سبحانه يعطيها من يشاء.

ومن هذا القسم تكبر المتخلفين على أمير المؤمنين عليه السلام وتكبر امراء بنى اميه و بنى مروان و بنى العباس لعنهم الله أجمعين على أئمة الدين.

التكبر على العباد

، و ذلك بأن يستعظم نفسه و يستحقر غيره، فيدعوه ذلك إلى الترفع عليه و يأباه عن الانقياد إليه و هذا أيضا قبيح من وجهين:

أحدهما أنّ الكبر و العزّ و العظمة و الجلال لا يليق إلا بالملك القادر المتعال فمن أين يليق هذا الوصف بالعبد الضعيف الدليل المهين، فمتى تكبر فقد نازع الله في جلاله و انتحل وصف كماله، و ما أشدّ جرئته على مولاه، و ما أقبح ما ادّعا و تعاطاه، و لذلك قال عزّ من قائل: العظمة ازارى و الكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته، أراد أنّهما مختصّان بي اختصاص الازار و الرداء و المنازع فيهما منازع في الصّفه المخصوصه بي.

و ثانيهما أنّه ربما يدعو إلى مخالفه أمر الله و نهيّه، لأنّ المتكبر إذا سمع الحقّ من أحد استنكف من قبوله، و لذلك ترى اكثر المناظرين في المسائل العلميه يزعمون أنّهم يتباحثون للافاده و الاستفاده فمهما اتّضح الحقّ على لسان واحد منهم أنف الآخر من قبوله و ركب مركب العصبية و العناد، و يتجادد تجاحد المنكر، و يحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس، لئلا يظهر للناس مغلوبيته، و من ذلك كان علماء الآخرة يتجنّبون عن المناظره في المجالس.

و قد روى السيّد المحدّث الجزائري أنّ المولى الصّالح العالم عبد الله التستري كان إذا سأل مولانا المقدّس الأردبيلي عطر الله مرقده عن مسأله و تكلم فيها سكت الأردبيلي في أثناء الكلام، و قال حتّى اراجعها في الكتب، ثم أخذ بيد التستري و يخرجان من النّجف الأشرف إلى خارج البلد فاذا انفردوا قال المولى الأردبيلي: هات يا أخي تلك المسأله فيتكلم فيها و يحقّقها الأردبيلي على ما يريد المولى التستري، فسأله و قال يا أخي هذا التحقيق هلاّ- تكلمت به هناك حيث ما سألتك؟ فقال: إنّ كلامنا كان بين الناس و عسى أن يكون فيه تنافس و طلب الظفر منك أو منّي و الآن لا أحد معنا سوى الله سبحانه.

و كيف كان فهذا الخلق من أخلاق الكافرين و المنافقين الذين حكى الله عنهم

بقوله: « وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ » فكلّ من يناظر للافحام و الغلبه لا يغتنم الحقّ إذا ظفر به فقد شاركهم فى هذا الخلق و تبعهم عليه.

و أول من صدر عنه التّكبر على أمر الله تعالى هو ابليس اللّعين حيث إنّهُ لما دعى إلى السّجود لآدم عليه السّلام قال: أنا خير منه خلقتنى من نار و خلقتهُ من طين، فحملهُ الكبر على الاباء من السّجود الذى أمرهُ الله به، و كان مبدؤهُ الكبر على آدم و الحسد له فجّره ذلك إلى التّكبر على أمر الله فكان ذلك سبب الطّرد و الابعاد، و اهلاكه أبد الآباد.

الرابع فى ما به التّكبر

فاعلم أنّ أسباب الكبر سبعة:

الاول العلم

و ما أسرع الكبر إلى العلماء و لذلك قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم آفه العلم الخيلاء فلا يلبث العالم أن يتعزّز بعزّ العلم و يستشعر فى نفسه جمال العلم و كماله و يستعظم نفسه و يستحقّر الناس و يستجهل و يتوقّع أن يبدءوه بالسّلام، فان بدء واحدا منهم بالسّلام أو ردّ عليه ببشر أو قام له أو أجاب له دعوه يمتنّ به عليه و رأى ذلك صنيعه عنده و اعتقد أنّه أكرمه و فعل به ما لا يستحقّه.

و السّبب لكبره هو خوضه فى تحصيل العلوم و هو ردّى النّفس خبيث الدّخلة سيّء الأخلاق فأنه لم يشتغل أوّلا بتهديب نفسه و تزكيه قلبه بالمجاهدات و الرياضات فبقى خبث الجوهر فاذا خاض فى العلم أى علم كان صادف العلم من قبله منزلا خبيثا فلم يطب ثمره و لم يظهر فى الخير أثره.

و لذلك قال عيسى بن مريم عليه السّلام: بالتّواضع تعمر الحكمة لا بالتّكبر و كذلك فى السّهل ينبت الزرع لا فى الجبل.

و قال وهب: العلم كالغيث ينزل من السّماء حلوا صافيا فتشربه الأشجار

بعروقتها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المرّ مراره و الحلو حلاوه، فكذلك العلم يحفظه الرّجال فتحوله على قدر هممها و أهوائها فيزيد المتكبر كبرا و المتواضع تواضعا، لأنّ من كان همّته الكبر و هو جاهل إذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا، و إذا كان الرّجل خائفا مع جهله و ازداد علما علم أنّ الحجّه قد تأكّدت في حقّه فيزداد خوفا و إشفاقا و ذلّا و تواضعا.

الثاني العمل و العباده

و كثيرا ما ترى العباده و الزّهاد يترشّح الكبر منهم على غيرهم بسبب زعمهم أنّهم ناجون و النّاس هالكون فيرى نفسه ناجيا و هو الهالك حقيقه، و لذلك قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: إذا سمعتم الرّجل يقول هلك النّاس فهو أهلكهم

الثالث النّسب

فترى من له نسب شريف يتكبر على من ليس له ذلك النّسب.

الرابع التفاخر بالحسن و الجمال

و ذلك أكثر ما يجرى بين النّسوان.

الخامس الثروه و المال

و ذلك يجرى بين الملوّك في خزائنهم و بين التجار في بضائعهم و بين الدّهاقين في أراضيهم و بين المتجملين في لباسهم و خيولهم و مراكبهم فيستحقر الغنى الفقير و يتكبر عليه.

السادس القوّه و شدّه البطش

فيتكبر بها على أهل الضّعف.

السابع الملك و السّلطنه و كثره الأتباع و الخدم و الجنود و الجيوش

، و ذلك يجرى بين الملوّك في الافتخار بكثره العساكر و الرعيّه و الخدم، و بالجملة فكلّ ما هو نعمه و أمكن أن يعتقد كمالا و إن لم يكن كمالا في نفسه أمكن أن يتكبر به حتّى أنّ المخنّث ليتكبر على أقرانه بزياده معرفته و قدرته في صنعه المخنّثين، لأنّه يرى ذلك كمالا يفتخر به، و إن لم يكن فعله إلّا نكالا، و كذلك الفاسق قد يفتخر بكثره الشّرب و الفجور و يتكبر به لزعمه أنّ

ذلك كمال و إن كان خزيا و وباللا و نکالا.

ص: ۸۸

فاعلم وَّفَقَّكَ اللهُ تعالى وَّ أَلْهَمَكَ الْخَيْرَ أَنَّ الْكِبَرَ مِنْ أَعْظَمِ الْمَهْلَكَاتِ، وَقَلَّمَا يَنْفَكُ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ أَحَدٌ وَ إِزَالَتُهُ فَرَضٌ عَلَى عَيْنٍ وَ لَا يَزُولُ بِمَجْرَدِ التَّمَنَّى بَلْ بِالْمَعَالِجَةِ وَ اسْتِعْمَالِ الْأَدْوِيَةِ الْقَامِعَةِ لَهُ، وَ عِلَاجِهِ أَنْمَا يَحْصُلُ بِأُمُورٍ أَرْبَعَةٍ:

الأول معرفة الرَّبِّ تعالى الثانى معرفة النَّفْسِ الثالث معرفة الغرض الدَّاعى إلى خَلْقَتِهِ الرَّابِع معرفة المفاصد المترتبه على الكبر.

أما الأول

فَإِنَّ مِنْ عَرَفَ رَبَّهُ وَ أَنَّهُ الْقَادِرُ الَّذِى لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَ الْقَوِىُّ الَّذِى لَا يَضْعَفُهُ شَيْءٌ، وَ الْأَزَلِىُّ الَّذِى لَيْسَ لَهُ بَدَاءٌ، وَ الدَّائِمُ الْقَيُّومُ بِأَمْرِ الْأَشْيَاءِ، وَ الْفَعَّالُ لِمَا يَرِيدُ أَوْ يَشَاءُ، وَ الْمُمْسِكُ لِلسَّمَوَاتِ وَ الْأَرْضِ مِنَ الزَّوَالِ، وَ الْمَسْتَوْلَى عَلَى الْخَلَائِقِ فِي كُلِّ حَالٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صِفَاتِهِ الْحَسَنَى وَ أَمْثَالِهِ الْعُلْيَا عَرَفَ أَنَّ الْعِزَّ وَ الْعِظَمَةَ وَ الْجَلَالَ وَ الْجَمَالَ وَ الْجَبْرُوتَ وَ الْكِبْرِيَاءَ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِجَنَابِهِ، وَ أَنَّهَا إِزَارَةٌ وَ رِدَاءٌ، وَ أَنَّ غَيْرَهُ مَقْهُورٌ تَحْتَ قُدْرَتِهِ، ضَعِيفٌ تَحْتَ قُوَّتِهِ، مَسْخَرٌ تَحْتَ إِرَادَتِهِ، مَنْقَادٌ لِمَشِيَّتِهِ ذَلِيلٌ مَهِينٌ مُسْتَكِينٌ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَ لَا ضَرًّا وَ لَا مَوْتًا وَ لَا حَيَاتًا وَ لَا نَشُورًا.

و اما الثانى

فقد أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله: ابن آدم أتى لك والفخر فان أولك جيفه و آخرك جيفه و فى الدنيا حامل الجيف، و نشرح حال هذه الجيف فانها ليست كجيف الحيوانات.

أما الجيفه الأولى و هى المنى فقد أوجب الشارع الغسل بخروجها من الانسان و أغلظ نجاسته حتى فهم بعض الأصحاب من تغليظه وجوب تطهير الثياب و البدن منه مرتين كما فى البول.

و اما الجيفه الاخيريه فانه بعدد هوق روحه يكون ميته أخبث و أنجس و أوحش من ميته الكلب و الخنزير، و ذلك لأن مس ميته الكلب بالزطوبه لا- يوجب إلا- غسل اليد و تطهيرها بخلاف مس ميته الانسان فقد أوجب الشارع فيه مضافا إلى تطهير الملقى غسل المس مبالغه فى خبث جيفته و قذارته، و ترى الأحياء أوحشوا جانب الميت و تجنبوا عنه و خافوا منه و لا يخافون من ميته سائر الحيوانات و لا يستوحشون منها و اما كونه حامل الجيف فهو أظهر من أن يذكر لأنه أخس من جمار يحمل العذره، لأن الحمار يحملها اضطرارا و بالاجبار و الانسان يحملها بالرضا، و الاختيار و هو يحملها على الظهر و هذا على البطن، و إلى هذه الحالات الثلاث و ما بعدها اشير فى قوله سبحانه: «قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ» فقد أشارت الآية إلى أول خلق الانسان و إلى آخر أمره و إلى وسطه، فليفهم معناها و ليتفكر فى مغزاها.

فقد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا، و قد كان فى حيز العدم و أى شىء أخس و أقل من المحو و العدم، فبدء الله بخلقه من أرذل الأشياء ثم من أفذرها إذ خلقه من سلاله من طين ثم من ماء مهين ثم من علقه ثم من مضغه ثم جعله عظاما فكسى العظام لحما، فهذا بدايه وجوده.

و ما صار شيئا مذكورا إلا و هو على أخس الأوصاف و أرذلها إذ لم يخلق كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع و لا يبصر و لا يحس و لا يشعر و لا ينطق و لا يبطنش و لا يدرك و لا يفهم و لا يميز و لا يعلم فبدء بموته قبل حياته، و بضعفه قبل قوته، و بعجزه قبل قدرته، و بجهله قبل علمه، و بعماه قبل بصره، و بصممه قبل سمعه، و ببيكمه قبل نطقه، و بضلاله قبل هداه، و فقره قبل غناه.

فهذا معنى قوله «مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ» ثم امتن عليه فقال:

«ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ» أى يسر له سبيل الخير و الشر و أرشده إلى طريق الضلال و الهدى يسلك الأول و يترك الثانى كما قال: «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا» و قال: «وَ هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ».

فانظر إلى عظم ما أنعم الله سبحانه به عليه حيث نقله من حاله الدَّله والقَله والخسَه والقذاره إلى رتبه العزّ والشرف والرَّحمه و الكرامه، فصار موجودا بعد العدم، وحيّا بعد الموت، وناطقا بعد البكم، و بصيرا بعد العمى، و قويا بعد الضعف و عالما بعد الجهل، و مهديّا بعد الضلال، فكان في ذاته لا شيء و أى شيء أخسّ و أحقر من لا شيء، و أى قلّه أقلّ من العدم المحض، ثم صار بالله شيئا و إنّما خلقه من التراب الدليل الذى يوطأ بالأقدام، و النطفه القدره ليعرفه حسّه نفسه و مهانه ذاته، و أكمل النعمه عليه ليعرف بها ربّه، و يعلم عظمه بارئه و جلاله مبدئه و أنّه لا يليق الكبرياء و الجلال إلاّ بحضره ربوبيّته.

فمن كان هذا بدؤه و هذا حاله كيف يسوغ له البطر و الكبر و الخيلاء و الفخر نعم هذه عادته الخسيس إذا رفع من خسيّته شمشخ بأنفه و تعظّم.

و لو أكمله و فوّض إليه اموره و أدام له الوجود باختياره لكان أكثر من ذلك يطغى و نسى المبدأ و المنتهى، و لكنّه سلط عليه فى دوام وجوده الأمراض الهائله و الأسقام العظيمه، و الآلام المختلفه، و الطّباع المتضادّه من الصّيفراء و السّوداء و البلغم و الدّم يهدم بعضها بعضا شاء أم أبى، رضى أم سخط، فيجوع كرها، و يعطش كرها، و يمرض كرها، و يموت كرها، لا يملك لنفسه خيرا و لا شرّا و لا نفعا و لا ضرّا، يريد أن يعلم الشىء فيجهله، و يريد أن يذكر الشىء فينساه، و يريد أن ينسى الشىء و يغفل عنه فلا يغفل عنه، و يريد أن يصرف قلبه إلى ما يهّمه فيحول فى أوديه الوسوس و الأفكار بالاضطرار فلا تملك قلبه و لا نفسه نفسه، و يشتهى الشىء فربما يكون هلا-كه فيه، و يكره الشىء و ربّما يكون حياته فيه، يستلذّ الأطمعه و هى تهلكه و ترديه، و يستبشع الأدويه و هى تنفعه و تحييه، و لا يأمن فى لحظه من ليله و لا نهاره أن يسلب سمعه و بصره و تفلج أعضائه و يختلس عقله و يختطف و يسلب جميع ما يهواه فى دنياه، فهو مضطّر ذليل إن ترك بقى و إن اختطف فنى، عبد مملوك لا يقدر على شىء من نفسه و لا على شىء من غيره، فأى شىء أذلّ منه لو عرف نفسه و أنّى يليق الكبر لو لا جهله، فهذا أوسط أحواله

و أمّا آخره فهو الموت المشار إليه بقوله: «ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ» و معناه أنه يسلب روحه و سمعه و بصره و علمه و قدرته و حسّه و إدراكه و حركته فيعود جمادا كما كان أوّل مرّه، لا- يبقى إلّا- شكل أعضائه و صورته، لا- حسّ فيه و لا حركه، ثمّ يوضع في التراب فيصير جيفه منتنه قدره كما كان في الأوّل نطفه مذرّه.

ثمّ تبلى أعضاؤه، و تتفتت أجزاءه، و تنخرّ عظامه، و تصير رميما رفاتا، و يأكل الدود أجزاءه فيبتدىء بحدقتيه فيقلعهما، و بخديّه فيقطعهما، و بسائر أجزائه فيصير روّثا في أجواف الدّيدان، و يكون جيفه يهرب منه الحيوان، و يتنفّر منه كلّ انسان، و يكرهه لشدّه الانتان، و أحسن أحواله أن يعود إلى ما كان، فيصير ترابا يعمل منه الكيزان، و يعمر منه البنيان، فيصير مفقودا بعد ما كان موجودا و صار كأن لم يغن بالأمس حصيدا، كما كان في أوّل أمره أمدا مديدا.

و ليته بقى كذلك، و يأمن ممّا يتلوه من المعاطب و المهالك، فما أحسنه لو ترك ترابا لابل يحييه بعد طول البلى ليقاسى شدّه البلاء، و إليه أشار بقوله:

«ثمّ إذا شاء أنشره» فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه المتفرّقه، و أعضائه المتفتّته، و يسرع إلى أهوال القيامة، فينظر إلى قيامه قائمه و سماء مشقّقه، و أرض مبدّله و جبال مسيرّه، و نجوم منكدره، و شمس منكسفه. و أحوال مظلمه و كثره عرق ملجمه، و ملائكه غلاظ شداد، و أهوال تتفتّت منها الأكباد.

و يرى الصّحائف منشوره فيقال له: «اقْرَأْ كِتَابَيْكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا» فيقرأ فيه مساويه التي كان افتخاره بها، و استكباره بأسبابها، فعند ذلك يقول: «يا وَيْلَتْنَا ما لِهَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَ لا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا» فيقال له: هلّم إلى الحساب و استعدّ للجواب أو تصير إلى أليم العذاب فينقطع قلبه من قول ذلك الخطاب.

فما لمن هذا حاله و التكبر و التعزز و الكبرياء و الخيلاء، بل ماله و للفرح في لحظه واحده فضلا عن البطر و الأشر مدّه متماديه، و لو ظهر آخره و العياذ بالله أحبّ أن يكون ترابا، و لا يكون إنسانا يسمع خطابا، و لا يشاهد الجحيم له ما با

و لو رأى أهل الدنيا العبد المذنب فى النار لصعقوا من وحشه خلقته و قبح صورته، و لو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه، و لو وقعت قطره من شرايه فى بحار الدنيا لصارت أشد عفونه من الجيفه.

فمن هذا حاله فى العاقبه كيف يفرح و يبطر، و كيف يتجبر و يتكبر، و كيف يرى نفسه شيئاً، و يعتقد له فضلاً، و أى عبد لم يذنب ذنباً استحق به العقوبه إلا أن يعفو له الكريم بفضله، و يغفره باحسانه و منه.

أ رأيت من جنى على ملك قاهر قادر، و استحق بجنايته القتل أو السياسه فجلس فى السجن و هو ينتظر أن يخرج إلى العرض و يقام عليه العقوبه على ملاء من الخلق، و ليس يدري أ يعفى عنه أم يعاقب، كيف يكون ذله، أفترى أنه يتكبر على من فى السجن، و ما من عبد مذنب إلا و الدنيا سجنه، و قد استحق العقوبه من الله و لا يدري كيف يكون آخر أمره فيكفيه لو تفكر ذلك حزناً و خوفاً و إشفاقاً و مهانه و ذلاً.

و أما الثالث

فاعلم أن الغرض من خلقه الانسان هو العبوديه و الاطاعه، قال تعالى: «و ما خلقت الجنّ و الإنس إلا ليعبدون» فاذا لا فضل لأحد أفراد هذا النوع على الآخر إلا بحصول ذلك الغرض منه أعنى القيام بوظائف العبوديه، و به يترقى إلى درجات الكمال، و يتقرب إلى الرب المتعال، و يكرم عنده كما قال عز من قائل:

«يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ.»

يعنى إن أكثركم عند الله ثواباً و أرفعكم عند الله منزله أتقيكم لمعاصيه و أعملكم بطاعته.

روى الطبرسى فى مجمع البيان فى وجه نزول الآيه أن ثابت بن قيس بن شماس كان فى اذنه و قر، و كان إذا دخل تفسّحوا له حتى يقعد عند النبى صلى الله عليه و آله فيسمع

ما يقول، فدخل المسجد يوما و الناس قد فرغوا من الصلاه و أخذوا مكانهم، فجعل يتخطى رقاب الناس و يقول: تفسحوا، حتى انتهى إلى رجل، فقال له: اصبت مجلسا فاجلس، فجلس خلفه مغضبا، فلما انجلت الظلمة قال: من هذا؟ قال الرجل: أنا فلان، فقال ثابت: ابن فلانه؟ ذكر أمّا له كان يعير بها في الجاهليّه فنكس الرجل رأسه حياء فقال صلوات الله و سلامه عليه و آله: من الذّاكر فلانه؟ فقام ثابت فقال: أنا يا رسول الله، فقال: انظر في وجوه القوم، فنظر إليهم، فقال: ما رأيت يا ثابت؟ قال: رأيت أبيض و أحمر و أسود، قال فانك لا تفضلهم إلا بالتقوى و الدّين فنزلت هذه الآيه.

و قيل لما كان يوم فتح مكّه أمر رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بلالا حتى علا ظهر الكعبه و أذن، فقال عتاب بن اسيد: الحمد لله الذى قبض أبى حتى لم ير هذا اليوم، و قال الحارث بن هشام: أما وجد محمّد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا، و قال سهيل بن عمر: ان يرد الله شيئا لغيره، و قال أبو سفيان: إنى لا أقول شيئا أخاف أن يخبره به ربّ السّموات، فأتى جبرئيل رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فأخبره بما قالوا فدعاهم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و سألهم عمّا قالوا فأقرّوا به، و نزلت الآيه و زجرهم عن التفاخر بالأنساب و الازراء بالفقر و التكاثر بالأموال.

فقد ظهر بذلك أنّ جهه الفضل في أفراد النوع الانسانى منحصره في الورع و التقوى فقط.

و يدلّ عليه أيضا ما روى أنّ رجلا سأل عيسى بن مريم أىّ الناس أفضل فأخذ قبضتين من التراب فقال: أىّ هاتين أفضل، الناس خلقوا من تراب، فأكرمهم أتقيهم.

و كان أمير المؤمنين عليه السّلام لما عوتب على التّسويه في العطاء و عدم التّفضيل لاولى السابقات و الشّرف من المهاجرين و الأنصار على غيرهم، و اعترض عليه بعدم ترجيح المولى على العبيد و عدم التّفرقه بين الأبيض و الأسود أجاب عليه السّلام بقوله: إنى نظرت في كتاب الله فلم أجد لولد إسماعيل على ولد إسحاق فضلا.

و كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ صعد المنبر يوماً وَ ذكر ما كانوا يتفاخرون وَ يتكبرون به فى الجاهليَّة، فقال: إِنَّه موضوع تحت قدمى إلى يوم القيامة وَ لم ينزل من المنبر حتى زوَّج بنت عمته صفية ابنة عبد المطلب من المقداد مع كونه من أفقر النَّاس حالاً وَ أقلهم مالاً.

وَ قد سَوَّى بينهم أيضاً فى أعظم الأمور وَ أهمها وَ هو أمر الدِّماء فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ:

المسلمون اخوه تتكافأ دماؤهم وَ يسعى بذمتهم أدناهم.

فاذا كان دم السُّلطان مساوياً لدم الكنَّاس فأىّ مزيَّة له عليه.

فقد علم بذلك أن لا- تفضيل فى غير الورع وَ التَّقوى وَ الدِّين وَ أنه لا يجوز الافتخار وَ التفاخر به بل لا يجوز التفاخر بالتقوى أيضاً وَ لا ينبغي المباهاة به.

وَ يؤمى إليه ما رواه الطبرسى عن ابن عباس قال قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: إِنَّ الله عزَّ وَ جلَّ جعل الخلق قسمين: فجعلنى فى خيرهم وَ ذلك قوله: وَ أصحاب اليمين وَ أصحاب الشَّمال فأنا من أصحاب اليمين وَ أنا خير أصحاب اليمين، ثمَّ جعل القسمين أثلاثاً فجعلنى فى خيرها ثلثاً وَ ذلك قوله وَ أصحاب الميمنة وَ أصحاب المشئمة وَ السابقون السابقون، فأنا من السابقين وَ أنا خير السابقين، ثمَّ جعل الأثلاث قبائل فجعلنى فى خيرها قبيلة وَ ذلك قوله: «وَ جَعَلْنَاكُمْ شُجُوباً وَ قَبَائِلَ» الآيه، فأنا أتقى ولد آدم وَ لا- فخر وَ أكرمهم على الله وَ لا- فخر ثمَّ جعل القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتاً وَ ذلك قوله عزَّ وَ جلَّ: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» فأنا وَ أهل بيتى مطهَّرون من الذُّنوب فإنَّ غرضه بذلك بيان شأنه للناس لا التفاخر، وَ لهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فى المقامين:

وَ لا فخر، فبالغ فى نفيه بلاء النافية للجنس.

وَ الى هذا المعنى ينظر ما جاء فى الحديث من أنّ الله سبحانه أوحى الى موسى اذا جئت للمناجاة فاصحب معك من تكون خيراً منه، فجعل موسى عليه السَّلام لا- يعترض أحداً وَ هو لا- يجسر أن يقول إنى خير منه، فنزل عن الناس وَ شرع فى أصناف الحيوانات حتى مرَّ بكلب أجرب فقال: أصحاب هذا، فجعل فى عنقه حبلاً ثمَّ مرَّ به، فلما كان به فى بعض الطريق شمّر الجبل وَ أرسله، فلما جاء إلى مناجاة الرِّبِّ سبحانه

قال تعالى: يا موسى أين ما أمرتك به؟ قال: يا رب لم أجده، فقال تعالى: و عزّتي و جلالتي لو أتيتني بأحد لمحوّتك من ديوان النبوه.

فاذا كان مثل موسى مع كونه نبيا أولى العزم و أفضل أهل زمانه كما هو اعتقادنا في الأنبياء و الرّسل لم يجسر أن يقول لأحد من آحاد الناس و لفرد من أفراد الحيوان حتّى الكلب الأجرّب أنا خير منه فكيف لغيره.

و أى معنى للتعزّز و التكبر و التّفاخر على عباد الله و قد قال الله: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ» مع أنّ الامور التي يتكبر المتكبر بها على غيره و يزعمها كمالا لنفسه ليست كمالا ذاتيا في الحقيقه، و لا تليق أن يتعزّز بها.

لان المتكبر به ان كان النسب فيه أنّ التكبر إن كان بالنسب البعيد «ففيه أن النسب البعيد ظ» لكلّ إنسان هو الماء و الطين لا تفاوت بين أفراده من هذه الجبهه كما لا تفاوت بينهم في الجدّ و الجدّه قال أمير المؤمنين عليه السّلام في الديوان المنسوب إليه:

النّاس من جهه التّمثال أكفاء أبوهم آدم و الامّ حوّاء

و إن يكن لهم في أصلهم شرف يفاخرون به فالطين و الماء

و إن كان بالنسب القريب ففيه أنّه إذا كان خسيسا في ذاته ذميما في صفاته فلا يجبر نقصانه كمال آباءه و أسلافه قال الشاعر:

لئن فخرت بآباء ذوى شرف لقد صدقت و لكن بئس ما ولدوا

و قال آخر:

كن ابن من شئت و اكتسب أدبا يغنيك مضمونه من النسب

إنّ الفتى من يقول ها أنا ذا ليس الفتى من يقول كان أبى

على أنّ التعزّز بالنسب تعزّز بكمال غيره و لا ينفعه ذلك في الدّنيا و لا في العقبى، و لذلك كان أمير المؤمنين عليه السّلام يقول بعد تلاوه «ألهاكم التّكاثُر حتّى»

«زُرْتُمْ الْمَقَابِرَ»: أقبصارع آبائهم يفخرون، أم بعديد الهلكى يتكاثرون، إلى آخر ما يأتى فى الكلام المأتين و التاسع عشر، و قال سلمان (رض):

أبى الاسلام لا أب لى سواه إذا افتخروا بقیس أو تمیم

و قال صاحب بن عبّاد:

لعمرك ما الانسان إلا بدینه فلا تترك التقوى اتكالا على نسب

لقد رفع الاسلام سلمان فارس و قد وضع الشرك الشريف أبا لهب

ألا- ترى إلى ابن نوح فإنه مع كونه ابن نبى مرسل من اولى العزم ما نجاه ذلك النسب الشريف و لا نفعه، بل كان من المغرقين، و فى جهنم من الخالدين، «و نادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي و إن وعيدك الحق و أنت أحكّم الحاكمين قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا- تشين ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين» فلم يستجب فيه دعوته و نفى عنه بنوته لمخالفته لأبيه و عصيانه له.

و روى عن سيد الساجدين عليه السلام أنه قال: إنما خلقت النار لمن عصى الله و لو كان سيّدا قرشيا، و الجته لمن أطاع الله و لو كان عبدا حبشيا.

و ناهيك فى المنع من التكبر بالنسب قوله عز من قائل: «فإذا نفتح فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ و لا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون و من خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون»،

بل أقول: إنه إذا كان البناء على افتخاره بأصله و نسبه القريب فليفتخر بأقرب اصوله و أنسابه و هو النطفه القدره و الدوده التى خرجت من مبال أبيه، فأين الافتخار بالدوده و أنى التعرّز بالعلقه و المضغه.

قال سبحانه: «و لقد خلقنا الإنسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفه فى قرار مكين ثم خلقنا النطفه علقه فخلقنا العلقه مضغه» فالأصل تراب يوطأ بالأقدام، و الفصل نجس تغسل منه الأبدان فمن كان هذا أصله و فصله كيف يسوغ له التكبر بالأنام، و لنعم ما قيل:

يا ابن التراب و ماكول التراب غدا أقصر فإنك ماكول و مشروب

و أما العلم فهو إنما يكون كمالاً إذا أوجب ارتفاع درجه العالم و قربه من الله سبحانه، و إلا فالجهل منه أفضل البتة، و قد مضى في شرح الفصل الثاني من الخطبه السادسة و الثمانين ما فيه كفايه في ذم العلماء السوء.

و أقول هنا مضافاً إلى ما سبق: من أنّ العالم مهما خطر بخاطره عظم قدره بالاضافه إلى الجاهل فليتكبر في الخطر العظيم الذي هو بصدده، فإنّ خطره أعظم من خطر غيره كما أنّ قدره أعظم من قدر غيره، فقد يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد، و ذلك لمكان علمه.

و قد ضرب الله مثلاً للعالم العامل بغيره تاره بالحمار فقال: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً» و أخرى بالكلب فقال: «وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَى لَخٍ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ » إلى قوله «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ » نزلت في بلعم بن باعور فقد اوتى اسم الأعظم و قال ابن عباس اوتى كتاباً فأخلد إلى شهوات الأرض أى سكن حبه إليها فمثله بالكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث أى سواء أتيتك الحكمة أو لم اوتك لا يدع شهوته.

و يكفى العالم هذا الخطر فبعد معرفته بأنّ الكبر لا يليق إلا بذات الله سبحانه و أنّه مختصّ به و علمه بأنّه إذا تكبر يصير ممقوتاً عنده تعالى بغضاً اليه محروماً من قربته، و بأنّ المطلوب منه الدّل و التواضع و هو موجب لمحبته تعالى، فلا بدّ أن يكلف نفسه ما يحبه مولاه و ما فيه رضاه، فهذا يزيل التكبر عن قلبه.

و يمكن ازالته أيضاً بالتفكر في امور ثلاثه.

أحدها أن يلتفت إلى ما سبق من ذنوبه و خطايا حتى يصغر قدره في عينه.

الثاني أن يلاحظ لما هو فيه من وصف العلم من حيث انه نعمه من الله سبحانه في حقه فيرى ذلك منه تعالى حتى لا يعجب بنفسه، و إذا لم يعجب لم يتكبر.

الثالث ملاحظه سوء الخاتمه فربما يمكن أن يختم عاقبته بالسوء و عاقبه المتكبر عليه بالحسنى حتى يشغله الخوف عن التكبر عليه.

و أما الحسن و الجمال فما أعجب التكبر به مع كونه سريع الزوال، و اللازم على المتعزز بجماله أن ينظر إلى قبح باطنه لا إلى حسن ظاهره، فلو لا حظ باطنه رأى فيه من القبائح و الخبائث ما يكدر تعززه، فانه و كل به الأقدار فى جميع أجزاء الرجيع فى امعائه، و البول فى مثانته، و المخاط فى أنفه، و البزاق فى فيه، و الوسخ فى اذنيه، و الدّم فى عروقه، و الصديد تحت بشرته، و يخرج منه فى كل يوم من الأقدار ما يتأذى بنفسه من رؤيته و من فضول ريحه إلى شامته فضلا عن غيره فأنما مثله كالبور المجصّصه يرى ظاهرها مليحا و باطنها قبيحا، و لو ترك نفسه فى حياته يوما لم يتعهدا بالتنظيف و التطهير لشارت منه الأنتان و الأقدار و صار أتن من الدّواب المهمله التى لا تتعهد نفسها قطّ فحسنه كخضراء الدّمن و كالأزهار فى الربيع بينما تعجبها إذ صارت هشيما تذروه الرّياح.

و اما الغنى و كثره المال و فى معناه الملك و السلطنه فلأنه أيضا سريع الزوال و فى معرض الانتقال، بينا تراه غنيا إذ صار فقيرا، أو فقيرا إذ صار غنيا، و ترى المغبوط مرحوما و المرحوم مغبوطا، فما أقبح التكبر بشىء ليس اختياره بيده، و ما أذلّ الغنى إذ انتزع ماله أو اختلسه سارق، و ما أذلّ السّيلطان إذ انتزع من ملكه و غلب عليه فى سلطنته، مع أنّ ما بيد الغنى ليس إلا أقلّ قليل من مال الدّنيا قد كان قبله فى يد غيره و سيصير فى يد آخر، و الدّنيا كلّها عند الله سبحانه لا ترن جناح بعوضه و إلا لما سقى الكافر شربه ماء، و عند نظر أولياء الله أزهّد من عرق خنزير فى يد المجدوم.

فما هذا شأنه لا يليق التعزّز به، و ناهيك فى ذلك الأخبار الوارده فى ذمّ الدّنيا و أكثر خطب أمير المؤمنين عليه السّلام فى هذا الكتاب مسوق لهذا الغرض على أنّ الغنى لو تأمل لوجد فى اليهود و النصارى من يزيد عليه فى الغنى و الثروه و التجمّل، فافّ لشرف يسبقك به الكافر و افّ لشرف يأخذه السارق فى لحظه واحده فيعود صاحبه

و اما القوه و شده البطش فيكفي في المنع من التكبر به أن يعلم ما سَلَطَ عليه من العلل و الأمراض، و أنه لو توجع عرق واحد في يده لصار أعجز من كل عاجز و أذل من كل ذليل، و أنه لو سلبه الذباب شيئاً لم يستنقذه منه، و أن بقه لو دخلت في أنفه أو نمله دخلت في أذنه لقتلته، و أن شوكة لو دخلت في رجله لأعجزته، و أن حمى يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مده، فمن لا يطيق شوكة و لا يقاوم بقه و لا يقدر على أن يدفع عن نفسه ذبابه فلا ينبغي أن يفتخر بقوته.

ثم إن قوى الانسان فلا يكون أقوى من حمار أو بقره أو فيل أو جمل، و أي افتخار في صفه يسبقه فيها البهائم.

و أمّا الزهد و العباده فيزول التكبر بهما على الفاسق بالتفكر في سوء الخاتمه و حسنهما، فربما يموت الفاسق و يختم له بالخير، و يزلّ العابد فيختم له بالشرّ.

ألا- ترى إلى برصيصاء عابد بنى إسرائيل كيف ساءت خاتمته على ما عرفت في شرح الفصل السّـادس من الخطبه الثانيه و الثمانين.

و إلى خليع بنى إسرائيل كيف حسنت عاقبته و كان من قصّته أنه لكثره فساده يسمّى خليع بنى إسرائيل، فمرّ يوماً برجل يقال له عابد بنى إسرائيل، و كان على رأس العابد غمامه تظّله فلما مرّ الخليع به قال الخليع في نفسه: أنا خليع بنى إسرائيل و هذا عابد بنى إسرائيل، فلو جلست إليه لعلّ الله يرحمني، فجلس إليه فقال العابد: أنا عابد بنى إسرائيل و هذا خليع بنى إسرائيل فكيف يجلس إليّ، فأنف منه و قال له: قم عنّي، فأوحى الله إلى نبيّ ذلك الزّمان مرهما فليستأنفا العمل فقد غفرت للخليع و أحبطت عمل العابد، و في روايه اخرى فتحوّلت الغمامه إلى رأس الخليع.

و كيف كان فقد ظهر ممّا ذكرنا أنّ الأمور التي يزعمها المتكبر كمالاً له و يتعزّز بها على غيره ليست كمالاً في الحقيقه، بل هي منقصه و وبال.

و يرشد إلى ما ذكرته ما روى عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم إنّ الله سبحانه أوحى إليه

أن يقول لمن يتعزز بالحسن و الجمال: «تَلْفَحُ وُجُوهُهُمْ النَّارُ»، و لمن يتعزز بالفصاحة:

«الْيَوْمَ نَخِمْ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ»، و لمن يتعزز بالنسب: «فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ»، و لمن يتعزز بالمال و الولد: «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ»، و لمن يتعزز بالقوه:

«عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ»، و لمن يتعزز بالملك: «لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ».

و اما الامر الرابع

أعنى معرفه معايب الكبر و مفساده فنقول: إن هذه الصّفه الخبيثه لا منفعه فيها للمتكبر البته بل هى مضره له فى الدّنيا و الآخره.

أما فى الدنيا فلا يجابها انحطاط درجته عند الخلايق و كراحتهم له و بعدهم عنه فهو لا يحبهم و هم لا يحبونه كما هو مشاهد بالعيان معلوم بالتجربه و الوجدان، و يتلىه الله سبحانه فى أغلب الأوقات بالذّل و الهوان.

و يدلّ عليه ما قدّمنا روايته فى المقام الأوّل عن الكافى عن على بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن بعض أصحابه عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: ما من عبد إلا و فى رأسه حكمه و ملك يمسكها فاذا تكبر قال له: اتّضع وضعك الله فلا يزال أعظم النّاس فى نفسه و أصغر النّاس فى أعين النّاس الحديث.

و قد مثل الصادقان عليهما السّلام الدّنيا بيت سقفه مخفوض، فالداخل إليه لا بدّ من أن يطأ رأسه عند الدّخول و من رفع رأسه تلك الحاله شجّه السّقف و أخرج دمه و رمى بعمامته من فوق رأسه و فضحه بين الاقران الّذين كان يريد الترفع عليهم.

و ناهيك فى التنبيه على عظم ضرره ما رواه فى الكافى عن عدّه من أصحابه عن أحمد بن محمّد بن مدرك بن عبيد عمّن حدّثه عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: إنّ يوسف لما قدم عليه الشّيخ يعقوب عليه السّلام دخله عزّ الملك فلم ينزل إليه فهبط عليه جبرئيل فقال: يا يوسف ابسط راحتك، فخرج منها نور ساطع فصار فى جوّ السّماء، فقال يوسف: يا جبرئيل ما هذا النور الذى خرج من راحتى؟ فقال: نزع النبوه من عقبك عقبه لما لم تنزل إلى الشّيخ يعقوب فلا يكون من عقبك نبى.

و اما فی الآخره فلا یجابها دخول النار و سخط الجبار جلّ جلاله كما یشهد به ما قدّمنا فی المقام الأوّل من الآیات و الأخبار، و ناهیك فی ذلك التذکر بحال ابليس اللّعين فانّه مع كونه خطیب الملائكه و قد عبد الله فی السّماء ستّه آلاف سنه كيف حبط أجره و انحط قدره و حزم الحضرة الرّبوبيّه و الألفاظ الالهيّه و استحقّ مقت الجبار و الخلود فی النار بمحض الانائيّه و الاستكبار على ما یأتی مشروحا فی الخطبه القاصعه و هی المأه و الحادیه و التسعون من المختار فی باب الخطب، و ما التوفیق إلا بالله.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن امام مبین و ولیّ ربّ العالمین است در بیان بعثت حضرت خاتم الانبیاء صلوات الله و سلامه علیه و آله و اشاره بفوائد بعثت می فرماید:

پس مبعوث فرمود خداوند تبارک و تعالی محمّد مصطفی صلی الله علیه و آله را براستی و درستی تا این که خارج نماید بندگان را از عبادت بتان بسوی عبادت پروردگار، و از طاعت شیطان بسوی طاعت حضرت کردگار، با قرآنی که بیان فرمود آنرا و محکم ساخت آنرا تا این که بدانند بندگان پروردگار خودشان را وقتی که جاهل بودند بأو، و تا اقرار کنند بآفریدگار بعد از این که منکر بودند بوحدانیت او، و تا اثبات کنند وجود او را بعد از این که نمی شناختند او را پس ظاهر گردید حق سبحانه و تعالی از برای ایشان در کتاب عزیز خود بدون این که دیده باشند او را به آن چه نمود بایشان از قدرت خود، و ترسانید ایشان را از غضب و سطوت خود، و چه گونه محو و نابود کرد آن کسی را که نابود کرد از قرون ماضیه با عقوبات نازله، و دروید و مستأصل ساخت کسی را که مستأصل نمود با عذابهای هائله.

و بدرستی که زود باشد که بیاید بشما از پس رفتن من بعالم قدس زمانی که نباشد در او چیزی که پنهان تر باشد از حق، و نه آشکارا تر از باطل، و نه بیشتر از دروغ بخدا و رسول او، و نباشد نزد اهل آن زمان متاع کاسدتر از قرآن زمانی که تلاوت شده باشد حقّ تلاوت آن، و نه متاع رایج تر از قرآن زمانی که تغییر داده شود

از مواضع خود، و نباشد در شهرها چیزی که قبیح تر باشد از معروف، و نه چیزی که پسندیده تر باشد از منکر، پس بتحقیق که بیندازند قرآن را حاملان او، و فراموش کنند او را حافظان او، پس قرآن در آن روز و اهل آن منفی و مطرود باشند و دو مصاحب صحبت گیرنده باشند با یکدیگر در یک طریق در حالی که منزل ندهد ایشان را منزل دهنده، پس کتاب و اهل آن در آن زمان در میان مردمان باشند بصورت و آبدان و نباشند در میان ایشان بحسب معنی، و با ایشان باشند ظاهرا و نباشند با ایشان باطنا از جهت این که ضلالت موافقت نمی نماید با هدایت اگر چه مجتمع شوند در یک زمان پس متفق باشند قوم آن روزگار بر جدائی از قرآن، و جدا باشند از جماعت محققه گویا ایشان پیشوایان کتاب عزیزند و کتاب عزیز پیشوای ایشان نیست، پس باقی نماند نزد ایشان از قرآن مگر نام او، و نشناسند مگر خط او را او کتاب او را، و پیش از این است مثله و عقوبت نمودن ایشان بصالحان با هر گونه عقوبت، و تسمیه کردن ایشان راست گوئی صالحان را بر خدای تعالی افترا و بهتان، و گردانیدن ایشان در حسنات عقوبت سیئات را.

و بدرستی که هلاک شدند کسانی که بودند پیش از شما بجهت طول آرزوها و پنهان بودن اجلها تا این که نازل شد بایشان مرگ موعود که رد می شود از او عذر خواهی، و برداشته می شود از او توبه و پشیمانی، و حلول می کند با مصیبت شدید و نعمت ای گروه مردمان هر کسی طلب نصیحت کند از خدای تعالی موفق می شود، و هر کس اخذ نماید فرمایش خدا را دلیل خود هدایت یابد براه راست، پس بدرستی که همسایه خدا ایمن است از عذاب، و دشمن خدا ترسانست از عقاب.

و بدرستی که سزاوار نیست مر کسی را که معرفت رساند بعظمت خدا این که اظهار بزرگی نماید، پس بتحقیق که بلندی مرتبه کسانی که می دانند چیست عظمت و جلال خدا در این است که تواضع نمایند او را، و سلامتی کسانی که می دانند چیست قدرت آفریدگار در این است که انقیاد و اطاعت نمایند بر او، پس نفرت نکنید از حق مثل نفرت صحیح المزاج از کسی که ناخوشی جرب داشته باشد، و مثل نفرت سالم

البدن از صاحب مرض، و بدانید که بدرستی شما نخواهید شناخت طریق حق را تا این که بشناسید آن کسی را که ترک نموده او را، و نمی توانید فراگیرید عهد و پیمان قرآن را مگر این که معرفت رسانید آن کسی را که نقض عهد او را کرده و نمی توانید چنک بزید بقرآن تا این که عارف شوید کسی را که انداخته آن را، پس طلب کنید این را از نزد اهل او، پس بدرستی که ایشان حیات علمند و ممت جهل، ایشان کسانی هستند که خبر می دهد شما را حکم ایشان از علم ایشان، و سکوت ایشان از گفتار ایشان، و ظاهر ایشان از باطن ایشان، مخالف نباشند دین را و اختلاف نمی کنند در او، پس دین در میان ایشان شاهدهی است راست گو، و ساکتی است زبان دار.

و من خطبه له علیه السلام فی ذکر اهل البصره و هی المأه

اشاره

و الثامنه و الاربعون من المختار فی باب الخطب

كلّ واحد منهما يرجو الأمر له، و يعطفه عليه دون صاحبه، لا يمتّان إلى الله بحبل، و لا يمدّان إليه بسبب، كلّ واحد منهما حامل ضبّ لصاحبه، و عمّا قليل يكشف قناعه به، و الله لئن أصابوا المذی يريدون لينترعنّ هذا نفس هذا، و ليأتينّ هذا على هذا، قد قامت الفئه الباغيه، فأين المحتسبون، قد سنّت لهم السنن، و قدّم لهم الخبر، و لكلّ ضلّه علّه، و لكلّ ناكث شبهه، و الله لا أكون كمستمع اللدم يسمع الناعى، و يحضر الباكي.

ص: ۱۰۴

عن النّهايه (المّت) التوسّيل و التوضّيل بحرمة أو قرابه أو غير ذلك و (السّيب) فى الأصل الحبل الّذى يتوصّل به إلى ماء، ثمّ استعير لكلّ ما يتوصّل به إلى شىء كقوله تعالى: «وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ» أى الوصل و المودّات و (الضّب) الغضب و الحقد و (المحتسب) طالب الحسبه، و هى الأجر و يقال احتسب عليه أى انكر و (سنّ) الأمر بينه (و لكلّ ضلّه) فى ما رأيناه من النّسخ بفتح الضّاد، و المضبوط فى القاموس و الاوقيانوس بكسرهما، قال فى القاموس: الضّلال و الضّلاله و الضلّ و يضمّ و الضلّضله و الاضلوله بالضمّ و الضلّه بالكسر و الضلل محرّكه ضدّ الهدى إلى أن قال: و الضلّه بالضمّ الحذق بالدّلاله و بالفتح الحيره و الغيبه بخير أو شرّ و (الّدم) اللّطم و الضّرب بشىء ثقيل يسمع وقعته، و عن الصّحاح اللّدم ضرب المرأه صدرها و عضديها فى النياحه.

الاعراب

الظاهر أنّ جملة لا- يمتّان إلى الله استيناف بيانى أو نحوى، و تحتمل الحال، و عن فى قوله: و عمّا قليل، بمعنى بعد، و ما زائده على حدّ قوله تعالى: «عَمَّا قَلِيلٍ لِيُضِيَ بَحْنٌ نَادِمِينَ» و الباء فى قوله: به، للسببيّه، و الضّمير راجع إلى الضّب، و جملة يسمع فى محلّ الجزّ صفة للمستمع.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه مسوقه لاقتصاص حال طلحه و الزبير فى نكثهما بيعته عليه السّلام و نهوضهما إلى حربته عليه السّلام، و تبّه على أنّ غرضهما من البغى و الخروج اليه هو الملك و الاماره، فأشار أولاً إلى أنّ كلّاً منهما يرى نفسه أحقّ بالاماره من الآخر و هو قوله:

(كلّ واحد منهما يرجوا الأمر) أى أمر الاماره، فاللام للعهد (له) أى يرى اختصاصه به (و يعطفه) أى يجذبه و يثنيه (عليه دون صاحبه) لمزعمه أنّه أولى به منه حال كونهما (لا يمتّان) و لا يتوسّلان فى الحرب و قتال المسلمين (إلى الله) تعالى (بحبل، و لا يمدّان اليه بسبب) يعنى أنّه لا حجّه لهما يعتذران بها إلى

اللّٰه سبّحانه فى البغى و الخروج و على الاستيناف البيانى فالمعنى أنّه عليه السّلام لما ذكر أنّ كلّ منهما يرجوه لنفسه و يعطفه عليه كان لقائل أن يقول: هذا العطف و الرجاء هل كان لغرض دينيّ منهما و تصلّب فى الاسلام؟ فأجاب بأنّ غرضهما ليس التقرب إلى اللّٰه تعالى و التمسك بعهده.

و على الاستيناف النحويّ فالمقصود به شرح حالهما، فأنّه لما ذكر أنّ رجاء كلّ واحد منهما كون الخلافه له، و قصد كلّ جذبها إليه أردفه بذلك تنبيها على أنّهما خالفا للّٰه سبّحانه إذ لم يعتصما بحبله، بل تفرّقا عنه و قد أمرهم اللّٰه بالاعتصام و نهاهم عن التفرّق بقوله «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعاً وَ لَا تَفَرَّقُوا».

قال الطبرسىّ فى معنى حبل اللّٰه أقوال: احدها أنّه القرآن ثانيها أنّه دين الاسلام و ثالثها ما رواه أبان بن تغلب، عن جعفر بن محمّد عليهما السّلام قال: نحن حبل اللّٰه الّذى قال «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّٰهِ جَمِيعاً» قال الطبرسىّ: و الأولى حملة على الجميع و الّذى يؤيّد ما رواه أبو سعيد الخدرى عن النّبى صلّى اللّٰه عليه و آله أنّه قال: يا أيّها النّاس إنّى قد تركت فيكم حبلين، إن أخذتم بهما لن تضلّوا بعدى: أحدهما أكبر من الآخر كتاب اللّٰه حبل ممدود من السّماء إلى الأرض، و عترتى أهل بيتى الا و إنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض.

ثمّ ذكر انهما مع اتّفاقهما على الخلاف مختلفان فى نفس الأمر و أنّ (كلّ واحد منهما حامل صبّ) و حقد (لصاحبه) و يشهد به اختلافهما قبل وقوع الحرب فى الأحقّ بالتّقديم فى الصّلاه، فأقامت عائشه محمّد بن طلحه و عبد اللّٰه بن الزّبير يصلّى هذا يوما و هذا يوما إلى أن تنقضى الحرب.

ثمّ إنّ عبد اللّٰه بن الزّبير ادّعى أنّ عثمان نصّ عليه بالخلافه يوم الدّار، و احتجّ فى ذلك بأنّه استخلفه على الصّلاه، و احتجّ تاره اخرى بنصّ صريح زعمه و ادّعاه، و طلب طلحه من عائشه أن يسلم النّاس عليه بالاماره و أدلى إليها بالسّميه و أدلى الزّبير بأسماء اختها فأمرت النّاس أن يسلموا عليهما معا بالاماره، و اختلفا

أيضا في تولّى القتال فطلبه كلّ منهما أوّلا ثم نكل عنه.

(و عمّا قليل يكشف) كلّ منهما(قناعه به)أى يكشف قناعه الذى استتر به و يظهر حاله به بسبب حقه، فاستعار لفظ القناع لظاهرة الساتر لباطنه (و الله لئن أصابوا العذى يريدون) و يتمنون (ليتزعنّ هذا نفس هذا و ليأتينّ هذا على هذا) أى ليثبّ كلّ منهما إلى صاحبه و يسعى اليه و يقتله، و هذا لا غبار عليه لأنّ الملك عقيم ثم قال (قد قامت الفئه الباغيه فأين المحتسبون) أى الطالبون للأجر و الثواب و العاملون لله أو المنكرون للمنكر، و الاستفهام للتحسّر و التحزّن من فقدان المتصلّبين فى الدّين، و الراسخين فى الاسلام، و التأسف على عدم حضورهم فى تلك المعركه و قتال الفئه الباغيه، و فى بعض النسخ: فأين المحسنون.

(و قد سنّت لهم السنن) أى بينت للمحتسبين أو للفئه الباغيه الطّرق (و قدّم لهم الخبر) أى أخبرهم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بخروج الناكثه و القاسطه و المارقه و بأنّ عليّا عليه السّلام يقاتلهم، و قد روى هذا الخبر عن النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم غير واحد من العامّه و الخاصّه، و قدّمنا روايته فى شرح الفصل الخامس من الخطبه الثالثه المعروفه بالشقشقيه فى حديث طويل عن امّ سلمه عن النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم.

و أقول هنا: روى فى البحار من أمالى الشّيخ باسناده عن أخى دعبل عن الرضا عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لأمّ سلمه: اشهدى على أنّ عليّا يقاتل النّاكثين و القاسطين و المارقين.

و من الامالى بهذا الاسناد عن الباقر عليه السّلام عن جابر الأنصارى قال: إني لأدناهم من رسول الله صلّى الله عليه و آله فى حجّه الوداع بمنى فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: لا عرفنكم ترجعون بعدى كفارا ليضرب بعضكم رقاب بعض، و أيم الله لئن فعلتموها لتعرفننى فى الكتيبه التى تضاربكم، ثمّ التفت صلّى الله عليه و آله و سلّم إلى خلفه ثمّ قال: أو عليّ أو عليّ أو عليّ، فرأينا أنّ جبرئيل غمزه و أنزل الله عزّ و جلّ «فَأَمَّا نُدْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ» بعلّى «أَوْ تُرِيكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ» ثمّ نزلت «قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئِي مَا

«يُوعِدُونَ رَبَّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ اذْفَعِ بِمَا تِي هِيَ أَحْسَنُ» ثم نزلت «فَأَسِيَّتُمْسِكُ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ» - من أمر علي بن أبي طالب - «إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» و إِنَّ عَلِيًّا عَلِمَ لِلسِّيَاعَةِ لَكَ وَ لِقَوْمِكَ وَ لِسُوفٍ تَسْتَلُونَ عَنْ مَحَبَّةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ.

و من الكافي باسناده عن الفضيل بن غياض عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه قال:

قال: بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله بخمسة أسياف ثلاثة منها شاهرة، و سيف منها مكفوف، و سيف منها سلّه إلى غيرنا و حكمه إليه، ثم قال: و أما السيف المكفوف فسيف عليّ على أهل البغي و التأويل، قال الله تعالى «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأضْحِكُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحِدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ» فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم: إن منكم من يقاتل على التأويل كما قاتلت على التنزيل، فسئل النبي صلى الله عليه وآله و سلم من هو؟ فقال: خاصف النعل، يعني أمير المؤمنين عليه السلام فقال عمار بن ياسر: قاتلت بهذه الرواية مع النبي صلى الله عليه وآله و سلم ثلاثا و هذه الرابعة، و الله لو ضربونا حتى بلغوا بنا السعفات من هجر لعلمنا أنا على الحقّ و أنّهم على الباطل.

و من مناقب ابن شهر آشوب عن أبي عليّ الموصلي و الخطيب التاريخي و أبي بكر بن مردويه بطرق كثيرة عن عليّ عليه السلام قال: امرت بقتال التناكثين و القاسطين و المارقين.

و من كشف الغمّة قال ابن طلحة: قال البغوي في شرح السّنة عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم فأتى منزل أم سلمة فجاء عليّ عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم يا أم سلمة هذا و الله قاتل التناكثين و القاسطين و المارقين، إلى غير هذا ممّا رواه في البحار عنه صلى الله عليه وآله و سلم و في كشف الغمّة من المناقب لأبي المؤيد الخوارزمي عن أبي رافع أنّ النبي صلى الله عليه وآله و سلم قال: يا أبا رافع كيف انت و قوم يقاتلون عليّ و هو على الحقّ و هم على الباطل؟ يكون حقّا في الله جهادهم، فمن لم يستطع جهادهم بيده فيجاهدهم

بلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فيجاهدهم بقلبه، و ليس وراء ذلك شيء، قال: قلت:

ادع الله لي إن أدركتهم أن يعينني و يقويني على قتالهم فلما بايع الناس علي بن ابي طالب عليه السلام و خالفه معاويه و سار طلحه و الزبير إلى البصره قلت: هؤلاء القوم الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ما قال، فباع أرضه بخير و داره بالمدينه و تقوى بها هو و ولده ثم خرج مع علي عليه السلام بجميع أهله و ولده، و كان معه حتى استشهد علي عليه السلام، فرجع إلى المدينه مع الحسن عليه السلام و لا أرض له بالمدينه و لا دار فأقطعه الحسن عليه السلام أرضا بينبع من صدقه علي و أعطاه دارا، هذا.

و لئما كان هنا مظنه سؤال و هو أن يقال: إذا كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم سنّ السنن و اخبر بحال هؤلاء البغاه و أبان عن كونهم على الباطل فكيف كان خروج هؤلاء و كيف نكثوا عن بيعتهم مع تقدم هذا الخبر منه و اشتهاره بين الناس؟ أوجب عليه السلام عنه بقوله (و لكل ضلّه عله و لكل ناكث شبهه) يعنى أنهم لما نكثوا و ضلّوا عن الطريق لعله أوجب الضلال و شبهه أوجب النكث أما العله فهي الحقد و الحسد و الطمع في الملك و حب الدنيا، و أما الشبهه فهي الطلب لدم عثمان هذا.

و قيل إن المعنى أن لكل ضلاله غالبا عله، و لكل ناكث شبهه بخلاف هؤلاء، فإنهم يعدلون عن الحق مع وضوحه بغير عذر و شبهه.

ثم أقسم عليه السلام بقوله (و الله لا أكون كمستمع اللدم يسمع الناعى و يحضر الباكي) أراد بمستمع اللدم الضبع هو صوت الحجر يضرب به الأرض أو حيله يفعلها الصائد عند باب جحرها فتنام و لا تتحرّك حتى يجعل الحبل في عرقوبها فيخرجها فيكون نظير ما تقدم في الكلام السّادس من قوله: و الله لا- أكون كضبع تنام على طول اللدم حتى يصل إليها طالبها و يختلها راصدها، و قد مضى منّا هناك ما يتضح به هذا المقام، فالمقصود أنى لا اغترّ و لا اغفل عن كيد الأعداء فأسمع الناعى بقتل طائفه من المسلمين و احضر الباكي على قتلاهم فلا احاربهم حتى يحيطوا بى و قيل: المراد إنى لا أكون كمن يسمع اللطم و الضرب و البكاء ثم لا يصدق حتى يجيء لمشاهده الحال، أى لا أكون كمن علم بوقوع نازله و شاهد اماراتها ثم

لم يتداركها حتى يراها عيانا.

وقد تقدّم في شرح المختار السّادس إلى المختار الثالث عشر اقتصاص حال التّاكثه و كيفيّه بغيهم و خروجهم و جملة من أخبارهم و ذكرنا قصّه الجمل في شرح الكلام الحادى عشر، و ذكرنا في تضاعيف الشّرح و نذكر بعد ذلك أيضا إنشاء الله بعض اخبارهم، و أقتصر هنا على ايراد خبرين مناسبين للمقام فأقول:

روى في البحار من الارشاد قال: لما اتّصل بأمر المؤمنين صلوات الله عليه مسير عايشه و طلحه و الزّبير من مكّه إلى البصره حمد الله و أثنى عليه ثمّ قال: قد سارت عائشه و طلحه و الزّبير كلّ منهما يدعى الخلافه دون صاحبه، و لا يدعى طلحه الخلافه إلاّ أنّه ابن عمّ عايشه، و لا يدعيها الزّبير إلاّ أنّه صهر أبيها، و الله لئن ظفروا بما يريدان ليضربنّ الزّبير عنق طلحه، و ليضربنّ طلحه عنق الزّبير ينازع هذا على الملك هذا، و لقد علمت و الله أنّ الراكبه الجمل لا تحلّ عقده و لا تسير عقبه و لا تنزل منزله إلاّ إلى معصيه الله حتّى تورّد نفسها و من معها موردا يقتل ثلثهم، و يهرب ثلثهم، و يرجع ثلثهم، و الله إنّ طلحه و الزّبير ليعلمان أنّهما مخطئان و ما يجهلان، و لربّ عالم قتله جهله و علمه معه لا ينفعه، و الله لتنبحنّها كلاب الحوآب، فهل يعتبر معتبر و يتفكّر متفكّر لقد قامت الفئه الباغيه فأين المحسنون.

و في الكافي في باب ما يفصل به بين دعوى المحقّ و المبطل في أمر الامامه عليّ بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن ابن محبوب عن سلام بن عبد الله و محمّد بن الحسن و عليّ بن محمّد عن سهل بن زياد و أبو عليّ الأشعريّ عن محمّد بن حسان جميعا عن محمّد بن عليّ عن عليّ بن أسباط عن سلام بن عبد الله الهاشميّ قال محمّد بن عليّ و قد سمعته منه عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: بعث طلحه و الزّبير رجلا من عبد القيس يقال له: خدائن إلى أمير المؤمنين، إلى آخر ما يأتي في شرح الكلام المأه و التّاسع و السّتين إن شاء الله.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن حضرت است در ذکر أهل بصره و مذمت زبير

و طلحه می فرماید:

هر یک از طلحه و زبیر امید دارند که امر خلافت از برای او باشد و بر می گرداند هر یکی آن را بنفس خود نه بصاحبش در حالتی که تقرّب نمی جویند بسوی خدا بریسمان پیمان، و توّسل نمی کنند بسوی او با رشتۀ عهد، هر یک از ایشان حمل کننده حقد و غضب است از برای رفیق خود و بعد از زمان قلیل بر می دارد پرده تزویر خود را بسبب آن کینه که در دل دارد، قسم بخدا اگر برسند به آن چه که می خواهند هر آینه البته بر میکند این یکی جان آن یکی را، و البته می آید این یکی بسر آن دیگری بتحقیق که برخاستند جماعت ظالم پس کجایند طالبان اجر و ثواب.

بتحقیق که بیان کرده شد از برای ایشان سنّتهای پیغمبر، و مقدّم داشته شد بجهت ایشان اخبار حضرت سید البشر، و از برای هر ضلالت علّت و سببی هست، و از برای هر ناقض بیعت شبهه ایست، بحقّ خدا نمی توانم بشوم مثل شنونده صدای زدن برو و سینه با دست که شنود خبر مرگ دهنده، و حاضر شود نزد گریه کننده، یعنی بعد از این که امارات و علامات بغی و عدوان این طائفه ظاهر شد باید با ایشان محاربه و مقاتله نمایم، و جائز نیست که در جای خود با غفلت بنشینیم.

و من کلام له علیه السلام قبل موته و هو الماء و التاسع

اشاره

و الاربعون من المختار فی باب الخطب

و هو مروی فی الکافی علی اختلاف تطلع علیه أيها الناس کلّ امرء لاق ما یفرّ منه فی فراره و الأجل مساق النّفس، و الهرب منه موافاته، کم اطّردت الأیام أبحثها عن مکنون هذا الأمر فأبی الله إلاّ إخفائه، هیئات علم مخزون، أمّا وصیّتی

ص: ۱۱۱

فَاللّٰهُ لَا تَشْرِكُوْا بِهِ شَيْئًا، وَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَلَا تَضَيِّعُوْا سُنَّتَهُ أَقِيْمُوا هٰذِيْنَ الْعَمُوْدِيْنَ وَ أَوْقِدُوا هٰذِيْنَ الْمَصْبٰحِيْنَ، وَ خَلَائِكُمْ ذَمًّا مَا لَمْ تَشْرُدُوْا، حَمَلْ كُلَّ أَمْرٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَةً، وَ خَفِّفْ عَنِ الْجَهْلَةِ، رَبِّ رَحِيْمٍ، وَ دِيْنَ قَوِيْمٍ، وَ إِمَامٍ عَلِيْمٍ، أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبِكُمْ وَ أَنَا الْيَوْمَ عِيْرَهُ لَكُمْ، وَ غَدًا مَفَارِقِكُمْ، غَفَرَ اللّٰهُ لِيْ وَ لَكُمْ، إِنْ ثَبَتَ الْوِطْأَةُ فِيْ هٰذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذَاكَ، وَ إِنْ تَدَحَّضَ الْقَدَمُ فَإِنَّا كُنَّا فِيْ أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ وَ مَهَبِّ رِيَّاحٍ، وَ تَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ أَضْمَحَلَّ فِي الْجَوْ مُتَلَفِّقَهَا، وَ عَفَى فِي الْأَرْضِ مَخْطَهَا، وَ إِنَّمَا كُنْتَ جَارًا جَاوِرِكُمْ بَدَنِيْ أَيَّامًا، وَ سَتَعْقِبُونَ مِنِّيْ جِئْتُهُ خَلَاءً سَاكِنَهُ بَعْدَ حِرَاكٍ، وَ صَامَتَهُ بَعْدَ نَطْوِقٍ لِيَعْظَمَكُمْ هَدْوِيْ وَ خَفْوَتِ أَطْرَاقِيْ وَ سَكُوْنَ أَطْرَافِيْ فَإِنَّهُ أَوْعِظُ لِلْمَعْتَبِرِيْنَ مِنَ الْمُنْطَقِ الْبَلِيْغِ، وَ الْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ، وَ دَاعِيِكُمْ وَ دَاعِ أَمْرٍ مَرصِدٍ لِلتَّلَاقِيْ، غَدًا تَرَوْنَ أَيَّامِيْ، وَ يَكْشِفُ لَكُمْ عَن سِرَائِرِيْ، وَ تَعْرِفُونَنِيْ بَعْدَ خَلْوٍ مَكَانِيْ، وَ قِيَامٍ غَيْرِيْ مَقَامِيْ.

اللغة

(الطرد) الابعاد و تقول طردته أى نفيته عني، و الطريده ما طردته من صيد و غيره، و الطريدان الليل و النهار، و أطردت الرجل على صيغه الافعال، إذا أمرت باخراجه و (شرد) البعير شرودا من باب قعد نذ و نفر، و الاسم الشراد

بالكسر و (حمل كل امرء منكم مجهوده) فى بعض النسخ على البناء للمفعول من باب التفعيل و رفع كلمه كل، و فى بعضها على المعلوم من باب التفعيل أيضا و نصب كل، فالفاعل هو الله سبحانه، و فى بعضها حمل كضرب على المعلوم و رفع كل و (خفف) على بناء المجهول و (الوطأه) بالفتح موضع القدم و المره من الوطى و هو الدوس بالزجل.

و (دحض) الزجل دحضا من باب منع زلق و زل و (الأفياء) جمع فىء و هو الظل الحادث بعد الزوال و (مهّب الزّياح) محلّ هبوبها و فى بعض النسخ و مهاب رياح بصيغه الجمع و (اضمحل) السحاب تقشع و الشىء ذهب و فنى و (الجوّ) ما بين السماء و الأرض و (متلفّها) بكسر الفاء من تلفّق الشىء انضمّ و التأم و لفقت الثوب لفقاً من باب ضرب ضمنت احدى شقتيه إلى الأخرى للخياطه و (المخطّ) بالخاء المعجمه ما يحدث فى الأرض من الخطّ الفاصل بين الظلّ و الثور.

و (ستعقبون) بالبناء على المجهول من الاعقاب و هو اعطاء الشىء عقيب الشىء يقال أكل أكله أعقبته سقما أى أورثته و (حراك) كسحاب الحركه و (هدوى) فى بعض النسخ بالهمز على الأصل و فى بعضها بتشديد الواو بقلب الهمزه واوا و (خفت) الصّوت خفوتا سكن و (اطراقى) إمّا بكسر الهمزه من اطرق إطراقا أى أرخى عينيه إلى الأرض، أو بفتحها جمع طرق بالكسر بمعنى القوّه كما فى القاموس، أو بالفتح و هو الضرب بالمطرقة، و قيل جمع طرقه بالفتح أى صنایع الكلام يقال: هذا طرقته أى صنعته و الأول أظهر و أضبط، و فى بعض النسخ أطرافى بالفاء فهو جمع الطرف بالتسكين و هو تحريك العين و الجفن إلا أنّ جمعه لم يثبت إلا عند القتيبي و قال الزّمخشري: الطّرف لا يثنى و لا يجمع لأنّه مصدر و كذا ذكره الجوهري.

و (سكون أطرافى) جمع الطرف بالتحريك كجمل و جمال، و المراد بها الأعضاء و الجوارح كاليدین و الزّجلین و (الوداع) بفتح الواو اسم من ودّعته توديعا و هو أن تشيعه عند سفره، و أمّا الوداع بالكسر فهو اسم من أودعته موادعه أى

صالحته و (رصدته) إذا قعدت له على طريقه تترقبه و أرصدت له العقوبه أى أعددتها له و حقيقتها جعلها على طريقه كالمترقبه له، و مرصد فى بعض النسخ على صيغه اسم المفعول فالفاعل هو الله تعالى أو نفسه عليه السّلام، و فى بعضها على صيغه اسم الفاعل فالمفعول نفسه عليه السّلام أو ما ينبغى اعداده و تهيئته.

الاعراب

قوله: فى فراره متعلق بقوله لاق، و جمله أبحاثها منصوبه المحلّ على الحالیه و علم مخزون خبر لمبتدأ محذوف أى ذلك العلم علم مخزون، و قوله: فالله لا تشرکوا به شيئاً و محمداً صلّى الله عليه و آله، منصوبان على الاضمار على شريطه التفسير، و فى بعض النسخ بالرفع على الابتداء و الأوّل أرجح كما قرّر فى الأدبيّه لاستلزام الثانى كون الجملة الطّيبه خبراً فتأمل، و قوله: و خلاكم ذمّ بالرفع فاعل خلا أى عداكم و هى كلمه تجرى مجرى المثل.

قال الشّارح البحرانى: و أوّل من قالها قصير مولى حذيمه حين حثّ عمرو بن عدى اخت حذيمه على طلب ثاره من الزّباء فقال له عمرو: و كيف لى بذلك و الزّباء أمنع من عقاب الجوّ، فقال له قصير اطلب الأمر و خلاك ذمّ.

و قوله: ربّ رحيم و دين قويم و إمام عليم، برفع الجميع على الخبر أى ربّكم ربّ رحيم و دينكم دين قويم و هكذا على الابتداء و الخبر محذوف أى لكم ربّ رحيم و دين قويم آه قال الشّارح المعتزلى: و من الثّماس من يجعل ربّ رحيم فاعل خفف على روايه من رويها فعلا- معلوماً، و ليس بمستحسن، لأنّ عطف الدين عليه يقتضى أن يكون الدّين أيضاً مخففاً، و هذا لا يصحّ انتهى.

و قال المحدّث العلّامه المجلسى: إنّ فى أكثر النسخ خفف على بناء المعلوم فقوله: ربّ فاعله و لا يضرّ عطف الدّين و الامام عليه لشيوع التّجوز فى الاسناد.

أقول: وهنا وجه آخر على روايه حمل و خفف بالبناء على المجهول، و هو أن يكون ربّ مرفوعا بفعل محذوف على حدّ قوله سبحانه:

«يَسْبُحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ» على قراءه يسبح بصيغه المجهول، كأنه قيل: من حمل و خفف، فقال: ربّ رحيم و دين قويم، و هذا الوجه أيضا مبني على التجوّز في الاسناد.

و قوله: ليعظكم بكسر اللّام و نصب الفعل كما في أكثر النسخ، و يحتمل الجزم لكونه أمرا أو فتح اللّام و رفع الفعل أيضا.

و قوله: وداعيكُم وداع امرء مرفوعان على المبتدأ و الخبر، و إضافه و داعى إلى ضمير المفعول أى وداعى إِيّاكم، و فى بعض النسخ بنصب وداع، و فى بعضها بجزّها، و كلاهما مبني على حذف الخافض أى كوداع امرء فالنصب على حدّ قوله تعالى «وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ» أى من قومه، و الثانى على حدّ قول امرء القيس

«أشارت كليب بالأكفّ الأصابع»

أى إلى كليب، و فى نسخه الشّارح المعتزلى و داعى لكم وداع امرء و روى فيها أيضا ودّعتم وداع امرء على صيغه المتكلم من باب التّفعل، فالوداع منصوب بالمصدرية و غدا ظرف للأفعال بعده.

المعنى

إشارة

اعلم أنّ هذا الكلام قد قاله عليه السّلام لما ضربه ابن ملجم المرادى عليه لعائن الله و هو مسوق فى معرض التوصيه و التذكير، فأية بالنّاس و تبهم على لحوق ضروره المنفور منه طبعاً بقوله:

(أيها النّاس كلّ امرء لاق ما يفتر منه فى فراره) يعنى أنّ الانسان يفتر من الموت ما دام حيّاً، فهو فى مدّه الفرار و هى الحياه الدّنيا يلاقى ما يفتر منه البتّه كما قال تعالى «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ» (و الأجل مساق النّفس) يجوز أن يراد بالأجل غايه العمر كما فى قوله تعالى «فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ»

«لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ» فيكون المساق بمعنى ما يساق إليه، و أن يراد به المدّة المضروبه لبقاء الانسان أعنى مدّه العمر فيكون المساق بمعنى زمان السّوق، فإنّ مدّه بقاء النّفس في هذا البدن مساق إلى غايتها.

(و الهرب منه) أى من الأجل بالمعنى الأوّل أو ممّا يفتر منه إن اريد به المعنى الثانى(موافاته)لأنّ الهرب منها كما يكون بعلاج و حركه يفنى بهما بعض المدّه، و إفناء المدّه يلزمه الموافاه فأطلق لفظ الموافاه على الهرب من باب اطلاق اسم اللّازم على الملزوم، أو لأنّه إذا قدر زوال عمر أو دوله فكلّ تدبير يدبره الانسان يصير سببا لحصول ما يهرب منه كما أنّ كلّ دواء و معالجه إذا صادف قرب مجيء الأجل يكون مضرًا بالبدن و إن كان بحيث اذا لم يصادفه كان نافعا مجرّبًا عند الأطباء مع أنّ المرض و المزاج فى كلتا الصّورتين واحد بناء على إبطال أفعال الطبيعه و أنّ نفع الأدوية إنّما هو فعل الله تعالى عند الدّواء، و مع قطع النظر عن ذلك إذا صادف الدّواء الأجل يصير أحذق الأطباء عاجزا غافلا عمّا ينفع المريض، فيعطيه ما يضرّه و إذا لم يصادفه يلهم أجهل الأطباء بما ينفعه كما هو المجرب.

و كيف كان فقولله عليه السّلام: و الهرب منه موافاته، جار مجرى المبالغه فى عدم كون الفرار منجيا من الموت و عاصما عنه حتّى جعل نفس الهرب منه ملاقاه له و لم يقل و الهارب منه يوافيه.

(كم اطردت الأيام) أى صيرتها طريده قال الشّارح المعتزلى فالأطراد أدلّ على العزّ و القهر من الطرد (أبحثها) و افتشها (عن مكنون هذا الأمر فأبى الله إلّا إخفائه) قال الشّارح المعتزلى: كأنه عليه السّلام جعل الأيام أشخا صا يأمر باخراجهم و ابعادهم عنه، أى ما زلت أبحث عن كيفية قتلى و أىّ وقت يكون بعينه و فى أىّ أرض يكون يوما يوما، فاذا لم أجده فى اليوم اطرده و استقبلت يوما آخر فأبحث فيه أيضا فلا أعلم فأبعده و اطرده و أستأنف يوما آخر، و هكذا حتّى وقع المقدور.

قال الشّارح: و هذا الكلام يدلّ على أنه عليه السّلام لم يكن يعرف حال قتله مفضّله من جميع الوجوه، و أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أعلمه بذلك مجملا، لأنّه قد ثبت

أنه صَلَّى الله عليه وآله قال له: ستضرب علي هذه وأشار إلى هامته فتخضب منها هذه، وأشار إلى لحيته و ثبت أنه صَلَّى الله عليه وآله و سلم قال له: أتعلم من أشقى الأولين؟ قال: نعم عاقر الناقة فقال له: أتعلم من أشقى الآخرين؟ قال: لا، فقال: من يضرب ههنا فتخضب هذه و كلام أمير المؤمنين عليه السَّلام يدلُّ على أنه بعد ضرب ابن ملجم له لا يقطع على أنه يموت من ضربته، ألا تراه يقول: إن ثبتت الوطأه في هذه المزله فذاك آه.

و يظهر منه أن الشارح زعم أن مراده عليه السَّلام بمكنون هذا الأمر وقت قتله و مكانه المعينان بالتفصيل.

و هذا حدوه الشارح البحراني حيث قال: و ذلك المكنون هو وقته المعين بالتفصيل و مكانه، فان ذلك ممَّا استأثر الله بعلمه كقوله تعالى «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» و قوله «وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ» و إن كان قد أخبره الرسول صَلَّى الله عليه وآله و سلم بكيفية قتله مجملا - إلى أن قال - و أميا بحته هو فعن تفصيل الوقت و المكان و نحوهما من القران المشخصه و ذلك البحث إمَّا بالسؤال من الرسول مدّه حياته و كتمانها إياه، أو بالفحص و التفرّس من قران أحواله في ساير أوقاته مع النَّاس، فأبى الله إلّا أن تخفى عنه تلك الحال انتهى.

اقول: و لا يكاد ينقضى عجبى من هذين الفاضلين كيف توهمًا أن أمير المؤمنين عليه السَّلام لم يكن عالما بزمان موته و لا مكانه إلّا اجمالا، و أنه لم يكن يعرفهما تفصيلا إن هذا إلّا زعم فاسد و رأى كاسد.

أميّا الشارح المعتزلى فمع روايته الأخبار الغيبية له عليه السَّلام و إذعانه على صححتها حسبما تقدّمت في التنبيه الثانى من شرح الخطبه الثانیه و التسعين كيف خفى عليه وجه الحقّ و كيف يتصوّر فى حقّ من هو عالم بما كان و ما يكون و من يقول:

فأسألونى قبل أن تفقدونى فو الذى نفسى بيده لا تسألونى عن شىء فيما بينكم و بين الساعه و لا عن فئه تهدى مأئه و تضلّ مأئه إلّا أنبئكم بناعقها و قائدها و سائقها و مناخ ركابها و محطّ رحالها و من يقتل من أهلها قتلا و يموت منهم موتا، الى آخر ما مرّ

فى الخطبه التى أشرنا إليها، أنه لم يكن يعرف زمان موته و مكانه.

و أما الشارح البحرانى فمع كونه من فضلاء علماء الاماميه قدس الله ضرايحهم كيف قصرت يده عن الأخبار العاميه و الخاصيه المفيده لعلم الأئمه عليهم السلام بما كان و ما يكون و ما هو كائن و لمعرفتهم عليهم السلام بوقت موتهم و موت شيعتهم، و أنهم يعلمون علم المنايا و البلايا و الانساب، و هذه الأخبار قريبه من التواتر بل متواتره معنى و قد مضى جملة منها فى تضاعيف الشرح لا سيما فى شرح الفصل الثانى من الخطبه المأه و الثامن و العشرين، و يأتى شطر منها فى مواضعها اللأيقه، و قد روى المخالف و المؤلف قول أمير المؤمنين للحارث الأعور الهمدانى:

يا حار همدان من يمت يرنى من مؤمن أو منافق قبلا

يعرفنى طرفه و أعرفه بنعته و اسمه و ما فعلا

فإن من كان حاضرا عند كل ميت، عارفا بوقت موته كيف لا يعرف وقت موت نفسه.

و كفاك دليلا على ما ذكرنا أن الكلينى قد عقد فى الكافى بابا على ذلك، و قال:

باب أن الأئمه عليهم السلام يعلمون متى يموتون و أنهم لا يموتون إلا باختيار منهم، و روى فى ذلك الباب عن علي بن محمد عن سهل بن زياد عن محمد بن عبد الحميد عن الحسن بن الجهم قال: قلت للرضا عليه السلام: إن أمير المؤمنين عليه السلام قد عرف قاتله و الليله التى يقتل فيها، و الموضع الذى يقتل فيه، و قوله لما سمع صياح الأوز فى الدار:

صوايح تتبعها نوايح، و قول أم كلثوم: لو صلّيت الليله داخل الدار و أمرت غيرك يصلّى بالناس فأبى عليها، و كثر دخوله و خروجه تلك الليله بلا سلاح، و قد عرف عليه السلام ان ابن ملجم قاتله بالسيف كان هذا ممّا لم يحسن «لم يجرى لم يحلّ خ ل» تعرّضه؟ فقال عليه السلام: ذلك كان و لكنه عليه السلام خيّر فى تلك الليله لتمضى مقادير الله عزّ و جلّ.

و هذا الحديث و إن كان ضعيفا عند بعض لكنّه سهل عند آخرين معتضد بأخبار آخر.

قال العلامة المجلسى (ره) فى شرحه: منشا الاعتراض أن حفظ النفس واجب عقلا و شرعا، و لا يجوز إلقاؤها الى التهلكه، فقال عليه السلام: ذلك كان و لكنّه خيّر

أى خيره الله بين البقاء و اللقاء فاختار لقاء الله، و هو مبنئ على منع كون حفظ النفس واجبا مطلقا، و لعله كان من خصائصهم عدم وجوب ذلك عند اختيارهم الموت و حكم العقل فى ذلك غير متبع مع أن حكم العقل فى مثل ذلك غير مسلم.

و فى بعض النسخ أعنى نسخ الكافى حين بالحاء المهمله و التون أخيرا، بدل خير، قال الجوهرى: حينه جعل له وقتا يقال: حينت الثاقه إذا جعلت لها فى يوم و ليله وقتا تحلبها فيه انتهى، فالمعنى أنه كان بلغ الأجل المحتوم المقدر و كان لا يمكن الفرار منه.

قال المحدث العلامة المجلسى: و حاصله أن من لا يعلم أسباب التقديرات الواقعه يمكنه الفرار عن المحذورات و يكلف به، و أما من كان عالما بجميع الحوادث، فكيف يكلف الفرار و إلا يلزم عدم وقوع شىء من التقديرات فيه، بل هم عليهم السلام غير مكلفين بالعمل بهذا العلم فى أكثر التكاليف.

فإن النبى صلى الله عليه و آله و سلم و أمير المؤمنين عليه السلام كانا يعرفان المنافقين و يعلمان سوء عقايدهم و لم يكونوا مكلفين بالاجتناب عنهم و ترك معاشرتهم و عدم مناكحتهم أو قتلهم و طردهم ما لم يظهر منهم شىء يوجب ذلك.

و كذا علم أمير المؤمنين عليه السلام بعدم الظفر بمعاويه و بقاء ملكه بعده لم يكن سببا لأن يترك قتاله، بل كان يبلغ فى ذلك غايه جهده إلى أن استشهد صلوات الله عليه مع أنه كان يخبر بشهادته و استيلاء معاويه بعده.

و كذا الحسين عليه السلام كان عالما بغدر أهل العراق به و أنه سيستشهد هناك مع أولاده و أقاربه و أصحابه، و يخبر بذلك مرارا و لم يكن مكلفا بالعمل بهذا العلم بل كان مكلفا بالعمل بهذا الأمر حيث بذلوا له نصرتهم و كاتبوه و راسلوه و وعدوه البيعه و بايعوا مسلم بن عقيل رضى الله عنه انتهى.

و قال المجلسى أيضا فى موضع آخر من شرح الكافى: الظاهر من ساير الأخبار أنه عليه السلام كان عالما بشهادته و وقتها و كان ينتظرها و يخبر بوقوعها و يستبطنها فى الليله التى وعداها و يقول: ما منع قاتلى من قتلى انتهى.

فقد ظهر و اتضح بذلك كله أنه عليه السلام كان يعرف تفصيلا زمان قتله و مكانه كما ظهر دفع الاشكال فيه و الاعتراض عليه بأنه مع معرفه التفصيليه كان الواجب عليه حفظ نفسه و عدم إلقاءه لها إلى التهلكه.

فان قلت: سلمنا هذا كله و لكن ما تصنع بقوله عليه السلام كم اطردت الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله إلا إخفاءه؟ قلت: يمكن توجيهه بأن يكون المراد بهذا الأمر خفاء الحق و مظلوميته أهله و ظهور الباطل و غلبه أصحابه و كثره أعوانه، لأنه عليه السلام سعى في أول الأمر في أخذ حقه غايه السعى فلم يتيسر و جرت امور لم يكن يخطر ببال أحد وقوع مثله، و في آخر الأمر لمّا انتهى إليه و حصل له الأنصار و الأعوان و جاهد في الله حقّ الجهاد و غلب على المنافقين سنحت فتنه التحكيم التي كانت من غرايب الامور ثم بعد ذلك لما جمع العساكر و أراد الخروج إليهم وقعت الطامه الكبرى، فالمراد بالمكنون سرّ ذلك و سببه فظهر لى و أبى الله إلا إخفاءه عنكم لضعف عقولكم عن فهمه، إذ هي من غوامض مسائل القضاء و القدر.

و هذا التوجيه أورده المحدث المجلسي في مرآت العقول نقلا عن بعضهم و استحسنة.

و محصّيه أن المراد بالأمر المكنون في كلامه عليه السلام سرّ غلبه الباطل على الحقّ و علّه مظلوميه أهل الحقّ، و المراد بإخفاء الله إياه إخفاءه منهم لا منه عليه السلام، فيكون هذا الكلام منه نظير قوله عليه السلام في الكلام الخامس: بل اندمجت على مكنون علم لو بحث به لاضطربتم اضطراب الأرشيه في الطوى البعيده.

قوله (هيئات علم مخزون) أى بعد الاطلاع على ذلك السرّ فانه علم مخزون و من شأن المخزون أن يسرّ و يخفى.

ثم شرع في الوصيه فقال: (أما وصيتي فالله لا تشرکوا به شيئا) أى وحدوه و أخلصوا العمل له و الزموا أوامره و نواهيه (و محمّدا صلى الله عليه و آله فلا تضيّعوا سنته) أى لا تهملوها، و هو أمر بلزوم شرايع الدين و سلوك نهج الشرع المبين.

و أكد الأمر بالتوحيد و اتباع السَّيِّئَةِ النَّبَوِيَّةِ بقوله (أقيموا هذين العمودين) و استعار لهما لفظ العمود، لأن مدار الاسلام و نظام امور المسلمين فى المعاش و المعاد على توحيد الله سبحانه و اتباع سنَّه رسوله، كما أن مدار الخيمه و القسطاط على العمود، و المراد باقامتهما الاعتقاد بهما و العمل بمقتضيات الايمان بهما.

(و اوقدوا هذين المصباحين) و هو استعاره اخرى و الجامع أنَّهما يهريان إلى الصِّراط المستقيم و جنَّات النَّعِيمِ، و يدلان على حظاير القدس و مجالس الانس، كما أنَّ بالمصباح يهتدى فى غياهب الدَّجى إلى الطريق المطلوب، و ذكر الايقاد ترشيح للاستعاره (و خلاكم ذمَّ ما لم تشردوا) أى سقط عنكم ذمَّ و تجاوزكم فلا ذمَّ يلحقكم ما لم تنفروا.

قال فى مرآت العقول: و الغرض النهى عن التفرق و اختلاف الكلمه، أى لا ذمَّ يلحقكم ما دمتم متفقين فى أمر الدين متمسكين بحبل الأئمه الطاهرين أو المراد النهى عن الرجوع عن الدين و إقامه سنَّته.

و قوله (حمل كل امرء منكم مجهوده) كلام متَّصل بما قبله، لأنَّه لما قال ما لم تشردوا أنبأ عن تكليفهم كلَّما وردت به السَّيِّئَةُ النَّبَوِيَّةُ أى كلَّف كلَّ أحد منكم مبلغ وسعه و طاقته.

و لما كان هذا الكلام بظاهره يعطى أنه سبحانه كلَّف كلَّ أحد بما هو مبلغ طاقته و نهايه و سعه فبين عليه السَّلام أنَّ التَّكليف على حسب العلم و استدراك بقوله (و خفف عن الجهله) يعنى أنَّ الجهال ليسوا مكلفين بما كلَّف به العلماء و قد قد قال الله سبحانه:

«إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ».

و هو بظاهره يدل على أنَّ الجاهل معذور فى أكثر الأحكام.

وقوله (ربّ رحيم) قد عرفت جهات الاحتمال فى وجه اعرابه، و باختلافها يختلف المعنى فافهم، و وصف الربّ بالرّحمه لمناسبتة بالتخفيف عن الجهله (و دين قويم) ليس فيه أود و اعوجاج (و إمام عليم) أراد به الإمام فى كلّ زمان، و يحتمل شموله لرسول الله صلّى الله عليه و آله تغليبا، و ربّما يخصّ بالرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم، و وصفه بالعلم لكونه عالما بكيفيته سلوك مسالك الآخرة و قطع مراحلها و منازلها و الهادى فيها بما يقتضيه حكمته من القول و العمل.

و عقب وصيته بالتنبيه على مجارى حالاته لاعتبار الحاضرين و اتعاظ المشاهدين فقال (أنا بالأمس صاحبكم) أى كنت صحيحا مثلكم نافذ الحكم فيكم، و صاحب الأمر و النهى، أو صاحبكم الذى تعرفوننى بالقوّه و الشّجاعه (و اليوم عبره لكم) تعتبرون باشرافى على الموت و ضعفى عن الحراك بعد ما كنت اصرع الابطال و اقتل الأقران (و غدا مفارقكم غفر الله لى و لكم) هذا الكلام نصّ فى علمه عليه السّلام تفصيلا بزمان موته حسبما قدّمناه.

و تأويل الشّارح المعتزلى له بأنّه لا- يعنى غدا بعينه بل ما يستقبل من الزّمان كما يقول الانسان الصّحيح: أنا غدا ميت فمالى أحرص على الدّنيا خروج عن ظاهر الكلام بلا دليل.

فان قلت: الدّليل عليه قوله (إن ثبتت الوطأه فى هذه المزلّه فذاك) فأنه يدلّ على أنّه عليه السّلام لم يكن يقطع بموته.

قلت: هذا الكلام من قبيل تصوير العالم نفسه بصوره الشّاك لبعض المصالح على حدّ قوله تعالى:

«أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ».

و كيف كان فمقصوده أنّه إن ثبتت القدم بالبقاء فى هذه الدّنيا بأن لا يؤدّى الجرح إلى الهلاك فذاك المراد أى مرادكم، فأنه عليه السّلام كان آنس بالموت من الطّفل بثدى امّه، أو مرادى لأنّه عليه السّلام كان راضيا بقضاء الله فمع قضاء الله حياته

و ارادته له لا يريد غير ما أَرادَه سبحانه(و ان تدحض القدم)و تزلق و هو كناية عن الموت(فأنا كنا في أفياء أغصان)و ظلالها(و مهبّ رياح)أى محلّ هبوبها (و تحت ظلّ غمام اضمحلّ)و فنى(فى الجوّ)أى ما بين السّماء و الأرض (متلقّها)و ملتئمها(و عفى)و انمحي(فى الأرض مخطّها)أى أثرها و علامتها و الغرض بهذه الجملات أنّى إن متّ فلا-عجب، فأنا كنا فى امور فانيه شبيهه بتلك الامور، لأنّها كلّها سريعه الانقضاء لا ثبات لها و لا بقاء، أو لا أبالى فأنى كنت فى الدّنيا غير راكن إليها كمن كان فى تلك الامور، و فيه حثّ للقوم أيضا على الزّهد فى الدّنيا و ترك الرّغبة فى زخارفها.

و قيل: أراد على وجه الاستعارهبالأغصانالأركان من العناصر الأربعة، وبالأفياء تركيبها المعرض للزّوال، وبالزّياحالأرواح، وبمهبّالأبدان الفايضه هى عليها بالوجود الالهى، وبالغمامالأسباب العلويّه من الحركات السّماويّه و الاتّصالات الكوكبيّه و الأرزاق المفاضه على الانسان فى هذا العالم الّتى هى سبب بقائه، و كنيياضمحلّال متلقّها فى الجوّ عن تفرّق الأسباب العلويّه للبقاء و فنائها، وبعفاء مخطّها فى الأرضعن فناء آثارها فى الأبدان.

(و إنما كنت جارا) أى مجاورا (جاوركم بدنى أياما) تخصيص المجاوره بالبدن لأنّها من خواصّ الأجسام أو لأنّ روحه عليه السّلام كان معلقا بالملاء الأعلى و هو بعد فى الدّنيا (و ستعقبون منى) أى تعطون عقيب فقدى و تجدون بعد رحلتى (جثّه خلاء) أى جسدا و بدنا خاليا من الرّوح و الحواسّ (ساكنه بعد حراك و صامته بعد نطق) أى متبدّله الحركه بالسّكون و النّطق بالسّكوت (ليعظكم هدوى) و سكونى (و خفوت اطراقى) أى سكون ارحاء عينى إلى الأرض و هو كناية عن عدم تحريك الأجناس، و قد مرّ وجوه اخر فى بيان اللغه فتذكّر (و سكون أطرافى) أى الرّاس و اليدين و الرجلين و غيرها من الجوارح و الأعضاء و جناس الخط بين قوله اطرافى و اطرافى غير خفىّ (فأنّه أو عظ للمعتبرين من المنطق البليغ و القول المسموع) لأنّ الطّباع أكثر اتعاظا و انفعالا عن مشاهدته

ما فيه من العبره من الوصف له بالقول المسموع و لو كان بأبلغ لفظ و أفصح عباره ثم أخذ في توديعهم فقال (و داعيكم وداع امرء مرصد للتلاقي) أى وداعى إياكم كوداع رجل مترقب و منتظر للملاقات من ربّه تعالى و ساير الوجوه مرّ في بيان اللغه (غدا ترون أيامى) أى بعد مفارقتى إياكم و تولّى بنى اميّه و غيرهم أمركم تعرفون فضل أيام خلافتى و إني كنت بارًا بكم عطوفا عليكم و كنت على الحقّ (و يكشف لكم عن سرائرى) و يظهر أنّى ما أردت في حروبى و ساير ما أمرتكم به إلا وجه الله عزّ و جلّ و ابتغاء مرضاته (و تعرفوننى بعد خلوّ مكاني و قيام غيرى مقامى) أى تعرفون عدلى و قدرى بعد قيام غيرى مقامى بالاماره و الخلافه و تظاهره بالمنكرات، لأنّ الأشياء إنما تتبين بضدّها كما قال أبو تمام:

راحت وفود الأرض عن قبره فارغه الأيدي ملاء القلوب

قد علمت ما ورثت إنما تعرف قدر الشمس بعد الغروب

و قيل: و السرّ فيه أنّ الكمل إنما يعرف قدرهم بعد فقدهم، إذ مع شهودهم لا يخلو من يعرفهم عن حسد منه لهم، فكمال قدرهم مخبوء عن عين بصيرته لغشاوه حسده التى عليها هذا.

و قال المحدث العلامة المجلسى في شرح هذه الفقرات من روايه الكافى الآتية: اقول: و يحتمل أن يكون المراد بقوله: غدا، أيام الرجعه و يوم القيامة فإنّ فيهما تظهر شوكتهم و رفعتهم و نفاذ حكمهم في عالم الملك و الملكوت، فهو عليه السلام في الرجعه ولى انتقام العصاه و الكفار و تمكين المتّقين الأخيار في الأصقاع و الأقطار، و فى القيامة ولى الحساب و قسيم الجنّه و النار و غير ذلك مما يظهر من درجاتهم و مراتبهم السنيه فيها، فالمراد بخلوّ مكانه خلوّ قبره عن جسده في الرجعه أو نزوله عن منبر الوسيله و قيامه إلى شفير جهنّم يقول للنار: خذى هذا و اتركى هذا فى القيامة.

قال: و فى أكثر نسخ الكتاب أى الكافى: و قيامى غير مقامى، و هو أنسب بالأخير، و على الأوّل يحتاج إلى تكلف شديد كأن يكون المراد قيامه عند الله تعالى

فى السموات و تحت العرش و فى الجنان فى الغرفات و فى دار السلام كما دلت عليه الروايات.

قال: و فى نسخ النهج و بعض نسخ الكتاب: و قيام غيرى مقامى، فهو بالأول انب و يحتاج فى الأخير إلى تكلف تام بأن يكون المراد بالغير القائم عليه السلام فإنه إمام الزمان فى الرجعه، و قيام الرسول صلى الله عليه و آله و سلم مقامه للمخاصمه فى القيامة.

قال: و يخطر بالبال أيضا أنه يمكن الجمع بين المعنيين، فيكون أسد و أفيد بأن يكون ترون أيامى و يكشف الله عن سرائرى فى الرجعه و القيامة لاتصاله بقوله: وداع مرصد للتلقى، و قوله عليه السلام: و تعرفونى كلاما آخر إشاره إلى ظهور قدره فى الدنيا كما مر فى المعنى الأول، و هذا أظهر الوجوه لا سيما على النسخه الأخيره انتهى.

تذكره

قد أوردنا فى شرح الكلام التاسع و الستين قصه شهاده أمير المؤمنين عليه السلام تفصيلا، و أحببت أن اورد هنا بعض ما قيل فى رثائه عليه السلام.

فأقول: روى فى شرح المعتزلى عن أبى الفرج الاصبهاني قال: أنشدنى عمى الحسن بن محمّد قال: أنشدنى محمّد بن سعد لبعض بنى عبد المطلب يرثى علينا و لم يذكر اسمه:

يا قبر سيدنا المجنّ سماحه صلى الإله عليك يا قبر

ما ضرّ قبرا أنت ساكنه أن لا يحلّ بأرضه القطر

فليغدينّ سماح كّفك بالثرى و ليورقنّ بجنبك الصخر

و الله لو بك لم أجد أحدا إلا قتلت لفاتنى الوتر

و قال عبد الله بن عباس بن عبد المطلب:

و هزّ علىّ بالعراقين لحيه مصيبتها جلّت على كلّ مسلم

و قال سيأتىها من الله نازل و يخضبها أشقى البريه بالدم

فعاجله بالسيف شلت يمينه لشؤم قظام عند ذاك ابن ملجم
فيا ضربه من خاسر ضلّ سعيه تبوء منها مقعدا في جهنم
ففاز أمير المؤمنين بحظه و إن طرقت إحدى اللئام بمعظم
ألا إنما الدنيا بلاء و فتنة حلاوتها شييت بصبر و علقم

و قالت أم الهيثم بنت الأسود النخعيه و هى التى استوهبت جثه ابن ملجم من الحسن عليه السلام فوهبها لها فحرقتها بالنار.

ألا يا عين ويحك فاسعدينا ألا تبكى أمير المؤمنين
رزينا خير من ركب المطايا و حبسها و من ركب السفينا
و من لبس النعال و من حذاها و من قرء المثنانى و المئينا
و كنا قبل مقتله بخير نرى مولى رسول الله فينا

يقيم الدين لا يرتاب فيه و يقضى بالفرايض مستبينا
و يدعو للجماعه من عصاه و ينهك قطع أيدي السارقينا
و ليس بكاتم علما لديه و لم يخلق من المتجبرينا
لعمر أبى لقد أصحاب مصر على طول الصحابه أرجعوننا

و غزونا بأنهم عكوف و ليس كذاك فعل العاكفينا
أفى شهر الصيام فجعتموننا بخير الناس طرا أجمعينا
و من بعد النبى فخير نفس أبو حسن و خير الصالحينا
كأن الناس إذ فقدوا علينا نعام جال فى البلد سنينا

و لو أنا سئلنا المال فيه بذلنا المال فيه و البنينا
أشاب ذؤابتى و أطال حزنى أمامه حين فارقت القرينا
تطوف بها لحاجتها إليه فلما استيشت رفعت رنينا

و عبّره امّ كلثوم إليها تجاوبها و قد رأت اليقينا

فلا تشمت معاويه بن صخر فانّ بقيه الخلفاء فينا

و جمعت الاماره عن تراض إلى ابن نبينا و إلى أحنينا

ص: ١٢٤

و لا نعطي زمام الأمر فينا سواه الدهر آخر ما بقينا

و إنّ سراتنا و ذوى حجانا تواصلوا أن نجيب إذا دعينا

بكلّ مهتد غضب و جرد عليهنّ الكماه مسؤمينا

روى أحمد بن حازم قال لما بلغ نعى أمير المؤمنين عليه السّلام إلى عايشه سجدت لله شكرا، و لمّا بلغ إلى معاوية فرح فرحا شديدا و قال: إنّ الأسد الذي كان يفتersh ذراعيه في الحرب قد قضى نجه ثمّ قال:

قل للأرانب ترعى أينما سرحت و للظباء بلا خوف و لا وجل

تكملة

قد أشرنا سابقا إلى أنّ هذا الكلام له عليه السّلام مروى في الكافي على اختلاف لما أورده السيّد في الكتاب فأحبت أن أورد ما هناك، و هو ما رواه عن الحسين بن الحسن الحسنى رفعه، و محمّد بن الحسن عن إبراهيم بن إسحاق الأحمرى رفعه قال:

لمّا ضرب أمير المؤمنين عليه السّلام حفّ به العوّد و قيل له: يا أمير المؤمنين أوص، فقال عليه السّلام ثنوالى و ساده ثمّ قال:

الحمد لله قدره متّبعين أمره، أحمده كما أحبّ، و لا إله إلاّ الله الواحد الأحد الصّمد كما انتسب، أيّها النّاس كلّ امرء لاق في فراره مامنه يفترّ، و الأجل مساق النّفس اليه، و الهرب منه موافاته، كم اطّردت الأيام أبحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله عزّ ذكره إلاّ إخفائه، هيهات علم مكنون (مخزون خ ل)، أمّا وصيتي فأن لا تشركوا بالله جلّ ثناؤه شيئا، و محمّدا صلّى الله عليه و آله و سلّم فلا تضيّعوا سنّته، أقيموا هذين العمودين، و أوقدوا هذين المصباحين، و خلاكم ذمّ ما لم تشرّدوا، حمل كلّ امرء منكم مجهوده، و خفّف عن الجهله، ربّ رحيم، و امام عليم، و دين قويم، أنا بالأمس صاحبكم، و اليوم عبره لكم، و غدا مفارقكم، إن تثبت الوطأه في هذه المزلّه فذاك المراد، و إن تدحض القدم فانا كنا في أفياء أغصان و ذرى رياح و تحت ظلّ غمامه اضمحلّ في الجوّ متلفقها، و عفى في الأرض مخطّها،

و إنما كنت جارا جاوركم بدني أياما، و ستعقبون مني جثته خلاء ساكنه بعد حركه، و كاظمه بعد نطق ليعظكم هدوي، و خفوت أطرافي، و سكون أطرافي، فإنه أوعظ لكم من الناطق البليغ، و دعتكم وداع مرصد التلاقي، غدا ترون أيامي، و يكشف الله عز و جل عن سرائري، و تعرفوني بعد خلوي مكاني، و قيامي غير مقامي، أنا إن أبق فأنا وليي دمي، و إن أفن فالفناء ميعادي، العفولي قربه و لكم حسنه فاعفوا و اصفحوا ألا- تحبون أن يغفر الله لكم، فيا لها حسره على كل ذي غفله أن يكون عمره عليه حجه أو تؤذيه امامه على شقوه، جعلنا الله. و إياكم ممن لا يقصر به عن طاعه الله رغبه أو يحل به بعد الموت نقمه، فأنما نحن له و به.

ثم أقبل على الحسن عليه السلام فقال: يا بني ضربه مكان ضربه و لا تأثم.

بيان

قال في مرآت العقول «حف به» أي أحاط و «العواد» جمع عائدوهم الزائرون للمريض و «الوساده» ما يتكأ عليه في المجلس، و ثبتيها إماما للجلوس عليها ليرتفع و يظهر للسامعين، أو للالتكأ عليها لعدم قدرته على الجلوس مستقلا.

و قوله «الحمد لله قدره» أي حمدا يكون حسب قدره و كما هو أهله قائم مقام المفعول المطلق «متبعين أمره» حال من فاعل الحمد، لأنه في قوه أحمده «كما أحب» أي حمدا يكون محبوبه و موافقا لرضاه «كما انتسب» أي نسب نفسه إليه في سوره التوحيد و لذا تسمى نسبه الرّب و «الأجل» منتهى العمر و هو مبتداء و «مساقي النفس» مبتداء ثان و «إليه» خبره و الجملة خبر المبتدأ الأول.

«و محميدا» منصوب بالاعراء بتقدير الزموا و «الفاء» للتفريع و «ذري رياح» أي ما ذرته و جمعته شبه ما فيه الانسان في الدنيا من الأمتعه و الأموال بما ذرته الرياح في عدم ثباتها و قلّه الانتفاع، فإنها تجمعها ساعه و تفرقها اخرى، أو المراد

محال ذروها و «کاظمه بعد نطق» قال الفيروز آبادی: کظم غيظه رده و حبسه و الباب أغلقه.

«ودعتکم» علی صیغه المتکلم من باب التفعیل و «یکشف الله عن سرائری» لأنّ بالموت ینکشف بعض ما یسرّه الانسان من الناس من حسناته المتعدّیه إلیهم «إن أبق فأنا ولیّ دمی» صدق الشرطیه لا یتلزم وقوع المقدم، و قد مرّ الکلام فیہ فلا ینافی ما مرّ من قوله: و غدا مفارقکم «فالفناء میعادی» كما قال جلّ ثناؤه «کُلُّ مَنْ عَلَیْهَا فَاِنْ وَ یَبْقَى وَجْهٌ رَبِّکَ».

«العفو لی قربه و لکم حسنه» یحتمل أن یرجع استحضاراً من القوم كما هو الشایع عند المودعه ای عفوکم عنّی سبب مزید قربی و حسناتکم، أو عفو لی قربه و عفو عنکم حسنه، فیکون طلب العفو علی سبیل التواضع و من غیر أن یرجع منه إلیهم جنایه، و فی أكثر النسخ و إن أعف فالعفو لی قربه، ای إن أعف عن قاتلی، فقوله: و لکم حسنه، لصعوبه ذلك علیکم حیث تریدون التّشفی منه و تصبرون علی عفو بعد القدره علی الانتقام.

«فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا» عنّی علی الوجه الأوّل أو عن غیر قاتلی ممّن له شرکه فی هذا الأمر، أو عن جرایم اخوانکم و زلّاتهم و ظلمهم علیکم أو إذا جیء علیکم بمثل هذه الجنایه لثلا یناقض قوله علیه السّلام: ضربه مکان ضربه، مع أنّه یحتمل أن یرجع معناه إن لم تعفوا فضربه لکن الأمر بالعفو عن مثل هذا الملعون بعید

الترجمه

از جمله کلام آن امام است پیش از مرگ خود می فرماید:

ای مردمان هر مردی از شما ملاقات کننده است در گریختن خود به آن چه که می گریزد از آن، و مدت عمر محل جریان نفس است بنهایت آن، و گریختن از مرگ رسیدنست بآن، بسا گردانیدم روزگار را رانده شده از خود در حالتی که نیک تفحص می کردم از پوشیده این کار پس امتناع فرمود حق تعالی مگر پنهان کردن آن را، چه دور

است مطلع شدن بآن، این علم علمیت پوشیده شده.

و أما وصیت من بشما پس اینست که پروردگار عالمیان را شریک قرار ندهید و محمد بن عبد الله صلی الله علیه و آله و سلم ضایع نگردانید سنت و شریعت او را، بر پا دارید این دو ستون اسلام را، و بر افروزید این دو چراغ هدایت را و خالی باشد از شما مذمت مادامی که رم ننمائید از توحید پروردگار و شریعت سید مختار.

برداشت هر مردی از شما تکلیفی که باندازه وسع و طاقت او است، و تخفیف داده شد بار تکلیف از جاهلان و ضعیفان، خدای شما خدائست مهربان، و دین شما دینی است راست، و امام شما امامی است عالم و آگاه، من دیروز مصاحب شما بودم، و امروز که با این حالت ضعف افتاده ام عبرتم از برای شما، و فردا مفارقت کننده ام از شما بیامرزد خدای تعالی مرا و شما را، اگر ثابت بشود قدم من در این دنیا که محل لغزش است پس اینست مقصود شما، و اگر بلغزد قدم پس بدرستی که ما بودیم در سایه‌های شاخهای درخت و محل وزیدن بادهای و در زیر سایه ابرها که نیست شد و نابود گشت و در هوا جمع شده آن ابرها و مندرس شد در زمین اثر آنها.

و جز این نیست که بودم من همسایه که همسایگی نمود با شما بدن من چند روزی و زود باشد که بیاید بعد از من بدنی که خالی باشد از روح، چنان بدنی که ساکن باشد بعد از حرکت، و خاموش باشد بعد از گفتار، تا وعظ نماید بشما سکون من و چشم در پیش افکندن من، و ساکن شدن اطراف بدن من.

پس بدرستی که مرگ پند دهنده تر است از برای عبرت یابندگان از گفتار بلیغ و فصیح، و از قول مسموع صریح، و داع کردن من شما را و داع مردیست که مهیا شده از برای ملاقات پروردگار، فردا می بینید روزهای مرا، و کشف می شود شما را از سرهای من، و بشناسید عدالت و قدر مرا بعد از خالی بودن مکان من از من، و ایستادن غیر من بجای من با امارت و خلافت و بی مبالاتی او در دین.

و الخمسون من المختار في باب الخطب

و أخذوا يمينا و شمالا ظعنا في مسالك الغي، و تركا لمذاهب الرشد، فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصد، و لا تستبطنوا ما يجيء به الغد، فكم من مستعجل بما إن أدركه و دّ أنه لم يدركه، و ما أقرب اليوم من تابشير غد، يا قوم هذا إبان ورود كل موعود، و دنوّ من طلعه ما لا تعرفون، ألا و من أدركها منّا يسرى فيها بسراج منير، و يحدو فيها على مثال الصالحين، ليحلّ فيها ربقا، و يعتق رقّا، و يصدع شعبا، و يشعب صدعا، في ستره عن الناس لا يبصر القائف أثره و لو تابع نظره، ثمّ ليشحدنّ فيها قوم شحد القين التّصل، يجلى بالتّنزيل أبصارهم، و يرمى بالتّفسير في مسامعهم، و يغبقون كأس الحكمة بعد الصّيبوح. منها و طال الأمد بهم ليستكملوا الخزي، و يستوجبوا الغير حتّى إذا اخلولق الأجل، و استراح قوم إلى الفتن، و اشتالوا عن لقاح حربهم، لم يمتّوا على الله بالصّبر، و لم يستعظموا بذل أنفسهم

فِي الْحَقِّ، حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارَدَ الْقَضَاءُ انْقِطَاعَ مَدَّةِ الْبَلَاءِ، حَمَلُوا بِصَائِرِهِمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرٍ وَعَظْمِهِمْ، حَتَّى إِذَا قَبِضَ اللَّهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ، وَغَالَتِهِمُ السَّبِيلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِحِجِ، وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحْمِ، وَهَجَرُوا السَّبِيْبَ الْعَلْدِيَّ أَمْرًا بِمُؤَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رِصِّ أَسَاسِهِ فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، مَعَادِنَ كُلِّ خَطِيئَتِهِ، وَأَبْوَابَ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرِهِ، قَدْ مَارَوْا فِي الْحَيْرَةِ، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ، عَلَى سَنَةِ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، مِنْ مَنْقَطَعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنًا، أَوْ مَفَارِقٍ لِلدُّنْيَا مَبَايِنًا.

اللغة

(ظعن) ظعنا من باب منع و ظعنا بالتحريك سار و (التباشير) أوائل الصبيح و كل شيء، و (إبان) الشيء بكسر الهمزة و تشديد الباء الموحدة وقته و زمانه و (الربق) بالكسر فالسكون جبل فيه عده عرى يشد به البهم و كل عروه ربقه بالكسر و الفتح و الجمع ربق و رباق و أرباق و (يشحذن) على البناء للمفعول من الشحذ و هو التحديد و (القين) الحداد و (التصل) حديد الزمخ و السهم و السيف ما لم يكن له مقبض و (الغبوق) وزان صبور الشرب بالعشي و غبقه سقاه ذلك و (الصبوح) كصبور أيضا الشرب بالغداة، و صببهم سقاهم صبوحا و قد يطلق الغبوق و الصبوح على ما يشرب بالعشي و الغداة.

و (الغير) بكسر الغين المعجمه و فتح الياء المثناه قال في مجمع البحرين:

فى الحديث: الشكر أمان من الغير، و مثله من يكفر بالله يلقى الغير، أى تغير الحال و انتقالها عن الصّلاح إلى الفساد و (شالت) النّياقه ذنبها و أشالته رفعتة فшал الذّنب نفسه لازم متعدّد و (اللقاح) بالفتح اسم ماء الفحل لفتح النّاقه من باب سمع لقاحا أى قبلت اللّقاح فهى لاقح أى حامل و (غاله) السّيل أهلكه كاغتاله و (الرّص) مصدر من رصّ الشىء ألصق بعضه ببعض و ضمّ كرصّصه قال تعالى:

«كَانَ لَهُمْ بُيُوتٌ مُّزُودٌ» و تراصّوا فى الصّفّ تلاصقوا و انضمّوا و (مار) الشىء من باب قال تحرّك بسرعه قال سبحانه:

«يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا»

الاعراب

قال الشّارح المعتزلى: ينصب ظعنا و تركا على المصدرية و العامل فيهما من غير لفظهما و هو أخذوا، انتهى.

و الصّواب أنّهما حالان من فاعل أخذوا على التّأويل بالفاعل، أى ظاعنين و تاركين، و يا قوم بكسر الميم منادى مرّحم، و قوله: فى ستره خبر لمبتدأ محذوف و جمله لا يبصر القائف أثره حال مؤكّده نحو: ولّى مدبرا، و جمله يجلى بالتّنزيل فى محلّ الرّفّع صفة لقوم، و قوله: حتّى اذا اخلوق الأجل، جواب اذا محذوف بقرينه جواب اذا الآتيه أعنى قوله: حملوا بصائرهم، و جمله لم يمتّوا حال من فاعل اشتالوا، و قوله: معادن كلّ خطيئه، خبر لمبتدأ محذوف و الجملة فى محلّ الرّفّع صفة لقوم.

و قوله: على سنّه من آل فرعون من منقطع آه ظرف مستقرّ حال من فاعل ذهلوا، و من الاولى نشويّه ابتدائية و الثّانية أيضا للابتداء، و مجرور الثّانية بدل من مجرور الاولى بدل اشتمال نظير قوله تعالى:

«نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ» قال ابن هشام: من فيهما للابتداء و مجرور الثانيه بدل من مجرور الأولى بدل اشتمال لأنَّ الشجره كانت نابته بالشاطيء، انتهى.

و ربّما يعترض عليه بأنه لا- بدّ على ذلك من تقدير ضمير يعود على المبدل منه، و اجيب عنه بأنّ تكرار من يغنى عن تقدير الضمير، هذا.

و يحتمل كون من الثانيه للتبيين فهى إمّا بيان لمجرور من الاولى على حدّ قوله تعالى:

«وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا».

أو بيان لمعادن كلّ خطيئه، و الأول أقرب لفظا و الثانى معنى، فافهم.

المعنى

اشاره

اعلم أنّه عليه السّلام يذكر فى هذه الخطبه قوما من فرق الضّلال زاغوا عن طريق الهدى إلى سمت الرّدى و مدارها على فصول:

الفصل الاول

قوله عليه السّلام:(و أخذوا يمينا و شمالا ظعنا فى مسالك الغي و تركا لمذاهب الرّشد) أى مرتحلين فى مسالك الغي و الضّلال، و تاركين لمذاهب الرّشد و السّداد، فإنّ اليمين و الشّمال مضلّه و الطّريق الوسطى هى الجاده على ما تقدّم تفصيلا فى شرح الفصل الثّانى من الكلام السّادس عشر، فمن أخذ بالشّمال و اليمين ضلّ لا محاله عن التّهج القويم و الصراط المستقيم.

ثمّ نهاهم عن استعجال ما كانوا يتوقّعون من الفتن الّتى أخبرهم الرّسول صلّى الله عليه و آله

و هو عليه السّلام بوقوعها فى مستقبل الزّمان، و كانوا يسألونه عليه السّلام عنها و يستبطنون حصولها فقال: (فلا تستعجلوا ما هو كائن مرصداً) أى مترقّب و معدّ (و لا تستبطنوا ما يجىء به الغد) و عللّ النهى عن الاستعجال بقوله (فكم من مستعجل بما إن أدركه) حريص عليه (و قد أنّه لم يدركه) و ذلك لأنّه ربّما يستعجل أمراً غفله عمّا يترتّب عليه من المفساد و المضارّ، و جهلاً بما يتضمّنه من الشّرور و المعاييب فإذا أدركه ظهر له ما كان مخفياً عنه فيودّ أن لا ينيله و لا يدركه قال سبحانه:

«وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ».

و لما نهاهم عن استبطاء ما يجىء به الغد أشار إلى قربه بقوله (و ما أقرب اليوم من تبشير غد) و أوائله كما قال الشّاعر: غد ما غد ما أقرب اليوم من غد.

ثمّ قال عليه السّلام: (يا قوم هذا إبان ورود كلّ موعود) أى وقت وروده و زمانه و المستفاد من شرح البحرانى أنّ المقصود بهذه الجملة تقريب ذلك الموعود من الفتن، و من شرح المعتزلى أنّها إشارة إلى قرب وقت القيامة و ظهور الفتن التى يظهر أمامها، و الانصاف أنّ كلامه عليه السّلام متشابه المراد، لأنّ السيّد (ره) حذف أوّل الخطبه و ساقها على غير نسق، فأوجب ذلك إبهام المرام و إعضال الكلام، و كم له (ره) من مثل هذا الاسلوب المخالف للسّليقه فى هذا الكتاب الموجب للغلق و الاضطراب هذا.

و قوله: (و دنوّ من طلعه ما لا تعرفون) أى هذا وقت قرب ظهور ما لا تعرفون من تلك الملاحم و الفتن الحادّته بالتّفصيل.

قال الشّارح المعتزلى: لأنّ تلك الملاحم و الأشراف الهايله غير معهود مثلها، نحو دابّه الأرض، و الدّجال و فتنته و ما يظهر على يده من المخاريق و الامور الموهمه، و واقعه السّيفيانى و ان يقتل فيها من الخلائق الذى لا يحصى عددهم، انتهى ثمّ أشار إلى سيره أهل بيته عليه السّلام عند ظهور هذه الفتن فقال (ألا و من أدركها منّا) أهل البيت (يسرى فيها) أى فى ظلمات هذه الفتن (بسراج منير) أى بنور

الامامه و الولايه، فلا- توجب ظلماتها انحرافه عن طريق الهدى، و لا توقع له شبهه فى عقيدته الصادقه الصافيه بل يسلك فيها مسلك الحق المبين (و يحذو فيها على مثال) أسلافه (الصّالحين) و يقتفى آثار أولياء الدّين (ليحلّ فيها ربّقا و يعتق رقّا) أى يستفكّ الهدى و ينقذ مظلومين من أيدي الظّالمين، و يحتمل أن يكون كناية عن حلّه فيها ربّق الشكّ من أعناق النفوس و عتقها من ذلّ الجهل (و يصدع شعبا و يشعب صدعا) أى يفرّق ما اجتمع و اتّفق من الضّلال و يصلح ما تشّتت و تفرّق من الهدى.

و قوله:(فى ستره عن النّاس) قال الشّارح المعتزلى هنا بعد بنائه على أنّ المراد بالموصول فى قوله عليه السّلام سابقا: و من أدركها، هو مهديّ آل محمّد سلام الله عليه و على آباءه الطّاهرين: إنّ هذا الكلام يدلّ على استتار هذا الانسان المشار إليه و ليس ذلك بنافع للاماميه فى مذهبهم و إن ظنّوا أنّه تصريح بقولهم، و ذلك لأنّه من الجايز أن يكون هذا الامام يخلقه الله فى آخر الزّمان و يكون مستترا مدّه و له دعاه يدعون إليه و يقرّرون أمره ثمّ يظهر بعد ذلك الاستتار و يملك الممالك و يقهر الدّول و يمهد الأرض كما ورد فى الخبر انتهى.

أقول: قد أشرنا فى شرح الخطبه المأه و الثّامنه و الثلاثين أنّ المهديّ صاحب الزّمان عليه صلوات الرّحمن مخلوق موجود الآن، و أنّ خلاف المعتزله و من حذا حذوهم فيه و إنكارهم لوجوده بعد ممّا لا يعبأ به بعد قيام البراهين العقليّه و النقليه و دلالة الأصول المحكمه على وجوده كما هو ضرورىّ مذهب الاماميه رضوان الله عليهم، و كتب أصحابنا فى الغيبه كفتنا مؤنه الاستدلال فى هذا المقام و كيف كان فلو اريد بالموصول خصوص امام الزّمان عليه السّلام لا بدّ أن يكون المراد بقوله: فى ستره عن النّاس، غيبته و استتاره عن أعين النّاس، و يكون قوله (لا- يبصر القائف أثره و لو تابع نظره) إشاره إلى شدّه استتاره و عدم إمكان الوصول إليه و لو استقصى فى الطلب و بولغ فى النّظر و التّأمل إلّا للأوحدىّ من النّاس إذا اقتضت الحكمة الالهيه، و لو اريد به العموم كان المقصود به ما قاله الشّارح

البحراني حيث قال: وما زالت أئمة أهل البيت عليهم السّلام مغمورين في النَّاس لا يعرفهم إلا من عرّفوه أنفسهم حتّى لو تعرّفهم من لا يريدون معرفته لم يعرفهم، لست أقول لم يعرف أشخاصهم بل لا يعرف أنّهم أهل الحقّ والأحقّون بالأمر.

(ثمّ ليشحذنّ فيها قوم شحذ القين النّصل) قال الشّارح المعتزلي: يريد ليحرضنّ في هذه الملاحم قوم على الحرب و قتل أهل الضّلال، و ليوطننّ عزائمهم كما يشحذ الصّيقل السّيف و يطلق حدّه.

و قال الشّارح البحراني: أى في أثناء ما يأتي من الفتن تشحذ أذهان قوم و تعدّ لقبول العلوم و الحكمة كما يشحذ الحدّاد النّصل، و لفظ الشّحذ مستعار لاعداد الأذهان، و وجه الاستعاره الاشتراك في الاعداد التّام النّافع، فهو يمضى في مسائل الحكمة و العلوم كمضى النّصل فما يقطع به و هو وجه التشبيه المذكور، انتهى.

أقول: فعلى قول الأوّل يكون المراد بقوله عليه السّلام: قوم، أنصار إمام الزمان عليه السّلام و أصحابه، و على قول الثّاني يكون المراد به علماء الامّه المستجمعين لكمالات النفوس، السّالكين لسبيل الله من جاء منهم قبلنا و من يأتي في آخر الزمان و وصف هؤلاء بقوله (يجلى بالتنزيل أبصارهم و يرمى بالتفسير في مسامعهم) أى يكشف الرّين و تدفع ظلمات الشّكوك و الشّبهات عن أبصار بصائرهم بالقرآن و التّيدبر في بديع اسلوبه و معانيه، و يرمى بتفسيره حقّ التفسير في مسامعهم، و الجمله الثّانيه بمنزله التّعليل للأولى، يعنى أنّهم لتلقّيهم تفسيره على ما يحقّ و ينبغى من أهل الذكر الذينهم معادن التنزيل و التّأويل و تحصيلهم المعرفه عنهم عليهم السّلام بمعانيه و مبانيه و اسراره الباطنه و الظاهره و حكمه الجليّه و الخفيّه ارتفعت غطاء الشّبهات و غشاوه الشّكوكات عن ضمائرهم و بصائرهم، فاستعدّت أذهانهم لادراك المعارف الحقّه و الحكم الالهيه، و لم يزل الأسرار الرّبانيه و العنايات الالهيه تفاض اليهم صباحا و مساء.

و هو معنى قوله: (و يغبقون كأس الحكمة بعد الصّبح) و هو من باب الاستعاره

بالكنايه حيث شبّه الحكمة التي هي عباره عن المعارف المتضمّنه لصلاح النشأتين بالشراب، و الجامع عظم المنفعه و اللذّه فيهما و إن كانت منفعه الأولى للأرواح و بها التذاذها و كمالها، و نفع الثاني للأبدان و منه حظّها، و اثبات الكأس تخيل، و ذكر الغبوق و الصّبوح ترشيح.

الفصل الثاني

(منها) قوله عليه السّلام (و طال الأمد بهم ليستكملوا الخزي و يستوجبوا الغير) قال الشارحان البحراني و المعتزلي: هذا الفصل من كلامه يتّصل بكلام قبله لم يذكره الرّضّي قد وصف فيه فنه ضالّه قد استولت و ملكت و املى لها الله سبحانه انتهى.

ان قيل: كيف ساغ جعل طول الأمد عدله لاستكمال الخزي؟ قلت: اللّام هنا ليست على التّعليل حقيقه بل هي على العليّه المجازيّة كما في قوله سبحانه «فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً و حزناً» حيث شبّه ترتّب كونه عدواً و حزناً على الالتقاط بترتّب العلّه الغائيه على معلولها، فاستعمل فيه اللّام الموضوعه للعليّه، و فيما نحن فيه أيضا لما كان طول المدّه سببا لتماديهم في الغيّ و الغفله، و فعلهم للآثام و المعاصي بسوء اختيارهم، و كان فعل المعاصي جالبا لكمال الخزي، و موجبا لتغيّر النّعم، فجعلوا بفعلهم للمعاصي بمنزله الطّالبيين لكمال الخزي، ثمّ رتب استكمال الخزي على طول الأمد و استعمل اللّام الموضوعه للعليّه فيه و مثله قوله تعالى:

«و لا يحسبنّ الذين كفّروا أنّهم نملى لهم خيراً لأنفسهم إنّهم نملى لهم ليزدادوا إثماً و لهم عذابٌ مهينٌ».

و محصّل المرام أنّهم بطول بقائهم في الدّنيا ركبوا الدّنوب و المعاصي، فاستحقّوا بذلك الخزي و النّكال، و استوجبوا تغيّر النّعمه بسوء الأعمال

لأنَّ «اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» قال «وَيَدُلُّنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أَكْلِ خَمْطٍ وَ أَثَلٍ وَ شَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَ هَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ».

(حَتَّى إِذَا اخْلُوقَ الْأَجَلُ) قال الشَّارِحُ البَحْرَانِي: أَي صَار خَلِيقًا، وَ لَيْسَ بِشَيْءٍ، لِأَنَّ اخْلُوقَ لَمْ يَذْكَرْ لَهُ إِلَّا الْفَاعِلُ فَهُوَ فَعْلٌ تَامٌ بِمَعْنَى قَرَبٍ، وَ مَا ذَكَرَهُ مَعْنَى اخْلُوقَ إِذَا ذَكَرَ لَهُ اسْمٌ وَ خَبْرٌ وَ كَانَ فِعْلًا- نَاقِصًا مِثْلَ: اخْلُوقَ السَّمَاءِ أَنْ تَمَطَّرَ أَي صَار خَلِيقًا لِلْأَمْطَارِ، وَ كَيْفَ كَانَ فَالْمُرَادُ أَنَّهُ قَرَبٌ انْقِضَاءَ مَدَّةِ هَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ الْمُسْتَكْمِلِينَ لِلخِزْيِ وَ الْمُسْتَوْجِبِينَ لِلغَيْرِ.

(وَ اسْتِرَاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتْنِ) أَي مَالٌ وَ صَبَا قَوْمٌ مِنَ الشَّيْعَةِ وَ أَهْلُ الْبَصْرَةِ إِلَى فِتْنِ تِلْكَ الْفِتْنَةِ الضَّالَّةِ، وَ وَجَدُوا الرِّاحَةَ لِأَنْفُسِهِمْ فِي تَوَجُّهِهِمْ إِلَيْهَا (وَ اسْتَالُوا عَنْ لِقَاحِ حَرْبِهِمْ) أَي رَفَعَ هَؤُلَاءِ الْمُسْتَرِيحُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنْ تَهَيِّجِ الْحَرْبِ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ، وَ شَبَّهَ الْحَرْبَ بِالتَّاقَةِ اللَّاقِحِ وَ أَثْبَتَ لَهَا اللَّقَاحَ تَخْيِيلًا، وَ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ تَرَكَوا مُحَارَبَتَهُمْ وَ رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ عَنْ سِيُوفِهِمْ إِمَّا لِعَجْزِهِمْ عَنِ الْقِتَالِ أَوْ لِعَدَمِ قِيَامِ الْقَائِمِ بِالْأَمْرِ فَهَادِنُوهُمْ وَ أَلْقُوا إِلَيْهِمُ السَّلْمَ.

حَالِكُونَهُمْ (لَمْ يَمْنُوا عَلَى اللَّهِ بِالصَّبْرِ) عَلَى مِشَاقِّ الْقِتَالِ، وَ فِي رِوَايَةٍ: بِالنَّصْرِ، أَي بِنَصْرِهِمْ لِلَّهِ (وَ لَمْ يَسْتَعْظَمُوا بِذَلِّ أَنْفُسِهِمْ فِي) طَلَبِ (الْحَقِّ) وَ نَصْرَتِهِ (حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدَ الْقِضَاءِ انْقِطَاعَ مَدَّةِ الْبَلَاءِ) أَي وَرَدَ الْقِضَاءُ الْإِلَهِيَّ بِانْقِطَاعِ بَلَاءِ هَذِهِ الْفِتْنَةِ الضَّالَّةِ وَ انْقِضَاءِ مَلِكِهِمْ وَ أَمَارَتِهِمْ وَ أَدْنَى اللَّهِ فِي اسْتِيصَالِهِمْ بِظُهُورِ مَنْ يَقُومُ بِنَصْرِ الْحَقِّ وَ دَعْوَتِهِ إِلَيْهِ (حَمَلُوا) أَي هَؤُلَاءِ الْمُسْتَرِيحُونَ إِلَى الْفِتْنِ (بِصَائِرِهِمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ) لِحَرْبِ أَهْلِ الضَّالِّالِ، قَالَ الشَّارِحُ الْمَعْتَرَلِي: وَ هَذَا مَعْنَى لَطِيفٍ، يَعْنِي أَنَّهُمْ أَظْهَرُوا بِصَائِرِهِمْ وَ عَقَائِدِ قُلُوبِهِمْ لِلنَّاسِ وَ كَشَفُوهَا وَ جَرَّدُوهَا مِنْ أَجْفَانِهَا مَعَ تَجْرِيدِ السِّيُوفِ مِنْ أَجْفَانِهَا فَكَأَنَّهَا شَيْءٌ مَحْمُولٌ عَلَى السِّيُوفِ يَبْصُرُهُ مِنْ يَبْصَرِ السِّيُوفِ، فَفَتْرَى فِي

غايه الجلاء و الظهور كما ترى السيوف المجزّده (و دانوا لربّهم بأمر واعظهم) أشار به إلى الامام القائم عجل الله ظهوره، هذا.

و للشّراح فى شرح هذا الفصل من كلامه عليه السّلام اضطراب عظيم، و تحيّرنا فى مراجع الضمائر الموجوده فيه، و اضطروا فى إصلاح نظم الكلام إلى التّأويلات الباردة التى يشمئزّ عنها الأفهام، و نحن شرحناه بحمد الله على ما لا يخرج من السّلاسه و النظم بمقتضى سليقتنا، و العلم بعد موكول إلى صاحب الكلام عليه السّلام

الفصل الثالث

إشاره

فى اقتصاص حال المرتدّين بعد قبض الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم، و ظاهر هذا الفصل يعطى أن يكون قبله كلام أسقطه الرّضى حتى يكون هذا الكلام غايه له، و إلاّ فلا ارتباط له بالفصل المتقدّم.

يقول عليه السّلام: (حتى إذا قبض الله رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم رجع قوم على الأعقاب) و تركوا ما كانوا عليه من الانقياد للشريعه و امتثال أوامر الله و رسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم، و المراد بهؤلاء القوم الغاصبون للخلافه و متّبعوهم و المقتفون اثرهم (و غالتهم السبل) أى أهلكتهم سبل الضلال و عدو لهم عن سبيل الحقّ قال سبحانه:

«وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ».

و قد فسّر السبيل فى هذه الآيه و فى غير واحد من الآيات بالأئمه و ولايتهم، و فسّر السبل بأئمه الضلال و ولايتهم و قد مضى طرف من الأخبار فى هذا المعنى فى شرح الفصل الثانى من الكلام السابع عشر و أقول هنا: روى فى البحار من تفسير فرات بن إبراهيم عن جعفر بن محمّد الفزارى معننا عن حمران، قال سمعت أبا جعفر يقول فى قول الله:

«وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ».

قال: عليّ بن أبي طالب و الأئمة من ولد فاطمه عليهم السّلام هم صراط الله، فمن أتاهم سلك السبيل و من كثر جامع الفوائد و تأويل الآيات عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن النضر عن يحيى الحلبي عن أبي بصير عن أبي جعفر في قوله:

«وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ».

قال: طريق الامامه فاتبعوه.

«وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ».

أى طرقا غيرها.

و عن محمّد بن القاسم عن السيارى عن محمّد بن خالد عن حماد عن حريز عن أبي عبد الله عليه السّلام أنه قال قوله عزّ و جلّ:

«يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا».

يعنى عليّ بن أبي طالب عليه السّلام و من تفسير الامام قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: ما من عبد و لا أمه اعطى بيعه أمير المؤمنين عليه السّلام فى الظاهر و نكثها فى الباطن و أقام على نفاقه إلّا و إذا جاءه ملك الموت لقبض روحه تمثّل له إبليس و أعوانه، و تمثّلت النيران و أصناف عقاريتها لعينيه و قلبه و مقاعده مقاعد الناكث من مضايقتها، و تمثّل له أيضا الجنان و منازلها فيها لو كان بقى على ايمانه و وفى بيعته فيقول له ملك الموت: انظر إلى تلك الجنان التي لا يقادر قدر سرّائها و بهجتها و سرورها إلّا الله ربّ العالمين كانت معدّه لك، فلو كنت بقيت على ولايتك لأخى محمّد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كان يكون إليها مصيرك يوم فصل القضاء، و لكن نكثت و خالفت فتلك النيران و أصناف عذابها و زبانياتها و أفاعيها الفاغره أفواهاها و عقاربها الناصبه أذنانها و سباعها الثائله مخالبتها و ساير أصناف عذابها هو لك و إليها مصيرك فعند ذلك يقول:

«يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا».

و قبلت ما أمرنى به و التزمت من موالاه على عليه السلام ما ألزمنى.

(و اتكلوا على الولايج) أى اعتمدوا فى آرائهم الفاسده و بدعهم المبتدعه على أهلهم و خواصهم فى نصره ذلك الرأى و ترويج تلك البدعه (و وصلوا غير الرحم) أى رحم آل محمّد و اللأم عوض عن المضاف إليه يعنى أنّهم قطعوا رحم الرسول صلى الله عليه و آله بحسبانهم أنّها لا تنفع، و وصلوا غيرها لانتفاعهم فى دنياهم بها.

و هؤلاء هم الذين أشار إليهم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى الحديث المروى فى البحار من أمالى الشيخ و ابنه عن المفيد معننا عن حمزه بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول على المنبر: ما بال أقوام يقولون إنّ رحم رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لا ينفع يوم القيامة، بلى و الله إنّ رحمى لموصوله فى الدنيا و الآخرة، و إنّى أيها الناس فرطكم يوم القيامة على الحوض، فاذا جئتم قال الرجل يا رسول الله أنا فلان بن فلان فأقول: أما النسب فقد عرفته و لكنكم أخذتم بعدى ذات الشمال و ارتددتم على أعقابكم القهقرى.

و فيه منه باسناده عن حمزه بن أبى سعيد الخدرى أيضا عن أبيه عن النبى صلى الله عليه و آله و سلم أنّه قال: أترعمون أنّ رحم نبى الله لا- ينفع قومه يوم القيامة؟ بلى و الله إنّ رحمى لموصوله فى الدنيا و الآخرة، ثمّ قال: يا أيها الناس أنا فرطكم على الحوض فاذا جئت و قام رجال يقولون يا نبى الله أنا فلان بن فلان، و قال آخر يا نبى الله أنا فلان بن فلان، فأقول: أما النسب فقد عرفت و لكنكم أحدثتم بعدى و ارتددتم القهقرى قال العلامة المجلسى بعد روايه هذا الحديث: الظاهر أنّ المراد بالثلاثة الثلاثة.

(و هجروا السبب الذى أمروا بمودّته) أراد بهم آل محمّد عليهم السّلام أيضا لكونهم سببا لمن اهتدى بهم فى الوصول إلى الله سبحانه.

و يدلّ عليه ما رواه في البحار من أمالي الشيخ و ابنه بسنده عن محمّد بن المثنى الأزدي أنّه سمع أبا عبد الله عليه السّلام يقول.
نحن السّبب بينكم و بين الله عزّ و جلّ و قد أمرنا الله بمودّتهم في قوله:

«قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ».

و قال رسول الله في مروىّ البحار من كتاب العمده من مناقب الفقيه ابن المغازلى الشّافعى باسناده إلى ابن عمر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: لمّا خلق الله الخلق اختار العرب فاختر قريشا و اختار بنى هاشم فأنا خير من خيره، ألا فأحبوا قريشا و لا تبغضوها فتهلكوا، ألا كلّ سبب و نسب منقطع يوم القيامة إلاّ سببى و نسبى، ألا و إنّ علىّ بن أبى طالب عليه السّلام من نسبى و حسبى فمن أحبّه فقد أحبّنى و من أبغضه فقد أبغضنى.

قال الشّارح المعتزلى في شرح قوله: و هجروا السّبب: يعنى أهل البيت، و هذا إشارة إلى قول النّبى صلّى الله عليه و آله: خلفت فيكم الثقلين: كتاب الله و عترتى أهل بيتى، حبلان ممدودان من السّماء إلى الأرض لا يفترقان حتّى يردا علىّ الحوض فعبر أمير المؤمنين عن أهل البيت بلفظ السّبب لما كان النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: حبلان، و السبب فى اللغه الحبل، انتهى.

أقول: و قد استعير لهم عليهم السّلام لفظ الحبل فى غير واحد من الآيات، قال شيخنا أبو علىّ الطبرسى فى تفسير قوله تعالى:

«وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَ لَا تَفَرَّقُوا» قيل فى معنى حبل الله أقوال: أحدها أنّه القرآن ثانيها أنّه دين الاسلام و ثالثها ما رواه أبان بن تغلب عن جعفر بن محمّد عليهما السّلام قال: نحن حبل الله الذى قال: و اعتصموا بحبل الله جميعا، و الأولى حملة على الجميع.

و الّذى يؤيّد ما رواه أبو سعيد الخدرى عن النّبى أنّه قال: يا أيّها النّاس إنى قد تركت فيكم حبلين إن أخذتم بهما لن تضلّوا بعدى أحدهما اكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السّماء إلى الأرض، و عترتى أهل بيتى ألا و إنّهما لن

يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

و في البحار من تفسير عليّ بن إبراهيم في هذه الآية قال: التوحيد و الولايه و في روايه أبي الجارود في قوله تعالى: «وَلَا تَفَرَّقُوا»، قال: إنّ الله تبارك و تعالى علم أنّهم سيفترقون بعد نبئهم و يختلفون، فنهاهم الله عن التفريق كما نهى من كان قبلهم، فأمرهم أن يجتمعوا على ولايه آل محمّد صلى الله عليه و آله و سلم و لا يتفرّقوا.

و في البحار أيضا من كنز جامع الفوائد و تأويل الآيات روايه عن صاحب نهج الايمان، عن الحسين بن جبير باسناده إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى:

«إِلَّا بِحَبْلِ مِّنَ اللَّهِ وَ حَبْلِ مِّنَ النَّاسِ».

قال: حبل من الله كتاب الله، و حبل من الناس عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

و فيه من الكتاب المذكور أيضا مسندا عن حصين بن مخارق عن أبي الحسن موسى عن آبائه عليهم السلام في قوله عزّ و جلّ:

«فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى».

قال: موّدتنا أهل البيت.

و في الصافي من معاني الأخبار عن النبيّ صلى الله عليه و آله و سلم من أحبّ أن يستمسك بالعروه الوثقى التي لا انفصام لها فليستمسك بولايه أخى و وصيّي عليّ بن أبي طالب فإنه لا يهلك من أحبّه و تولاه، و لا ينجو من أبغضه و عاداه.

(و نقلوا البناء عن رصّ أساسه فبنوه في غير موضعه) أى نقلوا بناء الدين و الايمان عن أساسه المرصوص المستحکم اللّاصق بعضه ببعض، فبنوه في غير موضعه و هو اشاره إلى عدو لهم بالخلافه عن أصلها و مكانها اللّايق به إلى غيره، و هو توبيخ و تفريع آخر لأولئك المنافقين بعد و لهم عن أولياء المؤمنين و أئمة الدين، كما و يخّ الله اخوانهم في هذا المعنى بقوله:

«أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ».

يعنى أنّ المحقّق أسّس بنيان دينه على قاعده محكمه و أساس وثيق و هو الحقّ الذى هو التقوى من الله و طلب مرضاته بالطّاعه، و المبطل أسّس بنيانه على قاعده هى أضعف القواعد و هو الباطل و التّفاق الذى مثله مثل شفا جرف هار فى قلبه الثّبات فهوى به الباطل فى نار جهنّم.

ثمّ وصفهم، بأوصاف اخرى فقال (معادن كلّ خطيئه) قال الشّارح البحرانى أى إنّهم مستعدّون لفعل كلّ خطيئه و مهيوّن لها، فهم مظانّها، و لفظ المعادن استعاره، انتهى.

أقول: و الظّاهر أنّ المراد أنّهم معدن كلّ خطيئه صدرت من هذه الامّه و أصل كلّ ذنب واقع منهم و منشاها و مبدء الشّرور و المساوى، و ذلك باغتصابهم للخلافه إذ لو استقرّت فى أهلها أعنى أهل بيت العصمه و الطهاره لحملوا الناس على الحنيفيه البيضاء، و جرى الامور على وفق الحقّ فضّلوا و أضلّوا.

«وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ» روى فى الصّافى عن العياشى عن الباقر عليه السّلام ما ذا أنزل ربّكم فى على؟ قالوا:

أساطير الأوّلين سجع أهل الجاهليّه فى جاهليّتهم ليحملوا أوزارهم ليستكملوا الكفر ليوم القيامة و من أوزار الذين يضلّونهم يعنى كفر الذين يتولّونهم و عن على بن إبراهيم القمى قال: يحملون آثامهم يعنى الذين غصبوا امير المؤمنين و آثام كلّ من اقتدى بهم، و هو قول الصّادق عليه السّلام: و الله ما اهريق

محجمه من دم و لا- قرع عصا بعصا و لا- غضب فرج حرام و لا- اخذ مال من غير حله إلا- و زر ذلك في أعناقهما من غير أن ينقص من أوزار العاملين شىء.

و فى حديث مفضل بن عمر الوارد فى الرجوع عن الصادق عليه السلام بعد اقتصاصه مسير المهدي عليه السلام إلى قبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم و إخرجه بضجيعيه و أمره بصلبهما قال: فيأمر المهدي ريحا فتجعلهم كأعجاز نخل خاويه، ثم يأمر بانزالهما فينزلا-ن فيحييهما باذن الله تعالى و يأمر الخلائق بالاجتماع، ثم يقصّ عليهم قصص أفعالهم فى كلّ كور و دور حتّى يقصّ عليهم قتل هابيل بن آدم عليه السلام، و جمع الثمار لابراهيم، و طرح يوسف فى الجبّ، و حبس يونس فى بطن الحوت، و قتل يحيى، و صلب عيسى، و عذاب جرجيس، و دانيال، و ضرب سلمان الفارسي، و اشعال الثمار على باب أمير المؤمنين و فاطمه و الحسنين عليهم السلام و إرادته إحراقهم بابها، و ضرب صديقه الكبرى فاطمه الزهراء بسوط، و رفس بطنها و إسقاطها محسنا، و سمّ الحسن عليه السلام، و قتل الحسين و ذبح أطفاله و بنى عمّه و أنصاره و سبى ذرارى رسول الله صلى الله عليه وآله و إراقه دماء آل محمّد، و كلّ دم مؤمن، و كلّ فرج نكح حراما، و كلّ ربا اكل، و كلّ خبث و فاحشه و ظلم منذ عهد آدم إلى قيام قائمنا، كلّ ذلك يعدّ ده عليهما و يلزمهما إيّاه و يعترفان به ثمّ يأمر بهما فيقتصّ منهما فى ذلك الوقت مظالم من حضر، الحديث.

(و) بما ذكرنا ظهر أيضا أنّهم (أبواب كلّ ضارب فى غمره) يعنى أنّ كلّ من أراد الباطل و الضلال فليقصّد هؤلاء و ليرمق أعمالهم و ليتبع آثارهم، إذ كلّ ضلال قد خرج منهم و انتشر فى مشارق الأرض و مغاربها، فهم أبواب الضلال كما أنّ الأئمة عليهم السلام أبواب الهدى.

روى فى البحار من كتر جامع الفوائد و تأويل الآيات عن حماد بن عيسى عن بعض أصحابه رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال:

«وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ»

«ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ».

قال: هو الأول ثانی عطفه إلى الثانی، و ذلك لما أقام رسول الله أمير المؤمنين علما للناس و قال: و الله لا نفی بهذه له أبدا (قد ماروا في الحيره) أي تردّوا في أمرهم، فهم حائرون تائهون لا يعرفون جهه الحق فيقصدونه، و ذلك بعدو لهم عن أئمة الدين و أدلاء الشرع المبين.

روى العلامة المجلسي من كتاب المحاسن عن محمّد بن علي بن محبوب عن العلا عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ من دان الله بعباده يجهد فيها نفسه بلا إمام عادل من الله فإنّ سعيه غير مقبول، و هو ضالّ متخيّر، و مثله كمثل شاه ضلّت عن راعيها و قطيعها فتاهت ذاهبه و جائيه يومها، فلما أن جنّها الليل بصرت بقطيع غنم مع راعيها فجاءت إليها فباتت معها في ربضها(١)، فلمّا أن ساق الرّاعي قطيعه أنكرت راعيها و قطيعها فهجمت متخيّره تطلب راعيها و قطيعها، فبصرت بسرح(٢) قطيع غنم آخر فعمدت نحوها و حنّت إليها، فصاح بها الرّاعي: الحقّ بقطيعك فإنّك تائهة متخيّره قد ضللت عن راعيك و قطيعك فهجمت زعره متخيّره لا راعي لها يرشدها إلى مرعاها أو يردها، فينا هي كذلك إذا اغتتم الذّئب ضيعتها فأكلها، و هكذا يا محمّد بن مسلم من أصبح من هذه الأئمة لا إمام له من الله عادل أصبح تائها متخيّرا إن مات على حاله تلك مات ميتة كفر و نفاق، و اعلم يا محمّد أنّ أئمة الحقّ و أتباعهم على دين الله.

و قد تقدّمت هذه الروايه في التّذييب الثالث من شرح الفصل الرّابع من الخطبه الاولى بروايه الكافي و أوردتها هنا لاقتضاء المقام، و توضيح كلام الامام عليه السلام (و ذهلوا في السّكره) أي غابت أذهانهم في سكره الجهل (على سنّه من آل فرعون) أي على طريقه اتباع فرعون الّذين قال الله فيهم: «أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ» كما أنّ الأئمة عليهم السلام على سنّه آل موسى و شيعة، و المراد أنّهم

ص: ١٤٧

١- (١) ربض الغنم مرعاها

٢- (٢) السرح المال السائم

على طريقه أهل الظلم والضلال كما أنّ الأئمة عليهم السلام على طريقه أهل العدل والهدى.

وقد صرّحوا بذلك في غير واحد من الروايات مثل ما في البحار عن العياشي عن أبي الصّباح الكنانى قال: نظر أبو جعفر إلى
أبي عبد الله عليهما السلام فقال: هذا والله من الذين قال الله:

«وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَوْا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ». الآية وقال سيد العابدين على بن الحسين
عليهما السلام: والذى بعث محمدا صلى الله عليه وآله وسلم بالحق بشيرا و نذيرا إنّ الأبرار ممّا أهل البيت و شيعتهم بمنزله
موسى و شيعته، و إنّ عدونا و أشياعهم بمنزله فرعون و أشياعه.

و فيه من تفسير فرات بن إبراهيم عن الحسين بن سعيد باسناده عن على بن أبى طالب عليه السلام قال: من أراد أن يسأل عن
أمرنا و أمر القوم فانا. و أشياعنا يوم خلق الله السموات و الأرض على سنّه موسى و أشياعه، و إنّ عدونا يوم خلق الله السموات و
الأرض على سنّه فرعون و أشياعه، فنزلت فينا هذه الآيات:

«تَنَلُّوا عَلَيْكَ مِنْ نَبِيِّ مُوسَى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ
أَبْنَاءَهُمْ وَ يَسْتَتِجِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَوْا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ
الْوَارِثِينَ وَ نُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِي فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ».

و إني أقسم بالذي خلق «فلق ظ» الحَبَّه و برىء التَّسمه ليعطفنَّ عليكم هؤلاء عطف الضُّروس (١) على ولدها.

و فيه عن عليّ بن إبراهيم قال: حدّثني أبي عن النضر عن ابن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لقي المنهال بن عمرو عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما فقال له: كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ قال: ويحك أما آن لك أن تعلم كيف أصبحت؟ أصبحت في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبّحون أبنائنا و يستحيون نساءنا (من منقطع إلى الدنيا راكن أو مفارق للدّين مباين) أو لمنع الخلوّ يعني أنّ صنفا منهم منقطع إلى الدّنيا منهمك في لذاتها مكبّ على شهواتها، و الصّنف الآخر مفارق للدّين مزابل له و إن لم يكن له دنيا كما ترى كثيرا من أبحار النّصارى و رهبانهم، يتركون الدّنيا و يزهدون فيها و هم من أهل الضّلال.

تنبيه

قال الشّارح المعتزليّ في شرح هذا الفصل الأخير من الخطبه:

فان قلت: أليس الفصل صريحا في تحقيق مذهب الاماميّه؟ قلت: لا، بل نحمله على أنّه عنى عليه السلام أعدائه الذين حاربوه من قريش و غيرهم من افناء العرب في أيّام صفّين، و هم الذين نقلوا البناء، و هجروا السّيب و وصلوا غير الرّحم، و اتكلوا على الولايح، و غالتهم السّيل، و رجعوا على الأعقاب كعمرو بن العاص و المغيره بن شعبه و مروان بن الحكم و الوليد بن عقبه و حبيب بن مسلمه و بسر بن أرطاه و عبد الله بن الزّبير و سعيد بن العاص و جوشب، و ذى الكلاع و شرحبيل بن الصّمت و أبي الأعمور السّلمي و غيرهم ممّن تقدّم ذكرنا لهم في الفصول المتعلّقه بصّفين و أخبارها، فانّ هؤلاء نقلوا الامامه عنه عليه السّلام إلى معاويه، فنقلوا البناء عن رضّ أصله إلى غير موضعه.

فان قلت: لفظ الفصل يشهد بخلاف ما تأوّلته لأنّه عليه السلام قال: حتّى إذا

ص: ١٤٩

١- (١) ضررهم الزمان شدّ عليهم و ناقه ضرورس سيئه الخلق تعضّ حالها.

قبض الله رسوله صَلَّى الله عليه وآله وسلم رجوع قوم على الأعقاب، فجعل رجوعهم على الأعقاب عقيب قبض الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم، وما ذكرته أنت كان بعد قبض الرسول بتيف و عشرين سنة قلت: ليس يمتنع أن يكون هؤلاء المذكورون رجعوا على الأعقاب لما مات رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم وأضمروا في أنفسهم مشاقه أمير المؤمنين عليه السلام و أذاه، و قد كان فيهم من يتحككك به في أيام أبي بكر و عمر و عثمان و يتعرض له و لم يكن أحد منهم و لا من غيرهم تقدم على ذلك في حياه رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم، و لا يمتنع أيضا أن يريد رجوعهم على الأعقاب ارتدادهم عن الاسلام بالكليه، فان كثيرا من أصحابنا يطعنون في ايمان بعض من ذكرناه، و يعدونهم من المنافقين، و قد كان سيف رسول الله يقمهم و يردعهم عن إظهار ما في أنفسهم من النفاق، فأظهر قوم منهم بعده ما كانوا يضمرونه من ذلك خصوصا فيما يتعلق بأمر المؤمنين الذي ورد في حقه: ما كنا نعرف المنافقين على عهد رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم إلا ببغض علي بن أبي طالب عليه السلام، و هو خير محقق مذكور في الصحاح.

فان قلت: يمتنعك من هذا التأويل قوله: و نقلوا البناء عن رص أساسه فجعلوه في غير موضعه، و ذلك لأن إذا ظرف و العامل فيها قوله: رجوع قوم على الأعقاب، و قد عطف عليه قوله: و نقلوا البناء، فاذا كان الرجوع على الأعقاب واقعا في الظرف المذكور و هو وقت قبض الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم و جب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعا في ذلك الوقت أيضا، لأن أحد الفعلين معطوف على الآخر، و لم ينقل أحد وقت قبض الرسول صَلَّى الله عليه وآله وسلم إلى معاويه عن أمير المؤمنين عليه السلام، و إنما نقل عنه إلى شخص آخر و في إعطاء العطف حقه إثبات مذهب الاماميه صريحا.

قلت: إذا كان الرجوع على الأعقاب واقعا وقت قبض النبي صَلَّى الله عليه وآله وسلم فقد قلنا بما يجب من وجود عامل في الظرف، و لا- يجب أن يكون نقل البناء إلى غير موضعه واقعا في تلك الحال أيضا بل يجوز أن يكون واقعا في زمان آخر إما بأن يكون الواو للاستيناف لا للعطف، أو بأن يكون العطف في مطلق الحدث لا في وقوع الحدث في عين ذلك الزمان المخصي ص كقوله تعالى:

«حَتَّى إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَفْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ».

فالعامل في الظرف استطعما، و يجب أن يكون استطعماهما وقت إتيانهما أهلها لا- محاله، و لا- يجب أن يكون جميع الأفعال المذكوره المعطوفه واقعه حال الاتيان أيضا، ألا- ترى أنّ من جملةها، فأقامه، و لم يكن إقامه الجدار حال إتيانهما القرية بل متراخيا عنه بزمان ما اللهم إلا أن يقول قائل أشار بيده إلى الجدار فقام، أو قال له قم فقام، لأنه لا يمكن أن يجعل إقامه الجدار مقارنا للاتيان إلا على هذا الوجه، و هذا لم يكن و لا قاله مفسّر، و لو كان قد وقع على هذا الوجه لما قال له: لو شئت لا اتخذت عليه أجرا لأنّ الأجر إنّما يكون على اعتمال عمل فيه مشقّه و إنّما يكون فيه مشقّه إذا بناه بيده و باشره بجوارحه و أعضائه.

قال الشّارح: و اعلم أنّا نحمل كلام أمير المؤمنين عليه السّلام على ما يقتضيه سودده الجليل و منصبه، و دينه القويم من الاعضاء عمّا سلف ممّن سلف، فقد صاحبهم بالمعروف برهه من الدّهر، فأمّا أن يكون ما كانوا فيه حقّهم أو حقّه فتركه لهم رفعا لنفسه عن المنازعه أو لما رآه من المصلحه، و على تحمّلي التّقديرين فالواجب علينا أن نطبق بين آخر أفعاله و أقواله بالنّسبه اليهم و بين أوّلها، فان بعد تأويل من يتأوّل كلامه فليس بأبعد من تأويل أهل التّوحيد و العدل الآيات المتشابهه في القرآن، و لم يمنع بعدها من الخوض في تأويلها محافظه على الاصول المقرّره فكذلك ههنا، انتهى كلامه هبط مقامه.

أقول: و أنت خبير بما فيه من وجوه الكلام و ضروب الملام اما اولا فلأنّ قوله: لا بل نحمله على أنّه عنى أعداءه المّدين حاربوه من قريش و غيرهم في أيّام صّفين، فيه أنّه لا- وجه لهذا الحمل بل ظاهر كلامه عليه السّلام بمقتضى الاطلاق يشمل كلّ من اتّصف بالأوصاف الّتي ذكره عليه السّلام، و من المعلوم أنّ اتّصاف المتخلفين الثّلاثه و متبعيهم بالأوصاف المذكوره أظهر و أشهر من اتّصاف أهل

صَفِينِ بِهَا، لِأَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ فَتَحَ بَابَ غَضَبِ الْخِلَافَةِ وَنَقَلُوهَا عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَنْفُسِهِمْ وَتَبِعَهُمْ أَشْيَاعُهُمْ فَنَقَلُوهَا عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِمْ.

بل أقول: أنه لو لا جساره الثاني على إحراق باب بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإخراج أمير المؤمنين عليه السلام من البيت للبيعه ملتبياً و ضربه لفاطمه عليها السلام و كسره ضلعها، و غضب فدك و قطعه لرحم الرسول صلى الله عليه وآله و هتكه لناموس أهل بيته، لم يجسر أحد على معارضة أمير المؤمنين عليه السلام، و لم يخطر على قلب أحد نزع الخلافه عنه عليه السلام إلى نفسه، و لو لا- توليه معاويه للشام و رضاه بظلمه و جوره و أفعاله المخالفه للشريعة، و تشييده بصنعه لم يطمع معاويه فى الأماره و الخلافه و النهوض لقتال على عليه السلام، فكل فتنة و فساد و أمر مخالف للدين و لسنة سيد المرسلين من فروع تلك الشجرة الملعونه على ما عرفته فى شرح الكلام الماء و السادس و العشرين.

و بالجمله فكلامه عليه السلام بحكم الاصول و القواعد اللفظيه العموم و الاطلاق، و حمله على طائفه مخصوصه خلاف الأصل لا يصار إليه إلا بدليل و ليس فليس.

و أما ثانياً فلأن قوله: قلت ليس يمتنع أن يكون هؤلاء المذكورون رجعوا على الأعقاب لما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أضمرُوا فى أنفسهم آه فيه إن هؤلاء إن كانوا رجعوا على الأعقاب حين موته و أضمرُوا فى أنفسهم مشاقه أمير المؤمنين عليه السلام و أذاه فالذين ذكرناهم أعنى الثلاثة و أشياعهم قد رجعوا على الأعقاب أيضا و أبدوا مشاقته و أذاه عقيب موته صلوات الله عليه و آله، يشهدك على ذلك إحراقهم بابه و إخراجهم له من بيته ملتبياً و تدبيرهم لقتله على يد خالد بن الوليد كما روته العامه و الخاصه.

و يشهد به أيضا ما رواه الشارح فى الشرح فى غير هذا المقام.

قال: روى كثير من المحدّثين أنّ علياً عقيب يوم السقيفه تظلم و تألم و استنجد و استصرخ حيث ساموه إلى الحضور و البيعه و أنّه قال و هو يشير إلى القبر:

يا نبىّ إنّ القوم استضعفونى و كادوا يقتلونى، و أنّه قال: وا جعفره و لا جعفر لى اليوم

وا حمزته و لا حمزه لى اليوم.

و بهذا كله يظهر لك أنّ رجوع من ذكرناه على الأعقاب مع نصبهم العداوه لأمير المؤمنين عليه السلام و إعلانهم بالمشاقه و الأذى له أظهر من رجوع غيرهم ممّن ذكره الشّارح مع إخفائهم له، و مع هذا فصرف كلام الامام عليه السلام إلى الآخرين دون الأوّلين لا وجه له.

و أما ثالثاً فإنّ قوله: و لا يمتنع أيضاً أن يريد برجوعهم على الأعقاب ارتدادهم عن الاسلام بالكليه حقّ لا ريب فيه، و لكن قوله: فإنّ كثيراً من أصحابنا يطعنون فى ايمان بعض ما ذكرناه و يعدّونهم من المنافقين، فيه أنّ تخصيص الارتداد و النّفاق ببعض من ذكره لا وجه له، بل كلّ من ذكره و ذكرناه مطعون منافق ملعون.

و قد ورد فى غير واحد من أحاديثنا و إن لم يكن حجّجه على العامّة، ارتدّ النّاس إلاّ ثلاثه نفر: سلمان، و أبو ذر، و المقداد.

و روى فى غايه المرام عن ابن شهر آشوب من طريق العامّة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى:

«أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ».

يعنى بالشّاكرين علىّ بن أبى طالب، و المرتدّين على أعقابهم الذين ارتدّوا عنه.

فقد ظهر بذلك أنّ الارتداد عن الاسلام فى الحقيقة هو الارتداد عن أمير المؤمنين فكّل من ارتدّ عنه فقد ارتدّ عنه، و التّخصيص بقوم دون قوم تعسّف و تعصّب.

و أما رابعاً فإنّ قوله: بل يجوز أن يكون واقعا فى زمان آخر، بعيد و جعل الواو للاستيناف سخيّف، و العطف فى مطلق الحدث خلاف الظّاهر، و القياس على الآيه فاسد، لأنّ العاطف هنا هى الواو، و هى للجمع و التّشريك، و الكلام من

باب التنازع، فيدلّ على وقوع الجملات المتعاطفه في زمان القبض إن قلنا إن العامل في إذا الشرطيّه هو الجواب دون الشرط، و أمّا الآيه فالعاطف فيها هي الفاء و هي تفيد الترتيب و التعقيب، فلا يلزم من عدم وقوع إقامه الجدار حين الاثيان هناك عدم وقوع نقل البناء حين القبض فيما نحن فيه.

و التحقيق أنّ قوله: فأقامه، عطف على قوله: فوجدنا، و ليس عطفًا على استطعما، فلا- يلزم عمله في الظرف لأنّ المعطوف على المعطوف على الجواب لا- يجب أن يكون مشتركًا للجواب في جميع الأحكام و عاملاً فيما يعمله، بخلاف المعطوف على نفس الجواب.

و هذا كلّه مبنيّ على التنزّل و المماشاه، و إلّا- فنقول: إنّ إقامه الجدار قد كانت حال إتيان القرية و التراخي بزمان ما لا ينافيه، لأنّهم قد صرّحوا في إفاده الفاء للتعقيب أنّه في كلّ شيء بحسبه، فيقال: تزوّج فلان فولد له ولد، إذا لم يكن بينهما إلاّ مدّه الحمل، و دخلت البغداد فالبصره إذا لم يقيم في بغداد و لم يتوقّف بين البلدين.

هذا على قول بعض المفسّرين من أنّه نقض الجدار و بناه، و أمّا على قول من قال إنّه أقامه بيده، و كذا على قول من قال: إنّّه مسح بيده فقام، كما رواه في الكشّاف و غيره عن البعض الآخرين فلا يكون هناك تراخ أصلاً، إذ لا فرق بين الاشاره باليد كما فرضه الشّارح و بين المسح بها كما رواه الزّمخشري.

ثمّ استبعاد الشّارح لذلك بأنّه لو كان على هذا الوجه لم يستحقّ اجره لأنّ الاجره إنّما يكون على اعمتال عمل فيه مشقّه، مدفوع بأنّ الاجره إنّما هي على عمل فيه منفعه للغير سواء كان فيه مشقّه أم لا، لا سيّما عمل له منفعه عظيمه مثل إقامه الجدار، فقد قيل كما في الكشّاف: إنّ طولهُ في السّماء مائة ذراع.

و أمّا خامساً فإنّ قوله: و اعلم أنّنا نحمل كلام أمير المؤمنين عليه السّلام آه، تمويه باطل بصوره الحقّ، فإنّ سودد أمير المؤمنين عليه السّلام و منصبه و حلمه إنّما كان مقتضياً للنفو و الصّفح و الاغضاء و الاغماض فيما يتعلّق بأمر الدّنيا، و قد كان عليه السّلام

كذلك حسبما عرفت من مكارم أخلاقه في تضاعيف الشرح و تعرفه بعد ذلك في مواقفه انشاء الله أيضا، و أما أمر الدين و ما فيه صلاح الشرع المبين فلا يجوز له فيه الاغضاء و الاغماض أصلا، بل لا بد له من باب اللطف و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر التنبيه على هفوات المتخلفين الضالين المضلين الغاصبين للخلافه من دون أن يأخذه في الله لومه لائم، ليتنبه الناس من مراقده الغفله، و يلتفتوا إلى سوء ما فعلوه من البدعات المبتدعه، و يرتدعوا عن حسن الاعتقاد و الظن لهم، و لا يتخذوا من دون الله و لا رسوله و لا المؤمنين وليجه.

و أما سادسا فإن قوله: فان بعد ذلك فليس بأبعد من تأويل أهل التوحيد و العدل الآيات المتشابهه، فيه أن تأويلنا للآيات المتشابهه مثل قوله «و جاء ربك» و «إلى ربها ناظرة» و «الرحمن على العرش استوى» و نحوها إنما هو لقيام الأدله القاطعه و البراهين العقلية و النقلية و الاصول المحكمه الملجئه لنا على التأويل، و أما فيما نحن فيه فأى دليل و برهان و داع دعى إلى التأويل؟ و أى أصل محكم اقتضى ذلك لو لم يقتض خلافه؟ و غير خفى على الخبير المنصف المجانب للتعصب و التعسف أن أهل السنة حيث ضاق بهم الخناق لم يبق لهم إلا التمسك بحسن الظن على السلف، و الحال أن الظن لا يغنى من الحق شيئا، و الله الهادي إلى سواء السبيل.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن بزرگوار است که اشاره فرموده در آن بواقعات عظیمه می فرماید:

و فرا گرفتند گمراهان امت طریق یمین و شمال و راه افراط و تفریط را در حالتی که کوچ کنندگانند در راه جهل و ضلالت، و ترک نمایندگانند راه رشد و سعادت را، پس طلب نمائید بشتاب آنچه که واقع شونده است و مهیا، و دیر شمارید آنچه که می آورد آنرا فردا پس بسا بشتاب طلب کننده است چیزی را که اگر

درک نماید آن را دوست می گیرد در نیافتن آن را، و چه نزدیکست امروز باوایل فردا.

ای قوم این زمان وقت وارد شدن هر وعده داده شده است و وقت نزدیکیست از طلوع و ظهور آنچه که نمی شناسید آن را در فتنه های حادثه و علامات هائله، آگاه باشید قسم بخدا بدرستی کسی که درک نماید آن فتنه ها را از ما سیر می کند در ظلمتهای آن فتنه ها بچراغی که نور بخشنده است، و رفتار می کند در آن بقرار صالحان تا این که بگشاید در آن فتنه ها ریسمانها را از گردن اسیران، و آزاد نماید بندگان را از بندگی، و پراکنده سازد آنچه که بهم پیوسته از منکرات، و بهم بست کند آنچه که پاشیده شده از محسنات، آن شخص در پرده است از انظار مردمان نمی بیند صاحب قیافه اثر و نشانه آن را اگر چه امعان نظر نماید.

پس از آن البته تیز ساخته شود در آن فتنه ها طائفه بجهه قتال اهل ضلال یا بجهه کسب معارف و کمالات همچو تیز ساختن شمشیر ساز شمشیر را در حالتی که جلا داده بشود با نور قرآن دیده های بصیرت آن طائفه، و انداخته شود تفسیر قرآن در گوشهای ایشان، و می آشامند کاسه حکمت را در شبانگاه بعد از آشامیدن آن در چاشتگاه از جمله این خطبه است که می فرماید: و طول یافت مدّت بآن اهل ضلال تا این که کامل نمایند ذلت و خواری را، و مستحق باشند بتغییر نعمت پروردگار تا زمانی که نزدیک شد گذشتن آن عهد میل کردند طایفه از اهل بصیرت بآن فتنه ها، و بلند کردند دم را از آبستنی جنگشان در حالتی که منت نگذاشتند به پروردگار با صبر نمودن در کار زار، و بزرگ نشمردند بخش کردن جانهای خودشان را در راه حق تا زمانی که موافقت نمود قضاء فرود آمده الهی با بریده شدن مدّت بلا، برداشتند اهل معرفت و بصیرت بصیرتهای خودشان را بر شمشیرهای خود، و تقرب جستند بسوی پروردگار بفرمان واعظ خودشان.

تا زمانی که قبض فرمود خداوند تبارک و تعالی روح رسول خود را بازگشتند

گروهی بر پاشنه‌های خود بارتداد، و هلاک ساخت ایشان را طرق ضلالت، و اعتماد کردند بر خواص و انصار خود، و پیوستند بغیر خویشان پیغمبر، و دوری گزیدند از سببی که مامور شده بودند از جانب خدا بمحبت آن، و نقل کردند بنای خلافت را از استواری بنیاد خود، پس بنا کردند آن را در غیر محل و مکان خود.

ایشان معدنهای هر خطا و ضلالتند، و درهای هر در آمده در باطل و جهالت، بتحقیق که متردد شدند در حیرت، و غفلت ورزیدند در مستی جهالت بر طریقه آل فرعون و روش اتباع آن ملعون، هستند بعضی از ایشان منقطعند از عقبا بسوی دنیا مایلند بآن، و برخی مفارقتند از دین خدا مابیند از آن.

و من خطبه له علیه السلام و هی المآه و الواحد

اشاره

و الخمسون من المختار فی باب الخطب

و أستعینه علی مداحر الشیطان و مزاجره، و الاعتصام من حبائله و مخاتله، و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له، و أشهد أن محمدا عبده و رسوله، و نجیبه و صفوته، لا یوازی فضله، و لا یجبر فقده، أضاءت به البلاد بعد الضلاله المظلمه، و الجهاله الغالبه، و الجفوه الجافیه، و الناس یستحلون الحریم، و یستذلون الحکیم، یحیون علی فتره، و یموتون علی کفره، ثم إنکم معشر العرب أغراض بلایا قد اقتربت، فاتقوا سكرات النعمه، و احذروا بوائق النقمه، و تثبتوا فی قتام العشوه، و اعوجاج الفتنه، عند طلوع جنینها،

ص: ۱۵۷

و ظهور كمينها، و انتصاب قطبها، و مدار رحاها، تبدو في مدارج خفيته، و تنول إلى فضاءه جليته، شبابها كشباب الغلام، و آثارها كآثار السِّلام، تتوارثها الظلمة بالعهود، أولهم قائد لآخرهم، و آخرهم مقتد بأولهم، يتنافسون في دنيا دينيه، و يتكالبون على جيفه مريحه، و عن قليل يتبرء التتابع من المتبوع، و القائد من المقود، فيتزايلون بالبغضاء، و يتلاعنون عند اللقاء، ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف، و القاصمه الرجوف، فتزيغ قلوب بعد استقامه، و تضلّ رجال بعد سلامه، و تختلف الأهواء عند هجومها، و تلتبس الآراء عند نجومها، من أشرف لها قصمته، و من سعى فيها حطمته، يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانه، قد اضطرب معقود الحبل، و عمى وجه الأمر، تغيض فيها الحكمه، و تنطق فيها الظلمه، و تدقّ أهل البدو بمسحلها، و ترضّهم بكلكلها، يضع في غبارها الوحدان، و يهلك في طريقها الرّكبان، ترد بمرّ القضاء، و تحلب عبيط الدّماء، و تثلم منار الدّين، و تنقض عقد اليقين، تهرب منها الأكياس، و تدبّرها الأرجاس، مرعاد مبراق، كاشفه عن ساق، تقطّع فيها الأرحام، و يفارق عليها الإسلام، بريها سقيم، و ظاعنها مقيم.

منها بين قتيل مطلول، و خائف مستجير، يختلون بعقد الأيمان، و بغرور الإيمان، فلا تكونوا أنصاب الفتن، و أعلام البدع، و الزموا ما عقد عليه جبل الجماعه، و بنيت عليه أركان الطّاعه، و اقدموا على الله مظلومين، و لا تقدموا على الله ظالمين، و اتقوا مدارج الشّيطان، و مهابط العدوان، و لا تدخلوا بطونكم لعق الحرام، فإنّكم بعين من حرّم عليكم المعصيه، و سهّل لكم سبيل الطّاعه.

اللغه

(الدّحر) الطّرد و الابعاد و الدّفع بعنف على الالهانه كالذّحور و قال سبحانه «وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُورًا» و قال أيضا «أُخْرِجْ مِنْهَا مَذُومًا مَدْحُورًا».

و مدارح الشّيطان جمع مدحر و هي الأمور التي محلّ طرده و إبعاده.

و قال الشّارح البحراني و المعتزلي: هي الامور التي بها يطرد و يبعد، و على قولهما فهي للآله، و على ذلك فلا يجوز جعلها جمعا لمدحر كما توهمه البحراني لأنّ مفعل بفتح الميم للمكان و بالكسر للآله كما صرّح به جميع علماء الأديبه، فلا بدّ من جعلها جمعا حينئذ لمدحره بكسر الأوّل و الهاء أخيرا و زان مكسحه و مروحه، اللهمّ إلاّ أن يقال: إنّ مدحر بالكسر للآله أيضا و جمع مفعل على مفاعل قد ورد في كلامهم مثل ملحف و ملاحف و مقود و مقاود.

فقد تلخص ممّا ذكرنا أنّ مدارح يصحّ جعلها جمع مدحر بالفتح للمكان و مدحر و مدحره بالكسر فيهما للآله و نحوه (المزاجر) للامور التي

يزجر بها أو هي محلّ الزجر من زجر الكلب نههه جمع مزجر و مزجر و (ختله) يخته بالكسر خدعه، و المخاتل الأمور التي بها يختل و يخدع و (يوازي) مضارع آزي بالهمز و لا- يقال وازى و (الجهاله الغالبه) فى بعض النسخ بالموخّده من الغلبه و فى بعضها بالمشناه من الغلاء و هو الارتفاع أو من الغلّو و هو مجاوزه الحدّ و (يستذلّون الحكيم) فى بعض النسخ باللام من الحلم و (الفتره) انقطاع ما بين النيّين و (كفره) بالفتح واحده الكفرات كضربه و ضربات.

(ثمّ أنّكم معشر العرب) فى بعض النسخ معشر الناس و (تثبتوا) من التثبت و هو التوقف، و فى بعض النسخ تبيّنوا من التبين و بهما أيضا قرء قوله سبحانه:

«إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا» يقال تبينه أى أوضحه، و تبين الأمر أى وضح يستعمل متعدّيا و لازما كاستبان قال تعالى:
فَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا .

أى اطلبوا بيان الأمر و ثباته و لا- تعجلوا فيه و (القتام) الغبار و (العشوه) بتثليث الأوّل ركوب الأمر على غير بيان و وضوح، و بالفتح فقط الظلمه و (الجنين) الولد ما دام فى البطن و (الكمين) الجماعه المختفيه فى الحرب.

و (مدار رحاها) مصدر و المكان بعيد و (تبدو فى مدارج) فى بعض النسخ بالواو من البدو و هو الظهور و فى أكثرها تبدء بالهمز مضارع بدء و (شبّ) الفرس يشبّ شبابا بالكسر و شيبا نشط و رفع يديه جميعا، و فى بعض النسخ، شبابها كشباب الغلام بالفتح و (السّلام) بالكسر الحجاره و (مريحه) من أراح اللّحم و الماء أى أنتن أو من أراح الرّجل إذا مات و (رجف) الشىء رجفا تحرّك و اضطرب شديدا و رجف القوم تهيبا و الحرب.

و (زحف) اليه مشى و فى شرح المعتزلى الرّحف السير على تؤده كسير الجيوش بعضها إلى بعض و (نجم) الشىء ينجم نجوما من باب قعد ظهر و طلع و قصمت ()

العود كسرتة و قصمه الله أى أذله و أهانه و قيل قرب موته و (التكادم) التّعاض بأدنى الفم و (العانه) القطيع من حمر الوحش و (المسخل) و زان منبر المبرد أى السّوهان و يقال أيضا للمنحت و (الوحدان) جمع واحد كركبان و راكب قال الشّارح المعتزلى: و يجوز أن يكون جمع أوحد مثل سودان و أسود يقال فلان أوحد الدّهر.

و (ثلمت) الاناء أى كسرت حرفه فانثلم و (الطلّ) بالمهملة هدر الدّم و هو مطلول أى مهدر لا يطلب بدمه و (يختلون) فى بعض النّسخ بالبناء على المفعول و فى بعضها بالبناء على الفاعل من ختله خدعه و (عقد) الايمان بصيغه المصدر أو وزان صرد جمع عقده و (الأنصاب) جمع نصب كأسباب و سبب و هو العلم المنصوب فى الطريق يهدى به، و فى بعض النّسخ بالزّاء و (مدارج الشّيطان) جمع مدرجه و هى السّبل التى يدرج فيها و (لعق الحرام) جمع لعقه اسم لما يلحق بالاصبع أو بالملعقة و هى بكسر الميم آله معروفه، و اللعقه بالفتح المرّه منه من لعقه العقه من باب تعب لحسه باصبع و مصدره لعق و زان فلس.

الاعراب

جملة لا يوازى فضله الظّاهر أنّها استيناف بيانى، و جملة أضاءت حال من فاعل المصدر أعنى فقده، و يحتمل الاستيناف البيانى أيضا، و النّاس حال من مفعول أضاءت، و قوله: تتوارثها الظلمه بالعهود، الظّرف متعلّق بالفعل أو بالظلمه، و قوله و عن قليل إلى قوله: عند اللّقاء، جملة معترضه، و عن، بمعنى بعد.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه مسوقه فى معرض الاخبار عن الملاحم و الوقايع الحادثه فى غابر الزّمان، و صدّرها بالاستعانه على ما يجب الاستعانه من الله سبحانه عليه، و عقّب ذلك بالشّهاده بالتّوحيد و الرّساله و ذكر ممدوح الرّسول صلّى الله عليه و آله فقال:

(و أستعينه على مدارح الشيطان و مزاجره) أى العبادات و الحسنات التى هى محلّ طرده و زجره أو بها يطرد و يزجر(و الاعتصام من حبائله و مخاتله) أى المعاصى و السيئات التى لها يصيد الانسان و يخدع البشر:

قال الشارح البحرانى: و استعار لها لفظ الحبائل و هى أشراك الصائد لمشابهتها فى استلزام الحصول فيها للبعد عن السيّلامه و الحصول فى العذاب (و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له) قد تقدّم فى شرح الفصل الثانى من الخطبه الثانیه شرح هذه الكلمه الطيبه بما لا مزيد عليه فليراجع ثمّه (و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله) صلى الله عليه و آله و سلم (و نجيبه) أى الكريم الحسيب الذى انتجبه من خلقه، و يروى و نجيبه أى المناجى له و المشرف بمناجاته و مخاطبته و أصله من التجوى و هى التّخاطب سرّا (و صفوته) أى مختاره و مصطفاه من الناس، و قد مضى تحقيق ذلك فى شرح الخطبه الثالثه و التسعين.

و لئىّا كان ههنا مظنه أن يسأل و يقال: هل يدانيه أحد فى فضله أو يوازيه فى كماله فيقوم مقامه عند افتقاره؟ أجب بقوله:(لا يوازي فضله) أى لا- يحاذى و لا- يساوى (و لا- يجبر فقده) قال الشارح البحرانى: إذ كان كماله فى قوّته النظرية و العمليّه غير مدرّك لأحد من الخلق، و من كان كذلك لم يجبر فقده إلّا بقيام مثله من الناس، و إذ لا مثل له فيهم فلا جبران لفقده.

(أضاءت به البلاد بعد الضلاله المظلمه) نسبه أضاءت إلى البلاد من باب التوسع، و المراد اهتداء أهل البلاد بنور وجوده الشريف إلى ما فيه صلاح المعاش و المعاد بعد تيههم فى ظلمه الكفر و الضلال كما تقدّم فى شرح الفصل السادس عشر من الخطبه الأولى، و عرفت هناك أنّه صلى الله عليه و آله قد بعث و أهل الأرض يومئذ ملل متفرّقه، و أهواء منتشره، و طرائق متشتتّه، بين مشبّهه و مجسّمه و زنادقه و غيرها (و) كانوا متّصفين ب (الجهاله الغالبه) عليهم (و) موصوفين ب (الجفوه الجافيه) يريد بها غلظ الطّبيعه و قساوه القلوب و سفك الدّماء و وصفه بالجافيه للمبالغه من قبيل شعر الشّاعر و داهيه دهياء، و قد تقدّم توضيح جفوه العرب و غلظهم فى شرح

(و النَّاسِ يَسْتَحْلُونَ الْحَرِيمَ) أى حرّمت اللّهُ الّتى يجب احترامها و محرّماته (و يَسْتَنْدِلُونَ الْحَكِيمَ) أو الحليم كما فى بعض الرّوايات، و الحكمه هو العلم الّذى يرفع الانسان عن فعل القبيح، و الحلم هو العقل و التّؤاده و ضبط النّفس عن هيجان الغضب، و المعلوم من حال العرب استدلال من له عقل و معرفه و تجنّب عن سفك الدّماء و عن النهب و الغاره و إثارة الفتن لزعمهم أنّ ذلك من الجبن و الضّعف (يحيون على فتره) من الرّسل و انقطاع من الوحي الموجب لانقطاع الخير و تقليل العبادات و المجاهدات و موت النفوس بقاء الجهل و الضّلالات (و يموتون على كفره) لعدم هاد يهديهم إلى النّهج القويم و الشّرع المستقيم.

ثمّ شرع عليه النّيلام فى إنذار النّاس بالبلايا النّازله و اقتراب الحوادث المستقبليه فقال (ثم إنكم معشر العرب أغراض بلايا) و أهدافها (قد اقتربت) أوقاتها (فاتّقوا سكرات النعمه) لفظه السّكرات استعاره لما يحدثه النّعم عند أربابها من الغفله و الخمره المشابهه للسّكره (و احذروا بوائق النّقمه) أى دواهى المؤاخذات و العقوبات (و تثبتوا فى قتام العشوه) و هو أمر لهم بالتّثبت و التّوقّف عند اشتباه الأمور و ترك الاقتحام فيها من غير بصيره و رويّه.

قال الشّارح البحرانى: استعار لفظ القتام للشّبهه المثيره للفتن كشبهه قتل عثمان الّتى نشأت منها وقايح الجمل و صفين و الخوارج، و وجه المشابهه كون ذلك الأمر المشتبه ممّا لا يهتدى فيه خائضوه، كما لا يهتدى القائم فى القتام عند ظهوره و خوضه.

(و اعوجاج الفتنه) أى إتيانها على غير وجهها و انحرافها عن النّهج (عند طلوع جنينها و ظهور كمينها) كنى بالجنين و الكمين عن المستور المختفى من تلك الفتنه و يحتمل إرادته الحقيقه بأن يكون المقصود بروز ما اجتن منها و استتر و ظهور ما كمن منها و بطن (و انتصاب قطبها و مدار رحاها) كناية عن استحكام أمرها و انتظامها (تبدو فى مدارج خفيّه و تؤل إلى فظاعه جليّه) يعنى أنّها تكون

ابتداءً يسيره ثم تصير كثيره.

فإن النار بالعودين تذكى وإن الحرب أولها كلام

أو أن ظهورها في مسالك خفيته حتى تنتهي إلى شناعه عظيمه (و شبابها كشباب الغلام و آثارها كآثار السيّلام) أى إن أربابها يمرحون في أول الأمر كما يمرح الغلام ثم تؤل إلى أن تعقب فيهم أو فى الاسلام آثارا كآثار الحجارة فى الأبدان، أو أن المراد أنّها فى الدنيا كنشاط الغلام و ما أعقبته من الآثار فى الآخرة كآثار السلام.

(يتوارثها الظلمه بالعهود) أى يتوارثها الظلام بعهد الأول منهم للثانى و عقد الأمر منه له كما هو دأب أمراء الجور يجعلون لهم ولى العهد، أو أنّ توارثهم بما عهدوا بينهم من ظلم أهل البيت و غضب حقهم، و على تعلق الظرف بالظلمه فالمراد أنه يتوارثها الظالمين بعهد الله و الناقضين لميثاقه و التاركين لتكاليفه.

(أولهم قائد لآخرهم) يقوده إلى الظلم و الضلال و النار (و آخرهم مقتد بأولهم) فى الجور و إثارة الفتن و تشييد تلك الآثار (يتنافسون فى دنيا دنيه) أى يتعارضون و يتبارون فى دنيا لا مقدار لها عند العقلاء (و يتكالبون على جيفه مريحه) أى يتواثبون على جيفه منتنه عند ذوى العقول و الأولياء، و استعار لها لفظ الجيفه باعتبار التفره عنها، و لفظ المريحه ترشيح قال الشاعر:

و ما هى إلا جيفه مستحيله عليها كلاب همهن اجتذابها

ثم قال عليه السلام (و عن قليل) أى بعد حين قليل (يتبرء التابع عن المتبوع و القائد من المقود) أى الأتباع من الرؤساء و الرؤساء من الأتباع و ذلك التبرء يوم القيامه كما قاله الشارح المعتزلى، و قد أخبر الله سبحانه عن تبرء الأتباع بقوله:

«تَمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ».

فقولهم لم نكن ندعو هو التبرء، و أخبر عن تبرء الرؤساء بقوله:

«إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوْا الْعَذَابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَ قَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا» (فيتزايلون) و يفرقون (بالبغضاء و يتلاعنون عند اللقاء) كما قال تعالى:

«ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَ يَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا».

قال الشارح المعتزلي: فان قلت: أ لم يكن قلت إن قوله عن قليل يتبرء التابع من المتبوع يعني يوم القيامة فكيف يقول (ثم يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرجوف) و هذا إنما يكون قبل القيامة؟ قلت: لما ذكر تنافس الناس على الجيفه المنته و هي الدنيا أراد أن يقول بعده بلا- فصل: ثم يأتي بعد ذلك اه لكنه لما تعجب من تراحم الناس و تكالبهم على تلك الجيفه أراد أن يؤكد ذلك التعجب فأتى بجمله معترضه بين الكلامين فقال: إنهم على ما قد ذكرنا من تكالبهم عليها عن قليل يتبرء بعضهم من بعض و يلعن بعضهم بعضا، و ذلك أدعى لهم لو كانوا يعقلون إلى أن يتركوا التكالب و التهارش على هذه الجيفه الخسيسه، ثم عاد إلى نظام الكلام فقال: ثم يأتي بعد ذلك آه.

و قال الشارح البحراني حكاية عن بعضهم: إن ذلك التبرء عند ظهور المدوله العباسيه، فإن العاده جاريه بتبرء الناس عن الولاه المعزولين خصوصا عند الخوف ممن تولى عزل ذلك أو قتلهم، فيتباينون بالبغضاء إذ لم تكن الفتهم و محبتهم إلا- لغرض دنيوي زال، و يتلاعنون عند اللقاء، ثم قال الشارح: و قوله: ثم يأتي طالع الفتنة، هي فتنة التتار، إذ الدائره فيها على العرب.

و قال بعض شارحين: بل ذلك إشاره إلى الملحمة الكائنه في آخر الزمان كفتنه الدجال.

و كيف كان فوصف الفتنة بالرجوف لكثرة اضطراب الناس أو أمر الاسلام فيها و أراد بطالعتها مقدماتها و أوائلها و وصفها ثانيا بقوله (و القاصمه الرجوف) أى الكاسره الكثيره الرجف و كنى بقصمها عن هلاك الخلق فيها و شبهها بالرجل الشجاع كثير الرجف إلى أقرانه أى يمشى إليهم قدما.

ثم أشار إلى ما يترتب على تلك الفتنة من المفساد العظام و قال (فتزيغ) أى تميل (قلوب بعد استقامه) على سبيل الله (و تضلّ رجال بعد سلامه) فى دين الله (و تختلف الأهواء عند هجومها و تلبس الآراء) الصيحيحه بالفساده (عند نجومها) و ظهورها، فيشتبه الحقّ بالباطل و يتيه فيها الجاهل و الغافل (من أشرف لها) أى قابلها و صادمها (قصمته) و هلكته (و من سعى فيها) أى أسرع فى إطفائها و اسكاتها (حطمته) و كسرتة (يتكادمون فيها تكادم الحمر) الوحش (فى العانه) أى فى قطيعها.

قال العلامة المجلسى (ره): و لعلّ المراد بتكادمهم مغالبه مشيرى تلك الفتنة بعضهم لبعض، أو مغالبتهم لغيرهم.

و قال الشارح البحرانى: و شبه ذلك بتكادم الحمر فى العانه، و وجه التشبيه المغالبه مع الايماء أى خلعهم ربك التكليف من أعناقهم و كثره غفلتهم عمّا يراد بهم فى الآخره.

(قد اضطرب معقود الجبل) أى قواعد الدين و الأحكام الشرعيه التى كلّفوا بها (و عمى وجه الأمر) فى اسناد العمى الى الوجه تجوّز، و المراد عدم اهتدائهم الى وجوه الصلاح و طرق الفلاح (تغيض) و تنقص (فيها الحكمه) لسكوت الحكماء عنها و عدم تمكّنهم عن التكلّم بها (و تنطق فيها الظلمه) بما يقتضيه أهواؤهم عن الظلم و الفساد لمساعدته الزّمان عليهم (و تدقّ) تلك الفتنة (أهل البدو) أى الباديه (بمسحله) أى يفعل بهم ما يفعل المسحل بالحديد (1) أو

ص: ١٦٦

١- (١) الاول مبنى على ان يراد بالمسحل السوهان و الثانى مبنى على ان يراد منه المنحت كما تقدم سابقا، منه

الخشب (و ترَضُّهم) أى تدقُّهم دقًّا جريشا (بكلِّكَلها) أى صدرها شبَّه هذه الفتنة بالنَّاقه التى تبرك على الشىء فتسحقه بصدرها على سبيل الاستعارة بالكنايه و إثبات الكلكل تخييل و الرَضُّ ترشيح (يضيح فى غبارها الوحدان و يهلك فى طريقها الرِّكبان) أى لا يخلص منها أحد و لا ينجو منها لشدَّتْها و قوَّتْها، فمن كان يسير وحده فأَنه يهلك فيها بالكَلِّيه و إذا كانوا جماعه فهم يضلُّون فى طريقها فيهلكون، و لفظ الغبار مستعار للقليل اليسير من حركه أهلها أى إذا أراد القليل من النَّاس دفعها هلكوا فى غبارها من دون أن يدخلوا فى غمارها، و أمَّا الرِّكبانو هم الكثير من النَّاس فإنَّهم يهلكون فى طريقها و عند الخوض فيها.

و على كون الوحدان جمع أوحد فالمراد أَنه يضلُّ فى غبار هذه الفتنة و شبَّهها فضلاء عصرها، لغموض الشبَّهه و استيلاء الباطل، و يكون الرِّكبان حينئذ كنايه عن الجماعه أهل القوَّة، فهلاك أهل العلم بالضلال و هلاك أهل القوَّة بالقتل و الاستيصال.

(ترد بمرِّ القضاء) أى بالهلاَك و البوار و البلايا الصَّعبه و ظاهر أنَّها وارده عن القضاء الالهى متَّصفه بالمراره (و تحلب عبيط الدِّماء) أى الطرى الخالص منها و هو كنايه عن سفك الدِّماء فيها (و تثلم منار الدِّين) استعاره للعلماء أو القوانين الشَّرع المبين و ثلمها عباره عن هدمها و عدم العمل بها (و تنقض عقد اليقين) أى العقائد الحَقَّه الموصله إلى جوار الله تعالى، و نقضها كنايه عن تغيُّرها و تبدُّلها و ترك العمل على وفقها (تهرب منها الأكياس) أى ذوو العقول السَّليمه (و تدبَّرها الأرجاس) الأنجاس أى ذوو النفوس الخبيثه (مرعاد مبراق) كثيره الرِّعد و البرق أى ذات تهدُّد و وعيد و يجوز أن يراد بالرِّعد قعقه السِّلاح و صوته و بالبرق لمعانه و ضوئه.

(كاشفه عن ساق) قال ابن الأثير: السَّاق فى اللُّغه الأمر الشَّديد، و كشف السَّاق مثل فى شدَّه الأمر و أصله من كشف الانسان عن ساقه و تسميره إذا وقع فى أمر شديد، و فى القاموس يذكرون السَّاق إذا أرادوا شدَّه الأمر و الاخبار عن

هو له قال تعالى:

«يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ».

أى عن شدّه (تقطع فيها الأرحام و يفارق عليها الاسلام) بجريانها على خلاف قواعد الدّين و قواعد الشّرع المبيّن.

(بريئها سقيم) قال العلّامة المجلسيّ (ره): أى من يعد نفسه بريئا سالما من المعاصى أو الآفات أو من كان سالما بالنسبه إلى ساير النّاس فهو أيضا مبتلى بها، أو أنّ من لم يكن مائلا إلى المعاصى و أحبّ الخلاص من شرورها لا يمكنه ذلك (و ظاعنها مقيم) أى المرتحل عنها خوفا لا يمكنه الخروج منها أو من اعتقد أنّه متخلّف عنها فهو أيضا داخل فيها لكثرة الشّبه و عموم الضّلاله.

(منها) ما يشبه أن يكون وصفا لحال المتمسّكين بالدّين فى زمان الفتنة الشّابقه و هو قوله:(بين قتيل مظلول) أى مهدر الدّم لا يطلب به (و خائف مستجير) أى مستامن يطلب الأمان (يختلون بعقد الأيمان) إن كان يختلون بصيغه المجهول فهو إخبار عن حال المخدوعين الدّين يخدعهم غيرهم بعقد العهود و شدّها بمسح ايمانهم أو بالايمان المعقوده فيما بينهم، و على كونه بصيغه المعلوم فهو بيان لحال الخادعين (و بغرور الايمان) أى بالايمان الّذى يظهره الخادعون فيغزّونهم بالمواعيد الكاذبه أو الّذى يظهره هؤلاء الموصوفون فيغزّون النّاس به على اختلاف النّسختين (فلا- تكونوا أنصاب الفتن) أى رؤسائها يشار إليهم فيها (و أعلام البدع) الّتى يقتدى بها و هو نظير قوله عليه السّلام فى كلماته القصار: كن فى الفتنة كابن اللّبون لا ظهر فيركب و لا ضرع فيحلب.

(و الزموا ما عقد عليه جبل الجماعه) و هى القوانين الّتى ينتظم بها اجتماع الناس على الحقّ (و بنيت عليه أركان الطاعه) استعاره بالكنايه و ذكر الأركان تخييل و البناء ترشيح (و اقدموا على الله مظلومين و لا تقدموا على الله ظالمين) يعنى أنّه إذا دار الأمر بين الظالميه و المظلوميه فكونوا راضين بالمظلوميه، لأنّ

ص: ١٦٨

الظلم قبيح عقلا- و شرعا و الظالم مؤاخذ ملعون كتابا و سنه، أو لا تظلموا الناس و إن استلزم ترك الظلم مظلوميتكم فإن يوم المظلوم من الظالم أشد من يوم الظالم من المظلوم، و المظلوم منصور من الله سبحانه قال تعالى:

«وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا».

و قال أبو جعفر عليه السلام فى روايه أبى بصير عنه عليه السلام: ما انتصر الله من ظالم إلا بظالم، و ذلك قول الله عز و جل:

«وَكَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا».

(و اتقوا مدارج الشيطان) و مسالكة (و مهابط العدوان) و محاله أو المواضع التى يهبط صاحبها فيها (و لا تدخلوا بطونكم لعق الحرام) أى لا تدخلوا بطونكم القليل منه فكيف بالكثير أو الاتيان باللعق للتنبية على قلبه ما يكتسب من متاع الدنيا المحرم بالتسببه الى متاع الآخرة و حقارته عنده (فإنكم بعين من حرم عليكم المعصية و سهل لكم سبيل الطاعة) أى بعلمه كقوله تعالى:

«تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا».

و لا يخفى ما فى هذا التعليل من الحسن و اللطف فى الردع عن المعاصى و الحث على الطاعات، فإن العبد العالم بأنه من مرئى من مولاه و مسمع منه يكون أكثر طاعه و أقل مخالفه من عبد مولاه غافل عنه و جاهل بأعماله و أفعاله و لتأكيد هذا المعنى عبّر بالموصول و قال: بعين من حرم آه و لم يقل بعين الله هذا و تسهيل سبيل الطاعة باعتبار أن الله سبحانه ما جعل على المكلفين فى الدين من حرج.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن امام مبین و سید وصیین است در ذکر ملاحم می فرماید

و طلب یاری میکنم از حضرت ربّ العالمین بر عبادات و طاعات که محلّ طرد و زجر شیطان لعین است، و بر محفوظ شدن از معاصی و سیئات که ریسمانهای صید آن ملعون و اسباب مکر و خدعه آن نابکار است، و شهادت می دهم باین که نیست خدائی جز خدای متعال در حالتی که تنها است شریک نیست مر او را، و شهادت می دهم باین که محمد بن عبد الله صلی الله علیه و آله و سلم بندهٔ پسندیده و پیغمبر اوست و برگزیده و مختار اوست برابر کرده نمی شود فضل او، و جبران نمی شود فقدان او، روشن شد بوجود شریف آن بزرگوار شهرها بعد از گمراهی ظلمانی و نادانی غالب و غلظت غلیظهٔ طبایع در حالتی که مردمان حلال می شمردند محرمات را، و خوار می شمردند صاحب حکمت و معرفت را زندگانی می کردند در زمان انقطاع پیغمبران، و می مردند بر کفر و طغیان.

پس از آن بدرستی که شما ای جماعت عرب نشانهای بلا-هستید که نزدیک شده ظهور آن، پس پرهیز کنید از مستیهای نعمتها، و حذر نمائید از دواهی عذاب، و توقف کنید در غبار ظلمه شبیهه و در کجی فتنه در وقت ظهور و بروز باطن و کمون آن فتنه، و هنگام استقامت قطب و دوران آسیای آن در حالتی که ظاهر می شود آن فتنه در جهای پنهان، و باز گردد بشناخت آشکار، نشو و نمای آن مثل نشو و نمای جوانست، و اثرهای آن مثل اثرهای سنگها است، ارث می برند از یکدیگر آن فتنه را ظالمان با عهود و پیمان، یعنی هر یکی دیگری را ولی عهد خود می سازد.

اول ایشان پیشوای آخر ایشانست، و آخر ایشان اقتدا کننده است بأول ایشان، تعارض می کنند در دنیای پست و بی مقدار، و خصومت می کنند بر جیفهٔ گندیدهٔ مردار، و بعد از زمان قلیل تبری می کند تابع از متبوع، و مقتدا از پیشوا پس پراکنده شوند از یکدیگر بعداوت و دشمنی، و لعنت کنند بیکدیگر هنگام ملاقات.

پس از آن می آید طلوع کننده فتنهٔ کثیر الاضطراب، و شکنندهٔ تند رونده، پس میل بیاطل می کند قلبها بعد از استقامت آنها، و گمراه می شوند مردمان بعد از

سلامت ایشان، و مختلف می شود خواهشات وقت هجوم آن فتنه، و ملتبس می شود رأیها نزد ظهور آن فتنه، هر کس مقابله گری نماید آن را می شکند و هلاک می سازد او را، و هر کس سعی کند در اسکات آن بر می کند و نابود نماید او را.

بگزند و آزار رسانند مردمان آن زمان یکدیگر را در آن فتنه مثل آزار رساندن حمارهای وحشی یکدیگر را در رمه، بتحقیق که مضطرب شد ریسمان بسته اسلام، و پوشیده شد روی صلاح کار، ناقص می شود در آن فتنه حکمت و معرفت و ناطق می شود در آن ستمکاران، و بکوبد آن فتنه اهل بادیه را با منحت و تیشه خود و خورد و مرد کند ایشان را با سینه خود، و ضایع می شود در غبار آن فتنه تنها روندگان، و هلاک گردد در راه آن فتنه سوارگان.

وارد شود به تلخ ترین قضای الهی، و بدوشد خونهای تازه را، و خراب می کند منارهای دین را، و درهم شکند کوههای یقین را، بگریزند از آن فتنه صاحبان عقل و کیاست، و تدبیر کنند آن را صاحبان پلیدی و نجاست، بسیار صاحب رعد و برقست و کشف کننده است از شدت، قطع می شود در آن فتنه رحمها، و مفارقت می شود بر آن از دین اسلام، براثت کننده از آن فتنه ناخوش است، و کوچ کننده آن مقیم است.

از جمله فقرات آن خطبه است در وصف حال مؤمنان آن زمان می فرماید:

ایشان در میان کشته شده است که خونس هدر رفته، و ترسندۀ که طلب امان می کند، فریب داده می شوند با سوگندهای بسته شده دروغی، و با ایمانی که از روی فریب و غرور است، پس نباشید علامتهای فتنها و نشانههای بدعتها، و لازم شوید به آنچه که بسته شده بآن ریسمان اجتماع و ایتلاف که عبارتست از قواعد شریعت و بر آنچه که بنا شده بر آن رکنهای طاعت و عبادت، و اقدام کنید بر خدا در حالتی که مظلوم هستید، و اقدام نکنید بر او در حالتی که ظالم باشید، و پرهیزید از راههای شیطان و از محلهای طغیان و عدوان، و داخل نکنید در شکمهای خودتان

لقمه های حرام را پس بدرستی که شما در نظر کسی هستید که حرام کرده بشما گناه را، و آسان کرده از برای شما راه طاعت را چنانچه فرموده «ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ»

و من خطبه له عليه السلام و هي المأه و الثاني و الخمسون

اشاره

من المختار في باب الخطب

و شرحها في فصول

الفصل الاول

اشاره

الحمد لله الدال على وجوده بخلقه، و بمحدث خلقه على أزلته، و باشتباههم على أن لا شبه له، لا تستلمه المشاعر، و لا تحجبه المسائر، لافتراق الصانع و المصنوع، و الحادّ و المحدود، و الربّ و المربوب، الأحد بلا تأويل عدد، و الخالق لا بمعنى حركة و نصب، و السميع لا بأداه، و البصير لا بتفريق آله، و المشاهد لا بمماسه، و البائن لا بتراخي مسافه، و الظاهر لا برؤيه، و الباطن لا بطافه، بان من الأشياء بالقهر لها، و القدره عليها، و بانت الأشياء منه بالخضوع له، و الرجوع إليه، من وصفه فقد حدّه، و من حدّه فقد عدّه، و من عدّه فقد أبطل أزله، و من قال كيف

ص: ١٧٢

فقد استوصفه، و من قال أين فقد حيزه، عالم إذ لا معلوم، و ربّ إذ لا مريبوب، و قادر إذ لا مقدور.

اللغة

قال الشّارح المعتزلي (الاستلام) في اللّغه لمس الحجر باليد و تقبيله و لا- يهمر لأنّ أصله من السّلام و هي الحجارة كما يقال استنوق الجمل و بعضهم يهمره انتهى، و قال الفيومي في المصباح: استلأمت الحجر قال ابن السّكيت: همزته العرب على غير قياس و الأصل استلمت لأنّه من السّلام و هي الحجارة، و قال ابن الاعرابي: الاستلام أصله مهموز من الملائمه و هي الاجتماع، و حكى الجوهري القولين و مثله الفيروز آبادي، و في بعض النسخ بدل لا تستلمه لا تلمسه و (النّصب) محرّكه التّعيب.

الاعراب

جملة لا تستلمه المشاعر استيناف بياني، و لفظ الأحد، و الخالق، و السّميع و البصير، و ما يتلوها من الصّفات يروى بالرّفيع و الجزّ معا الأوّل على أنّه خبر لمبتدأ محذوف، و الثّاني على أنّه صفة لله.

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبه متضمّن لمباحث شريفه إلهيه، و معارف نفيسه ربّانيه، و مسائل عويصه حكميه، و مطالب عليله عقليه لم يوجد مثلها في زبر الأوّلين و الآخرين، و لم يسمح بنظيرها عقول الحكماء السابقين و اللاحقين و صدّره بتحميد الله سبحانه و تمجيدته فقال:

(الحمد لله) و قد مضى شرح هذه الجملة و تحقيق معنى الحمد و بيان وجه اختصاصه بالله سبحانه في شرح الفصل الأوّل من الخطبه الأولى، و نقول هنا مضافا

إلى ما سبق: إنَّ الحمد سواء كان عبارته عن التعظيم و الثناء المطلق، أو عن الشكر المستلزم لتقدّم النعمه و الاعتراف بها، فالمستحقّ له في الحقيقة ليس إلاّ الله سبحانه، و لذا أتى بتعريف الجنس و لام الاختصاص الدالين على أنّ طبيعته الحمد مختصّه به تعالى.

أمّا على أنّه عبارته عن مطلق الثناء و التعظيم فلظهور أنّ استحقاقيّتهما إنّما يتحقّق لأجل حصول كمال أو برائه نقص، و كلّ كمال و جمال يوجد في العالم فانما هو رشح و تبع لجماله و كماله، و أما البراءة عن النقائص و العيوب فمما يختص به تعالى، لأنّه وجود محض لا يخالطه عدم و نور صرف لا يشوبه ظلمه.

و أما على أنّه عبارته عن الشكر المسبوق بالنعمه فلا أنّ كلّ منعم دونه فانما ينعم بشيء ممّا أنعم الله، و مع ذلك فانما ينعم لأجل غرض من جلب منفعة أو دفع مضرّه أو طلب محمّده، فهذا الجود و الانعام في الحقيقة معاملته و تجارته و إن عدّ في العرف جوداً و انعاماً، و أما الحقّ تعالى فلما لم يكن إنعامه لغرض و لا جوده لعوض إذ ليس لفعله المطلق غاية إلاّ ذاته كما مرّ تحقيقه في شرح الخطبه الخامسة و الستين، فلا يستحقّ لأقسام الحمد و الشكر بالحقيقه إلاّ هو، هذا و أردف الحمد بجملة من أو صاف الكمال و نعوت العظمه و الجلال.

الاول أنّه (الدالّ على وجوده بخلقه) و قد مرّ كيفيته هذه الدلاله في شرح الخطبه الخمسين و بيّنا هناك أنّ الاستدلال بهذه الطريقه من باب الاستدلال بالفعل على الفاعل، و مرجعه الى البرهان اللّمى.

(و) الثاني أنّه الدالّ (بمحدث خلقه على أزليته) لما قد مرّ ثمه أيضا من أنّ الأجسام كلّها حادثه لأنها غير خالیه عن الحركة و السكون، و كلّ حادث مفتقر إلى محدث فان كان ذلك المحدث محدثا عاد القول فيه كالأوّل و يلزم التسلسل أو كونه محدثا لنفسه و كلاهما باطل، فلا بدّ من محدث قديم لا بدايه لوجوده و هو الله تعالى و سبحانه.

(و) الثالث أنّه الدّالّ (باشتباهم على أن لا شبه له) يعنى أنّه سبحانه بإبداء المشابهه بين المخلوقات دلّ على أنّه لا مثل ولا شبهه.

و جهه المشابهه بينها إمّا الافتقار إلى المؤثر كما ذهب إليه الشّارح البحرانى حيث قال: أراد اشتباههم فى الحاجه إلى المؤثر و المدبّر، و تقرير هذا الطّريق أن نقول: إن كان تعالى غنيا عن المؤثر فلا شبهه له فى الحاجه إليه لكن المقدم حقّ فالتالى مثله.

و اعترض عليه بأنّ فيه قصورا من وجهين:

أحدهما أنّ المطلوب فى تنزيه الحقّ تعالى عن الشّبيه هو نفى الشّبه عنه على الاطلاق لا نفى وجه من وجوه الشّبه فقط كالحاجه.

و ثانيهما أنّ نفى الحاجه عنه تعالى ممّا لا- يحتاج إلى إثباته له من جهه تشابه الخلق فيها، بل مجرد كونه واجب الوجود يلزمه نفى الحاجه عنه إلى غيره لزوما بيّنا، فالاستدلال عليه لغو من الكلام مستدرك، هذا.

و قال بعضهم: المراد بمشابهتهم الاشتباه فى الجسميّة و الجنس و النّوع و الأشكال و المقادير و الألوان و نحو ذلك، و إذ ليس داخلا تحت جنس لبرائته عن التّركيب المستلزم للامكان، و لا تحت النّوع لافتقاره فى التّخصيص بالعوارض إلى غيره، و لا بذى مادّه لاستلزامه التّركيب أيضا، فليس بذى شبيهه فى الامور المذكوره و هو قريب ممّا قاله البحرانى لكنّ الأوّل أعمّ فى نفى الشّبيه، و الأ-حسن منها ما فى الحديث الأوّل من باب جوامع التوحيد من الكافى عن أمير المؤمنين عليه السّلام عند استنهاضه النّاس لحرب معاويه فى المرّه الثّانيه و هو قوله عليه السّلام: و حدّ الأشياء كلّها عند خلقه إبانة لها من شبهه و إبانة له من شبهها.

قال العلامة المجلسى فى شرحه: أى جعل للأشياء حدودا و نهايات، أو أجزاء و ذاتيات ليعلم بها أنّها من صفات المخلوقين و الخالق منزّه عن صفاتهم، أو خلق الممكنات التى من شأنها المحدوديّه ليعلم بذلك أنّه ليس كذلك كما قال تعالى:

فخلقت الخلق لا عرف، إذ خلقها محدوده لأنّها لم تكن تمكّن أن تكون غير

محدوده لامتناع مشابهه الممكن الواجب فى تلك الصفات التى هى من لوازم وجوب الوجود، و لعل الأوسط أظهر.

الرابع أنه (لا- تستلمه المشاعر) أى لا تلمسه لأنّ مدركات المشاعر مقصوره على الأجسام و الأعراض القائمه بها، و هو سبحانه ليس بجسم و لا جسمانيّ، فامتنع إدراك المشاعر و لمسها له، و يحتمل أن يراد بالمشاعر المدارك مطلقا سواء كانت قوه مادّيّه مدرکه للحسيّات و الوهميات أو قوه عقليه مدرکه للعقليّات و الفكريّات اذ ليس للمدارك مطلقا إلى معرفه كنه ذاته سبيل، و لا على الوصول الى حقيقه صفاته دليل، كما مرّ فى شرح الفصل الثانى من الخطبه الاولى.

(و) الخامس (لا- تحجبه المسائر) أى الحجابات التى يستر بها، و فى أكثر النسخ: السواتر بدلها و معناهما واحد، و المراد أنه لا يحجبه حجاب و لا يستتر بشيء من السواتر لأنّ الستر و الحجاب من لوازم ذى الجبهه و الجسميه، و هو تعالى منزّه عن ذلك.

فان قلت: قد ورد فى الحديث إنّ الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار و أنّ الملاء الأعلى يطلبونه كما أنتم تطلبونه، فكيف التوفيق بينه و بين قول الامام عليه السّلام؟ قلت: ليس المراد من احتجابه عن العقول و الأبصار أن يكون بينه و بين خلقه حجاب جسمانيّ مانع عن إدراكه و الوصول اليه تعالى، بل المراد بذلك احتجابه عنهم لقصور ذواتهم و نقصان عقولهم و قواهم، و كمال ذاته و شدّه نوره و قوه ظهوره، فغايه ظهوره أوجب بطونه، و شدّه نوره أوجب احتجابه كنور الشمس و بصر الخفّاش، و قد حقّقنا ذلك بما لا مزيد عليه فى شرح الخطبه الرابعه و الستين و شرح الفصل الثانى من الخطبه التسعين، و بما ذكرنا أيضا ظهر فساد ما ربما يتوهم من أنه إذا لم يكن محجوبا بالسواتر لا بدّ و أن يعرفه كلّ أحد و يراه، هذا.

و قوله (لافتراق الصانع و المصنوع و الحادّ و المحدود و الربّ و المربوب)

التعليل راجع الى الجملات المتقدمه بأسرها، و المقصود أنّ لكلّ من الصانع و المصنوع صفات تخصّه و تليق به و يمتاز بها و بها يفارق الآخر فالمخلوقيه و الحدوث و الاشتباه و الملموسيه و المحجوبيّه بالسواتر من لواحق المصنوعات و الممكنات و أوصافها اللّايقه لها، و الخالقيّه و الأنزليّه و التنزّه عن المشابهه و عن استلام المشاعر و احتجاب السواتر من صفات الصّانع الأوّل و ممّا ينبغى له و يليق به، و يضادّ ما سبق من أوصاف الممكنات، فلو جرى فيه صفات المصنوعات أو فى المصنوعات صفاته لارتفع الافتراق و وقع المساواه و المشابهه بينه و بينها، فيكون مشاركا لها فى الحدوث المستلزم للامكان المستلزم للحاجه إلى الصّانع، فلم يكن بينه و بينها فصل و لا له عليها فضل، و كلّ ذلك أعنى المساوات و المشابهه و عدم الفصل و الفضل ظاهر البطلان، هذا و المراد بالحدادّ خالق الحدود و النّهيات، و الصّانع و الربّ بينهما تغاير بحسب الاع تبار و هو دخول المالكيه فى مفهوم الرّبوبيّه دون الصّنع.

السادس (الأحد لا بتأويل عدد) يعنى أنّه أحدىّ الذات ليس كمثله شىء و أحدىّ الوجود لا جزء له ذهنا و لا عقلا و لا خارجا، و ليست وحدانيته وحدانيته عدديّه بمعنى أن يكون مبدء لكثره تعدّد به كما يقال فى أوّل العدد واحد، و قد مرّ تحقيق ذلك فى شرح الخطبه الرّابعه و السّتين.

(و) السابع (الخالق لا بمعنى حركه و نصب) يعنى أنّه سبحانه موجد للأشياء بنفس قدرته التّامه الكامله و خلقه الابداع و الافاضه من دون حاجه إلى حركه ذهنيّه أو بدنيّه كما لسائر الصّانعين، لأنّ الحركه من عوارض الأجسام، و هو منزّه عن الجسميّة كما لا حاجه فى ايجاده إلى المباشرة و التعمّل حتّى يلحقه نصب و تعب، و إنّما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون.

(و) الثامن (السّميع لا بأداه) و هى الأذنان و الصّيماخان و القوّه الكائنه تحتها، لتعالیه عن الآلات الجسمانيّه، بل سمعه عباره عن علمه بالمسموعات، فهو نوع مخصوص من العلم باعتبار تعلّقه بنوع من المعلوم، و قد تقدّم فى شرح الفصل

السادس من الخطبه الاولى أن السمع والبصر من الصفات الذاتيه له تعالى، و الاحتياج فيهما إلى الأداة والآله يوجب التقص في الذات والاستكمال والاستعانه بالآلات المنافى للوجوب الذاتي.

(و) التاسع (البصير لا بتفريق آله) أي بفتح العين أو بعث القوه الباصره و توزيعها على المبصرات قال الشارح البحراني: و هذا المعنى على قول من جعل الابصار بآله الشعاع الخارج من العين المتصل بسطح المرئي أظهر، فإن توزيعه أظهر من توزيع الآله على قول من يقول إن الإدراك يحصل بانطباع صور المرئي في العين، و معنى التفريق على القول الثاني هو قلب الحدقه و توجيهها مره إلى هذا المبصر و مره إلى ذاك كما يقال فلان مفروق الهمه و الخاطر إذا وزع فكره على حفظ أشياء متباينه و مراعاتها كالعلم و تحصيل المال و ظاهر تنزيهه تعالى عن الابصار بآله الحس لكونها من توابع الجسميه و لواحقها (و) العاشر (المشاهد لا بمماسه) و في بعض النسخ الشاهد بدل المشاهد، و المعنى واحد قال صدر المتألهين في شرح الكافي في تحقيق ذلك: لأن التماس من خواص الأجسام، و المشاهده بالمماسه للمشهود نفسه كما في الذائقه و اللامسه، و للمتوسط بين الشاهد و المشهود كما في الشامه و السامعه و الباصره، و الحاصل أن إدراكات الحواس الظاهره الخمسه و مشاهداتها كلها لا تتم إلا بالمماسه لجسم من الأجسام و إن كان المشهود له و الحاضر بالذات عند النفس شيئاً آخر غير المموس بالذات أو بالواسطه (و) الحادى عشر (البائن لا بتراخى مسافه) يعنى أنه مباين للأشياء و مغاير لها بنفس ذاته و صفاته، لأنه فى غايه التمام و الكمال، و ما سواه فى نهايه الافتقار و النقصان، و ليس تباينه تباين أين و تباعد مكان بتراخى مسافه بينه و بين غيره، لأن ذلك من خواص الأيتيات، و هو الذى أين الأين بلا أين، و قد تقدم نظير هذه فقره

فى الفصل السادس من الخطبه الاولى، و شرحناه بما يوجب الانتفاع به فى المقام فليراجع ثمه (و) الثانى عشر (الظاهر لا برؤيه و) الثالث عشر (الباطن لا- بلطافه) يعنى أنّ ظهوره سبحانه ليس كظهور ظاهر الأشياء بأن يكون مرئيا بحاسه البصر، و لا بطونه كبطونها بأن يكون لطيفا لصغر حجمه أو لطافه قوامه كالهواء، بل نحو آخر من الظهور و البطون على ما مرّ تحقيقه فى شرح الخطبه التاسعه و الأربعين و شرح الخطبه الرابعه و الستين فليتذكر.

و الرابع عشر أنه (بان من الأشياء بالقهر لها و القدره عليها، و بانّت الأشياء منه بالخضوع له و الرجوع إليه) و هذه الفقره فى الحقيقه تفسير و توضيح للوصف الحادى عشر، فأنّه عليه السلام لما ذكر هناك أنّ بينوتيه ليست بتراخى مسافه أوضح هنا جهه البينونه بأنه إنّما بان من الأشياء بغلبته و استيلائه عليها و قدرته على ايجادها و إعدامها كما هو اللّايق بشأن الواجب المتعال، و أنّ الأشياء إنّما بانّت منه لخضوعها و ذلّها فى قيد الامكان و رجوعها فى وجودها و كمالاتها إلى وجوده كما هو مقتضى حال الممكن المفتقر.

الخامس عشر أنه تعالى منزّه عن الصّيفات الزّايده على الذات، و إليه أشار بقوله (من وصفه فقد حدّه و من حدّه فقد عدّه و من عدّه فقد أبطل أزلّه) قال العلامة المجلسى فى مرآت العقول فى شرح هذه الفقره من حديث الكافى: إنّ من وصف الله بالصّوره و الكيف فقد جعله جسما ذا حدود، و من جعله ذا حدود فقد جعله ذا أجزاء، و كلّ ذى أجزاء محتاج حادث، أو أنّ من وصف الله و حاول تحديد كنهه فقد جعله ذا حد مركّب من جنس و فصل، فقد صار حقيقه مركّبه محتاجه إلى الأجزاء حادثه أو أنّ من وصف الله بالصّيفات الزّايده فقد جعل ذاته محدوده بها، و من حدّه كذلك فقد جعله ذا عدد إذ اختلاف الصّيفات إنّما يكون بتعدّد أجزاء الذات أو قال بتعدّد الالهه إذ يكون كلّ صفه لقدمها إليها غير محتاج إلى علّه، و من كان مشاركا فى الالهيه لا يكون قديما فيحتاج إلى علّه، أو جعله

مع صفاته ذا عدد و عروض الصِّفات المغايره الموجوده ينافى الأزليته، لأنّ الاتِّصاف نوع علاقته توجب احتياج كلّ منهما إلى الآخر، و هو ينافى وجوب الوجود و الأزليته أو المعنى أنّه على تقدير زياده الصِّفات يلزم تركب الصّانع إذ ظاهر أنّ الذات بدون ملاحظه الصِّفات ليست بصانع للعالم، فالصّانع المجموع فيلزم تركبه المستلزم للحاجه و الامكان، و قيل: فقد عدّه من المخلوقين.

السادس عشر أنّه منزّه عن الكيف، و إليه أشار بقوله (و من قال كيف فقد استوصفه) أى طلب وصفه بصفات المخلوقين و جعل له وصفا زائدا على ذاته، و قد علمت أنّ ذلك ممتنع فى حقّه إذ كلّ صفه وجوديّة زائده على ذاته فهى من مقوله الكيف و من جنس الكيف التّفسانى، فيلزم كون ذاته بذاته معزاه عن صفه كماليه، و يلزم له مخالطه الامكان و ينافى كونه واجب الوجود من جميع الجهات، و كلّ ذلك محال عليه تعالى هذا، و قد تقدّم فى شرح الخطبه الرّابعه و الثّمانين تحقيق معنى الكيف و تفصيل تنزّهه تعالى عن الاتِّصاف به.

السابع عشر أنّه سبحانه منزّه عن المكان، و إليه أشار بقوله (و من قال أين فقد حيّزه) لأنّ أين سؤال عن الحيّز و الجهه، فمن قال أين فقد جعله فى حيّز مخصوص و هو محال فى حقّ الواجب تعالى، لأنّه خالق الحيّز و المكان فيلزم افتقاره إلى ما هو مفتقر إليه، على أنّ كونه فى حيّز معيّن يستلزم خلوّ ساير الأحياز و الأمكنه منه كما هو شأن الأجسام و الجسمانيّات، و هو باطل لأنّه فى جميع الأحياز بالعلم و الاحاطه، و هو الذى فى السّماء إله و فى الأرض إله.

و اعلم أنّ هذه العبارة نظير قوله عليه السّلام فى الفصل الخامس من الخطبه الأولى و من قال فيم فقد ضمنه، و قد ذكرنا فى شرحه ما يوجب البصيره فى المقام.

الثامن عشر أنّه سبحانه (عالم إذ لا معلوم و ربّ إذ لا مربوب و قادر إذ لا مقدور) إذ ظرفيه على توهم الزّمان أى كان موصوفا فى الأزل بالعلم و الرّبوبيّه و القدره، و لم يكن شىء من المعلوم و المربوب و المقدور موجودا فيه.

أمّا أنّه كان عالما بالأشياء و لا معلوم فلاّنّ علمه عين ذاته و تقدّم ذاته على

معلوماته الحادته ظاهر، و لا- يتوقف وجوده على وجود المعلوم كما مرّ تحقيقه في شرح الفصل السابع من الخطبه الأولى عند تحقيق قوله: عالما بها قبل ابتدائها فليتكّر.

و أمّا أنّه كان ربّياً إذ لا- مربوب لأنّ معنى الربّ هو المالك، و قد كان سبحانه مالكا لأزمه الامكان و تصريفه من العدم إلى الوجود و من الوجود إلى العدم كيف شاء و متى أراد، و قيل: المراد إنّ كان قادرا على التربيّه إذ هو الكمال و فعليتها منوطه على المصلحه.

و أمّا أنّه كان قادرا إذ لا مقدور فلأنّ القادر هو الذي إن شاء فعل و إن شاء ترك، و بعباره اخرى هو الذي يصحّ منه الفعل و الترك، و وجود هذا الوصف له لا يستلزم وجود المقدور و قال الصّيدوق في التّوحيد: و القدره مصدر قولك قدر قدره أي ملك فهو قدیر قادر مقتدر، و قدرته على ما لم يوجد و اقتداره على إيجاده هو قهره و ملكه له، و قد قال عزّ ذكره: «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» و يوم الدّين لم يوجد بعد.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن ولیّ ربّ العالمین و وصیّ امین خاتم النبیین است در تحمید و توحید و تمجید حضرت ذو الجلال و خداوند متعال می فرماید:

حمد و ثنا خداوندی را سزاست که هدایت کننده است بوجود خود با ایجاد مخلوقات خود، و با حدوث مخلوقات خود بر ازلیت و سرمدیت خود، و با شبیه نمودن آن مخلوقات بیکدیگر بر این که هیچ مثل و شبیه نیست مر او را، مسّ نمی توانند بکنند او را حواسّ ظاهره و باطنه، و نمی پوشانند او را پردها و حجابها بجهت ممتاز و مغایر بودن آفریننده و آفریده شده، و حد قرار دهنده و حد قرار داده شده، و تربیت کننده و تربیت داده شده، این صفت دارد که یکیست نه یکی که از مقوله أعداد باشد، و خلق کننده است نه با حرکت و مشقّت، و شنوا است نه با آلت گوش، و بینا است نه با

برگرداندن حدقه چشم، و حاضر است با اشیا نه با مجاورت و مماس، و جداست از آشیانه بدوری راه، و آشکار است نه بدیدن چشمها، و پنهانست نه بسبب لطافت مقدار.

جدا شد از اشیا با قهر و غلبه کردن بر آنها، و جدا شد اشیا از او بسبب خضوع و تواضع نمودن آنها بر او بسبب بازگشت آنها بسوی او، هر کس وصف کرد او را پس بتحقیق که حد قرار داد او را، و هر که حد قرار دهد بر او پس بتحقیق که در شمار آورد او را، و کسی که در شمار آورد او را پس بتحقیق که باطل گردانید ازلت او را، و هر کس که بگوید چگونه است او پس بتحقیق که طلب وصف او نمود، و هر که گفت او کجاست پس بتحقیق که مکان قرار داد باو، دانا بود در وقتی که هیچ معلومی نبود، ربّ بود هنگامی که هیچ مربوبی نبود، و صاحب قدرت بود زمانی که هیچ مقدوری نبود

الفصل الثانی منها

اشاره

قد طلع طالع، و لمع لامع، و لاح لائح، و اعتدل مائل، و استبدل الله بقوم قوما، و بیوم یوما، و انتظرنا الغیر انتظار المجدب المطر، و إنّما الأئمة قوام الله علی خلقه، و عرفائه علی عباده، لا یدخل الجنّه إلاّ من عرفهم و عرفوه، و لا یدخل النار إلاّ من أنکرهم و أنکروه، إنّ الله تعالی قد خصّکم بالإسلام، و استخلصکم له، و ذلك لأنّه اسم سلامه و جماع کرامه، اصطفی الله تعالی منهجه، و بین حججه من ظاهر علم، و باطن حکم، لا تفنی غرائب، و لا

تنقضى عجائبه، فيه مرايب النعم، و مصاييح الظلم، لا تفتح الخيرات إلا بمفاته، و لا تكشف الظلمات إلا بمصاييحه، قد أحمى حماه، و أرعى مرعاه، فيه شفاء المشتفى، و كفايه المكتفى.

اللغة

(الجذب) هو المحل وزنا و معنا و هو انقطاع المطر و يبس الأرض و أجذب القوم اجدا با أصابهم الجذب و (عرفت) على القوم من باب قتل عرفاه بالكسر فأنا عارف أى مدبر أمرهم و قائم بسياستهم، و عرفت عليهم بالضم لغه فأنا عريف و الجمع عرفاء، و قيل: العريف هو القيم بامور القبيله و الجماعه يلى أمورهم و يتعرف الأمير منه أحوالهم فاعيل بمعنى فاعل و (جماع) الشىء بالكسر و التخفيف جمعه يقال الخمر جماع الاثم و (المرايب) الأمطار التى تجىء فى أول الربيع و (حمى) المكان من الناس حميا من باب رمى منعه عنهم، و الحمايه اسم منه و أحميته بالألف جعلته حمى لا يقرب و لا يجترء عليه و كلاء حمى محمى قال الشاعر:

و نرعى حمى الأقوام غير محرم علينا و لا يرعى حمانا الذى نحمى

قال الشارح المعتزلى: قد حمى حماه، أى عرضه لأن يحمى كما تقول:

أقتلت الرجل أى عرضته لأن يضرب.

الاعراب

جملة لا- يدخل الجنه، بدل من الجملة السابقة عليها، و لشده الاتصال بينهما ترك العاطف على حدّ قوله تعالى: أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام و بنين، و إضافه المنهج إلى الضمير إما نظير الاضافه فى سعيد كرز، أو بمعنى اللام، و الاضافه فى قوله: من ظاهر علم و باطن حكم، من قبيل إضافه الصفه إلى موصوفها،

و من فى من ظاهر للتبيين و التفسير كما تقول دفعت إليه سلاحا من سيف و رمح و سهم أو للتمييز و التقسيم.

المعنى

إشارة

اعلم أنّ الشارح المعتزلى ذكر فى شرح هذا الفصل من كلامه عليه السلام أنه خطب بذلك بعد قتل عثمان حين أفضت الخلافة إليه.

إذا عرفت ذلك فأقول قوله عليه السلام (قد طلع طالع و لمع لامع و لاح لائح) يحتمل أن يكون المراد بالجملات الثلاث واحدا، أى طلع شمس الخلافة من مطلعها و سطع أنوار الامامه من منارها، و ظهر كوكب الولاية من افقه، و أن يكون المراد بالاولى ظهور خلافته و أمارته، و بالثانية ظهورها من حيث هى حق له عليه السلام و سطوع أنوار العدل بصيرورتها إليه، و بالثالثة ظهور الحروب و الفتن الواقعه بعد انتقال الأمر إليه عليه السلام (و اعتدل مائل) أى استقام ما اعوج من أركان الدين و قوائم الشرع المبين (و استبدل الله بقوم) من أهل الضلال و الفساد و هم الخلفاء الثلاث و أتباعهم (قوما) من أهل الصلاح و الرشاد و هم أمير المؤمنين و تابعوه (و بيوم) انتشر فيه الجور و الاعتساف (يوما) ظهر فيه العدل و الانصاف (و انتظرنا الغير) أى تغيرات الدهر و تقلبات الزمان قال العلامة المجلسى (قد): و لعلّ انتظارها كناية عن العلم بوقوعه، أو الرضا بما قضى الله من ذلك، و المراد بالغير ما جرى قبل ذلك من قتل عثمان و انتقال الأمر اليه أو ما سيأتى من الحروب و الوقايح، و الأول أنسب بالتشبيه ب(انتظار المجذب المطر) لدلالته على شدة شوقه بالتغيرات و فرط رغبته لانتقال الأمر اليه ليتمكن من إعلاء كلمه الاسلام و ترويج شرع سيد الأنام عليه و آله آلاف التحية و السلام كما أنّ للمجذب شدة الاشتياق إلى الأمطار ثم أشار إلى أنّ القيام بامور الأئمة وظيفه الأئمة فقط، و أنّ موالاتهم و متابعتهم واجبه فقال (و إنّ الأئمة) أراد به نفسه الشريف و الطيبين من أولاده (قوام الله على

خلقه) أى يقومون بمصالحهم و يدبّرون امورهم، أو أنّهم القائمون بأمر الله و نهيه و أحكامه على خلقه، لكونهم خلفائه فى أرضه و حججه على برّيته، و كمال هذا القيام عند ظهور صاحب الأمر عليه السّلام فإنّه الزّمان الّذى تجتمع فيه الخلايق على الايمان، و يرتفع الشّرك بالكلّيّه.

كما يدلّ عليه ما فى الكافى عن أبى خديجه عن أبى عبد الله عليه السّلام أنّه سئل عن القائم، فقال: كلّنا قائم بأمر الله واحدا بعد واحد حتّى يجيء صاحب السّيف فاذا جاء صاحب السّيف جاء بأمر غير الّذى كان (و عرفائه على عباده) كمال قال تعالى «وَ عَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ» روى فى البحار من بصائر الدّرجات مسندا عن الهلّقام عن أبى جعفر عليه السّلام فى قوله:

و على الأعراف رجال، قال عليه السّلام: نحن أولئك الرّجال الأئمه منّا يعرفون من يدخل النّار و من يدخل الجنّه كما تعرفون فى قبائلكم الرّجل منكم يعرف من فيها من صالح أو طالح.

و فيه عن الهلّقام أيضا عن أبى جعفر عليه السّلام قال: سألته عن قول الله عزّ و جلّ «وَ عَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ» ما يعنى بقوله و على الأعراف رجال؟ قال عليه السّلام: ألستم تعرفون عليكم عريفا على قبائلكم لتعرفوا من فيها من صالح أو طالح؟ قلت: بلى، قال: فنحن أولئك الرّجال الّذين يعرفون كلّا بسيماهم.

و فيه من كتاب المقتضب لأحمد بن محمّد بن عياش بسنده عن أبان بن عمر ختن آل ميثم قال: كنت عند أبى عبد الله عليه السّلام فدخل عليه سفيان بن مصعب العبدي فقال: جعلنى الله فداك ما تقول فى قوله تعالى ذكره «وَ عَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ» الآية قال: هم الأوصياء من آل محمّد الاثنا عشر لا يعرف الله إلّا من عرفهم و عرفوه، قال فما الأعراف جعلت فداك؟ قال: كتائب من مسك عليها رسول الله صلّى الله عليه و آله و الأوصياء يعرفون كلّا بسيماهم فقال سفيان: فلا أقول فى ذلك شيئا؟ فقال من قصيده شعرا.

أيا ربهم(١) هل فيك لى اليوم مربع و هل لليالى كنى لى فيك مرجع

ص: ١٨٥

١- (١) الربيع الدار و المحله و المنزل يرتبعون فيه فى الربيع كالمربع، و الريا الريح الطيبه

و فيها يقول:

و أنتم ولاة الحشر و النشر و الجزا و أنتم ليوم المفزع الهول مفزع

و أنتم على الأعراف و هي كتائب من المسك رباها بكم يتضوع

ثمانيه بالعرش اذ يحملونه و من بعدهم هادون فى الأرض أربع

(لا- يدخل الجنة إلا- من عرفهم و عرفوه و لا- يدخل النار إلا- من أنكرهم و أنكروه) هذه القضيّه قد نصّت عليها فى الأخبار المعبره المتظافره عن أهل بيت العصمه و الطّهاره، و ستطلع عليها و على تحقيق معناها فى التّذييل الآتى.

ثمّ أشار إلى بغض ما منّ الله تعالى به على المخاطبين، و هو أعظم نعمائه عليهم فقال (إنّ الله قد خصّكم بالاسلام و استخلصكم له) أى استخصّكم له يعنى أنكم لكرامتكم عند الله تعالى و علوّ منزلتكم خصّكم بهذه النّعمه العظمى و العطيّه الكبرى (و ذلك لأنّه اسم سلامه) قال الشّارح المعتزلى و البحرانى: يعنى أنّه مشتقّ من السّلامه، و تبعهما بعض الشّارحين فقال: ظاهر الكلام يعطى أنّ الاسلام من السّلامه مشتقّ فليس بمعنى الانقياد و الدّخول فى السلم.

أقول: لا دلالة فى كلامه عليه السّلام على اشتقاقه منه لو لم يكن دالّا على خلافه، بل الظاهر أنّ معناه أنّ الاسلام اسم لمسمّى فيه سلامه من غضب الجبار و من الثّار، فإنّ من فاز بالاسلام سلم من سخط الله و عقوبته.

(و) هو أيضا (جماع كرامه) أى مجمعه إذ به يفاض الجنان، و يتحصل الرّضوان و النّعيم الأبد و اللّذه السّيرمد (اصطفى الله منهجه) أى اختار طريق الاسلام و ارتضاه من بين ساير الطرق و المناهج، و المراد بطريق الاسلام إما نفس الاسلام، و تسميته بالطريق باعتبار ايصاله إلى قرب الحقّ سبحانه و كونه محصّلا لرضاه تعالى، و قد عبّر عنه بالصّراط و هو الطّريق فى قوله تعالى:

«إِهْدِنَا الصّراطَ الْمُسْتَقِيمَ».

على بعض تفاسيره، و يدلّ على اختيار الله سبحانه و اصطفائه له قوله تعالى:

«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا».

و أمّا الطريق المخصوص به أعنى الطريق العذى لا- بدّ لمن تدينّ بدين الاسلام أن يسلكه و هى طريق الشريعة أعنى الفروع العمليّه، و الدليل على اصطفائه عزّ و جلّ لها جعلها ناسخه لسائر الشرايع و إبقائها بقاء الدهر، شرع محمّد صلّى الله عليه و آله مستمراً إلى يوم القيامة (و بين حججه) أى أوضح الأدلّه الداله على حقيته (من ظاهر علم و باطن حكم) أى تلك الأدلّه على قسمين: أحدهما علم ظاهر و هى الأدلّه الثقليه من الكتاب و السنّه، و ثانيهما حكمه باطنه و هى الأدلّه العقليه.

أمّا تفسير الحكم بالحكمه فقد دلّ عليه ما فى الصافى عن الكافى عن الباقر عليه السلام قال: مات زكريا فورثه ابنه يحيى الكتاب و الحكمه و هو صبى صغير، ثم تلا قوله تعالى «يا يحيى خذ الكتاب بقوة و آتيناك الحكم صبيّاً».

و فى مجمع البحرين فى الحديث ادع الله أن يملاء قلبى علما و حكما، أى حكمه.

و أمّا تفسير الحكمه بالعقل فقد نصّ عليه الكاظم عليه السلام فى روايه الصافى عن الكافى عنه عليه السلام فى تفسير قوله تعالى:

«وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ».

قال: الفهم و العقل، فقد ظهر و اتضح مما ذكرنا أنّ المراد بالحكم الباطن هو دليل العقل (لا تفنى غرائبه و لا تنقضى عجائبه) يعنى أنّ غرائب الاسلام و عجائبه دائمه تجدد يوما فيوما، ألا ترى كيف أعزه الله و أهله فى بدو الأمر و أذل الكفر و أهله و نصر الله المسلمين على الكافرين و أظهرهم عليهم على قله الأولين و كثره الآخريين و أيد الاسلام بالملائكه المسؤمين يوم بدر و حنين، و نكص الشيطان اللعين على عقبه لما تراءت الفتان و قال «إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله» رب

العالمين، مضافه إلى المعجزات و الكرامات الصادره من قاده المسلمين و نوابهم الصّالحين فى كلّ عصر و زمان، و أعظم تلك العجائب و أكمل تلك الغرائب ما يظهر فى آخر الزّمان عند ظهور الدّوله الحقه القائميّه «عج» و هذه كلّها من عجائب نفس الاسلام و مضافه إليه كما هو غير خفى لاولى الأفهام.

(فيه مراعى النعم) استعار لفظ المصابيح لبركات و الخيرات التى يفوز بها المسلمون فى الآخرة و الاولى ببركه أخذهم الاسلام دينا أمّا فى الدّنيا فكحقن الدّماء و الظفر بالأعداء و غنيمه الأموال و رفاه الحال، و أمّا فى العقبى فالنّجاه من النّار و الأمن من غضب الجبار و الفوز بجنّات تجرى من تحتها الأنهار، و برضوان من الله أكبر و هو أعظم النعماء و أشرف الآلاء.

(و مصابيح الظلم) لفظ المصابيح أيضا استعاره للمعارف الحقه و العقائد الالهيه، إذ تصفيه القلب بها يرتفع ظلمات الشّبّهات و يندفع رين الشكوكات عنه فى الدّنيا بخلاف الذين كفروا فقد «ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوة و لهم عذاب عظيم»، و أمّا فى الآخرة فبسبب تلك المعارف و بعض الأعمال الصّالحه التى هى من فروع الدّين و الاسلام يحصل نور للمؤمن فى القبر و البرزخ و القيامة، هذا و يحتمل أن يكون لفظ المصابيح استعاره لأولياء الدّين و أئمّه اليقين قاده المسلمين إذ بهم يهتدى من ظلمات الجهل و الضلال فى الدّين و الدّنيا، و بأنوارهم يسلك سبيل الجنّه فى الأخرى كما قال عزّ من قائل:

«نورهم يسعى بين أيديهم».

و قد مرّ الكلام فى هذا المعنى مشبعا فى شرح الفصل الأول من الخطبه الرّابعه فليراجع ثمه.

(لا تفتح الخيرات إلا بمفاتيحه) أراد بالخيرات النعم الأخرويه و اللذائذ الدائمة الباقية و الدّرجات العالیه، و مفاتيح الاسلام الفاتحه لها عباره عن فروع

الاسلام و الأعمال الحسنه و العبادات الّتي كلّ منها سبب لجزء مخصوص و موصله الى درجه مخصوصه من درجات الجنان و مفاتيح لأبوابها.

كما ورد في بعض الأخبار: أنّ للجنّه ثمانيه أبواب: الباب الأوّل اسمه التّوبه، الثّاني الزّكاه، الثّالث الصّلاه، الرّابع الأمر و النّهي، الخامس الحجّ السّادس الورع، السّابع الجهاد، الثّامن الصّبر، فإنّ الظّاهر منه أنّ التّوبه مفتاح للباب الأوّل و الزّكاه للثّاني و هكذا.

(و لا تكشف الظلمات إلّا بمصايحه) قد طهر توضيحه ممّا قدّمناه آنفا في شرح قوله: فيه مصايح الظلم (قد أحمى حماه) المراد بحمي الاسلام المحرّمات الشرعيّه و قد أحماها الله سبحانه أي جعلها عرضه لأنّ تحمي، أي منع و نهى عن الاقتحام فيها.

و يدلّ على ما ذكرناه ما في الوسائل عن الصّيدوق قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام خطب النّاس فقال في كلام ذكره: حلال بيّن، و حرام بيّن، و شبهات بين ذلك فمن ترك ما اشبهه عليه من الاثم فهو لما استبان له أترك، و المعاصي حمي الله فمن يرتع حولها يوشك أن يدخلها و فيه عن الفضل بن الحسن الطبرسي في تفسيره الصّغير قال: في الحديث أنّ لكل ملك حمي و حمي الله محارمه فمن رتع حول الحمي أوشك أن يقع فيه.

و فيه عن الكراجكي في كتاب كنز الفوائد بسنده عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام قال قال جدّي رسول الله صلّى الله عليه و آله: أيّها النّاس حلالي حلال إلى يوم القيامة، و حرامي حرام إلى يوم القيامة، ألا و قد بينهما الله عزّ و جلّ في الكتاب و بيّنتهما لكم في سنّتي و سيرتي، و بينهما شبهات من الشّيطان و بدع بعدى من تركها صلح له أمر دينه و صلحت له مرّوته و عرضه، و من تلبس بها وقع فيها و اتبعها كان كمن رعى غنمه قرب الحمي، و من رعى ما شئتته قرب الحمي نازعتة نفسه إلى أن يرهاها في الحمي، ألا و إنّ لكلّ ملك حمي، ألا و إنّ حمي الله عزّ و جلّ محارمه، فتوقوا حمي الله و محارمه.

(و أرعى مرعاه) المراد بمرعاه المباحات و المحللات الشرعيه، فإنّ الله سبحانه قد رخص المكلفين فى الاقدام عليها و تناولها و التمتع بها.

(فيه شفاء المشتفى و كفايه المكثفى) إذ به يحصل التقرب الروحانى من الحقّ تعالى، و هو شفاء لكلّ داء و غنى لكلّ فقر، و إليه يؤمى ما فى الحديث القدسى يابن آدم كلّكم ضالّ إلاّ من هديته، و كلّكم مريض إلاّ من شفيته، و كلّكم فقير إلاّ من أغنيته

تنبيه

ما ذكرته فى شرح هذه الفقرات الأخيره أعنى قوله: من ظاهر علم، إلى آخر الفصل هو الذى ظهر لى فى المقام و هو الأنسب بسياق الكلام.

و قال الشّارح المعتزلى و البحرانى و تبعهما غيرهما: إنّ المراد بقوله: من ظاهر علم هو القرآن، و ما ذكره إلى آخر الفصل أو صاف له.

قال الشّارح المعتزلى و يعنى بظاهر علم و باطن حكم القرآن ألاّ تراه كيف أتى بعده بصفات و نعوت لا يكون إلاّ للقرآن من قوله: لا- تفنى غرايبه، أى آياته المحكمه و براهينه القاطعه، و لا- تنفضى عجائبه، لأنّه مهما تأمله الانسان استخرج منه بفكره غرايب و عجائب لم يكن عنده من قبل، فيه مراتب النعم المراتب سبب لظهور الكلاء، و كذلك تدبر القرآن سبب للنعم الدّينيه و حصولها، قد أحمى حماه و أرعى مرعاه، أى عرض حمى القرآن و محارمه لأنّ يجتنب و عرض مرعاه لأنّ يرعى، أى يمكن من الانتفاع بما فيه من الزّواجر و المواعظ لأنّه خاطبنا بلسان عربىّ مبین، و لم تقنع ببيان ما لا يعلم إلاّ بالشرع حتى تبه فى أكثره على أدلّه العقل.

و قال الشّارح البحرانى: ثمّ أخذ عليه السّلام فى إظهار منّ الله عليهم بالقرآن الكريم و تخصيصهم به من بين ساير الكتب و اعدادهم لقبوله من ساير الامم.

ثمّ تبه على بعض أسباب إكرامه تعالى لهم به أمّا من جهه اسمه فلاّنه مشتق من السّلامه بالدّخول فى الطّاعه.

و أمّا من جهه معناه فمن وجوه:

أحدها أنّه مجموع كرامه من الله لخلقه لأنيّ مدار جميع آياته على هدايه الخلق إلى سبيل الله القائده إلى الجنّه الثاني أنّ الله اصطفى منهجه و هو طريقته الواضحه المؤدّيه للسالكين بالسير إلى رضوان الله الثالث أنّه بين حججه و هي الأدلّه و الأمارات و قسم الحجج إلى ظاهر علم و أشار به إلى ظواهر الشريعة و أحكامها الفقهيّه و أدلّه تلك الأحكام، و باطن حكم و أشار به إلى ما يشتمل عليه الكتاب العزيز من الحكمة الالهيه و أسرار التوحيد و علم الأخلاق و السياسات و غيرها الرابع أنّه لا- تفنى عزائمه(1) و أراد بالعزائم هنا الآيات المحكمه و براهينه العازمه أي القاطعه، و عدم فنائها إشاره إمّا إلى ثباتها و استقرارها على طول المدّه و تغير الأعصار، و إمّا إلى كثرتها عند البحث و التفتيش عنها الخامس و لا تنقضى عجايبه، لأنّه كلّما تأمله الانسان استخراج منه بفكره لطايف معجبه من أنواع العلوم لم يكن عنده من قبل.

السادس فيه مرابع النعم، استعار لفظ المربيع لما يحصل عليه الانسان من النعم ببركه القرآن و لزوم أوامره و نواهيه و حكمه و آدابه أمّا في الدّنيا فالنعم التي تحصل ببركته لحامليه من القراء و المفسّرين و غيرهم ظاهره الكثيره، و أمّا بالنسبه إلى الآخره فما يحصل عليه مقتبسو أنواره من الكمالات المعدّه في الآخره من العلوم و الاخلاق الفاضله أعظم نعمه و أتمّ فضل السابع أنّ فيه مصابيح الظلم استعار لفظ المصابيح لقوانينه و قواعده الهاديه إلى الله في سبيله.

الثامنأنهلا- يفتح الخيرات إلا- بمفاتيحه، أراد الخيرات الحقيقيه الباقيه و استعار لفظ المفاتيح لمناهجه و طرقه الموصله إلى تلك الخيرات.

ص: ١٩١

١- (١) هكذا في شرح البحراني و يستفاد منه أنّ الموجود في نسخته عزائمه بدل غرائب

التاسع و لا ينكشف الظلمات إلا بمصايحه أراد ظلمات الجهل و بالمصايح قوانينه.

العاشر كونه قد أحى حماه، استعار لفظ الحمى لحفظه و تدبره و العمل بقوانينه، و وجه الاستعارة أنّ بذلك يكون حفظ الشخص و حراسته أما في الدنيا فمن أيدي كثير من الظالمين لاحترامهم حمله القرآن و مفسّريه و من يتعلّق به، و أما في الآخرة فلحمايته حفظته و متدبريه و العامل به من عذاب الله كما يحمي الحمى من يلوذ به، و نسبة الأحماء إليه مجاز.

الحادي عشر و كذلك أراعى مرعاه أي هيأه لأن رعاها، و استعار لفظ المرعى للعلوم و الحكم و الآداب التي يشتمل عليه القرآن، و وجه المشابهة أنّ هذه مراعى النفوس الانسانية و غذائها الذي به يكون نشوها العقلي و نماؤها الفعلي، كما أنّ المراعى المحسوسه من النبات غذاء للأبدان الحيوانية التي بها يقوم وجودها.

الثاني عشر فيه شفاء المشتفى، أي طالب الشفاء منه أما في الأبدان فبالغوّذ به مع صدق التيه فيه و سلامه الصدور، و أما في النفوس فلشفائها به من أمراض الجهل.

الثالث عشر و كفايه المكتفى، أراد بالمكتفى طالب الكفايه أما من الدنيا فلأنّ حمله القرآن الطالبين به المطالب الدنيويهم هم أقدر و أكثر الناس على الاحتيال به في تحصيل مطالبهم و كفايتهم بها، و أما في الآخرة فلأنّ طالب الكفايه منها يكفيه تدبّر القرآن و لزوم مقاصده في تحصيل مطلوبه منها

تذييل

قد وعدناك تحقيق الكلام في قوله عليه السلام: لا يدخل الجنة إلا من عرفهم و عرفوه و لا يدخل النار إلا من أنكرهم و أنكره، و قد تكلم فيه الشارحان البحراني

والمعتزلى على ما يقتضيه سليقتهما وبلغا فيه غاية و سعهما و بذلا منتهى الجهد إلا أنّهما لقصور يديهما عن أخبار العتره الأطهار الأطياب لم يكشفوا عن وجوه خرايده النّقاب، و خفى عليهما وجه التحقيق و مقتضى النّظر الدّقيق، فأحببت أن اشيع الكلام فى المقام، لكونه حقيقا بذلك مع الاشارة إلى بعض ما قاله الشّارحان الفاضلان، و ينبغى أن نورد أولا جملة من الرّوايات الموافقه معنى لكلامه عليه السّلام ثمّ نتبعها بالمقصود.

فأقول: و بالله التّوفيق قال تعالى:

«وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ» و للمفسّرين فى تفسير الأعراف قولان:

أحدهما أنّها سور بين الجنّه و النّار أو شرفها و أعاليها، أو الصّراط فيكون مأخوذا من عرف الديك و ثانيهما أنّ على معرفه أهل الجنّه و النّار رجال و الأخبار تدلّ على التّفسيرين، و ربّما يظهر من بعضها أنّه جمع عريف كشريف و أشراف، فيكون مرادفا للعرفاء، فلا بدّ على هذا التّفسير من التّقدير أى على طريق الأعراف رجال أو على التجريد، هكذا قال العلامة المجلسى:

و هو أنّما يستقيم إذا جعلنا الأعراف مأخوذا من المعرفة، و أمّا إذا كان جمعا لعريف فهذا التقدير لا يرفع الاشكال، إذ يكون محصّيل المعنى أنّ على طريق عرفاء أهل الجنّه و النّار رجال و الحال أنّ هذه الرّجال نفس الأعراف و العرفاء، فكيف يكونون على طريق العرفاء، و التجريد أيضا غير مستقيم كما لا يخفى فاللّازم حينئذ جعل الأعراف فى الآيه بمعنى السّور، أو المواضع العاليه و نحوها، أو بمعنى المعرفة، و على ذلك فلا ينافى وصف الرّجال بكونهم أعرافا أيضا كما فى الأخبار المتقدّمه و الآتيه، لكونهم عرفاء العباد أعنى أنّ كلّا منهم عريف أو لكونهم عارفين بالله، أو لأنّهم سبيل معرفه الله و نحو ذلك

قال في الصّيافي: و الوجه في إطلاق لفظ الأعراف على الأئمة أنّ الأعراف إن كان اشتقاقها من المعرفه فالأنبياء و الأوصياء هم العارفون و المعروفون و المعرفون الله و الناس للناس في هذه النشأه، و إن كان من العرف بمعنى المكان العالی المرتفع فهم الذين من فرط معرفتهم و شدّه بصيرتهم كأنهم في مكان عال مرتفع ينظرون إلى ساير الناس في درجاتهم و دركاتهم، و يميزون السيّءاء عن الأشقياء على معرفه منهم بهم و هم بعد في هذه النشأه إذا ظهر لك ذلك فلنورد بعض ما ورد من الأخبار المناسبه للمقام فأقول: روى في البحار من بصائر الدرجات و منتخب البصائر معنعنا عن مقرن قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: جاء ابن الكوا إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: يا أمير المؤمنين و على الأعراف رجال يعرفون كلاًّ بسماهم، فقال عليه السّلام نحن الأعراف نعرف أنصارنا بسماهم، و نحن الأعراف الذين لا يعرف الله عزّ و جلّ إلاّ بسبيل معرفتنا، و نحن الأعراف يعرفنا «يوقفنا» الله عزّ و جلّ يوم القيامة على الصّيراط، فلا يدخل الجنّه إلاّ من عرفنا و نحن عرفناه، و لا يدخل النار إلاّ من أنكرنا و أنكرناه، إنّ الله لو شاء لعرف العباد نفسه، و لكن جعلنا أبوابه و صراطه و سبيله و الوجه الذي يؤتى منه، فمن عدل عن ولايتنا أو فضّل علينا غيرنا فإنهم عن الصّيراط لناكبون، و لا- سواء من اعتصم الناس به، و لا سواء من ذهب حيث ذهب الناس، ذهب الناس إلى عيون كدره(1) يفرغ بعضها في بعض، و ذهب من ذهب إلينا إلى عيون صافيه تجرى بامور لانفاد لها و لا انقطاع و فيه من البصائر و منتخب البصائر أيضا مرفوعا إلى الأصبح بن نباته عن سلمان الفارسي (ره) قال: اقسام بالله لسمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و هو يقول لعليّ عليه السّلام:

يا عليّ إنك و الأوصياء من بعدى أو قال من بعدك أعراف لا يعرف الله إلاّ بسبيل معرفتكم و أعراف لا يدخل الجنّه إلاّ من عرفكم و عرفتموه، و لا يدخل النار إلاّ من أنكركم

ص: ١٩٤

١- (١) اي مكدره بالشكوك و الشبهات و الجهالات، يفرغ اي يصب بعضها في بعض كناية عن أنّ كلاًّ منهم يرجع إلى الآخر فيما يجله و ليس فيهم من يستغنى عن غيره و يكمل في علمه.

و فيه من الكتابين المذكورين عن المنبه عن الحسين بن علوان عن سعد بن طريف عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته عن هذه الآية «و على الأعراف رجال يعرفون كلاً بسماهم» قال عليه السلام: يا سعد آل محمد صلى الله عليه وآله و سلم لا يدخل الجنة إلا من عرفهم و عرفوه، و لا يدخل النار إلا من أنكرهم و أنكروه، و أعراف لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتهم و فيه من البصائر عن عبد الله بن عامر و ابن عيسى عن الجمال عن رجل عن نصر العطار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم لعلي عليه السلام: يا علي ثلاث أقسم أنهن حق: إنك و الأوصياء عرفاء لا يعرف الله إلا بسبيل معرفتكم، و عرفاء لا يدخل الجنة إلا من عرفكم و عرفتموه، و عرفاء لا يدخل النار إلا من أنكركم و أنكرتموه و فى الصّافى من المجمع و الجوامع عن أمير المؤمنين عليه السلام نحن نوقف يوم القيامة بين الجنة و النار، فمن ينصرنا عرفناه بسيماء فأدخلناه الجنة، و من أبغضنا عرفناه بسيماء فأدخلناه النار و من تفسير علي بن إبراهيم القمي عن الصادق عليه السلام كل أمه يحاسبها إمام زمانها و يعرف الأئمة أوليائهم و أعدائهم بسماهم، و هو قوله «و على الأعراف رجال يعرفون كلاً بسماهم» فيعطوا أوليائهم كتابهم بيمينهم فيمروا إلى الجنة بلا حساب و يعطوا أعدائهم كتابهم بشمالهم فيمروا على النار بلا حساب هذا، و الأخبار فى هذا المعنى كثيرة و فيما أوردناه كفايه إذا عرفت هذا فلنعد إلى تحقيق معنى قوله عليه السلام: لا يدخل الجنة إلا من عرفهم و عرفوه، و لا يدخل النار إلا من أنكرهم و أنكروه فأقول: أما القضيّة الأولى فالمراد بها معرفة الناس بالولاية و الامامة، و معرفتهم للناس بالتشيع و المحبة، لا المعرفة بأعيانهم فقط، و إنما لا يدخل الجنة غير هؤلاء، لأنّ الأذعان بالولاية أعنى معرفه الأئمة حق المعرفة و الاعتقاد بامامتهم و بأنهم مفترض الطاعة هو الركن الأعظم من الايمان، و شرط قبولته ساير الأعمال و العبادات، و بدونه لا ينتفع بشيء منها كما مرّ تحقيق ذلك و تفصيله

و دللنا عليه في التذنيب الثالث من شرح الفصل الرابع من الخطبة الاولى.

و يدلّ عليه أيضا الأخبار المتضافره بل القريبه من التواتر لو لم تكن متواتره الدّاله إلى أنّ من مات و لم يعرف إمامه مات ميتة الجاهليّه.

و من جملة تلك الأخبار ما في البحار من كثر الكراچكى مسندا عن الحسن ابن عبد الله الرّازى عن أبيه عن عليّ بن موسى الرضا عن آباءه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم من مات و ليس له إمام من ولدى مات ميتة جاهليّه يؤخذ بما عمل في الجاهليّه و الاسلام.

و من طريق العامّه عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و قال:

من مات و ليس في عنقه بيعه لامام أو ليس في عنقه عهد لامام مات ميتة جاهليّه و من عيون أخبار الرضا فيما كتب الرضا عليه السّلام للمأمون من شرايع الدّين: من مات لا يعرف أئمّته مات ميتة جاهليّه ثمّ المراد بالمعرفه في قوله عليه السّلام: إلاّ من عرفهم و عرفوه، هو المعرفه في الدّنيا و في الآخره، أمّا معرفه النّاس بالأئمّه في هذه النشأه فبأن يعرفوا أنّ لكلّ زمان إماما و يعرفوا إمام زمانهم بخصوصه و هو حيّ ناطق يجب طاعته فيما يأمر و ينهى و أمّا معرفتهم بهم في النشأه الآخره فإنّ كلّ أمّه تدعى مع امامه قال تعالى:

«يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَ لَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا».

روى في البحار من تفسير عليّ بن إبراهيم بسنده عن الفضل عن أبي جعفر عليه السّلام في هذه الآية قال: يجيء رسول الله صلّى الله عليه و آله في قرنه، و عليّ عليه السّلام في قرنه، و الحسن في قرنه، و الحسين في قرنه، و كلّ من مات بين ظهرانيّ قوم جاءوا معه، و قال عليّ ابن إبراهيم في هذه الآية ذلك يوم القيامة ينادى مناد ليقم أبو بكر و شيعة، و عمر و شيعة، و عثمان و شيعة، و عليّ عليه السّلام و شيعة، و قد مرّ في شرح الفصل الثالث من الخطبه السادسة و الثمانين الحديث الشريف النبوى في ورود الامّه على النّبى

يوم القيامة على خمس رايات، و أن الزايه الخامسه مع أمير المؤمنين عليه السلام و معه شيعته، فليتكّر.

و فى البحار من أمالى الشيخ بسنده عن كثير بن طارق قال سألت زيد بن على بن الحسين عليهم السلام عن قول الله تعالى:

«لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَ ادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا».

فقال: يا كثير إنك رجل صالح و لست بمتهم و إني أخاف عليك أن تهلك أن كل إمام جائر فان أتباعهم إذا أمر بهم إلى النار نادوا باسمه فقالوا يا فلان يا من أهلكناهم «كذا» الآن فخلصنا ممّا نحن فيه، ثم يدعون بالويل و الثبور فعندها يقال لهم «لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا و ادعوا ثبورا كثيرا» قال زيد بن على رحمه الله: حدّثنى أبى على بن الحسين عن أبيه حسين بن على عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لعلى عليه السلام يا على أنت و أصحابك فى الجنة أنت و أتباعك يا على فى الجنة، هذا و بما ذكرناه من أن المراد بمعرفة الأئمة عليهم السلام معرفتهم بالولايه و الامامه لا المعرفة بأعيانهم فقط ظهر لك أن هذه المعرفة مخصوصه بالفرقه المحقّقه الاماميه لا توجد فى غيرهم.

فما حكاه الشارح المعتزلى من أصحابه المعتزله من أنهم قائلون بصحة هذه القضية، و هى أنه لا يدخل الجنة إلا من عرف الأئمة إلا- ترى أنهم يقولون الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فلان و فلان و يعدّوهم واحدا واحدا، فلو أن انسانا لا يقول بذلك لكان عندهم فاسقا و الفاسق عندهم لا يدخل الجنة أبدا أعنى من مات على فسقه، فقد ثبت أن هذه القضية و هى قوله عليه السلام: لا- يدخل الجنة إلا من عرفهم قضيه صحيحه على مذهب المعتزله انتهى فيه ما لا يخفى إذ مجرد معرفتهم و تعدادهم واحدا واحدا لا يكفى فى دخول الجنة و لا يترتب عليها ثمره أصلا، و إنما اللّازم معرفتهم بوصف الامامه و الخلافه من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بلا فصل، و أن العصر لا يخلو من إمام إما ظاهر مشهور أو

غائب مستور و إنّ امام زماننا الآن حيّ حاضر موجود و إن كان غايبا عن أعيننا، لاقتضاء الحكمه و هو الثاني عشر من الأئمه و مهدي الأئمه سلام الله عليه و على آباءه الطاهرين، و هو ينافي القول بخلافه الأول و الثاني و الثالث كما هو مذهب المعتزله و ساير العامه، و ينافي إنكار وجود امام الزمان عليه السلام الآن كما عليه بنائهم استبعادا لغيبته بطول المدّه و الزّمان، هذا تمام الكلام في معرفه النّاس بالأئمه و أمّا معرفتهم عليهم السلام بالنّاس فقد قلنا إنّ المراد بها أيضا معرفتهم لهم بالتشيع و المحبّه، لا المعرفه بذواتهم و أشخاصهم فقط و إلّا فهم يعرفون المنافقين و الكفّار كما يعرفون شيعتهم و المؤمنين الأبرار فان قلت: نحن نرى كثيرا من شيعتهم و محبيهم لا تعرفهم الأئمه و لا يرون أشخاصهم.

قلت: هذا اعتراض سخيف أورده الشّارح البحراني في هذا المقام، و أجاب عنه بقوله: لا يشترط في معرفتهم لمحبيهم و معرفه محبيهم لهم المعرفه الشّخصيه العينيه، بل الشّروط المعرفه على وجه كلّى و هو أن يعلموا أنّ كلّ من اعتقد حقّ امامتهم و اهتدى بما انتشر من هديهم فهو وليّ لهم و مقيم لهذا الرّكن من الدّين فيكونون عارفين بمن يتولّاهم على هذا الوجه و يكون من يتولّاهم عارفا بهم لمعرفته بحقيّه و لايتهم و اعتقاد ما يقولون و إن لم يشترط المشاهده و المعرفه الشّخصيه انتهى.

و لا يكاد ينقضى عجبى من هذا الفاضل كيف ضعف اعتقاده بأئمه الدّين و شهداء النّاس أجمعين، و هذه العقيدّه لا يرتضيها عوام الشّيعه و لا يستحسنها لأنفسهم لو عرضت عليهم، فكيف بالخواص و كيف يجتمع القول بعدم المعرفه الشّخصيه مع القول بكونهم عليهم السلام شهداء العباد يوم المعاد على ما دلّت عليه الأخبار الكثيره المتقدّمه في شرح الخطبه الحاديّه و السّبعين و الشّهاده فرع المعرفه التفصيليه بلى و الله إنّهم عليهم السلام ليعرفون شيعتهم و محبيهم و المؤمنين بهم تفصيلا بأشخاصهم و ذواتهم و أعيانهم، و يعرفون حالاتهم و درجاتهم و التفاوت في مقاماتهم و درجاتهم

بحسب تفاوتهم في الايمان و المحبّه شدّه و ضعفا و نقصا و كمالا كما يعرفونهم بأسمائهم و أسماء آبائهم و عشائيرهم و أنسابهم كل ذلك قد قامت عليه الأدله المعتمره.

و دلت عليه الأخبار القريبه من التواتر بل هي متواتره منها ما في البحار من كتاب بصائر الدرجات للصفار عن أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن صالح بن سهل عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ رجلا جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام و هو مع أصحابه فسلم ثم قال: أنا و الله أحبك و أتولاك، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ما أنت كما قلت و يلك إنّ الله خلق الأرواح قبل الأبدان بألفى عام، ثم عرض علينا المحب لنا فو الله ما رأيت روحك فيمن عرض علينا فأين كنت؟ فسكت الرجل عند ذلك و لم يراجعه و عن محمد بن حماد الكوفى عن أبيه عن نصر بن مزاحم عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا من صلب آدم فنعرف بذلك حبّ المحبّ و إن أظهر خلاف ذلك بلسانه، و نعرف بغض المبغض و إن أظهر حبنا أهل البيت و عن أحمد بن محمد بن محمد بن الحسين معا عن ابن محبوب عن ابن رثاب عن بكير قال: كان أبو جعفر عليه السلام يقول: إنّ الله أخذ ميثاق شيعتنا بالولاية لنا و هم ذرّ يوم أخذ الميثاق على الذرّ بالاقرار له بالزبويّه و لمحمد صلى الله عليه و آله بالنبوه و عرض الله على محمد صلى الله عليه و آله و سلم أمته فى الطين و هم أظله، و خلقهم من الطينه التى خلق منها آدم، و خلق الله أرواح شيعتنا قبل أبدانهم بألفى عام، و عرضهم عليه و عرفهم رسول الله صلى الله عليه و آله و عرفهم عليّا و نحن نعرفهم فى لحن(1) القول و عن ابن يزيد عن ابن فضال عن ظريف بن ناصح و غيره عمّن رواه عن حبابه الواليه قالت: قلت لأبى عبد الله عليه السلام: إنّ لى ابن أخ و هو يعرف فضلكم و إنى احبّ

ص: ١٩٩

١- (١) اشاره الى قوله تعالى: «فَلَعَرَفْتُهُمْ بِسَيِّمَاهُمْ وَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ الْقَوْلِ»، قال البيضاوى لحن القول اسلوبه و امالته الى جهه تعريض و توريه، و منه قيل للمخطى لاحن لانه يعدل بالكلام عن الصواب، بحار

أن تعلمنى أ من شيعتكم؟ فقال: و ما اسمه؟ قالت: قلت: فلان بن فلان، فقال عليه السّلام يا فلانه هات الناموس فجاءت بصحيفه تحملها كبيره فنشرها ثمّ نظر فيها فقال: هو ذا اسمه و اسم أبيه ههنا و بسنده أيضا عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السّلام إنّ حبابه الوالبيه كانت إذا وفد الناس إلى معاويه وفدت هي إلى الحسين عليه السّلام و كانت امرأه شديده الاجتهاد قد يبس جلدتها على بطنها من العباده و أنّها خرجت مرّه و معها ابن عمّ لها و هو غلام فدخلت به على الحسين عليه السّلام فقالت له: جعلت فداك فانظر هل تجد ابن عمّى هذا فيما عندكم و هل تجده ناجيا؟ قال: فقال: نعم نجده عندنا و نجده ناجيا و بسنده عن أبي محمّد البرّاز قال: حدّثنى حذيفه بن أسيد الغفارى «رض» صاحب النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: دخلت على عليّ بن الحسين بن عليّ عليهم السّلام فرأيتهم يحمل شيئا قلت: ما هذا؟ قال: هذا ديوان شيعتنا، قلت: أرني أنظر فيها اسمى، فقلت إنى لست أقرء و أنّ ابن أخى يقرأ، فدعى بكتاب فنظر فيه فقال ابن أخى: اسمى و ربّ الكعبه، قلت: ويلك أين اسمى؟ فنظر فوجد اسمى بعد اسمه بشمانيه أسماء و عن أحمد بن محمّد بن عليّ بن الحكم عن ابن عميره عن الحضرمى عن رجل من بنى حنيفه قال: كنت مع عمّى فدخل على عليّ بن الحسين عليهما السّلام فرأى بين يديه صحايف ينظر فيها فقال له: أى شىء هذه الصّحف جعلت فداك؟ قال: هذا ديوان شيعتنا قال: أفتأذن أطلب اسمى فيها؟ قال: نعم، فقال: و أنّى لست أقرء و ابن أخى معى على الباب فتأذن له يدخل حتّى يقرأ؟ قال: نعم فأدخلنى عمّى فنظرت فى الكتاب فأول شىء هجمت عليه اسمى فقلت: اسمى و ربّ الكعبه؟ قال:

ويحك فأين أنا؟ فجزت بخمسه أسماء أو ستّه ثمّ وجدت اسم عمّى، فقال عليّ بن الحسين عليهما السّلام: أخذ الله ميثاقهم معنا على ولايتنا لا- يزيدون ولا- ينقصون إنّ الله خلقنا من أعلى عليين و خلق شيعتنا من طينتنا أسفل من ذلك، و خلق عدوّنا من سّجين، و خلق أوليائهم منهم من أسفل ذلك و عن عبد الله بن محمّد عمّن رواه عن محمّد بن الحسن عن عمّه عليّ بن السّرى

الكرخى قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه شيخ و معه ابنه فقال له الشيخ جعلت فداك أمن شيعتكم أنا؟ فأخرج أبو عبد الله عليه السلام صحيفه مثل فخذ البعير فناوله طرفها ثم قال له: أدرج، فأدرجه حتى أوقفه على حروف من حروف المعجم فاذا اسم ابنه قبل اسمه، فصاح الابن فرحا اسمى و الله، فرحم الشيخ ثم قال له: أدرج فأدرج فأوقفه أيضا على اسمه كذلك و عن محمد بن عيسى عن عبد الصمد بن بشير عن أبي جعفر عليه السلام قال: انتهى النبي إلى السماء السابعة و انتهى إلى صدره المنتهى قال: فقالت السيدة ما جازنى مخلوق قبلك، ثم دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى قال: فدفعت إليه كتاب أصحاب اليمين و كتاب أصحاب الشمال، فأخذ كتاب أصحاب اليمين بيمينه و فتحه و نظر فيه فاذا فيه أسماء أهل الجنة و أسماء آبائهم و قبائلهم، ثم نزل و معه الصحيفتان فدفعهما إلى علي بن أبي طالب عليه السلام و فى البحار من كتاب الاختصاص معننا عن عبد الله بن الفضل الهاشمى قال لى أبو عبد الله عليه السلام: يا عبد الله بن الفضل إن الله تبارك و تعالى خلقنا من نور عظمته، و صنعنا برحمته و خلق أرواحكم منا، فنحن نحن إليكم و أنتم نحن إلينا، و الله لو جهد أهل المشرق و المغرب أن يزيدوا فى شيعتنا رجلا أو ينقصوا منهم رجلا ما قدروا على ذلك، و إنهم لمكتوبون عندنا بأسمائهم و عشائرهم و أنسابهم، يا عبد الله بن الفضل و لو شئت لأريتك اسمك فى صحيفتنا قال: ثم دعى الصحيفه فنشرها فوجدتها بيضاء ليس فيها أثر الكتابه فقلت: يا ابن رسول الله ما أرى فيها أثر الكتابه، قال:

فمسح يده عليها فوجدتها مكتوبه فوجدت فى أسفلها اسمى، فسجدت لله شكرا، هذا و الأخبار فى هذا الغرض كثيره و قد عقد فى البحار بابا عليها و فيما رويناه كفايه إنشاء الله عزّ و جلّ و أما القضييه الثانيه أعنى قوله عليه السلام: و لا يدخل النار إلا من أنكرهم و أنكروه، فهى لتضمنها أداه الحصر منحلّه إلى قضيتين كالقضييه الاولى إحداهما ايجابيه و الأخرى سلبيه

أما الإيجابيه فهي أنّ المنكر لهم و من أنكروه فى النار، و هذه قضيه صحيحه لا غبار عليها لما قدّمنا من أنّ من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة الجاهليه، و ميتة الجاهليه مستلزمه لدخول النار، و قد مرّ فى التذييل الثالث من شرح الفصل الرابع من الخطبه الأولى روايه جعفر بن محمّد عليهما السلام عن أبيه قال: نزل جبرئيل على النبىّ صلى الله عليه و آله و سلّم و قال: يا محمّد الله يقرؤك السلام و يقول: خلقت السماوات السبع و ما فيها و خلقت الأرضين السبع و من عليهنّ، و ما خلقت موضعا أعظم من الركن و المقام، و لو أنّ عبدا دعانى منذ خلقت السماوات و الأرض ثمّ لقينى جايدا لولايه علىّ عليه السلام لأكبيته فى سقر، و قد مرّ هناك روايات آخر بهذا المعنى فتذكّر و أما السلبيه فهي أنّ من لا ينكرهم و لا ينكرونه فهو لا يدخل النار، و هى بظاهاها مستلزمه لعدم دخول أحد من غير المنكرين فى النار و إن كان من مرتكبي الكبائر.

و قد أخذ الشارح البحرانى بظاهاها حيث قال: لا يجوز أن يكون من أنكروهم فأنكروه أحسن ممن يدخل النار و إلا لصدق على بعض من يتولّاهم و يعترف بصدق إمامتهم أنه يدخل النار لكن ذلك باطل لقول الرسول صلى الله عليه و آله و سلّم يحشر المرء مع من أحبّ، و لقوله لو أحبّ رجل حجرا لحشر معه، دلّ الخبر على أنّ محبّه الانسان لغيره مستلزم لحشره معه، و قد ثبت أنهم عليهم السلام إلى الجنّه يحشرون فكذلك من أحبّهم و يعترف بحقيّه إمامتهم، و دخول الجنّه و دخول النار ممّا لا يجتمعان، فثبت أنّه لا واحد ممّن يحبّهم و يعترف بحقّهم يدخل النار، و قد ظهر إذا صدق هذه الكليّه و وجه الحصر فيها، انتهى أقول: و يصدق هذه الكليّه و يدلّ عليها روايات كثيره فوق حدّ الاحصاء:

ففى البحار من كتاب فضائل الشيعة للصدوق باسناده عن ابن عباس قال:

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم: حبّ علىّ بن أبى طالب عليه السلام يأكل السيئات كما تأكل النار الحطب.

و من كنز جامع الفوائد و تأويل الآيات قال: روى شيخ الطائيفه باسناده

عن زيد بن يونس الشَّحام قال: قلت لأبي الحسن موسى عليه السَّلام، الرجل من مواليكم عاص يشرب الخمر و يرتكب الموبق من الذَّنْب نتبرء منه؟ فقال عليه السَّلام: تبرؤا من فعله و لا- تبرؤا من خيره و ابغضوا عمله، فقلت: يسع لنا أن نقول: فاسق فاجر؟ فقال: لا الفاسق الفاجر الكافر الجاحد لنا و لأولائنا أبي الله أن يكون ولينا فاسقا فاجرا و إن عمل ما عمل، و لكنكم قولوا: فاسق العمل فاجر العمل مؤمن النَّفس خبيث الفعل طيب الرَّوح و البدن، لا و الله لا يخرج ولينا من الدُّنيا إلاَّ الله و رسوله و نحن عنه راضون، يحشر الله على ما فيه من الذَّنوب مبيضا وجهه، مستوره عورته، آمنه روعته لا- خوف عليه و لا- حزن، و ذلك أنه لا يخرج من الدُّنيا حتى يصفى من الذَّنوب إمَّا بمصيبة في مال أو نفس أو ولد أو مرض و أدنى ما يصنع بولينا أن يريه الله رؤيا مهوله فيصبح حزينا لما رآه فيكون ذلك كفاره له، أو خوفا يرد عليه من أهل دوله الباطل أو يشدّد عليه عند الموت فيلقى الله عزّ و جلّ طاهرا من الذَّنوب آمنه روعته بمحمّد و أمير المؤمنين صلّى الله عليهما، ثمّ يكون أمامه أحد الأمرين إمَّا رحمه الله الواسعه التي هي أوسع من أهل الأرض جميعا، أو شفاعه محمّد و أمير المؤمنين عليهما السَّلام فعندها تصيبه رحمه الله الواسعه التي كان أحقّ بها و أهلها و له إحسانها و فضلها.

و من كتاب المحتضر للحسن بن سليمان من كتاب سيّد حسن بن كبش عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: يا عليّ إنّ جبرئيل أخبرني عنك بأمر قرّرت به عيني و فرح به قلبي، قال: يا محمّد قال الله عزّ و جلّ: اقرأ محمّدا منّي السَّلام و أعلمه أنّ عليّنا إمام الهدى، و مصباح الدّجى، و الحجّج على أهل الدُّنيا، و أنّه الصّديق الأكبر و الفاروق الأعظم، و إني آليت و عزّتي و جلالتي أن لا أدخل النار أحدا تولّاه و سلّم له و للأوصياء من بعده، حقّ القول منّي لأملانّ جهنّم و أطباقها من أعدائه، و لأملنّ الجنّه من أوليائه و شيعته و من كتاب اعلام الدّين للدّيلمى من كتاب الحسين بن سعيد عن صفوان عن أبي عبد الله عليه السَّلام قال: من أحبّنا و لقي الله و عليه مثل زبد البحر ذنوبا كان حقّا

على الله أن يغفر له.

و من كتاب المناقب لابن شاذان باسناده عن أبي الصيملت الهروي قال: سمعت الرضا عليه السلام يحدث عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: سمعت الله عز وجل يقول: علي بن أبي طالب حجتي على خلقي و نوري في بلادي و أميني على علمي لا أدخل النار من عرفه و إن عصاني، و لا أدخل الجنة من أنكره و إن أطاعني.

و من كتاب بشاره المصطفى بسنده عن الحسين بن مصعب قال: سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول: من أحبنا و أحب محبنا لا لغرض دنيا يصيبها منه، و عادي عدونا لا لأخنه كانت بينه و بينه، ثم جاء يوم القيامة و عليه من الذنوب مثل رمل عالج و زبد البحر غفر الله تعالى له.

و من تفسير العياشي عن يزيد بن معاوية العجلي في حديث عن أبي جعفر عليه السلام قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: و الله لو أحبنا حجر لحشر معنا.

و من عيون الأخبار باسناد التميمي عن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم من أحبنا أهل البيت حشره الله آمننا يوم القيامة.

و بهذا الاسناد قال: قال النبي صلى الله عليه وآله و سلم لعلي عليه السلام من أحبك كان مع النبيين في درجاتهم يوم القيامة و من مات و هو يبغضك فلا يبالي مات يهوديًا أو نصرانيًا.

و من أمالي الشيخ عن أبي محمد الفحام عن عمه عن أبيه قال: دخل سماعة بن مهران على الصادق عليه السلام فقال: يا سماعة من شر الناس عند الناس؟ قال: نحن يا ابن رسول الله، قال: فغضب حتى احمرت و جنتاه ثم استوى جالسا و كان متكئا فقال يا سماعة من شر الناس عند الناس؟ فقلت: و الله ما كذبتك يا ابن رسول الله نحن شر الناس عند الناس لأنهم سمونا كفارا و رفضه، فنظر إلي ثم قال: كيف بكم إذا سيق بكم إلى الجنة و سيق بهم إلى النار فينظرون إليكم فيقولون «ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدُّهم من الأشرار» يا سماعة بن مهران إنَّه من أساء منكم إساءته مشينا إلى الله تعالى يوم القيامة بأقدامنا فنشفع فيه فنشفع و الله لا يدخل النار منكم عشرة رجال، و الله لا

يدخل النار منكم ثلاثه رجال، و الله لا يدخل النار منكم رجل واحد، فتنافسوا في الدرجات و اكمدوا أعدائكم بالورع.

و من كتاب كنز جامع الفوائد و تأويل الآيات عن محمد بن علي عن عمرو بن عثمان عن عمران عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ و جلّ:

«يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا».

فقال: إنّ الله يغفر لكم جميعا الذنوب، قال: فقلت: ليس هكذا نقرأ، فقال: يا أبا محمد فاذا غفر الذنوب جميعا فلمن يعذب و الله ما عنى من عباده غيرنا و غير شيعتنا و ما نزلت إلّا هكذا إنّ الله يغفر لكم جميعا الذنوب.

و من تفسير العياشي بالاسناد عن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: أهل النار يقولون «ما لنا لا نرى رجلا كُنّا نعدّهم من الأشرار» يعنونكم لا يرونكم في النار لا يرون و الله أحدا منكم في النار.

و في تفسير عليّ بن إبراهيم في قوله تعالى:

«فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْئَلُ عَنْ ذَنْبِهِ» قال منكم يعنى من الشيعة «إِنْسٌ وَ لَا جَانٌّ» قال معناه أنّ من تولّى أمير المؤمنين عليه السلام و تبرّء من أعدائه عليهم لعائن الله و أحلّ حلاله و حرّم حرامه ثمّ دخل في الذنوب و لم يتب في الدنيا عدّب لها في البرزخ و يخرج يوم القيامة و ليس له ذنب يسأل عنه يوم القيامة.

و في الصافي من المجمع عن الرضا عليه السلام قال في هذه الآية: إنّ من اعتقد الحقّ ثمّ أذنب و لم يتب في الدنيا عدّب عليه في البرزخ و يخرج يوم القيامة و ليس له ذنب يسأل عنه.

إلى غير هذه مما لا- نطيل بذكرها، و هذه الأخبار كما ترى تعارض الأخبار الواردة في كون مرتكبي الكبائر في النار تعارض العموم من وجه، لأنّ هذه

تدلّ على أنّ العارف بحقّ الأئمة عليهم السّلام و المدعّن بولايتهم لا يدخل النار و إن كان مرتكباً للكبائر، و تلك الأخبار مفيدة لكون ارتكابها موجبا لدخول النار و لو كان المرتكب من أهل الولاية و المعرفة، فيتعارضان في مادّة الاجتماع، و هو العارف المرتكب للكبائر، فان رجّحنا أخبار الكبائر و ألقيناها على عمومها لا بدّ من حمل هذه الأخبار الدّالة على أنّ العارف بهم لا يدخل النار على الدّخول بعنوان الخلود لظهور أنّ الخلود إنّما هو في حقّ الكفار و المنافقين، و إن رجّحنا تلك الأخبار فلا بدّ من التخصيص في الأخبار الواردة في طرف الكبائر بحملها على غير أهل المحبّة و المعرفة.

و لو لا خوف الاحتياط و ايجاب الترجيح للجساره في الدّين و لعدم المبالاة في شرع سيّد المرسلين لرجّحنا أخبار الولاية و قلنا بما قاله الشارح البحراني بل أقول إنه لا تعارض بين أخبار الطرفين حقيقه إذ أخبار الولاية حاكمه على أخبار الكبائر، بل نسبه بعض الأخبار الأوله إلى الثّانيه مثل نسبه الدّليل إلى الأصل، فانّ بعض هذه الأخبار كما عرفت مفيد لكون المعرفة حابطه للسيئات و آكله لها أكل النار للحطب، و بعضها دالّ على أنّ أهل المعرفة يتلى بمحن و مصائب يكون تمحيصا لذنوبه و كفاره لها، فعلى ذلك لا- يبقى للعاصي معصيه حتى توجب دخول الثّار، و بعضها يفيد كون الولاية موجبه لمغفره الذّنوب من الله سبحانه تفضّلا أو كونها محصله للشفاعه من التّبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم و الأئمه عليهم السّلام يوم القيامة.

نعم يبقى الاشكال بين هذه الأخبار و بين الأخبار الدّالة على حصول الشفاعة لبعض مرتكبي السيئات بعد دخول الثّار و المكث فيها بزمان قليل أو كثير بحسب اختلاف مراتب المعصيه، و هي أيضا كثيره و طريق الاحتياط هو الوقوف بين مرتبتى الخوف و الرّجاء و الورع و التّقوى في الدّين و سلوك نهج الشّرع المبين، و فّقنا الله سبحانه لما يحبّ و يرضى و نسأله أن يعاملنا بفضله و لا يؤاخذنا بعد له إنّّه لما يشاء قدير، و بالاجابه حقيق جدير.

از جمله فصلهای آن خطبه است که بعد از قتل عثمان و انتقال امر خلافت بآن برج فلک امامت فرموده که:

بتحقیق طلوع کرد طلوع کننده و درخشید درخشنده و ظاهر شد ظاهر شونده که عبارتست از ظهور شمس خلافت از مطلع خود که وجود مسعود آن بزرگوار است، و مستقیم و معتدل شد چیزی که منحرف شده بود از ارکان دین، و بدل کرد حق سبحانه و تعالی بقومی که از اهل باطل بودند قومی را از اهل حق، و بروزی که پر از جور و بدعت بود روزی را که ظاهر شد در آن انصاف و عدالت، و منتظر بودیم ما تغییرات روزگار را مثل انتظار کشیدن قحطی رسیده بیاران.

و جز این نیست که ائمه طاهرین سلام الله علیهم اجمعین قائمین خدا هستند بر مخلوق او شناسندگان اویند بر بندگان او داخل نمی شود در بهشت عنبر سرشت مگر کسی که بشناسد ائمه را و ائمه علیهم السلام او را بشناسند، و داخل نمی شود در آتش سوزان مگر کسی که نشناسد ایشان را و ایشان او را نشناسند.

بدرستی که خداوند متعال مختص نمود شما را باسلام و خالص گردانید شما را از برای آن اسلام، و این از جهت آنست که اسلام نام سلامتست و جامع کرامت، پسندیده است خدا از برای شما طریق اسلام را، و بیان فرموده است دلایل آن را از علمی که ظاهر است از کتاب و سنت، و از حکمتی که باطن است از عقل و فطرت، فانی نمی شود غرائب آن و تمام نمی شود عجائب آن، در اوست بارانهای بهاری، و چراغهای ظلمتها، گشاده نمی شود خیرها مگر با کلیدهای آن، و کشف نمی شود ظلمتها مگر بچراغهای آن.

بتحقیق که منع فرمود قوروق اسلام را که عبارتست از محرمات شرعیّه، و مرخص نمود چراگاه آنرا که عبارتست از مباحات بینه، در اوست شفای طلب شفا کننده، و کفایت طلب کفایت نماینده.

إشاره

و هو فى مهله من الله يهوى مع الغافلين، و يغدو مع المذنبين، بلا سبيل قاصد، و لا إمام قائد. الفصل الرابع منها حتى إذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم، و استخرجهم من جلايب غفلتهم، استقبلوا مدبراً، و استدبروا مقبلاً، فلم ينتفعوا بما أدركوا من طلبتهم، و لا بما قضاوا من وطهرهم، و إننى أحذركم و نفسى هذه المنزله، فلينتفع امرء بنفسه، فإنما البصير من سمع فتنفكر، و نظر فأبصر، و انتفع بالعبر، ثم سلك جدداً واضحاً، يتجنب فيه الصرعه فى المهاوى، و الضلال فى المغاوى، و لا يعين على نفسه الغواه بتعسف فى حق، أو تحريف فى نطق، أو تخوف من صدق، فأفق أيها السامع من سكرتك، و استيقظ من غفلتك، و اختصر من عجلتك، و أنعم الفكر فيما جاءك على لسان النبى الأمى صلى الله عليه و آله و سلم مما لا بد منه، و لا محيص عنه، و خالف من خالف فى ذلك إلى غيره، و دعه و ما رضى لنفسه، و ضع فخرك، و احطط كبرك،

و اذكر قبرك، فإنّ عليه ممرك، و كما تدين تدان، و كما تزرع تحصد، و ما قدّمت اليوم تقدّم عليه غدا، فامهد لقدمك، و قدّم ليومك، فالحذر الحذر أيّها المستمع، و الجدّ الجدّ أيّها الغافل، «و لا يتبثك مثل خبير» إنّ من عزائم الله فى الذّكر الحكيم الّتى عليها يثيب و يعاقب، و لها يرضى و يسخط، أنّه لا ينفع عبدا و إن أجهد نفسه و أخلص فعله، أن يخرج من الدّنيا لاقيا ربّه بخصله من هذه الخصال لم يتب منها أن يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته، أو يشفى غيظه بهلاك نفسه، أو يقرّ بأمر فعله غيره، أو يستنجح حاجه إلى النّاس باظهار بدعه فى دينه، أو يلقي النّاس بوجهين، أو يمشى فيهم بلسانين، اعقل ذلك فإنّ المثل دليل على شبهه، إنّ البهائم همّها بطونها، و إنّ السّباع همّها العدوان على غيرها، و إنّ النّساء همّهنّ زينه الحياه الدّنيا و الفساد فيها، إنّ المؤمنين مستكينون، إنّ المؤمنين مشفقون، إنّ المؤمنين خائفون.

اللغه

(هوى) يهوى من باب ضرب هويا بالضمّ و الفتح و هواء بالمدّ سقط من أعلى إلى أسفل و (الجلباب) ما يغطى به من ثوب و غيره و قيل ثوب أوسع من الخمار و دون الرّداء و (الطلبه) بالكسر اسم كالطلب محرّكه و (الجدد) محرّكه

ما أشرق من الزمّل و الأرض الغليظه المستويه و بالضمّ جمع جدّه كغرف و غرفه و هو الطريق و (الصّيرعه) بالفتح الطّرح على الأرض و (المهاوى) جمع المهواه و هو بفتح الميم ما بين الجبلين و قيل الحفره و قيل الوهده العميقه و (المغاوى) جمع المغوه قال الشّارح المعتزلى: و هى الشّبهه التى يغوى بها الانسان أى يضلّ و (الغواه) جمع غاو من غوى غيًا انهمك فى الجهل و ضلّ و (استنجح) الحاجه و تنجّحها تنجّزها و استقضاه

الاعراب

جملة يهوى حال من فاعل الطّرف، و قوله: بتعديف، متعلّق بقوله يعين، و قوله: الحذر الحذر و الجدّ الجدّ، منصوبات على الاعراء، و قوله: و لا يتبّثك مثل خبير، مثل صفه لمحذوف و كذلك خبير أى لا يتبّثك منبىء مثل امرء خبير، و قوله: أنّه لا ينفع عبدا، اسم إنّ على تأويله بالمصدر أى إنّ من عزائمه تعالى عدم نفع عبدا، و قوله:

أن يخرج، فاعل ينفع، و قوله: ان يشرك بدل من خصله أو من هذه الخصال فتكون أو فى الجملات المعطوفه بعدها بمعنى الواو، و جملة إنّ البهايم استيناف بيانى، و كذلك جملة إنّ المؤمنين آه

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السّلام متضمّن لفصلين اما الفصل الاول فقد قال الشّارح المعتزلى و غيره: أنّه يصف فيه انسانا من أهل الضّلال غير معيّن كقوله عليه السّلام: رحم الله امرء اتقى ربّه و خاف ذنبه أقول: و هو إنّما يتمّ لو علم بعدم سبق ذكر مرجع للضمير الآتى أعنى قوله:

هو، فى كلامه عليه السّلام حذفه السيّد على ديدنه فى الكتاب، و أمّا على تقدير سبقه و حذفه كما هو الأظهر فى النسخ التى فيها عنوان هذا الفصل بقوله (منها) بل الظاهر أيضا فى نسخه الشّارح المعتزلى التى عنوانه فيها بمن خطبه له عليه السّلام فلا و كيف كان فقوله (و هو فى مهله من الله يهوى مع الغافلين) أراد أنّ الله سبحانه أمّد فى عمره و أمهله و أخر أجله و كان ذلك سببا لغفلته فهو يسقط و يتردّى من

درجه الكمال و السّلامه فى مهابط الهلاك و مهوات الغفله و ينخرط فى سلك ساير الجهال و الغافلين (و يغدو مع المذنبين) أى يصيح معهم و هو كناية عن موافقته لهم و ملازمته إياهم فى ارتكاب المعاصى و انهماك الآثام و الذّنوب (بلا سبيل قاصد و لا إمام قائد) أى من دون أن يسلك سيلا مستقيما يوصله إلى المطلوب و يتبع إماما عادلا يقوده إلى الصّواب و أما الفصل الثانى متضمّن للنّصح و المواعظه و تذكير المخاطبين بالموت و توبيخهم من نوم الغفله و هو قوله (حتّى إذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم و استخرجهم من جلايب غفلتهم) قال الشّارح البحرانى: النفس ذو جهتين جهه تدبير أحوالها البدنيه بما لها من القوّه العمليه، و جهه استكمالها بقوّتها النظرية التى تتلقّى بها من العاليات كمالها، و بقدر خروجها عن حدّ العدل فى استكمال قوّتها العمليه تنقطع عن الجهه الأخرى و تكتنفها الهيآت البدنيه فتكون فى أعطيه منها و جلايب من الغفله عن الجهه الأخرى بالانصباب إلى ما يقتنيه مما يعدّ خيرا فى الدّنيا و بسبب انصبابها فى هذه الجهه و تمكن تلك الهيآت البدنيه منها يكون بعدها عن بارئها و نزولها فى دركات الجحيم عن درجات النعيم و بالعكس كما قال صلّى الله عليه و آله و: الدّنيا و الآخرة ضرّتان بقدر ما تقرب من إحداهما تبعد من الأخرى، و ظاهر إنّ بالموت تنقطع تلك الغفله، و تنكشف تلك الحجب، فيؤمئذ يتذكر الانسان و أنى له الذّكرى، و يكون ما أثبتته له يومئذ من تعلق تلك الهيئات بنفسه و حطها له عن درجات الكمال من السلاسل و الأغلال هو جزاء معصيتهم المنكشف لهم، انتهى، هذا و تشبيه الغفله بالجلباب من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، و وجه الشّبه إحاطتها بهم و ملازمتها لهم إحاطه الثوب بالبدن و لزومه لهو قوله (استقبلوا مدبرا و استدبروا مقبلا) أراد بالمدير الذى استقبلوه ما كان غائبا عنهم من الشقاء و النكال و النقم، و بالمقبل الذى استدبروه ما كان حاضرا لهم من الآلاء و الأموال و النعم (فلم ينتفعوا بما أدركوا من طلبتهم) أى اللذات الدّنيويه التى كانت أعظم طلباتهم، لأنهم تركوها وراء ظهورهم (و لا بما قضاوا من

وطرهم) أى الشهوات النفسانيه التى كانت أهم حاجاتهم، لأنها قد زالت عنهم (وأتى أحذركم و نفسى هذه المنزله) أراد بها الحاله التى كان الموصوفون عليها من الغفله و الجهاله، و تشريك نفسه عليه السلام معهم فى التحذير لتطيب قلوب السامعين و تسكين نفوسهم ليكونوا إلى الانقياد و الطاعه أقرب، و عن الآباء و النفره أبعد، و فى بغض النسخ بدل المنزله المزله، فالمراد بها الدنياه التى هى محل الزيف و الزلل و الخطاء و الخطل و لما تبهم بعدم الانتفاع بالمطالب و المآرب الدنيويه أردف ذلك بالتنبيه على ما نفعه أعم، و صرف الهمة إليه أهم فقال: (فلينتفع امرء بنفسه) بأن يصرفها فيما صرفها فيه أولوا الأبصار و الفكر و يوجهها الى ما وجهها إليه أرباب العقول و النظر و إليه أشار بقوله (فإنما البصير) العارف بما يصلحه و يفسده و الخير المميز بين ما يضره و ينفعه (من سمع) الآيات البيّنات (فتفكر) فيها (و نظر) إلى البراهين الساطعات (فأبصر) ها و أمعن فيها (و انتفع بالعب) أى نظر بعين الاعتبار إلى السلف الماضين من الجبابره و الملوك و السلاطين و غيرهم من الناس أجمعين كيف انتقلوا من ذروه القصور إلى و هذه القبور، و من دار العزّ و المنعه إلى بيت الدلّ و المحنه، و فارقوا من الأموال و الأوطان، و جانبوا الأقوام و الجيران، و صاحبوا الحيات و الديدان، و كيف كانت الديار منهم بلاقع، و القبور لهم مضاجع و اندرست آثارهم، و انقطعت أخبارهم، و خربت ديارهم، و قسمت أموالهم، و نكحت أزواجهم، و حشر فى اليتامى أولادهم، و أنكرهم صديقهم، و تركهم وحيدا شفيقهم، ففى أقل هذه عبره لمن اعتبر، و تذكره لمن اتعظ و تذكر (ثم سلك جددا) أى طريقا (واضحا) و هو الصراط المستقيم، و النهج القويم أى جاده الشريعه و منهج الدين الموصل لسالكه إلى حظاير القدس، و مجالس الانس بشرط أن (يتجنب) و يتباعد (فيه) عن اليمين و الشمال فإن الطريق الوسطى هى الجاده و اليمين و الشمال مزله و مضله توجبان (الصرعه فى المهاوى و الضلال

فى المغاوى) كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ضرب الله مثلا صراطا مستقيما و على جنبتي الصراط أبواب مفتحة، و عليها ستور مرخاه و على رأس الصراط داع يقول جوزوا و لا تعرجوا، قال: فالصراط هو الدين و هو الجدد الواضح هنا، و الداعى هو القرآن و الأبواب المفتحة محارم الله، و هى المهاوى و المغاوى هنا، و الستور المرخاه هى حدود الله و نواهيها.

و لما نبه عليه السلام على ما ينفع المرء و يصلحه نبه على ما يضره و يفسده فقال عليه السلام (و لا يعين على نفسه الغواه) أى أهل الضلالات و المنهمكين فى الجهالات (بتعسف فى حق) قال الشارح البحرانى: أى لا يحملهم على مر الحق و صعبه، فإن الحق له درجات بعضها سهل من بعض، فالاستقصاء فيه على غير أهله يوجب لهم التفره عمّن يقوله و يأمر به، و العداوه له و القول فيه، و قريب منه ما قاله الشارح المعتزلى أى يتعسف فى حق يقوله أو يأمر به فإن الرفق أنجح.

أقول: و ظاهر كلامهما يفيد أنهما فهما من التعسف من كلامه عليه السلام تشديد التكليف على الغواه و التضييق عليهم فى الأحكام، فىكون محصل مقصوده عليه السلام على ما قاله الرفق بهم عند الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، لئلا يجلب العداوه منهم لنفسه بتركه فىصيبه منهم مكروه و ضرر و هذا معنى لا بأس به، و قد مر نظيره فى قوله عليه السلام فى الفصل الثانى من الكلام السادس عشر: من أبدى صفحته للحق هلك عند جهله الناس، إلا أن الظاهر أنه عليه السلام أراد معنى آخر أى لا يعين الغاوين بما ضرره عايد إليه، و هو تعسفه فى حق و عدم كشفه لهم و تبليغه عليهم و إرجاعهم إليه، و ذلك لما رأى من تركهم للحق و عدو لهم عنه و انهما كههم فى الغى و الضلال و رغبتهم فى الباطل، فيتعسف تطيبا لنفوسهم و تحصيلا لرضاهم، و عود ضرر هذا التعسف إليه معلوم حيث يشتري رضاء المخلوق بسخط الخالق.

فعلى ما قلناه يكون المراد بالضرر الأخرى، و بالتعسف العدول و الانحراف عن قول الحق و العمل به (أو تحريف فى نطق) أى يحرف الكلم

عن مواضعه، و يكذب مداراه معهم و منازلہ أذواقهم (أو تخوف من صدق) أى يتكلف الخوف من قول الصدق و إن لم يكن خائفا فى الواقع، و عود ضرر التحريف و التخوف على المحرف و المتخوف لاستلزامها مداهنه الغواه، و قد ذم الله أقواما بترك الصدق و الجهاد فى الحق بقوله:

«إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ».

فاللأزم على المرء أن لا يأخذه فى الله لومه لائمه، و لا يكون له من ردع من خالف الحق و خابط الغي و زجره من أوهان و لا يهان ثم أمر السيامعين بأوامر نافع و نصحهم بمواعظ بالغه فقال (فأفق أيها السيامع من سكرتك و استيقظ من رقدتك و غفلتك) استعار لفظ السكيره الغفله باعتبار كون الغفله موجه لترك أعمال العقل كما أن السكيره كذلك، و هى استعاره تحقيقيه و ذكر الافاقه ترشيح، و شبه الغفله بالنوم باعتبار أن لا التفات للغافل كالتائم، و هى استعاره بالكنايه و ذكر الاستيقاظ تخييل (و اختصر من عجلتك) و سرعتك فى امور الدنيا أى قصر الاهتمام بها، فإن بقائها يسير و زوالها قريب (و أنعم الفكر) أى أمعن النظر (فيما جاءك) و كثر دورانه (على لسان النبي الأمي صلى الله عليه و آله و سلم) قد مضى تفسير الامي من النهايه فى شرح الخطبه الثامنه و الثمانين و أقول هنا: روى فى الاحتجاج عن أبى محمد العسكري عليه السلام فى قوله تعالى:

«و مِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ».

إن الأمي منسوب إلى أمه أى هو كما خرج من بطن أمه لا يقرأ و لا يكتب فزعم بعض الناس و منهم الشارح المعتزلى أن وصف النبي به كان أيضا بذلك الاعتبار، أى لا يحسن أن يقرأ و يكتب، و هو زعم فاسد، بل وصفه باعتبار نسبه إلى أم القرى أعنى مكه زادها الله شرفا و عزّا و يدل على ما ذكرنا ما رواه فى الصافي فى تفسير قوله تعالى:

«الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ».

من علل الشرايع عن الجواد عليه السلام أنه سئل عن ذلك فقال: ما يقول الناس؟ قيل يزعمون أنه سمى الأمي لأنه لم يحسن أن يكتب، فقال عليه السلام: كذبوا عليهم لعنه الله أتى ذلك والله يقول:

«هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ».

فكيف كان يعلمهم ما لا يحسن، والله لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ و يكتب باثنين و سبعين أو قال بثلاث و سبعين لسانا، و إنما سمى الأمي لأنه كان من أهل مكّه و مكّه من أمّهات القرى، و ذلك قوله تعالى:

«لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا». هذا و بين ما جاء على لسان النبي صلى الله عليه وآله بقوله (مما لا بد منه و لا محيص عنه) أى الموت الذى ليس منه مناص و لا خلاص و لا مهرب و لا مفرّ (و خالف من خالف فى ذلك إلى غيره) يعنى أنّ من خالف فى امعان النظر فى الموت و أهويل الفناء و الفوت و أعرض عنه و التفت إلى غيره و أتبع هواه و أطال أمّله و مناه، كادحا سعيا لدنياه فى لذات طربه و بدوات اربه فخالفه (و دعه و ما رضى لنفسه) فإنّ الموافقه له توجب فوات الثواب و أليم العذاب، و تجرّ الشقاء الأبد و الخزي السرمد (وضع فخرک) فإنّ من صنع شيئا للمفاخره حشره الله يوم القيامة أسود، رواه فى عقاب الأعمال عن أمير المؤمنين عليه السلام (و احطط كبرک) لأنّ من مشى على الأرض اختيالا لعنته الأرض و من تحتها و من فوقها، رواه فى عقاب الأعمال عن أبى عبد الله عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

و فيه أيضا عن أبى جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله: ويل لمن فى الأرض يعارض

جبار السماوات والأرض هذا وقد تقدّم الكلام فى شرح الخطبه المأه والسابعه والأربعين فى تحقيق معنى الكبر و كونه من أعظم الموبقات و ما فى ذمّه من الأخبار والآيات، و كذلك الكلام فى حسن التواضع مفضّلا و مستوفا فليراجع ثمه (و اذكر قبرك) و ما فيه من الوحده و الوحشه و الغربه و الظلمه و الحسره و الندامه (فإنّ عليه ممرك) و مجازك و لا بدّ لمن يمرّ على منزل موحش مظلم أن يذكره و يتزوّد له و يهتمّ بأخذ الزاد و تكميل الاستعداد ليتمكّن من الوصول إلى المطلوب و النجاح بالمقصود (و كما تدين تدان) أى كما تجزى تجزى و هو من باب المشاكله، و المقصود أنّك كما تعمل لله سبحانه و تعالى و تعامل معه فالله يعامل معك إنّ خيرا فخيروا و إنّ شرا فشرّوا و لنعم ما قيل:

من يفعل الحسنات الله يشكرها و الشرّ بالشرّ عند الله مثلان

(و كما تزرع تحصد) فإنّ من زرع التّواه حصد النّخل باسقات، و من زرع الفجور حصد الثّبور، و من توانا عن الزّرع فى أوّانه حرم الحصاد فى ابانه

إذا أنت لم تزرع و أدركت حاصدا ندمت على التقصير فى زمن البذر

(و ما قدّمت اليوم) لنفسك أو عليها (تقدم عليه غدا) و تقام فيه (فا) جهد نفسك فى تحصيل الخير و تجنّب الشرّوا (مهّد لقدمك) أى مهّد و هبّىء لموضع قدمك من الحسنات و الأعمال الصالحات (و قدّم) الزّاد (ليوم) معاد (ك) و إياك و التفریط فتقع فى الحسره و تعقب الندامه و ملامه النفس اللّوامه لدى الحساب يوم القيامة (فالحذر الحذر) من التقصير و الغفله (أيها المستمتع) المفتون (و الجدّ الجدّ) للتقوى و الطاعه (أيها الغافل) المغرور (و لا يتبثك) أحد (مثل) واعظ (خيبر) و عارف بصير بأحوال الآخره و أهوالها و لما أمرهم بالحذر و الجدّ و تبهّم على أنّ المنبئ لهم خبير و بصير بما يحذر منه و يجد عليه، عقّب ذلك بالتنبيه على بعض ما يجب الحذر منه و الجدّ على تركه فقال (إنّ من عزائم الله) أى الأحكام التى لا يجوز مخالفتها فى حال من الأحوال

على ما مر تفصيلاً في شرح الفصل السابع عشر من الخطبه الاولى (في الذكر الحكيم) أى القرآن الكريم أو اللوح المحفوظ كما قيل، و على الأول فلا ينافيه عدم ورود بعض ما يذكره من العزائم فيه بخصوصه لامكان استفادته من عمومات الكتاب أو فحاويه حسبما تطلع عليه انشاء الله و وصف العزائم بقوله (التي عليها يثيب و يعاقب و لها يرضى و يسخط) أى يرضى و يثيب على الأخذ بها و امتثالها، و يسخط و يعاقب على مخالفتها و تركها (أنه) الضمير للشأن (لا ينفع عبداً و إن أجهد نفسه و أخلص فعله) أمّا إجهاد النفس فيتصوّر فى حقّ كلّ من ارتكب باحدى الخصال الخمس الآتية، و أمّا إخلاص الفعل فأنما يتصوّر فى المرتكب بغير الاولى من الأربع الباقية، و أمّا الأولى فلا لظهور أنّ الاخلاص لا يجتمع مع الريا فيكون الشرطيّه الثانيه بملاحظه الأغلب أو من باب التغليب فتدبر (أن يخرج من الدنيا) أى لا ينفع خروجه منها حالكونه (لاقياً ربّه بخصله) واحده (من هذه الخصال) و الحال أنّه (لم يتب منها) و لم يندم عليها، و هذه الخصال خمس:

إحداها (أن يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته) أى يرائى فى عمله و لم يخلصه لله سبحانه، و الدليل من الكتاب الحكيم على حرمة قوله تعالى:

«فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» و قوله «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ».

و قد مضى تحقيق الكلام فى الرياء و تفصيل أقسامه فى شرح الفصل الأول من الخطبه الرابعه و العشرين الثانيه ما أشار إليها بقوله (أو يشفى غيظه بهلاك نفسه) أى يقتل نفسه

لافراط قوته الغضبية بحيث لا يطفى نار غضبه إلا به، و الدليل على حرمة قوله تعالى «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ».

روى فى عقاب الأعمال عن أبى ولاد الحنّاط قال سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: من قتل نفسه متعمّدا فهو فى نار جهنّم خالدًا فيها، هذا و يحتمل أن يكون المراد بهلاك نفسه الهلاك الاخرى أى لا يتشقى من غيظه إلا بأن يكتسب إثما و يوبق نفسه مثل أن يكون بينه و بين آخر بغضاء و عداوه فيغتابه أو يفتري عليه أو ينمّ عليه أو يسعى به إلى الملوكة أو يسبّه و نحو ذلك ممّا فيه أليم العذاب و نصّ على حرمة محكم الكتاب، هذا و فى بعض النسخ بهلاك نفس بدل نفسه فيكون المراد أنّه لا يسكت غضبه إلا بالقتل، و يدلّ على حرمة و عقابه صريحا قوله تعالى:

«وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا».

و روى فى عقاب الأعمال بسنده عن حمران قال: قلت لأبى جعفر عليه السّلام:

قول الله عزّ و جلّ:

«مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا».

و إنّما قتل واحدا، فقال عليه السّلام: يوضع فى موضع من جهنّم إليه ينتهى شدّه عذاب أهلها لو قتل الناس جميعا كان إنّها يدخل ذلك المكان، قلت: فأنّه قتل آخر قال:

و يصاعف عليه.

و عن أبى عمير قال: حدّثنى غير واحد عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: من أعان على قتل مؤمن بشرط كلمه جاء يوم القيامة بين عينيه مكتوب آيس من رحمه الله.

و عن جابر بن يزيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أول ما يحكم الله في القيامة في الدماء فيوقف ابنا آدم فيفصل بينهما، ثم الذين يلونهم من أصحاب الدماء حتى لا يبقى منهم أحد، ثم الناس بعد ذلك فيأتي المقتول قاتله فيشخب دمه في وجهه فيقول: هذا قتلني، فيقول أنت قتلته فلا يستطيع أن يكتف الله حديثا و عن سعيد الأزرق عن أبي عبد الله عليه السلام في رجل قتل رجلا مؤمنا يقال له: مت أي ميتة شئت إن شئت يهوديا و إن شئت نصرانيا، و إن شئت مجوسيا الثالث ما أشار إليها بقوله (أو يقرّ بأمر فعله غيره) الظاهر أن المراد به أن يحكى أمرا قبيحا ارتكبه غيره، و يدل على أنه حرام و معصية قوله تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» روى في عقاب الأعمال عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قال: قلت له: جعلت فداك الرجل من اخواني بلغنى عنه الشيء الذي أكرهه فأسأله عنه فينكر ذلك، و قد أخبرني عنه قوم ثقات، فقال لي: يا محمد كذب سمعك و بصرك عن أخيك و إن شهد عندك خمسون قسامه و قال لك قولا فصدقه و كذبهم، و لا تدين عليه شيئا تشينه به و تهدم به مروته، فتكون من الذين قال الله عز و جل «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ» الآية و عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من روى عن مؤمن روايه يريد بها شينه و هدم مروته ليسقطه من أعين الناس أخرجه الله عز و جل من ولايته إلى ولايه الشيطان.

قال الشارح البحراني: و روى بعض الشارحين يعز بالعين المهملة قال:

و معناه أن يقذف غيره بأمر قد فعله هو فيكون غيره منصوبا مفعولا به و العامل يعز يقال عزه يعزه أي عابه و لطفه أقول: و على هذا فيدل على حرمة ما يدل على حرمة البهت و الافتراء، قال تعالى:

«إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ».

روى فى عقاب الأعمال عن ابن أبى يعفور عن أبى عبد الله عليه السلام قال: من اتهم مؤمنا أو مؤمنة بما ليس فيهما بعثه الله يوم القيامة فى طينه خبال حتى يخرج ممّا قال، قلت: و ما طينه خبال؟ قال: صديد يخرج من فروج الزّناه، بل يدلّ عليه جميع ما ورد فى حرمه الغيبه إذ ذلك قسم من الغيبه بل من أعظم أقسامها كما لا يخفى.

الرابعه ما أشار إليها بقوله (أو يستنجح حاجه إلى الناس باظهار بدعه فى دينه) يعنى أنّه يبدع فى الدّين طلبا لنجاح حاجته، و من المعلوم أنّ كلّ بدعه ضلاله و الضّلاله فى النار قال تعالى:

«وَمَا كُنْتُمْ تُتَّخَذُونَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا» و قال «وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ».

و استنجاح الحاجه بالبدعه أشدّ خزيا و أعظم مقتا، كما يدلّ عليه ما فى عقاب الأعمال عن أبى عبد الله عليه السلام قال: صونوا دينكم بالورع، و قووه بالتقوى و الاستغناء بالله عزّ و جلّ عن طلب الحوائج من السّيلطان، و اعلموا أنّه أيّما مؤمن خضع لصاحب سلطان أو لمن يخالفه على دينه طلبا لما فى يديه أحمله الله و مقته عليه و وكله الله إليه، و إن هو غلب على شىء من دنياه و صار فى يده منه شىء نزع الله البركه منه و لم يأجره على شىء ينفقه فى حجّه و لا عمره و لا عتق و فيه عن هشام بن الحكم عن أبى عبد الله عليه السلام قال: كان رجل فى الزّمن الأوّل طلب الدّنيا من حلال فلم يقدر عليها، فطلبها من حرام فلم يقدر عليها، فأناه الشّيطان فقال له: يا هذا إنّك قد طلبت الدّنيا من حلال فلم تقدر عليها و طلبتها من حرام فلم تقدر عليها أفلا أدلك على شىء يكثّر به مالك و دنياك و تكثّر به؟؟؟ بعكك؟ قال: بلى، قال: تبتدع ديننا و تدعو إليه الناس، ففعل، فاستجاب له

النَّاس فأتاعوه و أصاب من الدُّنيا، ثمَّ إنَّه فكَّر فقال: ما صنعت ابتدعت دينا و دعوت النَّاس إليه و ما أرى لى توبه إلا أن آتى من دعوته إليه فأردّه، فجعل يأتى أصحابه الذين أجابوه فيقول: إنَّ الذى دعوتكم اليه باطل و إنَّما ابتدعته فجعلوا يقولون: كذبت هذا الحقَّ و لكنَّك شككت فى دينك فرجعت عنه، فلمَّا رأى ذلك عمد إلى سلسله فوتد لها و تدا ثمَّ جعلها فى عنقه و قال: لا احلِّها حتَّى يتوب الله عزَّ و جلَّ علىّ، فأوحى الله عزَّ و جلَّ إلى نبيّ من الأنبياء قل لفلان:

و عزَّتى لو دعوتنى حتَّى ينقطع أو صالك ما استجبت لك حتَّى تردّ من مات على ما دعوته إليه فيرجع عنه.

الخامسه ما أشار إليها بقوله (أو يلقى النَّاس بوجهين أو يمشى فيهم بلسانين) قال الشَّارح البحرانى: أى يلقى كلاً من الصِّديقين مثلاً- بغير ما يلقى به الآخر ليفرق بينهما، أو بين العدوين ليضرى بينهما، و بالجمله أن يقول بلسانه ما ليس فى قلبه فيدخل فى زمره المنافقين و وعيد المنافقين فى القرآن:

«إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ».

أقول: و يدخل أيضا فى زمره المغتابين فيشملة الآيات المفيده لحرمة الغيبه و يدلّ على حرمة من السنه ما رواه فى الكافى بسنده عن ابن أبى يعفور عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: من لقى المسلمين بوجهين و لسانين جاء يوم القيامة و له لسانان من نار و عن أبى جعفر عليه السّلام قال: بسّ العبد عبد يكون ذا وجهين و ذا لسانين، يطرى أخاه شاهدا و يأكله غائبا إن أعطى حسده، و ان ابتلى خذله و عن عبد الرّحمان بن حماد رفعه قال: قال الله تبارك و تعالى لعيسى: يا عيسى ليكن لسانك فى الشرّ و العلانيه لسانا واحدا و كذلك قلبك إنى احذر ك نفسك و كفى بى خبيرا، لا يصلح لسانان فى فم واحد، و لا سيفان فى غمد واحد، و لا قلبان فى صدر واحد، و كذلك الأذهان، و رواها جميعا فى عقاب الأعمال نحوها.

و فى عقاب الأعمال عن زيد بن علىّ عن آبائه عليهم السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله

يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعا لسانه فى قفاه و آخر من قدامه يلتهبان نارا حتى يلهبا جسده ثم يقال له: هذا الذى كان فى الدنيا ذا وجهين و ذا لسانين يعرف بذلك يوم القيامة.

(اعقل ذلك) أشار به إلى ما يذكره بقوله إن البهائم آه (فإن المثل دليل على شبهه) لما كان أكثر الأفهام قاصره عن إدراك الماهية العقلية للشيء إلا فى مادّه محسوسه كمن لا يعرف حقيقه العلم مثلا فيقال له إنه مثل اللبن حيث إنه غذاء للروح الناقص و يصير به كاملا كما يتغذى باللبن الطفل الناقص و به يصير كماله و هكذا، لا جرم جرت عادة الله تعالى و عادة رسله و أوليائه فى بيان الأحكام للناس و تبليغ التكاليف اليهم على ضرب الأمثال تقريبا للأفهام و أكثر القرآن أمثال ضربت للناس ظواهرها حكاية عن حقايقها المكشوفة عند ذوى البصائر قال صدر المتألهين: كثر فى القرآن ضرب الأمثال لأن الدنيا عالم الملك و الشهادة، و الآخرة عالم الغيب و الملكوت، و ما من صوره فى هذا العالم إلا و لها حقيقه فى عالم الآخرة و ما من معنى حقيقى فى الآخرة إلا و له مثال و صوره فى الدنيا، إذ العوالم و النشئات مطابقه تطابق النفس و الجسد، و شرح أحوال الآخرة لمن كان بعد فى الدنيا لا يمكن إلا بمثال، و لذلك وجدت القرآن مشحونا بالأمثال كقوله:

«مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ» «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» مثله «كَمَثَلِ الْكَلْبِ» مثلهم «كَمَثَلِ الْجِمَارِ».

و ليس للأنبياء أن يتكلموا مع الخلق إلا بضرب الأمثال، لأنهم كلّفوا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم، و قدر عقولهم أنهم فى النوم و النائم لا يكشف له شيء إلا بمثل، فاذا ماتوا انتبهوا و عرفوا أنّ المثل صادق، فالأنبياء هم المعبرون لما عليه أهل الدنيا من الأحوال و الصّيفات و ما يؤل عليه عاقبتها فى يقظه الآخرة بكسوه الأمثال الدنيوية إذا عرفت ذلك فأقول: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما كان مقصوده التمثيل و أداء

غرضه بضرب المثل، و المثل ينتفع به العام و الخاص، و كان نصيب العامى من كلّ مثل أن يدرك ظاهره المحسوس و يقف عليه و ينتفع به ترغيبا و ترهيبا لما فيه من نوع مطابقه لأصله و نصيب الخاصى أن يدرك باطنه و يعبر من ظاهره إلى سرّه و من محسوسه الجزئى إلى معقوله الكلّى كما قال تعالى:

«وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ».

أراد عليه السّلام أن يكون انتفاع المخاطبين بالمثل الذى يضربه على وجه الكمال و نحو الخصوص، فلذلك قال عليه السّلام: مقدّمه و تنبيهها لهم: اعقل ذلك فإنّ المثل دليل على شبهه، أى أفهم ما أقول و تدبّر فيه و لا تقصر نظرك إلى ظاهره، بل تفكّر فى معناه حتّى تصل من قشره إلى لبّه، و يمكن لك الاستدلال بالمثل على ممثله و الانتقال من ظاهره إلى باطنه و الوصول من قشره إلى لبّه و المثل الذى ضربه هو قوله (إنّ البهايم همّها بطونها) لكمال قوتها الشّهويه فاهتمامها دائما بالطعام و الشّراب و الأكل و الشّرب و النزو و السّيفاد (و إنّ السّباع همّها العدوان) لا إفراط قوتها الغضبيّه فلذّتها أبدا فى الاضرار و الافتراس و الغلبه و الانتقام (و إنّ النّساء همهنّ زينه الحياه الدّنيا) لفرط قوتها الشّهويه (و الفساد فيها) لشده قوتها الغضبيّه و غرضه عليه السّلام من هذا المثل التنبيه على أنّ كمال الانسان الّذى به فارق غيره هو إدراك ما يخرج عن عالم الحواس و الاحاطه بالمعلومات و التنزّه عن التعلّقات و الترقّى إلى الملاء الأعلى، فمن ذهل عن ذلك و عطل نفسه عن تحصيله و أهمله و لم يجاوز عالم المحسوسات فهو الذى أهلك نفسه و أبطل قوّه استعداده بالاعراض عن الآيات و التأمّل فيها، و نزل عن مرتبه الانسانيه و أخلد إلى الأرض فان كان تابعا لقوته الشّهويه البهيميّه فهو نازل عن حقيقه الانسانيه إلى درجه البهايم، و وافق الأنعام فمثله كمثل الحمار بل البهايم أشرف منه و هو أضلّ منها كما قال تعالى: «أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ»

«أَضَلَّ سَبِيلًا» وذلك لأنها ما ابطلت استعدادها لما كان لها و ما أضلَّت عن سبيلها التي كانت عليها، بل ما من دأبه إلا هو آخذ بناصيتها، بخلاف هذا، فإنه أبطل كماله و انسانيته و تبع شهوه بطنه و فرجه و آثر البهيمية و ان كان تابعا لقوته الغضبية فهو منحط إلى درجة السبعية فمثله كمثل الكلب أو الخنزير أو الضبع و نحوها و إن كان تابعا لشهوته و غضبه معا فقد انحط من كمال الرجولته إلى مرتبة الأنوثية.

فقد تلخص مما ذكرنا أن غرضه عليه السلام من التمثيل التنفير عن اتباع الشهوه و الغضب بالتنبيه على أن الخارج فيهما عن حد العدل إلى مرتبة الافراط إما أن تشبه البهيمه أو السبع أو المرأة، و كل منها مما يرغب العاقل عنه و لا يرضى به لنفسه، و لذلك قال أولادنا عقل ذلك ثم إنه عليه السلام لما نقر عن اتباع هاتين القوتين عقب ذلك بصفات المؤمنين ترغيبا إليها فقال عليه السلام: (إن المؤمنين مستكينون) أى خاضعون لله متواضعون له (إن المؤمنين مشفقون) كما قال سبحانه:

«وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا» - أى الساعه - «وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ» و قال فى موضع آخر:

«وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ» و قال «وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَ هُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ».

(إن المؤمنين خائفون) كما قال تعالى:

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ» و قال «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ»

«فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ». هذا و انما أتى عليه السَّلام في الجملات الثلاث الأخيره بالأسماء الظاهره مع اقتضاء الظاهر الاتيان في الأخيرتين بالضمير لغرض زياده تمكين المسند إليه عند السامع كما في قوله تعالى:

«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ» و في قوله «و بِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَ بِالْحَقِّ نَزَلْ».

و هو من محسنات البلاغه.

تذييل

قال الشَّارح المعتزلى في شرح هذا الفصل من كلامه عليه السَّلام: إنّما رمز بباطن هذا الكلام إلى الرُّؤساء يوم الجمل، لأنَّهم حاولوا أن يشفوا غيظهم باهلا-كه و إهلا-كك غيره من المسلمين، و عزوه بأمرهم فعلوه و هو التَّأليب على عثمان و حصره و استنجحوا حاجتهم إلى أهل البصره باظهار البدعه و الفتنة و لقوا النَّاس بوجهين و لسانين، لأنَّهم بايعوه و أظهروا الرضا به، ثمَّ دَبَّوا له فجعل دبوبهم هذه مماثله للشُّرك بالله سبحانه في أنَّها لا تغفر إلاَّ بالتَّوبه، و هذا هو معنى قوله: اعقل ذلك فإنَّ المثل دليل على شبيهه، و روى فإنَّ المثل واحد الأمثال أى هذا الحكم بعدم المغفره لمن أتى شيئاً من هذه الأشياء عام و الواحد منها دليل على ما يماثله و يشابهه.

فان قلت: فهذا تصريح بمذهب الاماميه فى طلحه و الزبير و عايشه قلت: كلاً فإنَّ هذه الخطبه خطب بها و هو سائر إلى البصره و لم يقع الحرب بعد، و رمز فيها إلى المذكورين و قال إن لم يتوبوا و قد ثبت أنَّهم تابوا، و الأخبار عنهم بالتَّوبه مستفيضه، ثمَّ أراد أن يؤمى إلى ذكر النَّساء للحال التى كان وقع إليها من استنجاد أعدائه بالامراه فذكر قبل ذكر النَّساء أنواعا من الحيوان تمهيدا لقاعده

ذكر النساء فقال: إنّ البهايم همّها بطونها كالحمر و البقر و الابل، و إنّ السباع همّها العدوان على غيرها كالاسود الضّاربه و النّمور و الفهود و البزاه و الصّيقور، و إنّ النساء همهنّ زينه الحياه الدّنيا و الفساد فيها انتهى أقول: أمّا ما ذكره الشّارح من كون هذا الكلام رمزا إلى قاده الضلال يوم الجمل فغير بعيد، و اتّصافهم بالخصال الخمس التي هي من أوصاف أهل النفاق و الضلال معلوم و مبرهن.

و أمّا جوابه عن الاعتراض الذي اعترض به فسخيف جدّا أمّا أولا فلأنّ صدور هذه الخطبه عنه عليه السّلام حين مسيره إلى البصره و قبل وقوع الحرب لا يرفع الايراد بعد تحقّق اتّصاف الرّؤساء بالخصال المذكوره و أمّا ثانيا فلأنه عليه السّلام لم يقل إن لم يتوبوا بل قال و لم يتب، و كونه رمزا إلى عدم توبتهم و أنهم يموتون بلا-توبه أظهر من أن يكون رمزا إلى حصول التوبه و أمّا ثالثا فلأنّ أخبار توبتهم التي ادعى استفاضتها بعد تسليم كونها مستفيضه مما تفردت العامّه بروايتها، و لا يتمّ بها الاحتجاج قبال الاماميه، و قد قدّمنا في شرح الكلام الثامن بطلان توبه الزبير، و في شرح الكلام الثاني عشر بطلان توبه الطلحه، و في شرح الكلام التاسع و السبعين بطلان توبه الخاطئه، و قد مرّ تحقيق بطلان توبه الأوّلين أيضا في شرح الكلام المأه و السابعه و الثلاثين بما لا مزيد عليه فليتذكّر.

الترجمه

بعض ديگر از آن خطبه شريفه در صفت بعض أهل ضلالست می فرمايد:

و آن شخص معصيت کار در مهلت است از پروردگار فرو می افتد با غافلان، و صباح می کند با گنه کاران، بدون راه راست و بدون پیشوائی که کشنده خلایق است بطرف حضرت ربّ العزّه و بعض ديگر از این خطبه متضمّن نصيحت و موعظه است مر مخاطبين را می فرمايد:

تا آنکه چون کشف کند خدای تعالی از جزاء معصیت ایشان، و خارج میکند ایشان را از لباسهای غفلت ایشان استقبال می کند بجزیری که ادبار کرده بود و غایب بود از ایشان که عبارتست از عقوبات آخرت، و استدبار می کنند بجزیری که حاضر بود ایشان را که عبارتست از لذایذ دنیا، پس نفع نبردند از آنچه دریافتند از مطلوب خودشان، و نه به آنچه که رسیدند از حاجت خود، و بدرستی که من می ترسانم شما را و نفس خود مرا از این حالت غفلت، پس باید که منتفع بشود مرد بنفس خود، پس بدرستی که صاحب بصیرت شخصی است که بشنود پس تفکر نماید، و نظر کند پس بینا گردد، و منتفع بشود با عبرتهای روزگار پس از آن راه برود در راه راست آشکار که دوری ورزد در آن راه از افتادن مواضع پستی و تباهی و از گمراه شدن در مواضع گمراهی، و اعانت نکند بر ضرر خود گمراهان را بجهه کج روی در امر حق یا بجهه تغییر دادن در گفتار، یا بجهه اظهار خوف در راستی و صداقت پس افاقه حاصل کن ای شنونده از بیهوشی خود را بیدار باش از خواب غفلت خود، و مختصر کن از تعجیل و شتاب خودت، و نیک تأمل نما در آنچه آمده بتو بر زبان پیغمبری که از اهل مکة معظمه است از آنچه ناچار است از آن و هیچ گریزی نیست از آن، و مخالفت کن با کسی که مخالفت کند در آن، و متوجه بشود بطرف غیر آن، و مگذار او را به آن چه که پسندیده است او را از برای خودش، و بگذار فخر خودت را، و پست کن کبر خود را، و ذکر کن قبر خود را پس بدرستی که بر آن قبر است عبور تو، و همچنان که جزا می دهی جزا داده می شوی، و همچنان که زراعت می کنی می دروی، و آنچه که پیش فرستاده امروز می آئی بر او فردا پس مهیا کن از برای آمدن خود بدار بقا، و مقدم کن از برای روز حاجت خود، پس البته حذر کن و بترس ای گوش دهنده، و البته جدّ و جهد کن ای غفلت کننده، و آگاه نکند تو را هیچ کس مانند کسی که آگاهست از کارها، بدرستی که از جمله اوامر محتومه پروردگار در ذکر محکم و استوار که بر اخذ آن ثواب می دهد، و بر ترک آن عقاب می نماید، و از برای اطاعت آن خوشنود می شود، و بجهه

مخالفت آن غضب می کند.

اینست که هیچ نفع نمی بخشد بنده را اگر چه بمشقت اندازد نفس خود را و خالص نماید فعل خود را این که خارج بشود از دنیا در حالتی که ملاقات کند پروردگار خود را با یک خصلت از این خصلتهای ذمیمه در حالتی که توبه ننموده باشد از آن:

آنکه شرک آورد بخدا در آنچه که واجب نموده است بر او از عبادت خود، یا شفا بدهد غیظ خود را با هلاک کردن نفس خود، یا اقرار کند بکاری که دیگری او را نموده، یا خواهش روا کردن حاجتی نموده باشد بسوی خلق با اظهار بدعت در دین خود، یا ملاقات کند مردمان را بدو روئی و نفاق، یا مشی کند در میان ایشان با دو زبانی و عدم وفاق درک کن و بهم این مثل را که خواهم زد از برای تو پس بدرستی که مثل دلیل است بر مشابه خود، و آن مثل اینست که: چهار پایان قصد آنها شکمهای آنهاست، و بدرستی که درندگان قصد ایشان ستم و عدوانست، و بدرستی که زنان قصد ایشان زینت زندگانی این جهان و فساد کردند در آن، بدرستی که مؤمنان متواضعانند، بدرستی که مؤمنان ترسند گانند از غضب پروردگار، بدرستی که مؤمنان خائفند از سخط آفریدگار، اللَّهُمَّ وَفَّقْنَا بِمُحَمَّدٍ وَ آلِهِ الْأَطْهَارِ

و من خطبه له عليه السلام و هي المأه و الثالث و الخمسون

اشاره

من المختار في باب الخطب

و فيه فصلان

الفصل الاول

و ناظر قلب اللبيب، به يبصر آمده، و يعرف غوره و نجده،

ص: ۲۲۸

داع دعا، و راع رعا، فاستجيبوا للدّاعي، و اتّبعوا الرّاعى، قد خاضوا بحار الفتن، و أخذوا بالبدع دون السيّن، و أرز المؤمنون، و نطق الضّالّون المكذّبون، نحن الشّعار و الأصحاب، و الخزنة و الأبواب، و لا- توتى البيوت إلّا- من أبوابها، فمن أتاها من غير أبوابها سمى سارقا.

الفصل الثانى (منها)

فيهم كرائم القرآن، و هم كنوز الرّحمن، إن نطقوا صدقوا، و إن صمتوا لم يسبقوا، فليصدق رائد أهله، و ليحضر عقله، و ليكن من أبناء الآخرة فأنه منها قدم، و إليها ينقلب، فالناظر بالقلب العامل بالبصر يكون مبتدأ عمله أن يعلم أ عمله عليه أم له، فإن كان له مضى فيه، و إن كان عليه وقف عنه، فإنّ العامل بغير علم كالسائر على غير طريق، فلا يزيده بعده عن الطّريق إلّا بعدا من حاجته، و العامل بالعلم كالسائر على الطّريق الواضح، فلينظر ناظر أ سائر هو أم راجع، و اعلم أنّ لكلّ ظاهر باطنا على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، و ما خبث ظاهره خبث باطنه، و قد قال الرّسول الصّادق صلّى الله عليه و آله و سلّم: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَ يُبْغِضُ عَمَلَهُ، وَ يُحِبُّ الْعَمَلَ وَ يُبْغِضُ بَدَنَهُ» و اعلم أنّ كلّ

عمل نبات، و كلّ نبات لا غنى به عن الماء، و المياه مختلفه، فما طاب سقيه طاب غرسه، و حلت ثمرته، و ما خبث سقيه خبث غرسه، و أمّرت ثمرته.

اللغه

(الناظر) من المقله السواد الأصغر الذى فيه انسان العين و (الغور) بالفتح قعر كلّ شىء و المنخفض من الأرض و (التجد) المرتفع منها و الجمع نجود مثل فلس و فلوس و (رعت) الماشيه رعا إذا سرحت بنفسها و رعيها و أرهاها يستعمل لازما و متعديا فانا راع، و فى القاموس الرّاعى كلّ من ولى أمر قوم و الجمع رعا و رعاء بالكسر و رعيان و القوم رعيه و (ارز) من باب علم و ضرب انقبض و انجمع و (الشّعار) بالكسر ما ولى الجسد من الثياب و (الزّائد) المرسل فى طلب الماء و الكلاء و (ليحضر عقله) مضارع حضر من باب نصر أو أحضر من باب الأفعال

الاعراب

داع مرفوع تقديره خبر ناظر و قال الشّارح المعتزلى: إنّه مبتداء محذوف الخبر تقديره فى الوجود داع دعا، قوله: و اعلم أنّ كلّ عمل نبات هكذا فى بعض النسخ فيكون كلّ اسم إنّ و نبات خبرها و فى بعضها أنّ لكلّ عمل نباتا فيكون نباتا اسما لها

المعنى

اشاره

اعلم أنّه لمّا كان من دأب الرّحمه الرحمانيه أن يصدر عنه أقسام الموجودات على أكمل ما يتصوّر فى حقّها، و أن يعطى لكلّ نوع بعد إعطاء الوجود ما يحفظ به كماله الأوّل و يستدعى كماله الثّانى كما قال تعالى «هو الذى أعطى كلّ شىء خلقه ثمّ هدى» أشار إلى أنّه أعطى أصل وجوده، ثمّ أفاد له ما يتهيأ و يهتدى به إلى فضيله زايدة من القوى و الآلات، لا جرم كان كلّ نوع من أنواع المكونات

اعطى له من خزائن رحمه الله ما يستعدّ به للوصول إلى ما هو خير له و سعادته بالنسبه إليه و يحترز عمّا هو شرّ له و شقاوه، و لا شكّ أنّ الانسان أشرف هذه الأنواع فاعطاء ما يستطيع به لطلب ما هو الخير و السّعادة له أولى و أوجب، لكن لما كان كماله الخاصّ به أمرا متميّزا عن كمالات ساير الأنواع الحيوانيّة من جلب مأكول أو مشروب أو منكوح و نحوها من كمالات البهائم، فليس خيره و سعادته ممّا يوجد في هذا العالم، بل كماله و خيره في العلم و التجرد عن الدّنيا و ما فيها و التّقرب إليه تعالى و ملكوته الأعلى فيجب في العناية الرّبانيّة أن يعطيه ما يهتدى به إلى سبيل سعادته و طريق نجاته، و يتجنّب عن طريق شقاوته و شقائه بأن يعرف أوّلا- و لو بوجه من الوجوه ما الاله و ما الملكوت و ما الآخرة و ما الاولى، و ما السعادة و الشقاء، ثمّ إن كان ممّن لا يهتدى إلى ذلك إلاّ بواسطة معلّم من خارج من نبيّ أو امام أو كتاب و جب عليه تعالى أن يعرفه ذلك و وجب عليه أن يتعلّم منه و يطيع له و يقبل منه روى يزيد بن معاوية عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: ليس لله على خلقه أن يعرفوا و للخلق على الله أن يعرفهم، و لله على الخلق إذا عرفهم أن يقبلوا إذا عرفت ذلك فأقول: إنّ الانسان قد أعطاه الله سبحانه بمقتضا عنايته العقل يهتدى به إلى مصالحه و مفسده، و جعل عقول بعض أفراد هذا النوع كامله فاضله غير محتاجه في كسب كمالاتها إلى الغير و هي عقول الأنبياء و الرّسل و الأئمّه عليهم السّلام، و جعل عقول غيرهم ناقصه، فهؤلاء لا يكمل معرفتهم إلاّ بمعلّم خارجي، لعدم استقلال عقولهم بمعرفه كثير من المصالح و المفسد و المنافع و المضارّ، و ذلك المعلّم هو النبيّ صلّى الله عليه و آله و الامام.

و إلى هذا المعنى أشار أبو عبد الله عليه السّلام في روايه الكافي حيث قال: أبي الله أن يجرى الأشياء إلاّ بأسباب، فجعل لكلّ شيء سببا و لكلّ سبب شرحا، و جعل لكلّ شرح علما، و جعل لكلّ علم بابا ناطقا عرفه من عرفه و جهله من جهله ذاك رسول الله صلّى الله عليه و آله و نحن.

فظهر لك بتلك المقدمه معنى قوله عليه السلام (و ناظر قلب اللبيب به يبصر أمده و يعرف غوره و نجده داع دعا و راع رعا) أى عين بصيره العاقل التى بها يبصر غايته التى يتوجه إليها أى معاده و بها يعرف ما انخفض و انحط من حالاته الموجبه لشقاوته المترديه له إلى دركات الجحيم، و ما ارتفع و استعلى من خصاله الموجبه لسعادته الموصله له إلى نضره النعيم هى أى هذه العين داع دعا و راع رعا، أراد بالداعى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لدعائه إلى طرف الحق قال الله تعالى:

«يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ».

و أراد بالزاعى نفسه عليه السلام لأنه ولّى الخلق و القائم بأمرهم كالزاعى الذى يرعى غنمه و يحفظها و يريها، و قد مرّ تشبيه الامام بالزاعى و الرعيه بالغنم و تشبيهه من لم يعرف امامه بغنم ضلّت عن راعيها فى الحديث الذى روينا من الكافى فى التذنيب الثالث من تذنيبات شرح الفصل الرابع من فصول الخطبه الأولى و ورد فى وصف الأئمه عليهم السلام فى الزياره الجامعه: و استرعاكم أمر خلقه، قال شارح الزياره، يعنى به: أنه تعالى استرعاهم أمر خلقه جعلهم قائمين برعايه الخلق فيما يتعلّق بأمر الوجود الكونى و شرعه، و فيما يتعلّق بأمر الكون الشرعى و وجوده، و فيما يتعلّق بأمر الغيب و الشهاده، و فيما يتعلّق بأمر الدنيا و الآخره، و فيما يتعلّق بأمر الجنّه و النار، طلب تعالى منهم عليهم السلام رعايه جميع خلقه فى هذه الامور الخمسه فهم عليهم السلام المرّبون لرعيّتهم الزاعون الذين استرعاهم الله أمر غنمه فان شاءوا فانما شاء، هذا.

و أنّما جعل الداعى و الزاعى ناظر القلب اللبيب لأنّ الناظر من الانسان هو آله الابصار، و بها يدرك الأشياء على ما هى عليها، و يفرّق بين الألوان و الأضواء و الأشكال و المقادير و نحوها، و بناظره القلبى أى عين بصيرته يفرّق بين الحقّ و الباطل، و الصّلاح و الفساد، فاستعار لفظه للرسول و الامام عليهما السلام إذ بهما يحصل له المعرفه

بالمبدإ و المعاد، و بدالتهما و إرشادهما يكمل له الحكمة النظرية و العملية، فالنبي و الامام عقل من خارج كما أن العقل رسول من باطن و إليه يشير قول موسى بن جعفر عليه السلام لهشام بن الحكم في الحديث الطويل المروي في الكافي: يا هشام إن لله على الناس حجبتين حججه ظاهره و حججه باطنه فأما الظاهره فالرسول و الأنبياء و الأئمة عليهم السلام، و أما الباطنه فالعقل إلى أن قال:

يا هشام نصب الحق لطاعه الله و لا نجاه إلا بالطاعه، و الطاعه بالعلم، و العلم بالتعلم و التعلم بالعقل يعقل و لا علم إلا من عالم رباني و معرفه العلم بالعقل و أما خص عليه السلام ناظر قلب اللبيب بالبيان لأن الجاهل بمعزل عن الالتفات غافل عما له و عليه كما قال عليه السلام في روايه الكافي عن علي بن محمد عن سهل بن زياد عن النوفلي عن السكوني عن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام إن قلوب الجهال تستفزها الأطماع و ترتنها المنى، و تستعلقها الخدائع يعنى يستخفها الأطماع لأنهم كثيرا ما ينزعجون من مكانهم بطمع فاسد لا أصل له و لا طائل تحته، و أنها مقيدة مرتنه بالأمانى و الآمال الكاذبه، و هم ينخدعون سريعا فيستسخر قلوبهم خدائع الخادعين، و يستعبدها مكر الماكرين، و لهذا يعدهم الشيطان و يمنيهم بالأمانى الباطله، و يغرهم و يستفزهم و يستعبدهم بالخدائع و ما يعدهم الشيطان إلا غرورا قال تعالى:

«أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا».

قال أبو جعفر عليه السلام في هذه الآية: ميت لا يعرف شيئا و نورا يمشى به في الناس اماما ياتم به كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها، قال: الذى لا يعرف الامام، هذا و لما كان همم العاقل مصروفه لتحصيل كمالاته و الترقى من حد النقص و الوبال إلى ذروه الفضل و الكمال، و من هبوط الجهل و الدنائه إلى شرف العز و السعاده، و كان ذلك الاستكمال و الترقى موقوفا على طاعه الرسول و الإمام عليهما السلام

حسبما عرفت أمر بطاعتها بقوله (فاستجيبوا للداعي واتبعوا الراعى) لأنهما قواد الناس وهداتهم إلى المحجّه البيضاء و الصراط المستقيم، و بالاستجابة و المتابعه لهما ينال حسن العاقبه و سعاده الخاتمه، و لذلك قرن الله طاعتها بطاعته فقال:

«أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ».

و قوله عليه السّلام (قد خاضوا بحار الفتن) قال الشارح البحرانى: يحتمل أن يكون التفاتا إلى قوم معهودين للسامعين كمعاويه و أصحاب الجمل و الخوارج، و يحتمل أن يكون منقطعا عمّا قبله متصلا بكلام لم يحكه الرضى (ره) و إليه ذهب الشارح المعتزلى، و قال: هذا كلام متّصل بكلام لم يحكه الرضى، و هو ذكر قوم من أهل الضلال قد كان أخذ فى ذمهم و نعا عليهم عيوبهم أقول: و الأظهر عندى أنه متّصل بالكلام السابق، و وجه نظمه أنه لما أمر بوجوب متابعتة و فرض طاعته و طاعه الرسول صلى الله عليه و آله و سلّم التفت إلى حكاياه حال المخالفين لرسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و المغيّرين لوصيته، و الغاصبين لخلافته من الخلفاء الثلاث و متابعتهم، و كيف كان فتشبهه الفتن بالبحار لاهلاكها و استيصالها فمن دخل فيها يغرق كما يغرق البحر الخائض فيه، و ذكر الخوض ترشيح للتشبيه.

(و أخذوا بالبدع دون السنن) يعنى أنهم عدلوا عن سنّه سيّد المرسلين، و تركوا منهج الشرع المبين، و أبدعوا فى الدين، و أخذوا بالرأى و المقائيس عن هوى الأنفس، فلم يزالوا دهرهم فى الالتباس و الارتماس فى بحر الظلمات و الانغماس فى مهوى الشهوات، و ذلك كلّه لاعراضهم عن أئمّه الحقّ و أولياء الصدق.

قال يونس بن عبد الرحمن: قلت: لأبى الحسن الأوّل عليه السّلام بما أوحى الله عزّ و جلّ؟ قال: لا تكوننّ مبتدعا، من نظر برأيه هلك، و من ترك أهل بيت نبيّه ضلّ، و من ترك كتاب الله و قول نبيّه كفر قال الشارح البحرانى: البدعه قد يراد بها ترك السنّه و قد يراد بها أمر

آخر يفعل مع ترك السنه و هو أظهر في العرف.

أقول: و البدعه ملازمه لترك السنه كما يفصح عنه ما رواه في الكافي عن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس عن حريز عن زراره قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحلال و الحرام فقال: حلال محمد حلال أبدا إلى يوم القيامة و حرامه حرام أبدا إلى يوم القيامة لا يكون غيره و لا يجيء غيره.

و قال عليه السلام قال علي عليه السلام: ما أحد ابتدع بدعه إلا ترك بها سنه.

وجه دلالة على الملازمه أن حلاله و حرامه إذا كانا مستمرين إلى يوم القيامة فمن أتى بشيء إقيا أن يكون حكمه ثابتا في الكتاب و السنه فلا يكون بدعه، و إلا ففيه تركهما، و بعبارة اخرى لو لم يكن مخالفا للسنه لم يكن بدعه، و حيث كان مخالفا مناقضا لها يلزم من إتيانها ترك سنه هي في مقابلها البتة، و هو معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام الذي استشهد به الامام عليه السلام (و أرى المؤمنين) أي انقبضوا و سكتوا لشمول التقيه و غلبه الباطل (و نطق الضالون المكذبون) لاختفاء الحق و استيلاء أهل الضلال.

ثم عاد عليه السلام إلى ذكر مناقبه و مفاخره المقتضية لوجوب طاعته حثا للمخاطبين على الرجوع إليه و تأكيدا للتعريض و التقريع على المنحرفين العادلين عنه إلى غيره و الغاصبين لحقه فقال (نحن) أراد به نفسه و الطيبين من أولاده (الشعار و الأصحاب) أي شعار رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أصحابه، و استعار لفظ الشعار لهم باعتبار ملازمتهم له عليه السلام و مزيد اختصاصهم به ملازمه الشعار للجسد و اختصاصه به، و هم أيضا أدركوا صحبته بالايان و صدقوه في جميع ما جاء به بالاذعان و الايقان، و عرف المسند بلام التعريف للعهد قصدا للحصر، يعني أن الشعار و الأصحاب المعهودين نحن لا غيرنا.

قال العلامة التفتازاني: إذا كان للشئ صفتان من صفات التعريف عرف السامع اتصافه باحدهما دون الأخرى حتى يجوز أن تكونا وصفين لشيئين متعددين في الخارج فأيهما كان بحيث يعرف السامع اتصاف الذات به و هو كالتالي بحسب زعمك أن

يحكم عليه بالآخرى يجب أن تقدّم اللفظ الدالّ عليه و تجعله مبتداءً، و أيّهما كان بحيث يجعل اتّصاف الذات به و هو كالمطالب أن تحكم بثبوته للذات أو بنفيه عنها يجب أن تؤخّر اللفظ الدالّ عليه و تجعله خبراً، فاذا عرف السامع زيّدا بعينه و اسمه و لا يعرف اتّصافه بأنه أخوه و أردت أن تعرفه ذلك قلت: زيّد أخوك، و كذلك إذا عرف زيّدا و علم أنّه كان من انسان انطلاق و لم يعرف اتّصاف زيّد بأنه المنطلق المعهود و أردت أن تعرفه ذلك قلت: زيّد المنطلق، و لا يصحّ المنطلق زيّد، انتهى (و الخزنة و الأبواب) أى خزّان خزينه علم الله و علم رسوله و إنّما استعار لهم ذلك اللفظ لأنّ الخازن إنّما يتولّى ما فى الخزانه و يحفظه و يتصرّف فيه و يصرفه فى مصارفه و هم عليهم السّلام كذلك لأنّهم حفظوا علم الله تعالى، و المتصرّفين فيه و الباذلين له لمن يشاءون، و المانعين له عمّن يشاءون قال تعالى:

«هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ».

فإنّ ظاهرها فى حقّ سليمان بن داود عليهما السّلام و باطنها فى أهل البيت عليهم السّلام حسبما عرفته فى شرح الكلام التّاسع و الخمسين.

و يدلّ على كونهم خزّان الله تعالى ما فى البحار من بصائر الدّرجات للّصّيفار بسنده عن سوره بن كليب قال لى أبو جعفر عليه السّلام: و الله إنّنا لخزّان الله فى سمائه و أرضه لا على ذهب و لا على فضّه إلّا على علمه، قال العلّامة المجلسىّ ره أى خزّان علم السّماء و الأرض.

أقول: و الأولى جعل ضمير علمه راجعا إلى الله كما يفصح عنه إضافة العلم إلى لفظ الجلاله فى الأخبار الآتية و ستعرف تحقيق ذلك.

و فيه منه عن أبى حمزه الثمالى عن أبى جعفر عليه السّلام قال سمعته يقول: و الله إنّنا لخزّان الله فى سمائه و خزّانه فى أرضه، لسنا بخزّان على ذهب و لا على فضّه و إنّ منّا لحمله العرش إلى يوم القيامة.

و عن سدير عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قلت له: جعلت فداك ما أنتم؟ قال:

نحن خزّان الله على علم الله نحن تراجمه وحى الله نحن الحجّج البالغه على ما دون السماء و فوق الأرض.

و عن سدير عن أبى جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: نحن خزّان الله فى الدنيا و الآخرة و شيعتنا خزّاننا.

و عن عبد الرّحمن بن كثير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: نحن و لاه أمر الله و خزنه علم الله و عيبه وحى الله.

و عن حمران عن أبى جعفر عليه السلام قال: انّ الله تبارك و تعالى أخذ الميثاق على اولى العزم أنّى ربّكم و محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم رسولى و علىّ أمير المؤمنين و أوصياؤه من بعده و لاه أمرى و خزّان علمى، و أنّ المهديّ انتصر به ادينى.

فظهر بهذه الروايات كونهم و لاه خزانه علمه تعالى، و يدلّ عليه أيضا ما عن احتجاج الطبرسى عن أبى عبد الله عليه السلام فى حديث طويل و فيه: قال لصاحبكم أمير المؤمنين:

«قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» و قال الله عزّ و جلّ:

«وَ لَا رَطْبٌ وَ لَا يَابِسٌ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ».

و علم هذا الكتاب عنده.

و بهذا المضمون أيضا أخبار اخر قدّمنا روايتها فى التذييل الثالث من شرح الفصل السابع عشر من الخطبه الاولى فليتذكّر.

قال بعض الأفاضل: و العلم الذى هم خزائنه هو علم الموجودات بالمعنى المتعارف و هو قوله تعالى:

«وَ لَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ» يعنى أنّ ما لم يشأ من علمه أن يعلموه لا يحيطون به، و ليس المراد

بهذا العلم الذى لا يحيطون بشيء هو القديم الذى هو الذات ليكون المعنى و لا يحيطون بشيء من ذاته إلا بما شاء أن يحيطوا به منها، و هذا معنى باطل، بل المراد به أن العلم الحادث الذى هو غير الذات منه ممكن مقدر غير مكون، و منه تكوين و منه مكون، فالممكن المقدور غير المكون هو الممكنات قبل أن تكسى حلّه الوجود فى جميع مراتب الوجود، فهذه لم تكن مشائه إلا- فى أماكنها، فهذا لا- يحيطون بشيء منه إحاطه وجود، و يحيطون به إحاطه إمكان إذ ذاك مشائه مشيه إمكان، و التكوين الممكن، و هذا يحيطون به لأنه مشاء بنفسه و هم محال ذلك، و المكون قسمان مكون مشروط، و مكون منجز، و المكون المشروط يحيطون به لأنه مشاء و لا يحيطون بالشروط إلا بعد أن يكون مشاء، و المكون المنجز يحيطون به، ثم ما كانوا يحيطون به قسمان: قسم كان و هم يحيطون به أنه كان و لا- يحيطون به انه مستمرّ أو منقطع إلا- إحاطه اخبار لا إحاطه عيان، و قسم لم يكن فهم يحيطون به إحاطه اخبار أيضا لا إحاطه عيان، فظهر لمن نظر و أبصر من هذا التفصيل أنهم عليهم السلام لا يحيطون بشيء من علمه الذى هو غير ذاته إلا بما شاء أن يحيطوا به، و الذى شاء أن يحيطوا به هو ما سمعته فى هذا التفصيل، هذا تمام الكلام فى كونهم عليهم السلام خزّان الله.

و أمّا كونهم الأبواب فالمراد به أنهم عليهم السلام أبواب الايمان و المعرفة بالله، و أبواب علم الله و علم رسوله صلى الله عليه و آله و سلم كما ورد فى الأخبار المستفيضه العاميه و الخاصيه بل لا يبعد تواترها أنّ رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: أنا مدينه العلم و على بابها فمن أراد المدينه فليأت الباب و قال أيضا: أنا مدينه الحكمه و فى بعضها: دار الحكمه و على بابها فمن أراد الحكمه فليأتها من بابها و إلى هذا أشار عليه السلام بقوله: (و لا تؤتى البيوت إلا من أبوابها فمن أتاها من غير بابها سمى سارقا) و هو كناية عن أنّ من أخذ العلم من غير أهله و أراد معرفه عن غير الجبهه التى امر بالتوجه إليها فهو منتحل له كالسارق الذى يتسوّر البيوت من غير أبوابها و يأخذ ما فيها غصبا و عدوانا قال تعالى:

«لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَ أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا».

روى فى البحار من الاحتجاج للطبرسى عن الأصبع بن نباته قال: كنت جالسا عند أمير المؤمنين عليه السلام فجاءه ابن الكوا فقال: يا أمير المؤمنين قول الله عزّ وجلّ «لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ» الآية فقال عليه السلام: نحن البيوت التى أمر الله أن يؤتى أبوابها، نحن باب الله و بيوته التى يؤتى منها، فمن تابعنا و أقرّ بولايتنا فقد أتى البيوت من أبوابها، و من خالفنا و فضّل علينا غيرنا فقد أتى البيوت من ظهورها «إلى أن قال» إنّ الله عزّ وجلّ لو شاء عرّف الناس نفسه حتّى يعرفوه و يأتوه من بابه، و لكن جعلنا أبوابه و صراطه و سبيله و بابه الذى يؤتى منه، قال: فمن عدل عن ولايتنا و فضّل علينا غيرنا فأنهم عن الصّراط لناكبون، و قد تقدّمت هذه الرّوايه فى شرح الفصل الرّابع من الخطبه الاولى من الصّافى عن أمير المؤمنين عليه السلام مثله.

(منها) ما هو أيضا فى فضائل أهل البيت عليهم السّلام و هو قوله عليه السّلام (فيهم كرايم القرآن) يحتمل أن يكون المراد بالكرايم الآيات الكريمة قال:

«وَ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ».

أى حسن مرضىّ فى جنسه، و قيل: كثير النّفع لاشتماله على اصول العلوم المهمّة فى المعاش و المعاد و الكريم صفه لكلّ ما يرضى و يحمد، و منه وجه كريم أى مرضىّ فى حسنه و بهائه، و كتاب كريم مرضىّ فى معانيه.

و أن يكون المراد بها الآيات الدّاله على كرامتهم أى على جمعهم لأنواع الشّرف و الفضائل، إذ الكريم هو الجامع لأنواع الخير و الشّرف، و قد مضى بعض تلك الآيات فى شرح الفصل الثالث من الخطبه السّادسه و الثّمانين، و تقدّم كثير منها فى تضاعيف الشّرح و تأتى أيضا انشاء الله فى مواضعها اللّايقه، و فى بعض النّسخ: فيهم

كرايم الايمان، أى الخصال الكريمة التى هى من لوازم الايمان و خواصه (و هم كنوز الرحمن) لأن الكنز ما يدخر فيه نفايس الأموال و هم عليهم السّلام قد أودع الله فيهم نفايس جميع ما فى الكون و خيار الفضائل و الفواضل من العلم و الحلم و السخاء و الجود و الكرم و الخلافة و الولايه و الشجاعه و الفصاحه و العصمه و القدس و الطهاره إلى غير تلك ممّا لا يضبطها عدّ و لا يحيط بها حدّ.

«وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ».

(إن نطقوا صدقوا) لأنهم أزمه الحقّ و ألسنه الصدق المستجاب بهم دعوه إبراهيم عليه السّلام فى قوله:

«وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ».

و المفروض متابعتهم بقوله:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ».

على ما قدّمنا فى شرح الفصل الثالث من الخطبه السادسة و الثمانين.

(و إن سكتوا لم يسبقوا) لأن سكوتهم إنّما هو بمقتضى المصلحه و اقتضاء الحكمة لا عن عىّ و عجز حتّى يسبقهم الغير و يتكلم و لا- يتمكّنوا و يتمكّن بل يعلمون ما كان و ما هو كائن و يتكوّن و لذلك شاع المثل السائر: قضيه و ليس لها أبو الحسن ثمّ إنّه عليه السّلام لمّا تبه على جملة من مناقبهم الباهره و مفاخرهم الزاهره عقّب ذلك بالمثل المشهور و فرّعه على ما سبق فقال (فليصدق رائد أهله) يعنى أنّ المرسل من الحىّ لطلب الماء و الكلاير تادلهم المرعى ينبغى له أن يصدق أهله و لا يكذب لمن أرسله و يبشّر له بها، و أراد بذلك أنّ من يحضر الأئمه عليهم السّلام من الناس طلبا لاخبارهم و اقتباس أنوارهم و أخذ معالم الدّين عنهم فليصدق من يكل

إليه أمره أتنا أهل الحق و ينابيع العلم و الحكمه و الأدلاء (و ليحضر عقله) لاستماع كلامنا حتى يعرف صحه ما ادعينا قال تعالى:

«فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ».

روى فى الكافى عن على بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس بن عبد الرحمن قال: حدثنا حماد عن عبد الأعلى قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول العامه أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: من مات و ليس له إمام مات ميتة جاهليته، فقال عليه السلام: الحق و الله، قلت: فان إماما هلك و رجل بخراسان لا يعلم من وصيه لم يسعه ذلك، قال عليه السلام:

لا يسعه أن الامام إذا هلك وقعت حجه و وصيه على من هو معه فى البلد و حق النفر على من ليس بحضرته إذا بلغهم إن الله عز و جل يقول «فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ» قلت:

فنفروا فهلك بعضهم قبل أن يصل فيعلم قال: إن الله عز و جل يقول:

«وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ ثُمَّ يَدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ».

قلت: فبلغ البلد بعضهم فوجدك مغلقا عليك بابك و مرخى عليك سترك لا تدعوهم إلى نفسك و لا يكون من يدلهم عليك فيما يعرفون ذلك؟ قال: بكتاب الله المنزل، قلت: فيقول الله عز و جل كيف؟ قال: أراك قد تكلمت فى هذا قبل اليوم، قلت:

أجل، قال عليه السلام: فذكر ما أنزل الله فى على عليه السلام و ما قال له رسول الله صلى الله عليه و آله فى حسن و حسين عليهما السلام و ما خص الله به عليا عليه السلام و ما قال فيه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم من وصيته إليه و نصبه إياه و ما يصيبهم و إقرار الحسن و الحسين بذلك و وصيته إلى الحسن و تسليم الحسين له يقول الله:

«النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ».

قلت: فان الناس تكلموا في أبي جعفر عليه السلام و يقولون كيف تخطت من ولد أبيه من له مثل قرابته و من هو أسن منه و قصرت عمن هو أصغر منه؟ فقال عليه السلام: يعرف صاحب هذا الأمر بثلاث خصال لا تكون في غيره: هو أولى الناس بالذي قبله، و هو وصيته، و عنده سلاح رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و وصيته و ذلك عندى لا انازع فيه، قلت: إن ذلك مستور مخافه السلطان؟ قال: لا يكون في ستر إلا و له حجة ظاهره إن أبى استودعنى ما هناك فلما حضرته الوفاة قال: ادع لى شهودا فدعوت أربعة من قریش فيهم نافع مولى عبد الله بن عمر قال: اكتب: هذا ما أوصى به يعقوب بنى «يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا و أنتم مسلمون» و أوصى محمد بن على إلى جعفر بن محمد و أمره أن يكفنه فى برده الذى كان يصلى فيه الجمع، و أن يعممه بعمامته، و أن يربع قبره و يرفعه أربع أصابع ثم يخلى عنه، فقال عليه السلام اطووه ثم قال للشهود: انصرفوا رحمكم الله، فقلت بعد ما انصرفوا ما كان فى هذا يا ابيه أن تشهد عليه؟ فقال عليه السلام: إنى كرهت أن تغلب و أن يقال إنه لم يوص فأردت أن تكون لك حجة فهو الذى إذا قدم الرجل البلد قال إلى من وصى فلان، قيل: فلان، قلت: فان كان أشرك فى الوصية قال: تسألونه فأنه سيبين لكم.

و قد رويت هذه الرواية لاشتماله على فوايد عظيمه جمه، و ايضا حه كيفية تكليف من ينفر لطلب الامام و وظيفه الامام و ما يعرف به المحقق من المبطل، و أن اللازم على النافرين إنذار قومهم بعد تفقهم فى الدين و معرفتهم بالامام بالبينات التى هى من دلائل الامامه، فعلم بذلك أن التاخر لطلب الامام بمنزله الرائد السابق ذكره فى كلام أمير المؤمنين عليه السلام فافهم ذلك و تبصر

ثم أمر عليه السّلام الرّائد أمر إرشاد فقال (و ليكن من أبناء الآخرة) و رغبته إليها (فأنه منها قدم و إليها ينقلب) لأنّ الانسان مبدؤه الحضرة الالهية و هو سبحانه المبدأ و إليه المنتهى و هو غايه مراد المريدين و منتهى سير السائرين.

ثم أشار عليه السّلام إلى فضيله العلم فقال عليه السّلام (فالناظر بالقلب العامل بالبصر) أى ينبغي لصاحب العقل البصير فى عمله أن (يكون مبتدأ عمله أن يعلم أعمله عليه أم له) أى يعرف قبل أن يعمل أنّ عمله نافع له مقرب إلى الحضرة الربوبية أم مضرّ مبعّد له (فان كان له مضى فيه) و أتى به (و إن كان عليه وقف عنه) و تركه و إنما كان اللّازم على العاقل تحصيل العلم قبل العمل (فانّ العامل بغير علم كالسائر على غير طريق فلا يزيده بعده عن الطريق إلّا بعدا من حاجته) إذ كان بعده عن مطلوبه بقدر بعده عن طريق ذلك المطلوب.

قال طلحه بن زيد: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: العامل على غير بصيره كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعه السير إلّا بعدا، رواه فى الكافى.

و فيه عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر ممّا يصلح.

(و) هذا بخلاف العامل العالم فانّ (العامل بالعلم كالسائر على الطريق الواضح) فلا يزيده سرعه سيره إلّا نجاحا بحاجته (فلينظر ناظر) أى الناظر بالقلب المسبوق ذكره (أسائر هو أم راجع) أقول: و ما ذكرناه فى شرح هذه الفقرات أعنى قوله: فالناظر بالقلبا إلى قوله: أم راجع، إنّما هو مفاد ظاهر كلامه عليه السّلام، و الأشبه عندى أن تكون تلويحا و إشاره إلى وجوب اتباع الأئمة و الايتمام بهم، فأنه لمّا ذكر أوصاف الأئمة و نعتهم الكمالية، عقّب ذلك بما يلزم على الرائد الطالب للامام، ثم فرّع عليه قوله: فالناظر بالقلبا يعنى أنّ صاحب العقل و البصيره لا بدّ له قبل أن يشرع فى عمل أن يعلم أنّ عمله له أم عليه، و العلم موقوف على التّعلّم من الامام العالم و الاقتباس من نوره و الاهتداء به، إذ المتلقّى من غيره:

«كَسْرَابٍ بَقِيَعِهِ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا».

و يؤمى إلى ما ذكرناه تمثيل العامل العالم بالسائر على الطريق و تمثيل الجاهل بالسائر على غير طريق قال تعالى:

«قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي».

قال زيد بن علي: قال النبي صلى الله عليه و آله في هذه الآية: أنا و من اتبعني من أهل بيتي لا يزال الرجل بعد الرجل يدعو إلى ما أدعوا اليه، و قال تعالى أيضا:

«أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

قال البيضاوي و معنى مكبًا أنه يعثر كل ساعه و يختر على وجهه لو عوره طريقه و اختلاف أجزاءه، و لذلك قابله بقوله: أمَّن يمشى سويًا قائمًا سالما من العثار، على صراط مستقيم مستوى الأجزاء و الجبهه، و المراد تمثيل المشرك و الموحد بالسالكين و الدئيين بالمسلكين، و قيل: المراد بالمكب الأعمى فإنه يعتسف فيكب و بالسوي البصير، انتهى و أما تأويله فالمراد بالمكب أعداء آل محمّد صلى الله عليه و آله و سلم، و بمن يمشى سويًا أولياؤهم عليهم السلام كما ورد في تفسير أهل البيت ثم قال عليه السلام (و اعلم أنّ لكل ظاهر باطنًا على مثاله، فما طاب ظاهره طاب باطنه، و ما خبث ظاهره خبث باطنه) المراد بهما إمّا كلّ ما يصدق عليه أنه ظاهر و باطن فيشمل الأفعال الظاهره و الأقوال الصادرة عن الانسان خيرا أو شرا و الملكات و الأخلاق النفسانيه الباطنيه له حسنه أو قبيحه فالجود و الكرم و الانعام و الاحسان و نحوها ممّا هو حسن ظاهرا كاشف عن حسن الباطن أعنى ملكه السيئه و الجود، و القبض و الامسك و المنع و نحوها ممّا هو قبيح ظاهرا دالّ على قبح الباطن و خبثه أعنى ملكه البخل و هكذا، و كذلك في الأقوال ما هو الطيب ظاهرا كاشف عن طيب الباطن و ما هو الخبيث كاشف عن خبث الباطن

قال عليه السّلام فى الخطبه الشقشقيّه فى وصف حال الثانى: فصيرها فى حوزة خشاء يغلظ كلمها و يخشن مسّها، و قال تعالى:

«مَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَ فَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ» ... «وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ» و يشمل أيضا لمثل حسن الصّوره الموافق لحسن الباطن أعنى اعتدال المزاج، و قبحها الموافق لقبح الباطن أعنى عدم اعتداله أو الأعمّ من الاعتدال و عدم الاعتدال.

و يشهد بذلك ما رواه فى البحار من الأمالى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: عليكم بالوجه الملاح و الحدق السّود فإنّ الله يستحيى أن يعدّب الوجه المليح بالنّار و فيه من ثواب الأعمال عن موسى بن إبراهيم عن أبى الحسن الأوّل عليه السّلام قال: سمعته يقول: ما حسن الله خلق عبد و لا خلقه إلاّ استحيى أن يطعم لحمه يوم القيامة النّار و فيه من العيون عن الرضا عن آباءه عليهم السّلام عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال:

لا تجد فى أربعين أصلع رجل سوء و لا تجد فى أربعين كوسجا رجلا صالحا و أصلع سوء أحبّ إلىّ من كوسج صالح و من ذلك ما روى أنّ أبا محمّد الحسن بن علىّ عليهما السّلام دخل يوما على معاويه فسأله عليه السّلام تعنّتا و قال: قال الله تعالى:

«وَ لَا رَطْبٌ وَ لَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ».

فأين ذكر لحيّتك و لحيّتى من الكتاب؟ و كان أبو محمّد وفر المحاسن (1) و معاويه بخلافه فقرأ عليه السّلام:

ص: ٢٤٥

١- (١) أى كَثّ اللحيه، منه

«وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا».

و نحوه ما عن المناقب قال عمرو بن العاص للحسين عليه السّلام: ما بال لحاكم أوفر من لحانا؟ فقرأ عليه السّلام هذه الآية و من هذا الباب كلّ ما فى الكتاب العزيز من التّعبير عن الأئمة عليهم السّلام بأعزّ الأسماء و أحسن الأفعال و أفضل الخصال و التّعبير عن أعدائهم بأخبثها و أخسّها و أنزلها.

و يدلّ عليه ما فى الصّافى من الكافى عن الصادق عليه السّلام فى تفسير قوله تعالى:

«إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ».

قال عليه السّلام: إنّ القرآن له ظهر و بطن فجميع ما حرّم الله فى القرآن هو الظاهر و الباطن من ذلك أئمة الجور، و جميع ما أحلّ الله فى الكتاب هو الظاهر و الباطن من ذلك أئمة الحقّ.

و فى البحار من البصائر بسنده عن الهيثم التميمى قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام:

يا هيثم إنّ قوما آمنوا بالظاهر و كفروا بالباطن فلم ينفعهم شيء، و جاء قوم من بعدهم فآمنوا بالباطن و كفروا بالظاهر فلم ينفعهم ذلك شيئاً، و لا ايمان بظاهر إلاّ بباطن و لا بباطن إلاّ بظاهر.

و من كنز جامع الفوائد قال: روى الشيخ أبو جعفر الطوسى باسناده إلى الفضل ابن شاذان عن داود بن كثير قال: قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: أنتم الصّيّلاه فى كتاب الله عزّ و جلّ و أنتم الزّكاه و أنتم الحجّ، فقال: يا داود نحن الصّيّلاه فى كتاب الله عزّ و جلّ، و نحن الزّكاه، و نحن الصّيام، و نحن الحجّ، و نحن الشّهر الحرام، و نحن البلد الحرام، و نحن كعبه الله، و نحن قبله الله، و نحن وجه الله قال الله تعالى:

«فَأَيْنَمَا تُؤَلُّوا» - و جوهكم - «فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ».

و نحن الآيات و نحن البيّنات، و عدوّنا في كتاب الله عزّ و جلّ الفحشاء و المنكر و البغى و الخمر و الميسر و الأنصاب و الأزلام و الأصنام و الأوثان و الجبت و الطّاغوت و الميتة و الدّم و لحم الخنزير، يا داود إنّ الله خلقنا فأكرم خلقنا، و فضلنا و جعلنا امنائه و حفظته و خزّانه على ما في السّماوات و ما في الأرض، و جعل لنا أندادا أضدادا و أعداء فسّمانا في كتابه و كنى عن أسمائنا بأحسن الأسماء و أحبّها إليه، و سمّى أضدادنا و أعدائنا في كتابه و كنى عن أسمائهم، و ضرب لهم الأمثال في كتابه في أبغض الأسماء إليه و إلى عباده المتّقين هذا كلّه مبنّى على أن يراد بالظّاهر و الباطن المعنى الأعمّ، و يجوز أن يراد بهما الخصوص أعنى العلم المأخوذ من معدنه، فيكون قوله، فما طاب ظاهره طاب باطنه إشارة إلى العلوم الحقه المتلقاه من الأئمة عليهم السّلام الخارجة من مهبط الوحي و معدن الرّسالة، و قوله: و ما خبث ظاهره خبث باطنه، إشارة إلى العلوم الباطلة المأخوذة من أهل الضّلال عن طريق الرأى و القياس و الاستحسانات العقليّة الفاسده، و الوجه الأوّل أعنى إرادته العموم هو الأوفق بنفس الأمر، و الوجه الثّاني أنسب بالنّسبة إلى ما حقّقناه سابقا، فإنّه عليه السّلام حسبما ذكرنا لما أشار إلى أنّ السّالك لا بدّ أن يكون سلوكة على علم و بصيره حتّى لا يكون كالسّيّئر على غير الطّريق أردفه بهذه الجملة تنبيها على أنّ كلّ علم ليس ممّا ينتفع به في مقام السّلوكة بل خصوص العلم الموصل إلى الحقّ المتلقّى من أهل الحقّ أعنى أئمّه الدّين و هو الطّيب ظاهرا و باطنا، و أمّا غيره أعنى العلم المأخوذ من أهل الضّلال فهو جهل في صورته العلم لا يوجب إلّا بعدا من الحقّ خبيث ظاهره و باطنه و قد يفسّر به قوله تعالى:

«وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ يَأْذِنُ رَبُّهُ».

قال القمّي: إنّ مثل للأئمة يخرج علمهم باذن ربهم و لأعدائهم لا يخرج علمهم إلّا كدرا فاسدا.

(و قد قال الرسول الصادق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ وَيَغْضُ عَمَلَهُ وَ يُحِبُّ الْعَمَلَ وَيَغْضُ بَدَنَهُ) يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ بِمَا فِيهِ مِنْ وَصْفِ الْإِيمَانِ لَكِنَّهُ يَغْضُ عَمَلَهُ لِكُونِهِ سَيِّئًا وَ حَرَامًا، وَ يَغْضُ الْكَافِرَ بِمَا لَهُ مِنَ الْكُفْرِ لَكِنَّهُ يُحِبُّ عَمَلَهُ لِكُونِهِ حَسَنًا وَ صَالِحًا، وَ هَذَا لِأَنَّ غِبَارَ عَلَيْهِ وَ إِنَّمَا الْأَشْكَالُ فِي ارْتِبَاطِ هَذَا الْكَلَامِ لِسَابِقِهِ وَ فِي اسْتِشْهَادِ الْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهِ مَعَ أَنَّهُ لَا مَنَاسِبَةَ بَيْنَهُمَا ظَاهِرًا، وَ لَيْسَ لِلْإِسْتِشْهَادِ بِهِ وَجْهٌ ظَاهِرٌ، بَلْ مَنَافَاتُهُ لَمَّا مَرَّ أَظْهَرَ مِنَ الْمَنَاسِبَةِ كَمَا هُوَ غَيْرُ خَفِيِّ إِذْ لَا يَزِمُ مَحَبَّةَ اللَّهِ لِلْعَبْدِ كَوْنَ الْعَبْدِ طَيِّبًا، وَ لَا يَزِمُ بَغْضَهُ لِعَمَلِهِ كَوْنَ الْعَمَلِ خَبِيثًا فَلَمْ يَكُنِ الظَّاهِرُ مُوَافِقًا لِلْبَاطِنِ، فِينَا فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فَمَا خَبِثَ ظَاهِرُهُ خَبِثَ بَاطِنُهُ، وَ كَذَلِكَ مُقْتَضَى بَغْضِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِبَدَنِ الْكَافِرِ كَوْنَهُ خَبِيثًا، وَ حَبَّةَ لِعَمَلِهِ كَوْنَ عَمَلِهِ طَيِّبًا فِيهِ أَيْضًا مُخَالَفَةُ الظَّاهِرِ لِلْبَاطِنِ، فِينَا فِي قَوْلِهِ: فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ وَ الَّذِي سَنَحَ لِي فِي وَجْهِ الْإِرْتِبَاطِ وَ حَلِّ الْأَشْكَالِ بَعْدَ التَّرْوِي وَ صَرَفِ الْهَمَّةِ إِلَى حَلِّهَا أَيْمَا وَ الْإِسْتِمْدَادِ مِنْ جَدِّي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَلَامُ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هُوَ أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ مَا هُوَ طَيِّبُ الظَّاهِرِ طَيِّبُ الْبَاطِنِ وَ مَا هُوَ خَبِيثُ الظَّاهِرِ خَبِيثُ الْبَاطِنِ، عَقَّبَهُ بِهَذَا الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ تَنْبِيْهَا وَ إِيقَازًا لِلْسَّامِعِينَ أَنَّ الْعَبْدَ قَدْ يَكُونُ نَفْسُهُ مَحْبُوبًا وَ عَمَلُهُ مَبْغُوضًا، وَ قَدْ يَكُونُ بِالْعَكْسِ كَمَا أَفْصَحَ عَنْهُ الرَّسُولُ الصَّادِقُ الْمَصْدَقُ فَالْإِزْمُ لَهُ إِذَا كَانَ مَحْبُوبَ الْذَّاتِ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ وَ مَبْغُوضَ الْعَمَلِ أَنْ يَجِدَّ فِي تَحْيِيْبِ عَمَلِهِ إِلَيْهِ تَعَالَى حَتَّى يُوَافِقَ نَفْسَهُ عَمَلَهُ فِي الْمَحْبُوبِيَّةِ، وَ إِذَا كَانَ مَحْبُوبَ الْعَمَلِ وَ مَبْغُوضَ الْبَدَنِ أَيْ الْذَّاتِ أَنْ يَجِدَّ فِي تَحْيِيْبِ ذَاتِهِ إِلَيْهِ كَيْ يُوَافِقَ عَمَلَهُ نَفْسَهُ وَ الْغَرَضُ بِذَلِكَ الْحَثُّ عَلَى تَطْبِيقِ الظَّاهِرِ لِلْبَاطِنِ فِي الْأَوَّلِ وَ تَطْبِيقِ الْبَاطِنِ لِلظَّاهِرِ فِي الثَّانِي فِي الْمَحْبُوبِيَّةِ حَتَّى يَكُونَ طَيِّبِينَ، وَ يَفَازُ إِلَى التَّعِيمِ الدَّائِمِ وَ الْفُوزِ الْأَبَدِيِّ، وَ لَا يَعْكَسُ حَتَّى يَكُونَ خَبِيثِينَ مَبْغُوضِينَ لَهُ تَعَالَى فَيَقَعُ فِي الْعَذَابِ الْأَلِيمِ وَ الْخِزْيِ الْعَظِيمِ، وَ قَدْ زَلَّتْ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَقْدَامُ الشَّرَاحِ وَ الْمَحْشِينَ،

و كَلَّتْ فِيهِ أَفْهَامُهُمْ طَوِينَا عَنْ ذِكْرِ كَلَامِهِمْ، مِنْ أَرَادَ الْإِطْلَاعَ فَلْيَرِاجِعِ الشَّرُوحَ، وَاللَّهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ ثُمَّ حَثَّ عَلَى تَرْكِيهِ الْأَعْمَالِ وَ تَصْفِيَّتِهَا بِمِثْلِ ضَرْبِهِ بِقَوْلِهِ (وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ نَبَاتٍ) وَ فِي بَعْضِ النُّسخِ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتًا، قَالَ الشَّارِحُ الْبِحْرَانِيُّ: اسْتِعَارَ لَفْظَ النَّبَاتِ لِزِيَادَةِ الْأَعْمَالِ وَ نُمُوِّهَا وَ رَشْحِ الْاسْتِعَارَةِ بِذِكْرِ الْمَاءِ آهَ، وَ عَلَى مَا رَوِينَا فَهُوَ مِنَ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ أَعْنَى التَّشْبِيهِ الْمَحْذُوفِ الْأَدَاةِ أَيْ كُلِّ عَمَلٍ بِمَنْزِلَةِ نَبَاتٍ، وَ وَجْهُ الشَّبْهِ أَنَّ النَّبَاتَاتِ كَمَا أَنَّهَا مُخْتَلِفَةٌ مِنْ حَيْثُ طَيِّبِهَا وَ نَضَارَتِهَا وَ خَضْرَتِهَا وَ حَسْنِهَا وَ ثَبَاتِ أَصْلِهَا فِي الْأَرْضِ وَ رَسُوخِ عُرُوقِهَا وَ ارْتِفَاعِ فُرُوعِهَا وَ حَلَاوَةِ ثَمَرَاتِهَا وَ مِنْ حَيْثُ كَوْنِهَا عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، فَكَذَلِكَ الْأَعْمَالُ وَ إِلَى ذَلِكَ أَشَارَ بِقَوْلِهِ (وَ كُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ الْمَاءِ) وَ هُوَ مَادَّةُ حَيَاتِهِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ:

«وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ» وَ قَالَ «وَ أَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَبَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَ نَبَاتًا».

وَ كَذَلِكَ كُلُّ عَمَلٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ التِّيِّهِ وَ عَنِ تَوَجُّهِ الْقَلْبِ إِلَيْهِ وَ هُوَ مَادَّةُ حَصُولِهِ (وَ الْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ) هَذَا عَذْبُ فِرَاتٍ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَ هَذَا مِلْحٌ اجْجَاجٌ، وَ النَّبَاتُ أَيْضًا مُخْتَلِفٌ بَعْضُهَا صَادِرٌ عَنْ وَجْهِ الْخُلُوصِ وَ التَّقَرُّبِ إِلَى الْحَضْرَةِ الرَّبُّوبِيَّةِ، وَ بَعْضُهَا عَنْ وَجْهِ الشَّرْكَ وَ الرَّيَاءِ وَ السَّيِّمَةِ (فَمَا طَابَ سَقِيهِ) أَيْ نَصِيْبِهِ مِنَ الْمَاءِ لِكُونِهِ عَذْبًا صَافِيًا (طَابَ غَرَسُهُ) وَ ثَبَّتَ أَصْلَهُ وَ ارْتَفَعَ فِرْعُهُ وَ كَانَ لَهُ خَضْرُهُ وَ نَضْرُهُ (وَ حَلَّتْ ثَمَرَتُهُ) وَ كَذَلِكَ الْعَمَلُ الصَّادِرُ عَنْ وَجْهِ الْخُلُوصِ وَ التَّقَرُّبِ إِلَى الْحَقِّ يَعْلو وَ يَزْكُو وَ يَثْمُرُ ثَمَرَاتِ طَيِّبَةٍ وَ هِيَ ثَمَرَاتُ الْجَنَانِ أَكَلَهَا دَائِمٌ وَ ظَلَّهَا قَالَ تَعَالَى:

«فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا».

(و ما خبث سقيه) لكون مائه ملحا اجاجا أو كدرا فاسدا (خبث غرسه) لا يكون له رونق و بهاء و لا لأصله ثبات و لفرعه ارتفاع (و أمّرت ثمرته) و هكذا العمل المشوب بالشرك و الرّيا يشمر ثمرات خبيثه أعنى ثمرات الجحيم و هى الضّريع و الرّقوم قال تعالى:

«طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ لَأَكَلُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْنَ مِنْهَا الْبُطُونَ.»

و أقول: قد وقع مثل هذا التّشبيه الواقع فى كلام أمير المؤمنين أعنى تشبيه العمل بالنبات فى كلام الله ربّ العالمين قال سبحانه فى سورة إبراهيم:

«أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ.»

قال فى مجمع البيان «ألم تر» أى ألم تعلم يا محمّد «كيف ضرب الله مثلا» أى بين الله شبهها ثم فسّر ذلك المثل فقال «كلمه طيبه» و هى كلمه التّوحيد شهاده أن لا إله إلاّ الله عن ابن عباس، و قيل هى كلّ كلام أمر الله به من الطاعات عن أبى على قال: و إنّما سمّاها طيبه لأنّها زاكيه ناميه لصاحبها بالخيرات و البركات «كشجره طيبه أصلها ثابت و فرعها فى السّماء» أى شجره زاكيه ناميه راسخه اصولها فى الأرض عاليه أغصانها و ثمارها فى السّماء و أراد به المبالغه فى الرّفعه و الأصل سافل و الفرع عال إلاّ أنّه يتوصّل من الأصل إلى الفرع «تؤتى اكلها» أى تخرج هذه الشّجره ما يؤكل منها «كلّ حين» أى كلّ غدوه و عشيه «بإذن ربّها» و قيل:

إنّه سبحانه شبّه الايمان بالنّخله لثبات الايمان فى قلب المؤمن كثبات النّخله

فى منبتها، و شبّه ارتفاع عمله إلى السّماء بارتفاع فروع النّخلة، و شبّه ما يكسبه المؤمن من بركة الايمان و ثوابه فى كلّ وقت و حين بما ينال من ثمره النخلة فى أوقات السّنة كلها من الرّطب و التمر «و يضرب الله الأمثال للنّاس لعلّهم يتذكّرون» أى لكى يتدبّروا فيعرفوا الغرض بالمثل «و مثل كلمه خبيثه» و هى كلمه الكفر و الشّرك، عن ابن عبّاس و غيره، و قيل: هو كلّ كلام فى معصيه اللّهم عن أبى على «كشجره خبيثه» غير زاكيه و هى شجره الحنظل عن ابن عبّاس و أنس و مجاهد «اجتثت من فوق الأرض» أى اقتطعت و استوصلت و اقتلعت جثته من الأرض «ما لها من قرار» أى ما لتلك الشّجره من ثبات فإنّ الرّيح تنسفها و تذهب بها، فكما أنّ هذه الشّجره لا ثبات لها و لا بقاء و لا ينتفع بها أحد، فكذلك الكلمه الخبيثه لا ينتفع بها صاحبها و لا يثبت له منها نفع و لا ثواب.

تبصره

قال الشّارح المعتزلى عند شرح قوله عليه السّلام من هذه الخطبه: نحن الشّعار و الأصحاب و الخزنه و الأبواب:

و اعلم أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام لو فخر بنفسه و بالغ فى تعديد مناقبه و فضايله بفصاحته التى أتاه الله إيّاها و اختصّه بها و ساعده على ذلك فصحاء العرب كافّه لم يبلغوا إلى معشار ما نطق به الصّادق صلوات الله عليه و آله فى أمره، و لست أعنى بذلك أخبار العاّمه الشّايعه التى يحتجّ بها الاماميه على إمامته، كخبر الغدير، و المنزله، و قصّه برائه، و خبر المناجاه، و قصّه خبير، و خبر الدار بمكّه فى ابتداء الدّعوه و نحو ذلك، بل الأخبار الخاصّه التى رواها فيه أئمّه الحديث التى لم يحصل أقلّ القليل منها لغيره، و أنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً ممّا رواه علماء الحديث الذين لا يتّهمون فيه و جلّهم قائلون بتفضيل غيره عليه، فروايتهم فضائله توجب سكون النّفس ما لا يوجب روايه غيرهم ثمّ أورد أربعة و عشرين حديثاً نبويّاً فى فضائله، و الحديث الرّابع و العشرون

ص: ٢٥١

قوله: لَمَّا نَزَلَ إِذَا جَاءَ نَصْرَ اللَّهِ وَ الْفَتْحَ بَعْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ غَزَاهُ حَنِينٍ جَعَلَ يَكْثُرُ سُبْحَانَ اللَّهِ اسْتَغْفِرُ اللَّهُ ثُمَّ قَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ مَا وَعَدْتَهُ بِهِ جَاءَ الْفَتْحُ وَ دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا وَ لَيْسَ أَحَدٌ أَحَقَّ مِنْكَ بِمَقَامِي لِقَدَمِكَ فِي الْإِسْلَامِ وَ قَرِيبِكَ مِنِّي وَ صَهْرِكَ وَ عِنْدَكَ سَيِّدَةِ الْعَالَمِينَ، وَ قَبْلَ ذَلِكَ مَا كَانَ مِنْ بَلَاءِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدِي حِينَ نَزَلَ الْقُرْآنُ فَأَنَا حَرِيصٌ أَنْ أَرَاعِيَ ذَلِكَ لَوْلَدِهِ، رَوَاهُ أَبُو إِسْحَاقَ الثُّعَلْبِيُّ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ.

ثُمَّ قَالَ الشَّارِحُ: وَ اعْلَمْ أَنَّنَا إِتْمَأْنَا ذَكَرْنَا هَهُنَا هَذِهِ الْأَخْبَارَ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُنْحَرِفِينَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا مَرَّوْا عَلَيَّ كَلَامِهِ فِي نَهْجِ الْبَلَاغَةِ وَ غَيْرِهِ الْمَتَضَمِّنِ لِلتَّحَدُّثِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ اخْتِصَاصِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ تَمِيْزِهِ إِيَّاهُ عَنْ غَيْرِهِ يَنْسَبُونَهُ فِيهِ إِلَى النَّبِيِّ وَ الرَّهْوِ وَ الْفَخْرِ، وَ لَقَدْ سَبَقَهُمْ بِذَلِكَ قَوْمٌ مِنَ الصَّيْحَابَةِ قَيْلٌ لِعِمْرٍ وَ لِعَلِيٍّ أَمْرَ الْجَيْشِ وَ الْحَرْبِ فَقَالَ: هُوَ أَتَيْهِ مِنْ ذَلِكَ، وَ قَالَ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ: مَا رَأَيْنَا أَزْهَى مِنْ عَلِيٍّ وَ اسْمَاهُ فَارِدْنَا إِيْرَادَ هَذِهِ الْأَخْبَارِ أَنْ تَتَّبِعَهُ عَلِيٌّ عَظِيمَ مَنْزِلَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ أَنَّ مِنْ قَيْلٍ فِي حَقِّهِ مَا قَيْلَ لَوْ رَقِيَ إِلَى السَّمَاءِ وَ عَرَجَ فِي الْهَوَاءِ وَ فَخِرَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَ الْأَنْبِيَاءِ تَعْظُمًا وَ تَبْجِحًا لَمْ يَكُنْ مَلُومًا بَلْ كَانَ بِذَلِكَ جَدِيرًا فَكَيْفَ وَ هُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَسْلُكْ قَطُّ مَسْلَكَ التَّعْظُمِ وَ التَّكْبُرِ فِي شَيْءٍ مِنْ أَقْوَالِهِ وَ لَا مِنْ أَعْمَالِهِ، وَ كَانَ أَلْطَفَ الْبَشَرِ خَلْقًا، وَ أَكْرَمَهُمْ طَبْعًا، وَ أَشَدَّهُمْ تَوَاضَعًا، وَ أَكْثَرَهُمْ احْتِمَالًا، وَ أَحْسَنَهُمْ بَشْرًا، وَ أَطْلَقَهُمْ وَجْهًا حَتَّى نَسَبَهُ مِنْ نَسَبِهِ إِلَى الدَّعَابَةِ وَ الْمَزَاحِ وَ هُمَا خَلْقَانِ يَتَنَافِيَانِ التَّكْبُرَ وَ الْاسْتِطَالَهَ، وَ إِنَّمَا كَانَ يَذْكُرُ أَحْيَانًا مَا يَذْكُرُهُ نَفْثَةُ مَصْدُورٍ وَ شَكْوَى مَكْرُوبٍ وَ تَنْفَسَ مَهْمُومٍ وَ لَا يَقْصِدُ بِهِ إِذَا ذَكَرَهُ إِلَّا شُكْرَ النِّعْمَةِ وَ تَنْبِيهَ الْغَافِلِ عَلَى مَا خَصَّهُ اللَّهُ بِهِ مِنْ الْفَضِيلَةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ الْحُضْرِ عَلَى اعْتِقَادِ الْحَقِّ وَ الصَّوَابِ فِي أَمْرِهِ وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ الَّذِي هُوَ تَقْدِيمُ غَيْرِهِ عَلَيْهِ فِي الْفَضْلِ، فَقَدْ نَهَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: أَمْنَ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَتَّبِعَ أَمْنَ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ، انْتَهَى أَقْوَالُ: وَ لَقَدْ أَجَادَ الشَّارِحُ فِيْمَا أَفَادَ وَ لَا يَخْفَى مَا فِي كَلَامِهِ مِنْ وَجْهِ التَّعْرِيفِ

إلى عمر من حيث نسبه أمير المؤمنين عليه السلام تاره إلى التيه و التكبر، و اخرى إلى المزاح و الدّعايه، و قد تبّه الشّارح على أنّ هذه التّسبه افتراء منه عليه عليه السلام لأنّ التكبر و الدّعايه على طرفى الافراط و التفريط و هما مع تضادّهما و عدم امكان اجتماعهما فى محلّ واحد لا يجوز أن يوصف الامام عليه السلام الّذى هو على حدّ الاعتدال فى الأوصاف و الأخلاق بشىء منهما فضلا عن كليهما، و قد مرّ فساد نسبه الدّعايه إليه فى شرح الكلام الثالث و الثّمانين بما لا مزيد عليه.

ثمّ العجب من الشّارح أنّه مع نقله هذه الرّوايات كيف ضلّ عن الهدى و أعمى عن الحقّ و أنكر وجود النصّ على خلافه أمير المؤمنين عليه السلام مع ظهور دلالتها على خلافته لو لم تكن نصا فيها لا سيّما الرّوايه الأخيره أعنى الحديث الرّابع و العشرين.

و أعجب من ذلك أنّه قد صرّح هنا بأنّ تقديم غيره عليه عليه السلام من المنكر، و أنّ غرض أمير المؤمنين عليه السلام من تعديد مناقبه و فضائله كان التّنهى عن ذلك المنكر و ردع النّاس عن الاعتقاد الباطل إلى الحقّ و الصّواب و هو مناف لمذهبه الّذى اختاره و فاقا لأصحابه المعتزله من أنّ تقديم غيره عليه إنّما هو من فعل الله سبحانه و تعالى عمّا يقول الجاهلون الضّالّون علّوا كبيرا كما هو صريح كلامه فى خطبه الشّرح حيث قال هناك: و قدّم المفضول على الأفضل لمصلحه اقتضاها التّكليف، و إذا كان تقديم غيره عليه منكرا و قبيحا كيف نسبه إلى الله تعالى هنالك، و قد أجرى الله الحقّ على لسانه هنا حتّى صرّح بنفسه على فساد مذهبه، و الله الهادى إلى سواء السّبيل

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن بزرگوار و وصیّ محمّد مختار است در موعظه و نصیحت و ذکر فضایل أهل بیت عصمت و طهارت می فرماید:

آلت نظر عاقل که بوساطت آن می بیند غایت خود را و می شناسد پستی و بلندی خود را دعوت کننده ایست که دعوت نمود و رعایت کننده ایست که رعایت فرمود،

و مراد از دعوت کننده حضرت خاتم رسالت و از رعایت کننده جناب شاه ولایت علیهما السّلام است، پس استجابت نمائید دعوت کننده را، و متابعت کنید رعایت نماینده را، پس بتحقیق که غوطه ور شدند مخالفان آن داعی و راعی در دریای فتنها، و أخذ نمودند بدعتها نه سنتها را، و منقبض شدند مؤمنان، و ناطق شدند گمراهان و تکذیب کنندگان.

ما اهل بیت لباس مخصوص پیغمبر خدائیم و اصحاب پسندیده حضرت مصطفی و خزینه داران علم ربّ العزّه و درهای مدینه علم و حکمت، و داخل نمی توان شد بخانهها مگر از درهای آنها، پس هر که بیاید بخانهها از غیر درهای آن نامیده شود دزد و سارق.

بعض دیگر از این خطبه باز در فضایل آل رسول علیه و علیهم السّلام است می فرماید در حق ایشانست آیات کریمه قرآن، و ایشانست خزینهای رحمان، اگر گویا بشوند راست می گویند، و اگر ساکت شوند کسی نمی تواند سبقت نماید بر ایشان، پس باید راست بگویند طالب آب و گیاه باهل خود، و باید که حاضر سازد عقل خود را، و باید که بشود از ابنای آخرت، پس بدرستی که او از آخرت که عالم لاهوتست آمده بسوی عالم ناسوت، و بسوی آخرت برگشت او خواهد شد.

پس کسی که نظر کند بقلب خود و عمل کننده باشد به بصیرت خود میباشد ابتداء عمل او این که بداند آیا عمل او ضرر دارد بر او یا منفعت دارد مر او را، پس اگر نافع باشد او را اقدام می کند در او، و اگر مضر باشد خودداری می نماید از او پس بدرستی که عمل کننده بغیر علم مثل سیر کننده است بر غیر راه راست پس زیاده نمی کند دوری او از راه مگر دوری از مقصود او را، و عمل کننده بعلم مثل سیر کننده است بر راه روشن، پس باید که نظر کند نظر کننده آیا سیر کننده است او یا رجوع نماینده است و بدانکه بدرستی هر ظاهری را باطنی است بر طبق او پس آنچه که پاکیزه است ظاهر او پاکیزه است باطن او، و آنچه که خبیث است ظاهر او خبیث

است باطن او، و بتحقیق که فرموده است پیغمبر صادق القول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنَّهُ كَمَا بَدَرْتَنِي خَدَايَ تَعَالَى دُوسْت مِي دَارِد بِنْدَه رَا وَ دَشْمَن مِي دَارِد عَمَلِ اَوْ رَا، وَ دُوسْت مِي دَارِد عَمَلِ خُوبِ رَا وَ دَشْمَن مِي دَارِد بَدَنِ اَوْ رَا، وَ بَدَانِكِه بَدَرْتَنِي كِه هَر عَمَلِ بَمَنْزَلَهٗ گِیَاهِیْسْت، وَ هَر گِیَاهِ اسْتَغْنَا نِیْسْت اَوْ رَا اَزْ آبِ، وَ آبِهَا مَخْتَلَفَنْدِ پَسْ اَنْجِهْ كِه پَاكِيزَهْ بَاشْد سِیْرَابِیْ اَوْ پَاكِيزَهْ شُود كَاشْتَنِ اَوْ وَ شِیْرِنِ شُود مِیْوَهٗ اَوْ، وَ اَنْجِهْ كِه زَشْتِ بَاشْد آبِ خُورْدَنِ اَنْ زَشْتِ بَاشْد كَاشْتَنِ اَنْ وَ تَلَخِ وَ بَدْمَزَهْ بَاشْد مِیْوَهٗ اَنْ.

و من خطبه له عليه السلام يذكر فيها بدیع خلقه الخفاش و هی

اشاره

المأه و الرابع و الخمسون من المختار في باب الخطب

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي انْحَسَرَتِ الْاَوْصَافُ عَنْ كُنْهٍ مَعْرِفَتِهِ، وَ رَدَعَتْ عِظَمَتُهُ الْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغَا اِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ، وَ هُوَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ، وَ اَحَقُّ وَ اَبِينُ مِمَّا تَرَى الْعِیُونَ، لَمْ تَبْلُغْهُ الْعُقُولُ بِتَحْدِيدِ فِیْ كَوْنِ مَشَبِّهَاتِهَا، وَ لَمْ تَقْعِ عَلَيْهِ الْاَوْهَامُ بِتَقْدِيرِ فِیْ كَوْنِ مِمَثَلَاتِ خَلْقِ الْخَلْقِ عَلٰی غَيْرِ تَمَثِيلِ، وَ لَا- مَشُورَهٗ مَشِیْرٍ، وَ لَا- مَعُونَهٗ مَعِیْنٍ، فَتَمَّ خَلْقُهُ بِاَمْرِهِ، وَ اَذْعَنَ لَطَاعَتِهِ، فَاُجَابَ وَ لَمْ يَدَافِعْ، وَ انْقَادَ وَ لَمْ يَنْزَاعِ. وَ مِنْ لَطَايِفِ صَنْعَتِهِ وَ عَجَائِبِ خَلْقَتِهِ مَا اَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ الْحِكْمَةِ فِیْ هَذِهِ الْخَفَافِیْشِ الَّتِیْ یَقْبِضُهَا الضَّیَّاءُ الْبَاسِطُ لِكُلِّ شَیْءٍ، وَ یَبْسِطُهَا الظُّلَامُ الْقَابِضُ لِكُلِّ حَیٍّ، وَ كِیْفَ عَشِیْتُ اَعِیْنَهَا عَنْ اَنْ تَسْتَمِدَّ

ص: ۲۵۵

من الشمس المضيئه نورا تهتدى به فى مذهبها، و تتصل بعلاقيه برهان الشمس الى معارفها، و ردعها بتلاؤ ضيائها عن المضيى فى سبحات إشراقها، و أكنها فى مكانها عن الذهاب فى بلج ابتلاقها، فهى مسدله الجفون بالنهار على حداقها، و جاعله الليل سراجا تستدل به فى التماس أرزاقها، فلا يرد أبصارها إسداف ظلمته، و لا تمتنع من المضيى فيه لغسق دجته، فإذا ألقى الشمس قناعها، و بدت أوضاع نهارها، و دخل من إشراق نورها على الضباب فى وجارها، أطبقت الأجفان على ماقيها، و تبلغت بما اكتسبته من المعاش فى ظلم لياليها، فسبحان من جعل الليل لها نهارا و معاشا، و النهار سكونا و قرارا، و جعل لها أجنحه من لحمها تعرج بها عند الحاجه إلى الطيران كأنها شظايا الآذان، غير ذوات ريش و لا قصب إلا أنك ترى مواضع العروق بينه أعلاما، و لها جناحان لما يرقا فينشقا، و لم يغلظا فيثقلتا، تطير و ولدها لاصق بها، لاجىء إليها، يقع إذا وقعت، و يرتفع إذا ارتفعت، لا يفارقها حتى تشتد أركانها، و تحمله للنهوض جناحه، و يعرف مذهب عيشه، و مصالح نفسه، فسبحان البارى لكل شىء على غير مثال خلا من غيره.

(الخفّاش) و زان رَمَان طَير معروف جمعه خفافيش مأخوذ من الخفش و هو ضعف فى البصر خلقه أو لعله، و الرّجل أخفش و هو الذى يبصر بالليل لا بالنهار أو فى يوم غيم لا فى يوم صحو و (حسر) حسورا من باب قعد كلّ ل طول مدى و نحوه، و حسرته أنا يتعدّى و لا يتعدّى و (ساغ) الشّراب سوغا سهل مدخله و المساغ المسلك و (الحدّ) المنع و الحاجز بين الشّيئين و نهايه الشّيء و طرفه، و فى عرف المنطقيين التعريف بالذّاتى.

و (المشوره) مفعله من أشار إليه بكذا أى أمره به، و فى بعض النسخ بضمّ الشّين بمعنى الشورى و (المعونه) اسم من أعانه و عوّنه و (اللّطائف) جمع لطيفه و هى ما صغر و دقّ و (الغامض) خلاف الواضح و كلّ شىء خفى مأخذه و (العشا) بالفتح و القصر سوء البصر بالنهار أو بالليل و النّهار أو العمى و (الاتّصال) إلى الشىء الوصول إليه، و فى بعض النسخ متّصل بدل تتّصل و (السّبحات) بضمّتين جمع سبحه و هى النور و قيل: سبحات الوجه محاسنه لأنك إذا رأيت الوجه الحسن قلت: سبحان الله.

و (البلج) مصدر بلج كتب تعبا أى ظهر و وضح، و صبح أبلج بين البلج أى مشرق و مضىء، و قيل: البلج جمع بلجه بالضمّ و هى أوّل ضوء الصّبح و (الايلاق) اللّمعان يقال: اتلق و تألق إذا التمع و (سدل) الثوب أسد له أرخاه و أرسله و (الجفن) بالفتح غطاء العين من أعلاها و أسفلها، و الجمع جفان و جفون و أجفن و (الحدقه) محرّكه سواد العين و يجمع على حداق كما فى بعض النسخ و على أحداق كما فى البعض الآخر و (أسدف) اللّيل اسدافا أى أظلمت، و فى بعض النسخ أسداف بفتح الهمزه جمع سدف كأسباب و سبب و هو الظلمه و (الدّجنه) بضمّ الدال و تشديد النون و الدّجن و زان عتلّ الظلمه و (الضّباب) بالكسر جمع الضّب الدّابّه المعروفه و (و جارها) بالكسر جحرها الذى تأوى إليه.

و (ماقيها) بفتح الميم و سكون الهمزه و كسر القاف و سكون الياء كما فى أكثر النسخ لغه فى المؤق بضم الميم و سكون الهمزه أى طرف عينها ممّا يلى الأنف و هو مجرى الدمع من العين و قيل: مؤخرهما و عن الأزهري أجمع أهل اللغه على أنّ المؤق و الماق بالضمّ و الفتح طرف العين الذى يلى الأنف، و أنّ الذى يلى الصدغ يقال له: اللّحاظ و الماقى لغه فيه، و قال ابن القطاع ما فى العين فعلى و قد غلط فيه جماعه من العلماء فقالوا: هو مفعول و ليس كذلك بل الياء فى آخره للاحاق، و قال الجوهري و ليس هو مفعول لأنّ الميم أصليّه و إنّما زيدت فى آخره الياء للاحاق و لمّا كان فعلى بكسر اللام نادرا لا أخت لها الحق بمفعول، و لهذا جمع على ماقى على التوهّم و فى بعض النسخ ماقيها على صيغه الجمع.

و (المعاش) ما يعاش به و ما يعاش فيه و بمعنى العيش و هو الحياه، و فى بعض النسخ ليها بدل لياليها و (الشظايا) جمع الشظيه و هى القطعه من الشىء و (الأعلام) جمع علم بالتحريك و هو طراز الثوب و رسم الشىء.

الإعراب

أحقّ و أبين بالرفع بدلان من الحقّ المبين أو عطف بيان، و على الأوّل ففائدتهما التّقرير، و على الثّانى فالايضاح و قوله: و من لطايف صنعته تقديمه على المسند إليه أعنى قوله: ما أرانا، للتّشويق إلى ذكر المسند إليه و هو من فنون البلاغه كما فى قوله:

ثلاثه تشرق الدّنيا ببهجتها شمس الضّحى و أبو إسحاق و القمر

و تتّصل فى بعض النسخ بالنصب عطف على تستمدّ و فى بعضها بالرفع عطف على تهتدى، و فى بعضها و تصل بدله، و ردعها عطف على جمله أرانا، و من فى قوله من اشراق نورها زايدة فى الفاعل كما زيدت فى المفعول فى قوله: «ما جعلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ» و قوله: غير ذوات ريش، بالنّصب صفه لأجنحه، و قوله:

أعلاما بدل من بيّنه أو عطف بيان، و كلمه لها غير موجوده فى بعض النسخ فيكون

قوله: جناحان، خبر مبتدأ محذوف أى جناحاه جناحان، و لَمَّا فى قوله: لَمَّا يرقا بمعنى لم الجازمه.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفه يذكر فيها بديع خلقه الخفّاش، و الغرض منه التنبيه على عظمه قدره خالقها، و على كمال صنعته سبحانه فى إبداعها، و الدّلاله على عظيم برهانه فى ملكه و ملكوته و لَمَّا كان الغرض ذلك افتتح عليه السّلام كلامه بالحمد و الثناء عليه تعالى بجمله من صفات الكمال و نعوت الجلال و الجمال بمقتضى براعه الاستهلال فقال: (الحمد لله الذى انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته) أى عجز الواصفون عن صفته و أعيت الألسن عن وصفه بحقيقته، لأنّ ذاته سبحانه بريئه عن أنحاء التركيب، منزّه عن الأجزاء و النّهيات، فلا حدّ له و لا صورته تساويه، فلا يمكن للعقول الوصول إلى حقيقته معرفته، و لا للألسن الحكايه و البيان عن هويّته، و قد مرّ تحقيق ذلك فى شرح الفصل الثّانى من الخطبه الاولى و غيره أيضا غير مرّه (و ردعت) أى منعت (عظمته العقول فلم تجد مساعيا) و مسلكا (إلى بلوغ غايه ملكوته) أى منتهى عزّه و سلطانه (هو الله الملك الحقّ) الثّابت المتحقّق وجوده و إلهيّته أو الموجود حقيقه (المبين) أى الظّاهر السّين وجوده بل هو أظهر وجودا من كلّ شىء فان خفى مع ظهوره فلشده ظهوره، و ظهوره سبب بطونه و نوره هو حجاب نوره إذ كلّ ذرّه من ذرّات مبدعاته و مكوّناته فلها عدّه ألسنه تشهد بوجوده، و بالحاجه إلى تدبيره و قدرته كما مرّ تفصيلا و تحقيقا فى شرح الخطبه التاسعه و الأربعين.

(أحقّ و أبين) أى أثبت و أوضح (مَمّا ترى العيون) لأنّ العلم بوجوده تعالى عقليّ يقينيّ لا- يتطرّق إليه ما يتطرّق إلى المحسوسات من الغلط و الاشتباه إلا- ترى أنّ العين قد يرى الصّغير كبيرا كالعنبه فى الرّجاجة المملوّه ماء، و الكبير صغيرا كالبعيد، و الساكن متحرّكا كحرف الشّط إذا رآه راكب السّفينه متصاعدا

و المتحرّك ساكنا كالظلّ بخلاف المعقولات الصّرفه.

(لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبها) المراد بالتحديد إمّا إثبات الحدّ و النّهاية، أو التعريف بالذّاتى كما هو عرف المنطقيين، و ظاهر أنّ الله سبحانه منزّه عن الحدود و النّهايات التى هى من عوارض الأجسام و الجسمانيّات، مقدّس عن الأجزاء و التّركب مطلقا من الذّاتيات أو العرضيّات، فذاته سبحانه ليس له حدّ و تركيب حتّى يمكن للعقول البلوغ إليه بتحديد كما لسائر الأجسام (و لم تقع عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثلا) قال الشّارح البحرانى: إذ الوهم لا يدرك إلاّ المعانى الجزئيه المتعلّقه بالمحسوسات. و لا- بدّ له فى إدراك ذلك المدرك من بعث المتخيّله على تشبيهه بمثال من الصّور الجسمانيّه، فلو وقع عليه و هم لمثله فى صورته حسّيّه حتّى أنّ الوهم إنّما يدرك نفسه فى مثال من صورته و حجم و مقدر (خلق الخلق على غير تمثيل) الظاهر أنّ المراد بالتمثيل ايجاد الخلق على حدوما خلقه غيره، و لَمّا لم يكن البارى سبحانه مسبوقا بغيره فليس خلقه إلاّ- على وجه الابداع و الاختراع، أو أنّ المراد أنّه لم يجعل لخلقه مثلا قبل اليجاد كما يفعله البناء تصويرا لما يريد بنائه، و معلوم أنّ كيفيّة صنعه للعالم منزّه عن هذا الوجه أيضا كما سبق فى شرح الفصل السّابع من الخطبه الاولى (و لا مشوره مشير و لا معونه معين) لأنّ الحاجه إلى المشير و المعين من صفات النّاقص المحتاج و هو سبحانه الغنى المطلق فى ذاته و أفعاله فلا يحتاج فى ايجاده إلى مشوره و لا- إعانه (فتّم خلقه) أى بلغ كلّ مخلوق إلى مرتبه كماله و تمامه الّذى أرادّه الله سبحانه منه أو خرج جميع ما أرادّه من العدم إلى الوجود (بأمره) أى بمجرّد أمره التكويني و محض مشيئته التّامه النّافذه كما قال عزّ من قائل:

«إنّما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون» (و أذعن) أى خضع و أقرّ و أسرع و انقاد كلّ (لطاغته فأجاب و لم يدافع، و انقاد و لم ينازع) و هاتان الجملتان مفسّرتان للاذعان، و المراد دخول الخلق تحت القدره الالهيه و عدم الاستطاعه

للامتناع كما قال سبحانه «ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين» ولما فرغ من التّحميد و التّمجيد شرع فى المقصود فقال عليه السّلام (و من لطايف صنّعه و عجايب خلقته) أى من جملة صنّايعه الّتى هى الّطف و أدقّ و أحقّ أن يتعجّب منها (ما أرانا من غوامض الحكمة فى هذه الخفّافيش) حيث خالف بينها و بين جميع الحيوانات.

و أشار إلى جهة المخالفه بقوله(الّتى يقبضها الضياء الباسط لكلّ شىء، و يبسطها الظلام القابض لكلّ حى) لا يخفى ما فى هاتين القرينتين من بديع النظم و حسن التّطبيق، و التّقابل بين القبض و البسط فى القرينه الاولى و البسط و القبض فى الثّانيه ثمّ المقابله بين مجموع القرينتين بالاعتبار الّذى ذكرنا مضافا إلى تقابل الضياء للظلام، ثمّ ردّ العجز إلى الصّدر، فقد تضمّن هذه الجملة على و جازتها و جوها من محاسن البديع مع عظم خطر معناها.

و الضمير فيقبضها و يبسطها إمّا عايد إلى الخفّافيش بتقدير مضاف، أو على سبيل الاستخدام، و المراد انقباض أعينها فى الصّوء، و ذلك لا فراط التحلّل فى الرّوح النّورى لحرّ النّهار، ثمّ يستدرّك ذلك برد اللّيل فيعود الابصار، و قيل: الأظهر إنّه ليس لمجرّد الحرّ و إلّا لزم أن لا يعرضها الانقباض فى الشّتاء إلّا إذا ظهرت الحراره فى الهواء، و فى الصّيْف أيضا فى أوائل النّهار، بل ذلك لضعف فى قوتها الباصره و نوع من التّضاد و التّنافر بينها و بين النّور كالعجز العارض لسائر القوى المبصره عن النظر إلى جرم الشّمس، و أمّا أنّ عله التّنافر ما ذا ففيه خفاء و هو منشأ لتعجّب الّذى يشير إليه الكلام.

و إمّا عائد إليها نفسها فيكون المراد بانقباضها ما هو منشأ اختفائها نهارا و إن كان ذلك ناشيا من جهة الابصار.

(و كيف عشيت أعينها) أى عجزت و عميت (عن أن تستمدّ) و تستعين (من الشّمس المضيئه نورا تهتدى به فى مذاهبها) أى طرق معاشها و مسالكها فى سيرها و انتفاعها (و) عن أن تتّصل بعلايه برهان الشّمس) أى دليلها الواضح

(إلى معارفها) يعنى ما تعرفه من طرق انتفاعها و وجوه تصرفاتها (و ردعها) أى ردّها و منعها (بتلاءؤ ضيائها عن المضىّ فى سبحات إشراقها) أى جلاله و بهائه (و أكنّها) أى سترها و أخفاها (فى مكائنها) و محال خفائها عن الذّهاب (فى بلج اثلاقها) و وضوح لمعانها.

(فهى مسدله الجفون بالنّهار على حداقتها) لانقباضها و تأثر حاستها، و قال البحرانى: لأنّ تحلّل الرّوح الحامل للقوّه الباصره سبب للنّوم أيضا فيكون ذلك الاسدال ضربا من النّوم (و جاعله اللّيل سراجا تستدلّ به فى التماس أرزاقها) أى فى طلب الرزق لها، و اسناد الجاعله إليها من المجاز العقليّ (فلا يردّ ابصارها إسداف ظلمته) الاضافه للمبالغه و الضّمير عايد إلى اللّيل (و لا تمتنع من المضىّ) و الذّهاب (فيه لغسق دجنته) الاضافه فيه أيضا للمبالغه (فاذا ألقّت الشّمس قناعها) استعاره بالكنايه تشبيها للشّمس بالمرأه ذات القناع، و اثبات القناع تخييل و ذكر الالتقاء ترشيح، و المراد طلوع الشّمس و بروزها من حجاب الأرض و الآفاق (و بدت أوضاح نهارها) أى ظهر بياضه (و دخل من إشراق نورها على الضّباب فى و جارها) و إنّما خصّصها بالذّكر إذ من عادتها الخروج من و جارها عند طلوع الشّمس لمواجهه النّور على عكس الخفافيش (أطبقت الأجنان) جواب إذا (على ماقيها و تبلّغت) أى اكتفت و قنعت (بما اكتسبته من المعاش فى ظلم لياليها) فتعيش به و تقنع عليه (فسبحان من جعل اللّيل لها نهارا و معاشا) تعيش فيها (و النّهار سكنا و قرارا) لتسكن و تقرّ فيه ثمّ أشار عليه السّلام إلى جهه ثانيه لاختلافها لسائر الحيوانات بقوله (و جعل لها أجنحه من لحمها تعرج بها عند الحاجه إلى الطيران كأنّها شظايا الآذان) لا يخفى ما فى هذا التّشبيه من اللّطف و الغرابه (غير ذوات ريش و لا- قصب) كما لأجنحه سائر الطّيور (إلا أنّك ترى مواضع العروق بيّنه أعلاما) أى واضحه ظاهره مثل طراز الثّوب (و لها جناحان لّما يرقّا فينشقاّ و لم يغلظا فيثقلان) يعنى أنّ جناحيه لم يجعللا دقيقين بالغين فى الرّقه و لا غليظين بالغين فى الغلظ حذرا من الانشقاق

و الثقل المانع من الطيران.

ثم أشار عليه السلام إلى جهه ثالثه للاختلاف بقوله: (تطير و ولدها لاصق بها لا جىء إليها) أى لائذ و معتصم بها (يقع إذا وقعت و يرتفع إذا ارتفعت لا- يفارقها) فى حالتى الوقوع و الطيران (حتى تشتد أركانه) و جوانبه التى يستند إليها و يقوم بها (و يحمله للنهوض جناحه) و يمكنه الطيران و التصرف بنفسه (و يعرف مذاهب عيشه و مصالح نفسه) و لما افتتح كلامه بالتحميد ختمه بالتسبيح ليكمل حسن الافتتاح بحسن الاختتام و يتم براعه الفاتحه ببراعه الخاتمه فقال (فسبحان البارىء) الخالق (لكل شىء على غير مثال خلا) أى مضى و سبق (من غيره) يعنى أنه لم يخلق الأشياء على حدّ و خالق سبقه بل ابتدعها على وفق الحكمة و مقتضى المصلحه

ظريفه فى نوادر الخفّاش

قال تعالى: «وَ إِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي » قال فى التفسير: إنّه وضع من الطين كهئته الخفّاش و نفخ فيه فصار طائرا.

قال الشارح فى الأحاديث العاميه قيل للخفّاش: لما ذا الاجناح لك؟ قال:

لأنى تصوير مخلوق، قيل: فلما ذا لا تخرج نهارا؟ قال: حياء من الطيور، يعنون أنّ المسيح صوره.

و فى البحار فى تفسير قوله: «أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَانْفُخْ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ » قال: المشهور بين الخاصه و العامه من المفسرين أنّ الطير كان هو الخفّاش قال أبو الليث فى تفسيره: إنّ الناس سألوا عيسى عليه السلام على وجه التعنت فقالوا له: اخلق لنا خفّاشا و اجعل فيه روحا إن كنت من الصادقين، فأخذ طينا و جعل خفّاشا و نفخ فيه فاذا هو يطير بين السماء و الأرض، و كان تسويه الطين و النفخ من عيسى عليه السلام، و الخلق من الله تعالى و يقال: إنّما طلبوا منه خلق خفّاش لأنه

أعجب من سائر الخلق، و من عجائبه أنه دم و لحم، يطير بغير ريش، و يلد كما يلد الحيوان و لا يبيض كما يبيض سائر الطيور، و يكون له الضرع و يخرج اللبن، و لا يبصر فى ضوء النهار و لا فى ظلمه الليل، و انما يرى فى ساعتين بعد غروب الشمس ساعه و بعد طلوع الفجر ساعه قبل أن يسفر جدًا، و يضحك كما يضحك الانسان و تحيض كما تحيض المرأة، فلما رأوا ذلك منه ضحكوا و قالوا: هذا سحر مبين فذهبوا إلى جالينوس فأخبروه بذلك فقال: آمنوا به و قال الدميرى فى حيوه الحيوان: و الحق أنه صنفان و قال قوم: الخفّاش الصغير، و الوطواط الكبير، و هو لا يبصر فى ضوء القمر و لا فى ضوء النهار، و لما كان لا يبصر نهارا التمس الوقت الذى لا يكون فيه ظلمه و لا ضوء و هو قريب غروب الشمس لأنّه وقت هيجان البعوض، فإنّ البعوض، يخرج ذلك الوقت يطلب قوته و هو دماء الحيوان و الخفّاش يطلب الطعام فيقع طالب رزق على طالب رزق، و الخفّاش ليس هو من الطير فى شىء لأنّه ذو اذنين و أسنان و خصيتين، و يحيض، و يطهر، و يضحك كما يضحك الانسان، و يبول كما تبول ذوات الأربع، و يرضع ولده و لا ريش له.

قال بعض المفسيّرين: لما كان الخفّاش هو الذى خلقه عيسى بن مريم باذن الله كان مباينا لصنعه الله و لهذا جميع الطير تقهره و تبغضه فما كان منها يأكل اللحم أكله و ما لا يأكل اللحم قتله، فلذلك لا يطير إلا ليلا.

و قيل: لم يخلق عيسى غيره، لأنّه أكمل الطير خلقا و هو أبلغ فى القدره، لأنّ له ثديا و أسنانا و اذنا و قيل: إنّما طلبوا الخفّاش لأنّه من أعجب الطير، إذ هو لحم و دم، يطير بغير ريش، و هو شديد الطيران، سريع التقلّب، يقتات بالبعوض و الدّباب و بعض الفواكه، و هو مع ذلك موصوف بطول العمر فيقال: إنّّه أطول عمرا من النّسر و من حمار الوحش، و تلد اناثه ما بين ثلاثه أفراخ و سبعة، و كثيرا ما يفسد و هو طاير فى الهواء، و ليس فى الحيوان ما يحمل ولده غيره و القرد و الانسان، و يحمله

تحت جناحه، و ربّما قبض عليه بفيه و هو من حنوه و اشفاقه عليه، و ربّما أرضعت الاثني ولدها و هي طائره، و في طبعه أنّه متي أصابه ورق الدّلب حذر و لم يطر، و يوصف بالحمق، و من ذلك أنّه إذا قيل له: اطرق كرى، لصق بالأرض.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن امام مبین و ولیّ مؤمنین است که ذکر می فرماید در آن عجیب خلقت شب پره را.

حمد و ستایش معبود بحقیّی را سزااست که عجز بهم رساند و صفها از کنه معرفت او، و منع نمود عظمت او عقلها را، پس نیافتند گذرگاهی بسوی رسیدن بنهایت پادشاهی او، و اوست معبود بحق پادشاه مطلق که محقق است وجود او ظاهر است و آشکارا ثابت تر و آشکارتر است از آنچه که می بیند آن را چشمها نمی رسد بکنه ذات او عقلها تا باشد تشبیه کرده شده بمخلوقی از مخلوقات، و واقع نمی شود بر او و همها باندازه و تقدیری تا باشد تمثیل کرده شده بغير خود، خلق فرمود مخلوقات را بدون این که مثال آنها را از دیگری برداشته باشد و بدون مشورت مشیر و بی یاری معین، پس تمام شد مخلوق او بمجرد أمر و إرادة او، و گردن نهادند بطاعت او پس اجابت کردند، و مدافعه ننمودند و انقیاد کردند و منازعه ننمودند و از لطیفه های صنعت او و عجیبه های خلقت اوست آنچه نمود بما از پوشیدگی های حکمت خود در این شب پره ها که قبض میکند چشمهای آنها را روشنی که گستراننده هر چیز است، و بسط می کند چشمان ایشان را تاریکی که فراگیرنده هر زنده است، و چگونه ضعیف شد چشمهای آنها از آنکه مدد خواهند از آفتاب روشن نوری را که هدایت بیابد بسبب آن نور در مواضع رفتار خود، و برسد بواسطه دلیل آشکار آفتاب بسوی راههای معرفت خود، و منع فرمود حق سبحانه و تعالی آن خفّاشها را بسبب درخشیدن روشنائی خورشید تابان از رفتن ایشان در رونق روشنی آن، و پنهان نمود آنها را در مکانهای مخفی آنها از راه

پس آن شب پره ها فرو گذاشته شده پلکهای چشمهای ایشان در روز بر حدقههای ایشان، و گرداننده اند شب را چراغ که راه می جویند بآن در طلب کردن روزیهای خود، پس باز نمی دارد دیدههای ایشان را تاریکی ظلمت شب، و باز نمی ایستند از گذشتن در شب بجهت تاریکی ظلمت آن، پس زمانی که انداخت آفتاب عالمتاب نقاب خود را، و ظاهر شد روشناییهای روز آن و داخل شد تافتن نور آن بر سوسمارها در خانهای ایشان، برهم نهند خفاشها پلکهای چشم خود را بر گوشهای چشم خود، و اکتفا می نمایند به آن چیزی که کسب کرده اند آن را از معاش در ظلمتهای شبهای خودشان.

پس پاکا پروردگاری که گردانیده است شب را از برای ایشان روز و سبب معاش، و روز را بجهت ایشان هنگام آسایش و قرارگاه، و گردانیده است از برای ایشان بالها از گوشت آنها که عروج می کنند بآن بالها در وقت حاجت پیریدن گویا که آن بالها پارچه های گوشهای مردمانست، نه صاحب پرند و نه عروق لیکن تو می بینی جایهای رگهای ایشان را ظاهر و نمایان و خط خط، و مر ایشان راست دو بال که آن قدر رقیق و لطیف نیستند تا شکافته شود، و آن قدر غلیظ و کثیف نیستند تا سنگین باشد، طیران می کنند در حالتی که بچه ایشان چسبیده است بایشان پناه آورنده است بسوی ایشان، می افتد آن وقتی که مادرشان می افتد، و بلند می شود زمانی که مادرشان بلند می باشد، جدا نمی شود بچه ها از آنها تا آنکه اعضای آنها محکم شود، و تا آنکه بردارد آنها را بجهت برخواستن بال آنها، و تا بشناسند راههای معاش و زندگانی خود را.

پس منزّه است پروردگار آفریننده هر چیز بدون نمونه که گذشته باشد صدور آن از غیر او، از جهت این که اوست مخترع اشیا که ایجاد آن بر سیل ابداعست و اختراع.

و من كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصره على

اشاره

جهه اقتصاص الملاحم و هو المأه و الخامس

و الخمسون من المختار فى باب الخطب

و شرحها فى فصلين:

الفصل الأول منه

اشاره

فمن استطاع عند ذلك أن يعتقل نفسه على الله فليفعل، فإن أطعموني فأنتى حاملكم إنشاء الله على سبيل الجنه و إن كان ذا مشقه شديده، و مذاقه مريه، و أمأ فلانه فأدركها رأى النساء و ضغن غلا فى صدرها كمرجل القين، و لو دعيت لتنال من غيرى ما أتت إلتى لم تفعل و لها بعد حرمتها الاولى و الحساب على الله.

اللغه

(المرجل) وزان منبر القدر و (القين) الحداد.

الاعراب

على فى قوله: على الله، فى الموضوعين للاستعلاء المجازى و جمله لم تفعل جواب لو، و الباقى واضح.

ص: ٢٤٧

قال الشارح البحراني «قدّه» إنّ قوله عليه السّلام (فمن استطاع عند ذلك) يقتضى أنّه سبق منه عليه السّلام قبل هذا الفصل ذكر فتن و حروب يقع بين المسلمين وجب على من أدركها (أن يعتقل نفسه على الله) أى يجسها على طاعته من دون أن يخالطها و يدخل فيها (فليفعل) لوجوب طاعته سبحانه عقلا- و نقلا (فان أطمعوني فأنى حاملكم انشاء الله على سبيل الجته) و سبيلها هو الدّين القويم و الصراط المستقيم و إنّما شرط عليه السّلام حملهم عليها باطاعته إذ لا رأى لمن لا يطاع (و إن كان) هذه السبيل و سلوكها (ذا مشقه شديده و مذاقه مريه) لظهور أنّ النفوس مايله إلى اللّهو و الباطل، و المواظبه على الطّاعات و الوقوف عند المحرّمات أمر شاقّ شديد المشقه مرّ المذاق بعيد عن المساغ البته.

(و أمّا فلان) كنى بها عن عايشه و لعله من السّيد «ره» تقيّه كما كنى فى الخطبه الشّقشقيه عن أبى بكر بفلان (فأدركها رأى النّساء) أى ضعف الرّأى فانّ رأيهنّ إلى الأفنّ و عزمهنّ إلى الوهن، و قد تقدّم ما ما يدلّ على نقصان حظوظهنّ و عقولهنّ و ميراثهنّ و ساير خصالهنّ المذمومه فى الكلام التّاسع و السّبعين و شرحه (و ضغن) أى حقد (غلا فى صدرها كمرجل القين) أى كغليان قدر الحدّاد، و هو من تشبيه المعقول بالمحسوس، و وجه الشّبه الشّده و الدّوامو أسباب ضغنّها كثيره ستطّلع عليها بعيد ذلك.

(و لو دعيت لتنال غيرى ما أتت إلّى لم تفعل) قال الشّارح المعتزلى: يقول لو أنّ عمر وليّ الخلافه بعد قتل عثمان على الوجه المذى قتل عليه و الوجه المذى أنا وليّ الخلافه عليه و نسب عمر إلى أنّه كان يؤثر قتله أو يحرض عليه، و دعيت إلى أن تخرج عليه فى عصابه من المسلمين إلى بعض بلاد الاسلام تثير فتنه و تنقض البيعه لم تفعل، و هذا حقّ لأنّها لم تكن تجد على عمر ما تجده على علّى عليه السّلام و لا الحال الحال، انتهى.

و محصّله أنّه عليه السّلام أراد بقوله من غيرى عمر قال العلّامه المجلسى:

و الأظهر الأعم، أى لو كان عمر أو أحد من أضرايه ولّى الخلافه بعد قتل عثمان و دعيت إلى أن تخرج إليه لم تفعل (و لها بعد حرمتها الأولى) أى كونها من امهات المؤمنين(و الحساب على الله)هذا من باب الاحتراس الذى تقدّم فى ديباجه الشرح أنه من جملة المحسّنات البديعيّه، فانه عليه السّلام لما أثبت لها حرمتها الاولى عقبه بذلك لئلا يتوهّم منه أنها محترمه فى الدنيا و العقبى، و نبه به على أن حرمتها ملحوظه فى الدنيا فقط لرعايه احترام الرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و أمّا فى الأخرى فجزاء ضغنها و خروجها عن طاعه الامام المفترض الطّاعه و إثارتها الفتنة المؤدّيه إلى إراقه دماء المسلمين على الله سبحانه إذ من يعمل مثقال ذرّه خيرا يره و من يعمل مثقال ذرّه شرا يره و قد قال تعالى: «يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا»

تذييل فى ذكر عايشه و ذكر أسباب ضغنها

أورد الشّارح المعتزلى فى شرح هذا الكلام له عليه السّلام فصلا طويلا كم فيه من التصريح و التعريض و التلويح إلى مثالب عايشه و مطاعنها و إن لم يرفع الشّارح يده مع ذلك كلّ عن ذيل الاعتساف و التّعصب أحببت ايراد ذلك الكلام على طوله لأنّه من لسان أبنائها أحلى و نعقبه إنشاء الله بما عندنا من القول الفصل الذى ليس هو بالهزل، و من الحقّ الذى هو أحقّ أن يتبع، فأقول:

قال الشارح: كانت عايشه فقيّهه راويه للشّعر ذات حظّ من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و كانت لها عليه جرأه و إدلال لم يزل ينمى و يستسرى حتّى كان منها فى أمره فى قصّه ماريه ما كانت من الحديث الذى أسره إلى الرّوجه الأخرى و أدّى إلى تظاهرها عليه و أنزل فيهما قرآن يتلى فى المحاريب يتضمّن وعيدا غليظا عقيب تصريح بوقوع الذّنوب و صغو القلب و أعقبتها تلك الجرأه و ذلك الانبساط أن حدث منها فى أيام الخلافه العلويّه ما حدث، و لقد عفى الله تعالى عنها و هى من أهل الجنّه عندنا بسابق الوعد و ما صحّ من أمر التّوبه إلى أن قال:

فأمرًا قوله عليه السّلام: أدركها رأى النّساء، أى ضعف آرائهنّ وقد جاء فى الخبر لا يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأه، و جاء أنّهنّ قليلات عقل و دين، أو قال ضعيفات و لذلك جعل شهاده المرأتين بشهاده الرّجل الواحد، و المرأه فى أصل الخلقه سريعه الانخداع سريعه الغضب سيئه الظنّ فاسده التّدبير، و الشجاعه فيهنّ مفقوده أو قليله و كذلك الشّعاء.

قال الشّارح: و أمّا الضغن فاعلم أنّ هذا الكلام يحتاج إلى شرح، و قد كنت قرأته على الشّيخ أبى يعقوب يوسف بن إسماعيل اللّمعاني (ره) أزيام اشتغالى عليه بعلم الكلام، و سألته عمّا عنده فأجابني بجواب طويل أنا أذكر محصوله بعضه بلفظه و بعضه بلفظى فقد شدّ عنى الآن لفظه كلّه بعينه قال: أوّل بداء الضغن كان بينها و بين فاطمه عليها السلام، و ذلك لأنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله تزوّجها عقيب موت خديجه فأقامها مقامها، و فاطمه عليها السلام هى ابنه خديجه، و من المعلوم أنّ ابنه الرّجل إذا ماتت أمّها و تزوّج أبوها أخرى كان بين الابنه و بين المرأه كدروشنان، و هذا لا بدّ منه لأنّ الرّوجه تنفس عليها ميل الأب، و البنّت تكره ميل أبيها إلى امرأه غريبه كالضّره لامّها، بل هى ضرّه على الحقيقه و إن كانت الامّ ميتة و لأنّنا لو قدرنا الامّ حيّه لكانت العداوه مضطرمه متسرّعه فاذا كانت قد ماتت ورثتها بنتها تلك العداوه.

ثمّ اتّفق أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم مال إليها و أحبّها فازداد ما عند فاطمه بحسب زياده ميله، و أكرم رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فاطمه إكراما عظيما أكثر ممّا كان النّاس يظنّونه و أكثر من إكرام الرّجال لبناهم حتّى خرج بها عن حدّ حبّ الآباء للأولاد فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم بمحضر الخاصّ و العامّ مرارا لا مرّه واحده، و فى مقامات مختلفه لا فى مقام واحد: إنّها سيّده نساء العالمين، و إنّها عديله مريم بنت عمران، و إنّها إذا مرّت فى الموقف نادى مناد من جهه العرش يا أهل الموقف غضّوا أبصاركم لتعبير فاطمه بنت محمّد صلّى الله عليه و آله، و هذا من الأحاديث الصحيحه و ليس من الأخبار المستضعفه و أنّ انكاحه عليا إيّاها ما كان إلّا بعد أن أنكحه الله إيّاها فى السّماء بشهاده الملائكه

و كم قال لا مره: يؤذيني ما يؤذيها و يغضبني ما يغضبها، و إنها بضعه يرييني ما رابها.

فكان هذا و أمثاله يوجب زياده الضغن عند الزوجه حسب زياده هذا التعظيم و التبجيل، و النفوس البشريه تغيظ على ما هو دون هذا فكيف هذا؟! ثم حصل عند بعلها عليهما السلام ما هو حاصل عندها أعنى عليا عليه السلام، فان النساء كثيرا ما يحصلن الأحقاد في قلوب الرجال لا سيما و هنّ محدّثات الليل كما قيل في المثل، و كانت تكثر الشكوى من عايشه و يغشيها نساء المدينه و جيران بيتها فينقلن إليها كلمات عن عايشه ثم يذهبن إلى بيت عايشه فينقلن إليها كلمات عن فاطمه، و كما كانت فاطمه تشكو إلى بعلها كانت عايشه تشكو إلى أبيها لعلها أنّ بعلها لا يشكيها على ابنته فحصل في نفس أبي بكر من ذلك أثر ما.

ثمّ تزايد تقرّظ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لعلّي و تقريبه و اختصاصه، فأحدث ذلك حسدا له و غيظه في نفس أبي بكر عنه و هو أبوها و في نفس طلحه و هو ابن عمّها و هي تجلس إليهما و تسمع كلامهما و هما يجلسان إليها و يحادثانها فأعدى إليها منهما كما أعدى إليهما منها.

قال: و لست ابرىء عليا من مثل ذلك، فانه كان ينفس على أبي بكر سكون النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم إليه و ثنائه عليه، و يحبّ أن ينفرد هو بهذه المزايا و الخصائص دونه و دون الناس أجمعين، و من انحرف عن إنسان انحرف عن أهله و أولاده فتأكّدت البغضه بين هذين الفريقين.

ثمّ كان من أمر القذف ما كان و لم يكن علىّ عليه السلام من القاذفين و لكنه كان من المشيرين على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بطلاقها تنزيها لعرضه عن أقوال الشناه و المنافقين قال له لما استشاره: إن هي إلاّ شمع نعلك و قال له: سل الخادم و خوّفها و إن أقامت على الجحود فاضربها و بلغ عايشه هذا الكلام كلّه و سمعت أضعافه ممّا جرت عادة الناس أن يتداولوه في مثل هذه الوقعه، و نقل النساء إليها كلاما كثيرا عن عليّ و فاطمه فاشتدّت

و غلظت و طوى كَلَّ من الفريقين قلبه على الشنآن لصاحبه ثم كان بينها و بين عليّ عليه السّلام فى حياه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أحوال و أقوال كلّها تقتضى تهيج ما فى النفوس، نحو قولها له و قد استداناه رسول الله فجاء حتى قعد بينه و بينها و هما متلاصقان: أما وجدت مقعدا لكذا - لا تكنى عنه - إلا فخذى، و نحو ما روى أنه صلّى الله عليه و آله و سلّم سايره يوما و أطال مناجاته فجاءت و هى سايره خلفهما حتى دخلت بينهما و قالت: فيم أنتما فقد أطلتما، فيقال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم غضب ذلك اليوم و ما روى فى حديث الجفنه من الثريد التى أمرت الخادم فوفقت لها فاكفأتها و نحوها ممّا يكون بين الأهل و بين المرأه و أحمااتها.

ثم اتفق أنّ فاطمه ولدت أولادا كثيرا بنين و بنات و لم تلد هى ولدا، و أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كان يقيم بنى فاطمه مقام بنيه و يسمّى الواحد منهما و يقول: دعوا لى ابنى، و لا تزموا على ابنى، و ما فعل ابنى، فما ظنكك بالزوجه إذا حرمت الولد من البعل ثم رأت البعل يتبى بنى ابنته من غيرها و يحنو عليهم حنو الولد المشفق هل تكون محبه لأولئك البنين و لا مهم و لأبيهم أم مبغضه؟! و هل تودّ دوام ذلك و استمراره أم زواله و انقضائه؟! ثم اتفق أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم سدّ باب أبيها إلى المسجد و فتح باب صهره ثم بعث أباه ببراءه إلى مكّه ثم عزله عنها بصهره، فقدح ذلك أيضا فى نفسها.

و ولد لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إبراهيم من ماريه فأظهر عليّ عليه السّلام بذلك سرورا كثيرا و كان يتعصب لماريه و يقوم بأمرها عند رسول الله ميلا على غيرها، و جرت لماريه نكبه مناسبه لنكبه عايشه فبرّها عليّ عليه السّلام منه و كشف بطلانها و كشفه الله تعالى على يده و كان ذلك كشافا محسّا بالبصر لا يتهيأ للمناقين أن يقولوا فيه ما قالوا فى القرآن المنزل ببراءه عايشه، و كلّ ذلك مما كان يوعر صدر عايشه عليه و يؤكّد ما فى نفسها منه.

ثم مات إبراهيم فأبطنت شماته و إن أظهرت كأبه، و وجم عليّ عليه السّلام من ذلك و كذلك فاطمه و كانا يؤثران و يريدان أن تتميّز ماريه عليها بالولد فلم يقدر لهما و لا لماريه ذلك.

و بقيت الأمور على ما هي عليه و فى النفوس ما فيها، حتّى مرض رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم المرض الذى توفّى فيه، فكانت فاطمه و عليّ يريدان أن يمرّضاه فى بيتهما و كذلك كانت أزواجه فما إلى بيت عايشه بمقتضى المحبّه القلبيه التى كانت لها دون نساءه، و كره أن يزاحم فاطمه و بعلاها فى بيتهما فلا يكون عنده من الانبساط بوجودهما ما يكون إذا خلا بنفسه فى بيت من يميل إليه بطبعه و علم أنّ المريض يحتاج إلى فضل مداراه و نوم و يقظه و انكشاف و خروج حدث فكانت نفسه إلى بيته أسكن منها إلى بيت صهره و بنته فأنّه إذا تصوّر حياتهما منه استحيى هو أيضا منهما و كلّ أحد يحبّ أن يخلو بنفسه و يحتشم الصّهر و بنت و لم يكن له صلّى الله عليه و آله و سلّم إلى غيرها من الزوجات مثل ذلك الميل إليها فتمرّض فى بيتهما فغبطت على ذلك، و لم يمرض رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم منذ قدم المدينة مثل ذلك المرض و إنّما كان مرضه الشقيقه يوما أو بعض يوم ثمّ تبرء فتناول هذا المرض.

و كان عليّ عليه السّلام لا يشكّ أنّ الأمر له و أنّه لا ينازعه فيه أحد من الناس و لهذا قال له عمّه و قد مات رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: امدد يدك أبايعك، فيقول الناس عمّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم بايع ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فلا يختلف عليك اثنان، قال: يا عمّ و هل يطمع فيها طامع غيرى؟ قال: ستعلم، قال: فأنّى لا أحبّ هذا الأمر من وراء رتاج و أحبّ أن اصهر «اصحر» به فسكت عنه.

فلما ثقل رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى مرضه أنفذ جيش اسامه و جعل فيه أبا بكر و غيره من أعلام المهاجرين و الأنصار، فكان عليّ عليه السّلام حينئذ بوصوله إلى الأمر إن حدث برسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أو ثق، و تغلب على ظنّه أنّ المدينة لو مات رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكلّيه، فأخذه صفوا عفوا، و يتمّ له البيعه فلا يتهيأ فسخها لو رام ضدّ منازعه عليها.

فكان من عود أبي بكر من جيش اسامه بارسالها إليه و إعلامه بأن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم يموت ما كان، و من حديث الصّلاه ما عرفت، فنسب عليّ عليه السّلام عايشه إلى أنّها أمرت بلالا مولى أبيها أن يأمره فليصلّ بالنّاس، لأنّ رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم كما روى قال:

ليصلّ بهم أحدهم و لم يعين و كانت صلاه الصّبح.

فخرج رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم و هو فى آخر رمق يتهدى بين عليّ عليه السّلام و الفضل ابن العباس حتّى قام فى المحراب كما ورد فى الخبر، ثمّ دخل فمات ارتفاع الصّحى فجعل يوم صلاته حجّه فى صرف الأمر إليه، و قال: أيكم أطيب نفسا أن يتقدّم قدمين قدّمهما رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم فى الصّلاه و لم يحملوا خروج رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم إلى الصلاه لصرفه عنها بل لمحافظة عليّ الصلاه مهما أمكن.

فبوع على هذه النّكته الّتي اتّهمها عليّ عليه السّلام أنّها ابتدأت منها و كان عليّ عليه السّلام يذكر هذا لأصحابه فى خلواته كثيرا و يقول: إنّهُ صَلَّى الله عليه و آله و سلم لم يقل إنكّن لصويحبات يوسف إلّا- إنكارا لهذه الحال و غضبا منها لأنّها و حفصه تبادرتا إلى تعيين أبيهما و أنّه استدركها بخروجه و صرفه عن المحراب فلم يجد ذلك و لا أثر مع قوّه الدّاعى الّذى يدعو الى أبى بكر و يمهد له قاعده الأمر و تقرّر حاله فى نفوس النّاس و من اتّبعه على ذلك من أعيان المهاجرين و الأنصار و لما ساعد على ذلك من الحظ الفلكى الأمر السّمائى الّذى جمع عليه القلوب و الأهواء فكانت هذه الحال عند عليّ عليه السّلام أعظم من كلّ عظيم و هى الطّامة الكبرى و المصيبة العظمى و لم ينسبها إلّا إلى عايشه وحدها، و لا علّق الأمر الواقع إلّا بها، فدعا عليها فى خلواته و بين خواصّه و تظلم إلى الله منها، و جرى له فى تخلفه عن البيعه ما هو مشهور حتّى بايع.

و كان تبلغه و فاطمه عنها كلّ ما يكرهانه منذ مات رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم إلى أن توفّيت فاطمه عليها السلام و هما صابران على مضمض و رمض، و استظهرت بولايه أبيها و استطالت و عظم شأنها و انخذل عليّ عليه السّلام و فاطمه و قهرا، و أخذت فدك و خرجت فاطمه تجادل فى ذلك مرارا فلم تظفر بشىء.

و فى كل ذلك تبليغها النساء الداخلات و الخارجات عن عايشه كل كلام يسوؤها و يبلغن عايشه عنها و عن بعلها مثل ذلك، إلا أنه شتان ما بين الحالين و بعد ما بين الفريقين، هذه غالبه و هذه مغلوبه، هذه أمره و هذه مأموره و ظهر التشفى و الشّماته و لا شىء أعظم مراره و مشقّه من شماته العدو.

قال الشارح: فقلت له: أفتقول أنت إن عايشه عيّنت أباها للصّلاه و رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لم يعيّنه؟ فقال: أما أنا فلا- أقول ذلك، و لكن علينا عليه السّلام كان يقوله، و تكليفى غير تكليفه كان حاضرا و لم أكن حاضرا، فأنا محجوج بالأخبار التى أتصلت بى و هى تتضمّن تعيين النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم لأبى بكر فى الصلاه و هو محجوج بما كان قد علمه أو يغلب على ظنّه من الحال التى كان حضرها.

قال: ثم ماتت فاطمه عليها السلام فجاء نساء رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كلهنّ إلى بنى هاشم فى العزاء إلا عايشه، فانها لم تأت أظهرت مرضا، و نقل إلى علىّ عليه السّلام عنها كلام يدلّ على السرور.

ثم بايع علىّ عليه السّلام أباها فسرت بذلك و أظهرت من الاستبشار بتمام البيعه و استقرار الخلافه و بطلان منازعه الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثرُوا.

و استمرت الامور على هذه مدّه خلافه أبيها و خلافه عمر و عثمان، و القلوب تغلى و الأحقاد تذيب الحجاره، و كلما طال الزّمان على علىّ عليه السّلام تضاعفت همومه و غمومه، و باح بما فى نفسه إلى أن قتل عثمان و قد كانت عايشه أشدّ الناس عليه تأليا و تحريضا، فقالت: أبعده الله لما سمعت قتله و أملت أن يكون الخلافه فى طلحه فيعود الأمر تيميه كما كانت أولا، فعدل الناس عنه إلى علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، فلما سمعت ذلك صرخت و عثماناه قتل عثمان مظلوما و ثارما فى الأنفس حتى تولد من ذلك يوم الجمل و ما بعده.

قال الشّارح: هذه خلاصه كلام الشيخ أبى يعقوب و لم يكن يتشيع، و كان شديدا فى الاعتزال إلا أنّه كان فى التفضيل بغداديا.

ثم قال الشارح فى شرح قوله عليه السّلام و الحساب على الله:

فان قلت: هذا الكلام يدل على توقفه في أمرها و أنتم تقولون إنها من أهل الجنه فكيف تجمعون بين مذاهبيكم و هذا الكلام؟ قلت: يجوز أن يكون عليه السلام قال هذا الكلام قبل أن يتواتر الخبر عنده بتوبتها فان أصحابنا يقولون: إنها تابت بعد قتل أمير المؤمنين عليه السلام و ندمت و قالت: لوددت أن لى من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عشره بنين كلهم ماتوا و لم يكن يوم الجمل، و أنها كانت بعد قتله تنى عليه و تنشر مناقبه.

مع أنهم رووا أيضا أنها عقيب الجمل كانت تبكى حتى تبل خمارها، و أنها استغفرت الله و ندمت و لكن لم تبلغ أمير المؤمنين عليه السلام حديث توبتها عقيب الجمل بلاغا يقطع العذر و يثبت الحجّه و الذى شاع عنها من أمر الندم و التوبه شياعا مستفيضا إنما كان بعد قتله عليه السلام إلى أن ماتت و هى على ذلك، و التائب مغفور له و يجب قبول التوبه عندنا فى العدل و قد أكد وقوع التوبه منها ما روى فى الأخبار المشهوره أنها زوجه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى الآخره كما كانت زوجته فى الدنيا، و مثل هذا الخبر إذا شاع أوجب علينا أن نتكلف إثبات توبتها لو لم ينقل فكيف و الثقل لها يكاد أن يبلغ حدّ التواتر، انتهى كلام الشارح المعتزلى.

و ينبغى لنا أن نعقبه بما عندنا فى هذا المقام فأقول و بالله التكلان:

اماما اشار اليه الشارح من أنه كان من عايشه فى أمره صلى الله عليه و آله و سلم فى قصه ماريه ما كان من الحديث الذى أسره إلى الزوجه الاخرى و أدى إلى تظاهرها عليه و أنزل فيهما قرآن يتلى فى المحاريب آه فشرحه ما ذكره المفسرون من العامه و الخاصه فى تفسير قوله تعالى: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» قال فى الكشاف: روى أنه عليه الصلاه و السلام خلا بماريه فى يوم عايشه و علمت بذلك حفصه فقال لها: اكنمى على و قد حرمت ماريه على نفسى و ابشرك أن أبا بكر و عمر يملكان بعدى أمر امتى فأخبرت به و كانتا متصادقتين، و فى التفسير الكبير فى تفسير قوله تعالى: «وَ إِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا تَبَأَتْ بِهِ وَ أظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ»

«فَلَمَّا تَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأُكَ هَذَا قَالَ تَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ» قال الفخر الرازي يعنى ما أسرّ إلى حفصه من تحريم الجارية على نفسه و استكتمها ذلك، وقيل: لما رأى النّبى الغيره فى وجه حفصه أراد أن يرضاها فأسرّ إليها بشيئين: تحريم الأمه على نفسه، و البشاره بأنّ الخلافه بعده فى أبى بكر و أبيها عمر، قاله ابن عباس و قوله: فلما نبأت به أى أخبرت به عايشه و أظهره الله عليه اطلع نيّبه على قول حفصه لعائشه فأخبر النّبى حفصه عند ذلك ببعض ما قالت و هو قوله تعالى: عَرَفَ بَعْضُهُ حَفْصَةَ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ لَمْ يَخْبِرْهَا أَنَّكَ أَخْبَرْتَ عَائِشَةَ عَلَى وَجْهِ التَّكْرِيمِ وَ الْإِغْضَاءِ، وَ الَّذِى أَعْرَضَ عَنْهُ ذَكَرَ خِلافَهُ أَبِى بَكْرٍ وَ عَمْرٍ وَ قَالَ الْقَتْمِيّ: سَبَبُ نَزُولِهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ كَانَ فِي بَعْضِ بِيوتِ نِسَائِهِ، وَ كَانَتْ مَارِيهَ الْقَبْطِيَّةِ تَكُونُ مَعَهُ تَخْدُمُهُ، وَ كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَيْتِ حَفْصَةَ، فَذَهَبَتْ حَفْصَةُ فِي حَاجَةِ لَهَا فَتَنَاولَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ مَارِيهَ فَعَلِمَتْ حَفْصَةُ بِذَلِكَ فَغَضِبَتْ وَ أَقْبَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي يَوْمِي وَ فِي دَارِي وَ عَلَى فِرَاشِي، فَاسْتَحَى رَسُولُ اللَّهِ مِنْهَا فَقَالَ: كَفَى فَقَدَ حَرَمْتِ مَارِيهَ عَلَى نَفْسِي وَ لَا أَطَاها بَعْدَ هَذَا أَبَدًا، وَ أَنَا أَقْضَى إِلَيْكَ سِرًّا إِنْ أَنْتِ أَخْبَرْتِ بِهِ فَعَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ فَقَالَتْ: نَعَمْ مَا هُوَ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ يَلِي الْخِلافَةَ بَعْدِي، ثُمَّ بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَتْ مِنْ أَنْبَاكَ؟ فَقَالَ تَبَّأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ، فَأَخْبَرْتَ حَفْصَةَ بِعَائِشَةَ مِنْ يَوْمِهَا ذَلِكَ وَ أَخْبَرْتَ عَائِشَةَ أَبَا بَكْرٍ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى عَمْرٍ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ عَائِشَةَ أَخْبَرْتَنِي عَنْ حَفْصَةَ بِشَيْءٍ وَ لَا أَثِقُ بِقَوْلِهَا، فَاسْأَلِ أَنْتِ حَفْصَةَ، فَجَاءَ عَمْرٍ إِلَى حَفْصَةَ فَقَالَ لَهَا: مَا هَذَا الَّذِى أَخْبَرْتَ عَنْكَ عَائِشَةَ؟ فَأَنْكَرْتَ ذَلِكَ وَ قَالَتْ: مَا قَلْتُ لَهَا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَقَالَ عَمْرٍ: إِنَّ هَذَا حَقٌّ فَأَخْبَرِينَا حَتَّى نَتَقَدَّمَ فِيهِ، فَقَالَتْ: نَعَمْ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَاجْتَمَعُوا أَرْبَعَةً عَلَى أَنْ يَسْمُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فَنَزَلَ جِبْرِئِيلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بِهَذِهِ السُّورَةِ قَالَ: وَ أَظْهَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَعْنِي وَ أَظْهَرَ اللَّهُ عَلَى مَا أَخْبَرْتَ بِهِ وَ مَا هَمُّوا بِهِ مِنْ قَتْلِهِ عَرَفَ بَعْضُهُ أَى خَبَرَهَا وَ قَالَ: لَمْ أَخْبَرْتَ بِمَا خَبَرْتِكَ بِهِ وَ أَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ قَالَ: لَمْ يَخْبِرْهُمْ بِمَا يَعْلَمُ بِمَا هَمُّوا بِهِ مِنْ قَتْلِهِ، وَ قَالَ تَعَالَى فِي هَذِهِ السُّورَةِ:

«ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ وَعِيدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ» قال في تفسير الصّافي: مثل الله حال الكفار و المنافقين في أنّهم يعاقبون بكفرهم و نفاقهم و لا يحابون بما بينهم و بين النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و المؤمنين من النّسبه و الوصله بحال امرأه نوح و امرأه لوط، و فيه تعريض بعائشه و حفصه في خيانتهم رسول الله بافشاء سرّه و نفاقهما إيّاه و تظاهرها عليه كما فعلت امرئتا الرّسولين فلم يغن الرّسولان عنهما بحقّ الزّواج إغناء ما و قيل لهما بعد موتهما أو يوم القيامة: ادخلا النار مع الدّاخلين اللّذين لا وصله بينهم و بين الأنبياء.

و اما اسباب الضّغن التي بين عايشه و فاطمه عليها السلام على ما فضلها و حكاها عن الشّيخ أبي يعقوب اللّمعاني فهي كما ذكره إلّا أنّ اللّائمه فيها كلّها راجعه إلى عايشه و أبيها، و تشريكه بينهما و بين فاطمه و بعلمها سلام الله عليهما في ذلك أي في الاتّصاف بالضّغن و الحقد و الحسد غلط فاحش بعد شهاده آيه التّطهير و غيرها بعصمتها و برائه ساحتها عن دنس المعاصي و الذّنوب و طهاره ذيلهما عن وسخ الآثام و العيوب.

و من ذلك يعلم ما في قوله: و لست أبرء عليّنا من مثل ذلك فأنّه كان ينفس على أبي بكر سكون النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم إليه و ثنائه عليه و يحبّ أن ينفرد هو بهذه المزاي و الخصائص دونه و دون النّاس أجمعين مضافا إلى ما فيه من أنّا لم نسمع إلى الآن لأبي بكر مزيّه و خاصّه و مكرمه اختصّ بها، و لم نظفر بأنّ النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم يوما أثنا عليه و سكن اليه، و الأخبار المفصحه عن شقاقه و نفاقه و إزراء الرّسول عليه في غير موطن فوق حدّ الاحصاء، و لو لم يكن شاهد على عدم سكونه إليه غير بعثه بسوره برائه إلى مكّه ثمّ عزله عنها لكفى.

و أمّا الحديث الذي رواه عن النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم أعنى قوله: و كم قال لا- مرّه يؤذيني ما يؤذيها و يغضبني ما يغضبها، فهو حديث صحيح رواه العامّه و الخاصّه، و ما أدري ما يجيب متعصبي أبي بكر و عمر عن ذلك، فإنّ غضبهما فدك منها و أمرهما

باحراق باب بيتها و إخراج بعلمها ملتبيا إلى المسجد للبيعه كان بالصّ روره موجبا لغضبها و اذيتها، فاذا انضمّ إلى ذلك الحديث المذى روه و أضيف إليهما قوله سبحانه «وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» ينتج أنّهما في العذاب الأليم و السيّخ العظيم كما مرّ تفصيله في التّنبه الثّاني في شرح الكلام السّادس و السّتين، و قد تقدّم هناك قول الشّارح أنّ الصحيح عندي أنّها ماتت و هي واجده على أبي بكر و عمر، و أنّها أوصت أنّ لا يصلّي عليها، فانظر ما ذا ترى.

و أما ما تكلفه الشّارح في آخر كلامه في اثبات توبه الخاطئه فدعوى لا تفي باثباتها بيّنه و هو يريد اصلاح أمرها - و لن يصلح العطار ما أفسد الدّهر - و كيف تتوب عن خطائها و تندم على تفریطها بعد رسوخ الضغن في هذه السنين المتطاولة في قلبها و تزايد أسباب الحقد و الحسد و تراكمها يوما فيوما على ما فصّلها الشّارح عن اللّمعاني، و قد تقدّم ما يرشدك إلى بطلان هذه الدعوى في شرح الكلام التاسع و السبعين و اورد هنا مضافا إلى ما سبق ما حققه شيخ الطائفة قدّس الله روحه في تلخيص الشافى في إبطال تلك الدعوى.

قال في محكّي كلامه في البحار: و أمّا الكلام في توبه عايشه فما بيناه من الطرق الثلاث في توبه طلحه و الزّبير هي معتمده فيما يدّعونه من توبه عايشه.

أولها أنّ جميع ما يروونه من الأخبار لا يمكن ادّعاء العلم فيها و لا القطع على صحّتها، و أحسن الأحوال فيها أن يوجب الظنّ و قد بيّنا أنّ المعلوم لا يرجع عنه بالمظنون.

و الثّاني أنّها معارضه بأخبار تزيد ما روه في القوّه أو تساويه، فمن ذلك ما رواه الواقدي باسناده عن مسعبه عن ابن عباس قال: أرسلني عليّ إلى عايشه بعد الهزيمه و هي في دار الخزاعيّين يأمرها أن ترجع إلى بلادها و ساق الحديث إلى قوله فبكت مرّه أخرى أشدّ من بكائها الأوّل ثمّ قالت: و الله لئن لم يغفر الله لنا لنهلكنّ ثمّ ساق الحديث إلى آخره ثمّ قال:

فان قيل: ففي هذا الخبر دليل على التوبه و هي قولها عقيب بكائها لئن لم يغفر

اللّٰه لنا لنهلكنّ.

قلنا: قد كشف الأمر ما عقبته هذا الكلام به من اعترافها ببغض أمير المؤمنين و بغض أصحابه المؤمنين، و قد أوجب اللّٰه عليها محبتهم و تعظيمهم، و هذا دليل على الاصرار و أنّ بكائها إنّما كان للخيبة لا- للتّوبه، و ما كان فى قولها لئن لم يغفر اللّٰه لنا لنهلكنّ من دليل على التّوبه و قد يقول المصّرّ مثل ذلك إذا كان عارفا بخطائه فيما ارتكبه، و ليس كلّ من ارتكب ذنبا يعتقد أنّه حسن حتّى لا يكون خائفا من العقاب عليه، و أكثر مرتكبي الذّنوب يخافون العقاب مع الاصرار، و يظهر منهم مثل ما حكى من عايشه و لا- يكون توبه و روى الواقدي باسناده أنّ عمّارا رحمه اللّٰه عليه استأذن على عايشه بالبصره بعد الفتح فأذنت له فدخل فقال: يا امه كيف رأيت اللّٰه صنع حين جمع بين الحقّ و الباطل ألم يظهر اللّٰه الحقّ على الباطل و يزهد الباطل؟ فقالت: إنّ الحرب دول و سجال و قد اذيل على رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم و لكن انظر يا عمّار كيف تكون فى عاقبه أمرك.

و روى الطبريّ فى تاريخه أنّه لما انتهى إلى عايشه قتل أمير المؤمنين قالت:

فألقت عصاها و استقرّ بها النوى كما قرّ عينا بالأياب المسافر

من قتله؟ فقيل: رجل من مراد، فقالت:

فان يك تائبا فلقد نعاه بنعى ليس فى فيه التراب

فقالت زينب بنت سلمه بن أبى سلمه: ألعلىّ تقولين هذا؟ فقالت: إني أنسى فاذا نسيت فذكروني، و هذه سخرية منها بزينب و تمويه خوفا من شناعتها، و معلوم أنّ التّاسى و السّاهى لا يتمثل بالشّعرفى الأغراض المطابقه، و لم يكن ذلك منها إلاّ عن قصد و معرفه.

و روى عن ابن عبّاس أنّه قال لأمير المؤمنين لما أبت عايشه الرّجوع إلى المدينه: أرى أن تدعها يا أمير المؤمنين بالبصره و لا ترحلها، فقال له أمير المؤمنين عليه السّلام: إنّها لا تالو شرّا و لكنى أردّها إلى بيتها المذى تركها فيه رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و آله و سلّم

ص: ٢٨٠

فإنَّ اللهَ بالغَ أمره.

و روى محمّد بن إسحاق عن جناده أنّ عايشه لَمّا وصلت إلى المدينه راجعه من البصره لم تزل تحرّض النَّاس على أمير المؤمنين، و كتبت إلى معاويه و إلى أهل الشّام مع الأسود بن أبي البختري تحرّضهم عليه صلوات الله عليه.

و روى عن مسروق أنّه قال: دخلت على عايشه فجلست إليها فحدّثتني و استدعت غلاما أسود يقال له: عبد الرّحمن، فجاء حتّى وقف فقالت: يا مسروق أ تدرى لم سمّيته عبد الرّحمن؟ فقلت: لا، فقالت: حبّا منى لعبد الرّحمن بن ملجم فأما قصّيتها في دفن الحسن فمشهوره حتّى قال لها عبد الله بن عباس: يوما على بغل و يوما على جمل، فقالت: أو ما نسيتم يوم الجمل يا ابن عباس إنكم لذوو أحقاد.

و لو ذهبنا إلى تفصّلي ما روى عنها من الكلام الغليظ الشّديد الدّالّ على بقاء العداوه و استمرار الحقد و الضغينه لأطلنا و أكثرنا، و ما روى عنها من التّلهف و التّحسّر على ما صدر عنها فلا يدلّ على التّوبه إذ يجوز أن يكون ذلك من حيث خابت عن طلبتها و لم تظفر ببيغيتها مع الدّلّ الذي لحقها و ألحقها العار في الدّنيا و الآثم في الآخره، انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول: و يدلّ على استمرار حقدها و بقاء عداوتها أيضا ما في الارشاد للمفيد (ره) قال: روى عكرمه عن عايشه في حديثها له بمرض رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و وفاته فقالت في جملة ذلك: فخرج رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم متوكّئا على رجلين أحدهما الفضل بن العباس، فلما حكى عنها ذلك لعبد الله بن العباس قال له: أ تعرف الرّجل الآخر؟ قال: لا لم تسمّه لي، قال: ذاك عليّ بن أبي طالب و ما كانت امنا تذكره بخير و هي تستطيع.

الترجمه

از جمله کلام آن بزرگوار است که خطاب فرمود با آن اهل بصره را بر سبیل قصّه گوئی از واقعه‌های عظیمه می فرماید:

پس کسی که استطاعت داشته باشد نزد آن حادثها این که حبس نماید نفس خود را بر طاعت خدا پس باید که بکند آنرا پس اگر اطاعت نمائید مرا پس بدرستی که من حمل کننده شما هستم إنشاء الله بر راه بهشت و اگر چه می باشد آن راه صاحب مشقت سخت و چشیدنی تلخ، و اما فلانه یعنی عایشه خاتمه پس دریافت او را رأی سست زنان و کینه دیرینه که جوش زد در سینه او مثل دیک جوشنده آهنگران، و اگر خوانده شدی که فرا گیرد از غیر من آنچه که آورد بسوی من نمی کرد، یعنی اگر دعوت می نمودند او را که اقدام نماید در حق غیر من بمثل آنچه اقدام کرد در حق من از مخالفت و عداوت و خصومت البته اقدام نمی نمود، و با همه این مر او راست بعد از این همه قبیح که از او صادر شد حرمت قدیمه او که در زمان حضرت رسول صلی الله علیه و آله و سلم داشت و حساب بر پروردگار است.

ما کارهای او بخداوند کار ساز بگذاشتیم تا غضب او چه می کند

الفصل الثانی

اشاره

منه

- سبیل أبلج المنهاج، أنور السیراج، فبالإیمان یستدلّ علی الصّالحات، و بالصّالحات یستدلّ علی الإیمان، و بالإیمان یعمّر العلم، و بالعلم یرهب الموت، و بالموت تختم الدّنیاء، و بالدّنیاء تحرز الآخرة، و بالقیامه تزلف الجنّه للمتّقین، و تبرز الجحیم للغاوین، و إنّ الخلق لا مقصر لهم عن القیامه، مرقلین فی مضماریها إلی الغایه القصوی. منه - قد شخصوا من مستقرّ الأجداث، و صاروا إلی مصائر

ص: ۲۸۲

الغايات، لكلّ دار أهلها، لا- يستبدلون بها، و لا- ينقلون عنها، و إنّ الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر لخلق الله سبحانه، و إنّهما لا- يقربان من أجل، و لا- ينقصان من رزق، و عليكم بكتاب الله فإنّه الحبل المتين، و النور المبين، و الشفاء النافع، و الرّيح النّافع، و العصمه للمتمسّك، و النّجاه للمتعلّق، لا يعوج فيقام، و لا يزيغ فيستعتب، و لا تخلقه كثره الرّد، و ولوج السيّم، من قال به صدق، و من عمل به سبق. و قام إليه رجل فقال أخبرنا عن الفتنة و هل سألت عنها رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال عليه السّلام:

لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ: - الْم أَحْسَبُ النَّاسِ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ - عَلِمْتُ أَنَّ الْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بَيْنَ أَظْهَرِنَا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الْفِتْنَةُ الَّتِي أَخْبَرَكَ اللَّهُ بِهَا؟ فَقَالَ: يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ لَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أَحَدٍ حَيْثُ اسْتَشْهَدَ مِنْ اسْتَشْهَدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَ حِيزَتْ عَنِّي الشَّهَادَةُ فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتَ لِي: أَبْشُرْ فَإِنَّ الشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ، فَقَالَ لِي: إِنَّ ذَلِكَ لَكَذَلِكَ فَكَيْفَ صَبْرِكَ إِذَا؟ فَقُلْتُ:

يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر و لكن من مواطن البشري و الشكر، و قال يا عليّ: إنّ الأمم سيفتنون بعدى بأموالهم، و يمتنون بدينهم على ربهم، و يتمنون رحمته، و يأمنون سطوته، و يستحلون حرامه بالشبهات الكاذبه، و الأهواء الساهيه، فيستحلون الخمر بالتبيذ، و السيحت بالهديه، و الربا بالبيع، فقلت: يا رسول الله فبأي المنازل أنزلهم عند ذلك؟ أ بمنزله ردّه أم بمنزله فتنه؟ فقال:

بمنزله فتنه.

اللغة

(بلج) الصّيح بلوجا من باب قعد أسفر و أنار و (أرقل) أسرع و (شخص) من بلد كذا رحل و خرج منه و (الأجداث) القبور جمع جدث بالتحريك كأسباب و سبب و (الشفاء النافع) بالفاء و (الزّي النّاقع) بالقاف يقال: ماء نافع أى ينقع الغله أى يقطعها و يروى منها.

الاعراب

قال فى الكشّاف: الحسبان لا يصحّ تعلّقه بمعانى المفرد و لكن بمضامين الجمل، ألا ترى أنّك لو قلت حسبت زيدا و ظننت الفرس لم يكن شيئا حتّى تقول حسبت زيدا عالما و ظننت الفرس جوادا، لأنّ قولك زيد عالم أو الفرس جواد كلام دالّ على مضمون فأردت الأخبار عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظنّ لا اليقين، فلم تجد بدا فى العبارة عن ثباته عندك على ذلك الوجه من ذكر شطرى الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتّى يتمّ لك غرضك.

ص: ٢٨٤

فان قلت: فأين الكلام الدال على المضمون الذى يقتضيه الحسبان فى الآيه؟ قلت: هو قوله: أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، وذلك لأنّ تقديره أحسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا فالترك أول مفعولى حسب، و لقولهم آمنا هو الخبر، و انا غير مفتونين فتتمه الترك لأنّه من الترك الذى هو بمعنى التصيير كقوله: فتركته جزر السباع ينشئه، ألا ترى أنك قبل المجيء بالحسبان تقدر أن تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل و مستقرّ قبل اللام فان قلت: أن يقولوا هو علّه قولهم غير مفتونين فكيف يصحّ أن يكون خبر مبتدأ؟ قلت كما تقول: خروجه لمخافه الشرّ و ضربه للتأديب، و قد كان التأديب و المخافه فى قولك خرجت مخافه الشرّ و ضربته تأديبا تعليلين و تقول أيضا: حسبت خروجه لمخافه الشرّ و ظننت ضربه للتأديب، فتجعلهما مفعولين كما جعلتهما مبتدأ و خبرا.

و الهمزه فى قوله عليه السّلام: أو ليس قد قلت، للاستفهام التّقريرى كما فى قوله تعالى: «أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ» و المقصود به حمل المخاطب على الاقرار بما دخله النّفى

المعنى

اشاره

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه مشتمل على فصلين:

الفصل الاول (منه)

فى وصف الدّين و الايمان و هو قوله (سبيل أبلج المنهاج) استعاره مرشّحه فانّ الايمان لما كان موصلا لصاحبه الى الجنّه و إلى حظاير القدس صحّ استعاره لفظ السّيل له كما صحّ التعبير عنه بلفظ الصراط بذلك الاعتبار أيضا فى قوله تعالى «إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ».

فهو طريق أوضح المسلك إلى الجنّة (و أنور السّراج) لا- يضلّ سالكها البتّه لوضوحها و إضاءتها (فبالإيمان يستدلّ على الصّالحات و بالصّالحات يستدلّ على الايمان) قال الشارح البحرانى: و الصّالحات هى الأعمال الصّالحات من ساير العبادات و مكارم الأخلاق التى وردت بها الشريعة و ظاهر كونها معلولات للإيمان و ثمرات له يستدلّ بوجوده فى قلب العبد على ملازمته لها استدلالاً بالعلّة على المعلول، و يستدلّ بصدورها من العبد على وجود الايمان فى قلبه استدلالاً بالمعلول على العلّة (و بالايان يعمر العلم) إذ من المعلوم أنّ فضل العلم و كماله إنّما هو العمل بالأركان و العمل بالأركان إمّا شرط للإيمان أو شرط منه حسبما عرفته فى شرح الخطبه المأه و التاسعه فيكون فضله و كماله بالايان، و هو معنى كونه معموراً به.

و يؤمى إليه قول الصّادق عليه السّلام: لا يقبل الله عملاً إلاّ بمعرفه و لا معرفه إلاّ بعمل فمن عرف دلّته المعرفه على العمل و من لم يعمل فلا معرفه له الا أنّ الايمان بعضه من بعض.

و قال علىّ بن الحسين عليهما السّلام: مكتوب فى الانجيل: لا تطلبوا علم ما لا تعلمون و لمّا تعملوا بما علمتم، فإنّ العلم إذا لم يعمل به لم يزد صاحبه إلاّ كفراً و لم يزد من الله إلاّ بعداً.

(و بالعلم يهرب الموت) لأنّ العلم بالمبداً و المعاد مستلزم لذكر الموت و التّوجه اليه و إلى ما يتلوه من الشدائد و الأهوال، و ذلك موجب للزّهيه منه لا- محاله و أمّا الجاهل فهو غافل عن ذلك لكون همّته مقصوره على الدنيا مصروفه اليها (و بالموت تختم الدّنيا) و هو ظاهر إذ الموت آخر منازل الدّنيا كما هو أوّل منازل الآخره (و بالدّنيا تحرز الآخره) لأنّها دار التكليف و فيها يقام العبادات و يقتنى الحسنات فيفاز بالجنّات و ينال السّعادات فهى محلّ الاستعداد لتحصيل الزاد ليوم المعاد (و بالقيامه تزلف الجنّه للمتّقين و تبرز الجحيم للغاوين) اقتباس من الآيه الشّريفه فى سوره الشّعرا قال سبحانه:

«يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ وَأُزْلِفَتِ»

«الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وَبُرَزَاتِ الْجَحِيمِ لِلْغَاوِينَ».

أى قربت الجنة وقدّمت للسّعداء بحيث يرونها من الموقف فيبجحون بأنهم المحشورون إليها، وتظهر الجحيم للأشقياء فيرونها مكشوفه بارزه فيتحدّثون على أنهم المسوقون اليها (و أنّ الخلق لا مقصر لهم عن القيامه) أى لا محبس و لا غايه لهم دونها و لا مانع من ورودهم عليها (مركلين) أى مسرعين (فى مضمارها) و هو مدّه الحياه الدّنيا (إلى الغايه القصوى)قال الشّارح البحرانى قوله:و إنّ الخلق لا مقصر لهمالى آخره كلام فى غايه الحسن مع غزاره الفايده، و هو إشاره إلى أنّه لا بدّ لهم من ورود القيامه و مضمارها مدّه الحياه الدّنيا، و هو لفظ مستعار، و وجه المشابهه كون تلك المدّه محلّ استعداد النفوس للسباق إلى حضره الله كما أنّ المضمار محلّ استعداد الخيل للسباق، و ارقالهم كناية عن سيرهم المتوهّم فى مدّه أعمارهم إلى الآخره، و سرعه حثيث الزّمان بهم فى اعداد أبدانهم للخراب و الغايه القصوى هى السّعاده و الشّقاوه الاخرويه

الفصل الثانى (منه)

فى وصف حال أهل القبور و الحثّ على الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر و على لزوم كتاب الله و بيان معنى الفتنه و هو قوله عليه السّلام (قد شخصوا من مستقرّ الأحداث) أى ارتحل الموتى من محلّ استقرارهم و هى القبور (و صاروا إلى مصائر الغايات) أى انتقلوا إلى محال هى غايه منازل السّالكين و منتهى سير السّائرين، يعنى درجات و دركات الجحيم (و لكلّ دار) من هاتين الدّارين (أهل) من السّعداء و الأشقياء (لا- يستبدلون بها) غيرها (و لا- ينقلون عنها) إلى غيرها يعنى أنّ أهل الجنّه لا يطلبون إبدالها لما هم عليه من عظيم النّعماء و الدّ الآلاء، و أهل النّار لا ينقلون عنها و لو طلبوا النّقل و الأبدال لكونهم مخلّدين فيها، و هذه قرينه على أن يكون

مراده عليه السّلام بأهل النّار الكفار و المنافقين، إذ غيرهم من أصحاب الجرائر من المسلمين المذعنين بالولاية لا يخلّدون في النّار لو دخلوها، بل يخرجون بعد تمحيص الذّنوب إمّا بفضل من الله سبحانه، أو بشفاعه أولياء الله تعالى كما دلّت عليه الاصول المحكمه.

ثمّ حتّى على الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر بالتبنيّه على فضلها بقوله (و إنّ الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر لخلق الله) قال الشّارح البحراني «ره» إطلاق لفظ الخلق على الله استعاره، لأنّ حقيقة الخلق ملكه نفسانيه تصدر عن الانسان بها أفعال خيريّه أو شريّه، و إذ قد تنزّه قدسه تعالى عن الكيفيّات و الهيئات لم يصدق هذا اللفظ عليه حقيقة، لكنّ لما كان الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر و الأفعال الخيريّه التي بها نظام العالم و بقاؤه كحكمته و قدرته وجوده و عنايته و عدم حاجته بما يتعارف من الأخلاق الفاضله التي تصدر عنها الأفعال الخيريّه البشريّه، فاستعير بها لفظ الاخلاق و اطلق عليه، انتهى.

أقول: هذا كلّ مبنّى على التجوّز في لفظ الخلق حسبما صرّح به، و يجوز ابقائه على حقيقته و البناء على التجوّز في الاضافه، يعنى أنّهما خلقان نسبتها إليه سبحانه باعتبار كونهما مرضيّين عند الله و محبوبين له تعالى، فصحّ بذلك الاعتبار كونهما من خلقه تعالى أى من خلق هو محبوبه و مطلوبه كما نقول: بيت الله تشريفا، و روح الله تعظيما و تكريما و نحو ذلك، هذا.

ولمّا كان أكثر النّاس يكفون عن الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر، و يمسكون عن ردع الظلمه بتوهم أن يبطش به فيقتل أو يقطع رزقه و يحرم فأشار عليه السّلام إلى دفع هذا التّوهم بقوله (و أنّهما لا يقربان من أجل و لا ينقصان من رزق) و قد روى هذا المعنى عنه عليه السّلام في حديث آخر.

و هو ما رواه في الوسائل من الكافي عن يحيى بن عقيل عن حسن عليه السّلام قال خطب أمير المؤمنين عليه السّلام فحمد الله و أثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد فأنّه إنّما هلك من

كان قبلكم حيثما عملوا من المعاصي و لم ينههم الربانيون و الأحبار عن ذلك، و إنهم لمّا تمادوا في المعاصي و لم ينههم الربانيون و الأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات فأمروا بالمعروف و انهوا عن المنكر و اعلموا أنّ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لن يقربا أجلا و لن يقطعوا رزقا.

و فيه عن الحسن بن عليّ بن شعبه في تحف العقول عن الحسين عليه السلام قال:

و يروى عن عليّ عليه السلام اعتبروا أيها الناس بما وعظ الله به أوليائه من سوء ثنائه عن الأحبار إذ يقول: «لَوْ لَا يَنْهَاهُمْ الرَّبَّائِيُونَ وَ الْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ» و قال:

«لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ» إلى قوله «لَبَسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ» و إنّما عاب الله ذلك عليهم لأنهم كانوا يرون من الظلمه المنكر و الفساد فلا ينهونهم عن ذلك رغبه فيما كانوا ينالون منهم و رهبه ممّا يحذرون و الله يقول: «فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَ اخْشَوْنَ اللَّهَ» و قال «الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ» فبدء الله بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فريضه منه لعلمه بأنّها إذا اديت و اقيمت استقامت الفرائض كلّها هتينا و صعبا، و ذلك إنّ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر دعاء إلى الاسلام مع ردّ المظالم و مخالفه الظالم و قسمه الفيء و الغنايم و أخذ الصدقات من مواضعها و وضعها في حقّها، هذا و ينبغي القيام بوظائف الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر بالشروط المقرره في الكتب الفقهيّه، و من جملتها الأمن من الضّرر على المباشر أو على بعض المؤمنين نفسا أو مالا أو عرضا، فلو غلب على ظنّه أو قطع بأن يصيبه أو يصيبهم ضرر بهما سقط وجوبهما، بل يحرمان كما صرح به علماؤنا الأخيار و دلّت عليه أخبار أئمتنا الأطهار.

روى في الوسائل عن الكليني عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن يحيى الطويل صاحب المقرئ قال قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّما يؤمر بالمعروف و ينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ أو جاهل فيتعلّم فأما صاحب سوط أو سيف فلا.

و عنه عن أبيه عن ابن أبي عمير عن مفضل بن يزيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

قال لى: يا مفضل من تعرّض لسلطان جائر فأصابته بليته لم يوجر عليها و لم يرزق الصبر عليها.

فظهر لك بما ذكرنا أنّ قوله عليه السلام فى المتن: و إنّهما لا يقربان من أجل و لا ينقصان من رزق، لا بدّ أن يحمل على صورته عدم الظنّ بالضرر فضلا عن القطع به ثمّ أمر بلزوم اتّباع الكتاب المجيد معلّلا وجوب متابعتة بأوصاف كمال تبه عليها فقال(و عليكم بكتاب الله فأنه الجبل المتين)استعاره لفظ الجبله باعتبار حصول النجاه للمتمسك به كما يحمل النجاه للمتمسك بالجبل و ذكر المتانه ترشيح.

و قد وقع نظير تلك الاستعاره فى النبوى المعروف المروى بطرق عديده منها ما رواه أبو سعيد الخدرى قال: قال النبى صلى الله عليه و آله و سلّم إننى تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض و عترتى أهل بيتى لن يفترقا حتّى يردا على الحوض.

(و النور المبين) و هو أيضا استعاره لأنه نور عقلى ينكشف به أحوال المبدأ و المعاد و يهتدى به فى ظلمات برّ الأجسام و بحر النفوس كما يهتدى بالنور المحسوس فى الغياهب و الظلمات و نظير هذه الاستعاره قوله سبحانه:«قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَ كِتَابٌ مُبِينٌ» (و الشفاء النافع) إذ به يحصل البرء من الأسقام الباطنيه و الأمراض النفسانيه كما قال تعالى: «قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَ شِفَاءٌ» و قال فى موضع آخر: «وَ نُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً» (و الرى النافع) أى القاطع لغليل العطشان بماء الحياه الأبدية أعنى ما تضمّنه من المعارف الحقه و العلوم الالهيه (و عصمه للمتمسك و نجاه للمتعلق) يعنى من تمسكك و تعلق به و أخذ بأحكامه و عمل بها فهو يعصمه من غضب الجبار و ينجيه من دخول النار (لا يعوج فيقام) لأنه كلام الحق يصدق بعضه بعضا «وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا» و احتاج إلى إصلاح اختلافه و إقامة اعوجاجه و خلله

(و لا يزيع فيستعجب) أى لا يميل و لا يعدل عن الحق حتى يطلب عتبه و رجوعه إليه (و لا يخلقه كثره الرد و ولوج السمع) يعنى أن كل كلام نثرا كان أو نظما لو تكرر تردده على الألسنه و ولوجه فى الأسماع موجه الأسماع و ملّ عنه الطباع و اشمأز منه القلوب و يكون خلقا مبتذلا مردولا، و أميا القرآن الكريم فلا- يزال غضا طريا يزداد على كثره التكرار و طول التلاوه فى كرور الأعصار و مرور الدهور حسنا و بهاء و رونقا و ضياء هو المسك ما كثرته يتضوع و ذلك من جمله خصائصها التى امتاز بها عن كلام المخلوق.

(من قال به صدق) لأنه كلام مطابق للواقع فالقول بما أفاده البتّه يكون صدقا و القائل به صادقا (و من عمل به سبق) إلى درجات الجنان و فاز أعظم الرضوان قال السيد (ره) (و قام إليه رجل فقال أخبرنا عن الفتنه) الظاهر أنّ اللام فيها للعهد و تكون الاشاره بها إلى فتنه معهوده سبق ذكرها فى كلام رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و فى الكتاب العزيز فى الآيه الآتيه «و اتقوا فتنه لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصه» و غيرهما، و الفتنه تكون لمعان شتى من الابتلاء و الامتحان و الاضلال و العذاب و الفضيحه و الكفر و الاثم و اختلاف الناس فى الآراء و نحوها.

و لثما كان خطابه عليه السلام بذلك الكلام لأهل البصره حسبما تبه السيد فى عنوانه فبقرينه مساق الكلام يحتمل أن يكون استخبار السائل عن موضوع الفتنه ليفهم أنّ فتنه أهل البصره هل هى داخله فى الفتنه التى أخبر الله بها و رسوله، و أن يكون عن حكمها.

و يشعر بالأول جوابه للسائل بما ينقله عن رسول الله من قوله صلى الله عليه و آله و سلم: يا علىّ إنّ امتى سيفتون من بعدى، و قوله صلى الله عليه و آله و سلم أيضا: يا علىّ إنّ القوم سيفتون بعدى.

و يشعر بالثانى آخر كلامه عليه السلام أعنى قوله: فقلت يا رسول الله فبأى المنازل انزلهم عند ذلك أم بمنزله رده أم بمنزله فتنه فقال: بمنزله فتنه.

فعلى الاحتمال الأول يكون معنى قوله (و هل سألت عنها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم)

هل سألت عن معنيها ليتبين المراد بها.

و على الاحتمال الثاني فالمعنى هل سألت عن حكمها عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ ليعلم أَنَّ المفتونين مرتدّون أم لا (فقال عليه السّلام) فى جواب المستخبر.

(لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ «الْمَ أْحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ» قَالَ فِي الْكُشَافِ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ: الْفِتْنَةُ الْامْتِحَانُ بِشِدَائِدِ التَّكْلِيفِ مِنْ مَفَارِقِهِ الْأَوْطَانِ وَ مَجَاهِدِهِ الْأَعْدَاءِ وَ سَائِرِ الطَّاعَاتِ الشَّاقَّةِ وَ هَجْرِ الشَّهَوَاتِ وَ الْمَلَادِّ، وَ بِالْفَقْرِ وَ الْقِحْطِ وَ أَنْوَاعِ الْمَصَائِبِ فِي الْأَنْفُسِ وَ الْأَمْوَالِ، وَ بِمَصَابِرِهِ الْكُفَّارِ عَلَى إِذَاهِمِ وَ كَيْدِهِمْ وَ ضِرَارِهِمْ، وَ الْمَعْنَى أَحْسَبُ الْعَالَمِينَ أَجْرُوا كَلِمَةَ الشَّهَادَةِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَ أَظْهَرُوا الْقَوْلَ بِالْإِيمَانِ أَنَّهُمْ يَتْرَكُونَ لِذَلِكَ غَيْرَ مَمْتَحِنِينَ، بَلْ يَمْتَحِنُهُمُ اللهُ بِأَنْوَاعِ الْمُحَنِّ وَ ضُرُوبِ الْبَلَاءِ حَتَّى يَبْلُو صَبْرَهُمْ وَ ثَبَاتَ أَقْدَامِهِمْ وَ صِحَّةَ عَقَائِدِهِمْ وَ خُلُوصَ نِيَّاتِهِمْ لِيَتَمَيَّزَ الْمُخْلِصُ مِنَ غَيْرِ الْمُخْلِصِ وَ الرَّاسِخُ فِي الدِّينِ مِنَ الْمَضْطَرِّبِ وَ الْمُتَمَكِّنُ مِنَ الْعَابِدِ عَلَى حَرْفٍ، انْتَهَى.

أقول: و بنحو ذلك فسره غير واحد من علماء التفسير، و محصّله أَنَّ المراد بالفتنة الامتحان و الابتلاء فى النَّفسِ وَ الْمَالِ.

و رواه الطبرسى فى مجمع البيان عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: معنى يفتنون يبتلون فى أنفسهم و أموالهم، و المستفاد من غير واحد من الأخبار الآتية أَنَّ المراد بها خصوص الامتحان بالولاية، و اليه يرجع ما أجاب به أمير المؤمنين عليه السّلام هنا للسائل المستخبر، و لا تنافى بين المعنيين إذ الأوّل تنزيهه و الثانى تأويله و لا غبار عليه و إنّما الاشكال فى قوله (علمت أَنَّ الفتنة لا تنزل بنا و رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ بين أظهرنا) لظهور أَنَّ الآية لا دلالة فيها على عدم نزول الفتنة بهم مع كون الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ بينهم فمن أين علم أمير المؤمنين عليه السّلام ذلك، و قد تتبته لذلك الشّارح المعترلى و أجاب عنه بما لا يعابأ به حيث قال:

فان قلت: فلم قال عليه السّلام علمت أَنَّ الفتنة لا تنزل بنا و رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلَّمَ بين أظهرنا؟.

قلت: لقوله تعالى: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ» آه و أنت خير بما فيه.

أما أولاً فلأن هذا الجواب كما ترى مبنى على جعل الفتنه فى الآيه بمعنى العذاب، و قد علمت أن كلام أمير المؤمنين فى هذا المقام ناظر إلى كونها بمعنى الامتحان بالولايه و التنافى بين المعنيين ظاهر.

و أما ثانياً فلأننا بعد الغضّ عمّا ذكرنا نقول إن قوله: علمت، جواب لما و هو يفيد أن منشأ علمه بعدم نزول الفتنه هو قوله: «الم أ حسب الناس» الآيه، لا قوله: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ»، و العلم بعدم نزول العذاب من الآيه الثانيه لا يلازم حصول العلم من الآيه الأولى على ما هو مقتضى ظاهر كلامه عليه السلام.

و الذى عندى فى رفع ذلك الاشكال أنه عليه السلام علم ذلك حين نزول الآيه باعلام النبى صلى الله عليه و آله و سلم، فقد روى فى الصافى عنه عليه السلام أنه لما نزلت هذه الآيه قال صلى الله عليه و آله و سلم: لا بدّ من فتنه تبلى به الأمه بعد نبىها ليتعين الصادق من الكاذب، لأنّ الوحي قد انقطع و بقى السيف و افتراق الكلمه إلى يوم القيامه.

فإن هذه الزوايه كثير من الروايات الآتية صريحه فى أن نزول الفتنه إنما يكون بعد النبى صلى الله عليه و آله و سلم، فحصل بذلك العلم له عليه السلام بأنها لا تنزل مع كونه بين أظهرهم.

و لما كان ذلك الاخبار من النبى صلى الله عليه و آله و سلم حين نزول الآيه صحّ بذلك الاعتبار قوله عليه السلام: لما أنزل الله قوله «الم» آه علمت إلى قوله (فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنه التى أخبرك الله بها فقال يا على ان امتى سيفتون من بعدى) و هذا الجواب من النبى صلى الله عليه و آله و سلم له عليه السلام و إن كان مجملاً لم يصرح فيه بأنّ افتتان الامه بعده صلى الله عليه و آله و سلم بما ذا إلا أنه عليه السلام قد فهم منه أن مراده صلى الله عليه و آله و سلم منه الافتتان به عليه السلام و امتحانهم بولايته.

و فهمه عليه السلام ذلك منه إما من باب سرّ الحبيب مع الحبيب أو بقرينه تصريحه صلى الله عليه و آله و سلم به فى غيره، فقد روى فى غايه المرام عن ابن شهر اشوب عن أبى طالب الهروى

باسناده عن علقمه و أبي أيوب أنه لما نزل ألم أحسب الناس الآيات، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمار: إنه سيكون من بعدى هنا حتى يختلف السيف فيما بينهم وحتى يقتل بعضهم بعضا وحتى يتبرء بعضهم من بعض، فاذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني علي بن أبي طالب، فان سلك الناس كلهم واديا فاسلك وادي علي و خل عن الناس، يا عمار إن عليا لا يردك عن هدى ولا يردك إلى ردى، يا عمار طاعه علي طاعتي و طاعتي طاعه الله.

و فيه عنه من طريق العامه أيضا في قوله «الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون» قال علي عليه السلام يا رسول الله ما هذه الفتنة؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم:

يا علي بك و أنك المخاصم فأعد للخصومه.

و فيه عن محمد بن العباس مسندا عن الحسين بن علي عن أبيه صلوات الله عليهم أجمعين قال: لما نزلت: «الم أحسب الناس» الآية قال: قلت يا رسول الله ما هذه؟ قال: يا علي إنك مبتلى بك و أنت مخاصم فأعد للخصومه.

و عن محمد بن العباس قال: حدثنا أحمد بن هوده عن إبراهيم بن إسحاق عن عبد الله بن حماد عن سماعة بن مهران قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذات ليلة في المسجد، فلما كان قرب الصبح دخل أمير المؤمنين عليه السلام فناداه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال يا علي، فقال: لبيك قال: هلم إلي، فلما دنى منه قال: يا علي بت الليله حيث ترانى و قد سألت ربى ألف حاجه ففضيها لى و سألت لك ربى أن يجمع لك امتى من بعدى فأبى علي ربى فقال: «الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون» و هذه الروايات و ما بمعناها(1) مما لم نوردها خوف الاطاله كما ترى

ص: ٢٩٤

١- (١) مثل ما رواه في غايه المرام من تفسير العياشى باسناده عن عبد الرحمن بن سالم عن الصادق (عليه السلام) في قوله تعالى «وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً» قال (عليه السلام) أصاب الناس فتنة بعد ما قبض الله نبيه (صلى الله عليه وآله) حتى تركوا عليا و بايعوا غيره، و هى الفتنة التى فتنوا بها، و قد أمرهم رسول الله باتباع علي و الأوصياء من آل محمد (صلوات الله عليهم). و فيه عن العياشى باسناده عن اسماعيل السرى عنه (عليه السلام) فى هذه الآية قال: أخبر أنهم أصحاب الجمل. و فيه عن تفسير علي بن ابراهيم فى هذه الآية قال: نزلت فى طلحه و الزبير لما حاربوا أمير المؤمنين و ظلموه، منه.

صريحه فى الدلاله على أنّ الافتتان بعده صلى الله عليه وآله وسلم إنّما هو بولايه أمير المؤمنين عليه السلام فهى رافعه للاجمال فى الجواب المروى فى المتن مبنيّه لكون مراد النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: إنّ أمتى سيفتنون من بعدى افتتانهم بها و امتحانهم به عليه السلام.

ولما كان ذلك مبعدا لما كان ينتظره عليه السلام و يرجوه من شهادته التى بشر بها النبى و موهما لعدم تنجز ما بشر به و مفيدا لعدم حصوله فى زمان النبى صلى الله عليه وآله وسلم و حال حياته و كان فيه خوف فوت المطلوب لا جرم أعاد عليه السلام السؤال تحصيلا لاطمينان القلب كما سأل إبراهيم ربّه بقوله: كيف تحيى الموتى فقال عليه السلام (فقلت أ و ليس قد قلت لى يوم أحد حيث استشهد من استشهد من المسلمين و حيزت) أى منعت (عنى الشهاده فشق ذلك على فقلت لى: ابشر فإنّ الشهاده من ورائك؟ فقال لى: إنّ ذلك كذلك) يعنى أنّ الشهاده واقعه لا محاله و إن لم تكن فى زمانى و فى مجاهداتك التى بين يديّ، هذا.

و يجوز أن تكون الهمزه فى قوله: أ و ليس قد قلت، لم يرد بها الاستفهام و التقرير، بل المراد بها الاستبطاء نظير ما قاله علماء البيان فى مثل: كم دعوتك من أنّ الغرض به ليس السؤال و الاستفهام، بل المراد الاستبطاء و هو الوصف بالبطوء أى عدّ المتكلم المخاطب بطيئا فى اجابه الدعوه، و الغرض من الكلام الشكايه عن بطوء الاجابه و الحثّ عليها.

و معنى الاستبطاء فيما نحن فيه و وصف ما قاله النبى صلى الله عليه وآله وسلم و ما بشر به من الشهاده بالبطوء و الشكايه من تأخيره فأنه صلى الله عليه وآله وسلم لما أخبر بأنّ الامه سيفتنون بعده أحبّ عليه السلام أن لا يبقى إلى زمان تلك الفتنه فقال ذلك الكلام استبطاء للشهاده فافهم جيدا.

ثم أراد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الابانه عن علو همته عليه السَّلام و الافصاح عن ثبات قدمه في جنب الله فقال (فكيف صبرك إذا) يعنى إذا ظفرت بالشهادة (فقلت يا رسول الله ليس هذا من مواطن الصبر و لكن من مواطن البشرى و الشكر) يعنى أن الصبر عباره عن تحمل المشاق و المكروه و هو إنما يتصور في حق المحجوبين عن الله المنهمكين في لذات الدنيا و الغافلين عن لذات الآخرة، فانهم يكرهون الموت و يفرون منه و يحذرون من الشَّهادة، و أميا أولياء الدِّين و أهل الحق و اليقين فغايه غرضهم الخروج من هذه القريه الظالم أهلها و الفوز بقاء الحق و النَّيل إلى رضوانه فالموت لما كان وسيله للوصول إليه فهو أحب إليهم من كل شىء، و لذلك كان عليه السَّلام يقول غير مره: و الله لابن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى امه، و لما كان حصول الموت بالقتل و الشَّهادة من أعظم القربات و أفضل الطاعات كانوا مستبشرين به و شاكرين على وصول تلك النعمه العظيمة، و إليه ينظر قوله عليه السَّلام فى الكلام الماء و الثَّانيه و العشرين، إنَّ أكرم الموت القتل و العذى نفس ابن أبى طالب بيده لألف ضربه بالسيف أهون عليّ من ميتة على فراش.

ثم عاد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد الاشاره إجمالاً إلى افتتاح الامه من بعده إلى شرح حال المفتونين و بيان أوصافهم تفصيلاً (و قال يا عليّ إنَّ الامه سيفتون بعدى بأموالهم) أى بقلتها و كثرتها و باكتسابها من حلال أو حرام و بصرفها فى مصارف الخير أو الشر و باخراج الحقوق الواجبه منها و البخل بها و غير ذلك من طرق الامتحان (و يتمنون بدينهم على ربهم) كما من قبلهم بذلك على ما حكى الله عنهم بقوله: «يُتَمَنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلِمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ» (و يتمنون رحمته و يأمنون سطوته) الأيمن من سخط الله سبحانه كالإياس من رحمته من الكباير الموبقه، و أمّا تمنى الرِّحمه مع عدم المبالاه فى الدِّين فهو من صفه الجاهلين و قد روى عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: أحقق الحمقاء من اتبع نفسه هويها و تمنى على الله.

(و يستحلون حرامه بالشبهات الكاذبه و الأهواء السَّاهيه) أى الغافله و وصف

الأهواء بها للمبالغه كما فى قولهم: شعر شاعر، فانّ أتباع الهوى لما كان موجبا للغفله عن الحقّ صحّ اتّصافه به، والمراد أنّ استحلّالهم للحرام بسبب متابعتهم لهوى أنفسهم الصّاد لهم عن الحقّ والشّاعل بهم إلى الدّنيا.

روى أبو حمزه عن أبى جعفر قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: يقول الله عزّ وجلّ:

وعزّتى و جلالى و كبريائى و نورى و علوى و ارتفاع مكانى لا يؤثّر عبد هواه على هواى إلاّ شتّت عليه أمره و لبست عليه دنياه و شغلت قلبه بها و لم اوته منها إلاّ ما قدرت له و عزّتى و جلالى و عظمتى و نورى و علوى و ارتفاع مكانى لا يؤثّر عبد هواى على هواه إلاّ- استحفظته ملائكتى، و كفلت السّماوات و الأرضين رزقه و كنت له من وراء تجاره كلّ تاجر، و أتته الدّنيا و هى راغمه.

و أشار إلى تفصيل ما يستحلّونه من المحرّمات بقوله (فيستحلّون الخمر بالتّيذ) الغالب فى الخمر إطلاقه على الشّراب المتّخذ من العنب، و فى التّيذ استعماله فى الشّراب المتّخذ من التّم، و من ذلك نشأت شبهتهم حيث زعموا أنّ التّيذ ليس بخمر فحكموا بحلّيته أى حلّية التّيذ بتوهم اختصاص الحرمة بالخمر فأوجب ذلك استحلّالهم للخمر من حيث لا يشعرون.

و قد ذمهم عليه السّلام على ذلك تبيها على فساد ما زعموه و هو كذلك(1).

أما أولا فلمنع خروج التّيذ من موضع الخمر، لأنّ الخمر عباره عن كلّ ما يخمر العقل أى يستره و يغطّيه، فيشمل التّيذ و غيره و إن كان استعماله فى العصير العنبى أكثر.

و يدلّ عليه ما رواه فى الوسائل عن الكلينى بسنده عن عبد الرّحمن بن الحجاج عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله الخمر من خمسه: العصير من الكرم و التّقيع من الزّبيب و البتع من العسل، و المرز من الشّعير، و التّيذ من التّم.

و عن الكلينى عن عامر بن السمط عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام قال: الخمر من خمسه أشياء: من التّم، و الزّبيب، و الحنطه، و الشّعير، و العسل.

ص: ٢٩٧

١- (١) يعنى أنّ ما زعموه فاسد.

و فيه أيضا عن ابن الشيخ في أماليه باسناده عن التّعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم يقول: أيّها النَّاس إنّ من العنب خمرا، و إنّ من الزبيب خمرا و إنّ من التّمرة خمرا، و إنّ من الشّعير خمرا، ألا- أيّها النَّاس أنّهاكم عن كلّ مسكر.

و أما ثانيا فللمنع اختصاص حكم الحرمة بخصوص الخمر بعد تسليم عدم شموله للتّبذ حقيقه، و ذلك لتعلّق الحكم بكلّ مسكر كما مرّ في الرّوايه آنفا.

و مثله ما رواه في الوسائل عن الكلينيّ عن عطاء بن يسار عن أبي جعفر عليه السّلام قال: قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله: كلّ مسكر حرام و كلّ مسكر خمرة.

و فيه عن عليّ بن إبراهيم القمّي في تفسيره عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السّلام في قوله: «إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ» الآية، أمّا الخمر فكلّ مسكر من الشّراب إذا أحمّر فهو خمرة و ما أسكر كثيره فقليله حرام و ذلك إنّ أبا بكر شرب قبل أن يحرم الخمر فسكر إلى أن قال فأنزل الله تحريمها بعد ذلك و إنّما كانت الخمر يوم حرمت بالمدينة فضيخ البسر و التّمرة، فلما نزل تحريمها خرج رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم فقعد في المسجد ثمّ دعا بآنيتهم التي كانوا يبنذون فيها فأكفأها كلّها، و قال صَلَّى الله عليه وآله و سلم: هذه كلّها خمرة حرّمها الله فكان أكثر شيء أكفى في ذلك اليوم الفضيخ و لم أعلم أكفى يومئذ من خمرة العنب شيء إلاّ إناء واحد كان فيه زبيب و تمر جميعا، فأما عصير العنب فلم يكن منه يومئذ بالمدينة شيء، و حرّم الله الخمر قليلها و كثيرها و بيعها و شرائها و الانتفاع بها، هذا.

و يدلّ على حرمة التّبذ بخصوصه ما رواه في الوسائل عن الكلينيّ باسناده عن خضر الصّيرفي عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: من شرب التّبذ على أنّه حلال خلد في النَّار، و من شربه على أنّه حرام عذب في النَّار.

و عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن عليّ بن أبيه عن أبي عبد الله عليه السّلام لو أنّ رجلا- كحل عينيه بميل من نبيذ كان حقّا على الله عزّ و جلّ أن يكحله بميل من نار.

وفيه عن الشيخ باسناده عن عمار قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يكون مسلماً عارفاً إلا أنه يشرب العسكر هذا النبيذ، فقال لي: يا عمار إن مات فلا تصل عليه.

والأخبار في هذا المعنى كثيرة وفيما أوردناها كفايه.

(و) يستحلون (السيحت بالهدية) السيحت الحرام وكل ما لا يحل كسبه، وفي مجمع البحرين عن علي عليه السلام هو الرشوة في الحكم ومهر البغي وكسب الحجام وعسب الفحل وثمر الكلب وثمر الخمر وثمر الميتة.

والظاهر أن المراد به هنا خصوص الرشوة كما فسره بها الصادق عليه السلام فيما رواه في الوسائل عن الشيخ باسناده عن أحمد بن محمد بن محمد بن سنان عن ابن مسكان عن يزيد بن فرقد قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن السحت فقال: هو الرشوة في الحكم.

والمقصود أنهم يأخذون الرشوة إذا أهديت إليهم ويستحلونها بزعم أنها هديّة قال الفاضل التراقي: الفرق بين الرشوة والهدية أن الأولى هي المال المبذول للقاضي للتوسل به إلى الحكم ابتداءً أو إرشاداً، والثانية هي العطيّة المطلقة أو لغرض آخر نحو التودّد والتقرّب إليه أو إلى الله، والحاصل أن كلّ مال مبذول للشخص للتوسل به إلى فعل صادر منه ولو مجرد الكف عن شره لساناً أو يداً أو نحوهما فهو الرشوة، ولا فرق في الفعل الذي هو غايه البذل أن يكون فعلاً حاضراً أو متوقّعا كان يبذل للقاضي لأجل أنه لو حصل له خصم يحكم للباذل وإن لم يكن له بالفعل خصم حاضر ولا خصومه حاضره، وكلّ مبذول لا لغرض يفعله المبذول له بل لمجرد التقرّب أو التودّد إليه أو يصفه محموده أو كمال فيه فهو هديّة وإن كان الغرض من التودّد والتقرّب الاحتفاظ من شرّ شخص آخر أو التوسل إلى فعل شخص آخر يوجهه التقرّب والتودّد إليه.

وقد يستعمل لفظ أحدهما في معنى الآخر تجوّزاً فما كان من الأوّل فإن كان الفعل المقصود الحكم فهو حرام مطلقاً سواء كان الحكم لخصومه حاضره أو فرضيّته، ولذا حكموا بحرمة الهدية الغير المعهودة قبل القضاء، لأنه

قرينه على أن المقصود منه الحكم و لو فرضا و هو كذلك لصدق اسم الرشوه عرفا فيشملة إطلاقاتها و عليه يحمل إطلاق ما ورد من طريق العامه و الخاصه كما فى أمالى الشيخ أن هدايا العمال كما فى بعضها أو هديه الامراء كما فى بعض آخر غلول أو سحت و يدل عليه أيضا روايه أبى حميد الساعدى قال: استعمل النبى صلى الله عليه و آله و سلم رجلا- يقال له الله على الصدقه، فلما قدم قال: هذا لكم و هذا اهدى لى، فقام النبى صلى الله عليه و آله و سلم على المنبر فقال: ما بال العامل نبعثه على أعمالنا يقول: هذا لكم و هذا اهدى لى فهلا جلس فى قعب بيته أو فى بيت الله ينظر ليهدى أم لا، و الذى نفسى بيده لا يأخذ أحد منها شيئا إلا جاء يوم القيامة يحمل على رقبته، الحديث.

و إن كان غير الحكم فان كان أمرا محرما فهو أيضا كرشوه الحكم محرّم لكونه إعانه على الاثم و أتباعا للهوى، و ان لم يكن محرما فلا يحرم للأصل و اختصاص الأخبار المتقدمه برشوه الحكم، و ما كان من الثانى لا يحرم.

(و) يستحلون (الربا بالبيع) الربا لعه هو الزيادة و شرعا هو الزيادة على رأس المال من أحد المتساويين جنسا ممّا يكال أو يوزن، و المراد أنهم يأخذون الزيادة بواسطة البيع أى يجعلون المبايعه وسيله إلى أخذ تلك الزيادة و يزعمون حلّيتها لأجل أنّها معامله بتراضى الطرفين أو أنهم يستحلون الربا بقياسه على البيع كما كان عليه بناء أهل الجاهليه على ما أخبر الله سبحانه عنهم بقوله: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا».

قال الشيخ الطبرسى أى ذلك العقاب لهم بسبب قولهم إنّما البيع الذى لا ربا فيه مثل البيع الذى فيه الربا.

قال ابن عباس: كان الرجل منهم إذا حلّ دينه على غريمه فطالبه به قال المطلوب منه له: زدنى فى الأجل و أزيدك فى المال، فيتراضيان عليه و يعملان به، فاذا قيل لهم هذا ربا قالوا: هما سواء، يعنون بذلك أنّ الزيادة فى الثمن حال البيع و الزيادة فيه بسبب الأجل عند حلّ الدين سواء، فذمهم الله به و الحق الوعيد بهم و خطاهم فى ذلك لقوله تعالى: «وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا»

وقال الفخر الرازي: اعلم أنّ الربا قسمان: ربا النسيئة و ربا الفضل أما ربا النسيئة فهو الأمر الذي كان متعارفا مشهورا في الجاهليّة، وذلك أنّهم كانوا يدفعون المال على أن يأخذوا كلّ شهر قدرا معينا و يكون رأس المال باقيا، ثمّ إذا حلّ الدين طالبوا المديون برأس المال، فإذا تعذر عليه الأداء زادوا في الحقّ و الأجل، فهذا هو الربا الذي كانوا في الجاهليّة يتعاملون به، و أمّا ربا النقْد فهو أن يباع منّ من الحنطه بمنوين منها و ما أشبه ذلك.

أما قوله تعالى «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا» ففيه مسائل:

المسألة الاولى القوم كانوا في تحليل الربا على هذه الشّبهه، و هي أنّ من اشترى ثوبا بعشره ثمّ باعه بأحد عشر فهذا حلال فكذا إذا باع العشره بأحد عشر يجب أن يكون حلالا لأنّه لا فرق في العقل بين الأمرين فهذا في ربا النقْد و أمّا في ربا النسيئة فكذلك أيضا لأنّه لو باع الثوب الذي يساوى عشره في الحال بأحد عشر إلى شهر جاز، فكذا إذا أعطى العشره بأحد عشر إلى شهر و جب أن يجوز، لأنّه لا فرق في العقل بين الصّورتين، و ذلك لأنّه إنّما جاز هنا لأنّه حصل التراضي فيه من الجانبين فكذا ههنا لما حصل التراضي من الجانبين و جب أن يجوز أيضا، فالبياعات إنّما شرعت لدفع الحاجات و لعلّ الانسان أن يكون صفر اليد في الحال شديد الحاجه و يكون له في المستقبل من الزّمان أموال كثيرة فاذا لم يجز الربا لم يعطه ربّ المال شيئا فيبقى الانسان في الشّدّه و الحاجه أمّا بتقدير جواز الربا فيعطيه ربّ المال طمعا في الزّياده و المديون يرده عند وجدان المال مع الزّياده و إعطاء تلك الزّياده عند وجدان المال أسهل عليه من البقاء في الحاجه قبل وجدان المال، فهذا يقتضى حلّ الربا كما حكمنا بحلّ ساير البياعات لأجل دفع الحاجه فهذا هو شبهه القوم و الله تعالى أجاب عنه بحرف واحد و هو قوله: «وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا».

و وجه الجواب أنّ ما ذكرتم معارضه للنّص بالقياس و هو من عمل إبليس فأنّه تعالى لما أمره بالسّجود لآدم عليه السّلام عارض النّص بالقياس فقال: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ»

«خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ»، و ذكر الفرق بين البابين فقال: من باع ثوبا يساوى العشره بالعشرين فقد جعل ذات الثوب مقابلا بالعشرين، فلما حصل التراضى على هذا التقابل صار كل واحد منهما مقابلا للآخر فى المائيه عندهما فلم يكن أخذ من صاحبه شيئا بغير عوض، أما إذا باع العشره بالعشرين فقد أخذ العشره الزايدة من غير عوض.

ولا يمكن أن يقال إنَّ عوضه هو الامهال فى المدّه، لأنَّ الامهال ليس مالا- أو شيئا يشار إليه حتّى يجعله عوضا من العشره الزايدة، فظهر الفرق بين الصّورتين إلى أن قال:

المسأله الثالثه فى الآيه سؤال، و هو أنّه لم لم يقل إنّما الرّبا مثل البيع و ذلك لأنّ حلّ البيع متّفق عليه فهم أرادوا أن يقيسوا عليه الرّبا، و من حقّ القياس أن يشبه محلّ الخلاف بمحلّ الوفاق، فكان نظم الآيه أن يقال إنّما الرّبا مثل البيع فى الحكمه فى قلب هذه القضيه فقال إنّما البيع مثل الرّبا و الجواب أنّه لم يكن مقصود القوم أن يتممّ كوا بنظم القياس، بل كان غرضهم أنّ الرّبا و البيع متماثلان من جميع الوجوه المطلوبه فكيف يجوز تخصيص أحد المثلين بالحلّ و الثانى بالحرمه، و على هذا التقدير فأيّهما قدّم أو أحرّ جاز، هذا.

و قال الرازى و ذكروا فى سبب تحريم الرّبا وجوها:

أحدها الرّبا يقتضى أخذ مال الانسان من غير عوض لأنّ من يبيع الدرهم بالدرهمين نقدا أو نسيه فيحصل له زياده درهم من غير عوض، و مال الانسان متعلّق حاجته و له حرمة عظيمه.

فان قيل: لم لا يجوز أن يكون إبقاء رأس المال فى يده مدّه مديده عوضا عن الدرهم الزايد، و ذلك لأنّ رأس المال لو بقى فى يده هذه المدّه لكان يمكن المالك أن يتجر فيه و يستفيد بسبب تلك التجاره ربحا، فلما تركه فى يد المديون و انتفع به المديون لم يبعد أن يدفع إلى ربّ المال ذلك الدرهم الزايد عوضا عن انتفاعه بماله.

قلنا: إنَّ هذا الانتفاع الّذى ذكرتم أمر موهوم لا ينفك عن نوع ضرر موهوم قد يحصل وقد لا يحصل، و أخذ الدراهم الزائده أمر متيقن فتفويت المتيقن لأجل الأمر الموهوم لا ينفك عن نوع ضرر و ثانيها قال بعضهم: الله تعالى إنّما حرّم الرّبا من حيث إنّهُ يمنع النّاس عن الاشتغال بالمكاسب، و ذلك لأنّ صاحب الدرهم إذا تمكّن بواسطه عقد الرّبا من تحصيل الدرهم الزائد نقدا كان أو نسيه خفّ عليه اكتساب وجه المعيشه، فلا يكاد يتحمّل مشقّه الكسب و التّجاره و الصّناعات الشّاقه، و ذلك يفضى إلى انقطاع منافع الخلق و من المعلوم أنّ مصالح العالم لا تنتظم إلّا بالتّجارات و الحرف و الصّيناعات و العمارات و ثالثها قيل: السّبب فى تحريم عقد الرّبا إنّهُ يفضى إلى انقطاع المعروف بين النّاس من القرض، لأنّ الرّبا إذا حرم طابت النّفوس بقرض الدرهم و استرجاع مثله، و لو حلّ الرّبا لكانت حاجه المحتاج تحمله على أخذ الدرهم بدرهمين، فيفضى ذلك إلى انقطاع المواساه و المعروف و الاحسان.

أقول: و هذا الوجه الأخير هو المروى عن الصّادق عليه السّلام قال: إنّما شدّد الله فى تحريم الرّبا لئلاّ يمتنع النّاس من اصطناع المعروف قرضا و رفا.

قال بعض العارفين: آكل الرّبا أسوء حالا من جميع مرتكبي الكبائر، فإنّ كل مكتسب له توكل ما فى كسبه قليلا كان أو كثيرا كالتياجر و الزراع و المحترف لم يعينوا أرزاقهم بعقولهم و لم يتعيّن لهم قبل الاكتساب، فهم على غير معلوم فى الحقيقه كما قال رسول الله: أبى الله أن يرزق المؤمن إلّا من حيث لا يعلم، و أمّا آكل الربا فقد عيّن مكسبه و رزقه و هو محجوب عن ربّه بنفسه و عن رزقه بتعيّنه لا- توكل له أصلا، فوكله الله إلى نفسه و عقله و أخرجّه من حفظه و كلاتته فاحتفظته الجنّ و خبلته فيقوم يوم القيامه و لا رابطه بينه و بين الله عزّ و جلّ كساير النّاس المرتبطين به بالتوكل، فيكون كالمصروع الّذى مسّه الشيطان فتخبّطه لا يهتدى إلى مقصد، هذا.

و الأخبار فى عقاب الرّبا كثيره جدّا منها ما فى الصّافى عن الكافى عن الصّادق عليه السّلام درهم ربا أشدّ من سبعين

زنيه كلها بذات محرم، و زاد فى الفقيه و التهذيب مثل خاله و عمه، و زاد القمى فى بيت الله الحرام، و قال: الرّبا سبعون جزء أيسره مثل أن ينكح الرّجل امّه فى بيت الله الحرام.

و عن الفقيه و التهذيب عن أمير المؤمنين عليه السّلام لعن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم الرّبا و آكله و بايعه و مشتره و كاتبه و شاهديه.

ثمّ إنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لما بيّن لأمر المؤمنين عليه السّلام أوصاف المفتونين فأعاد عليه السّلام السؤال و قال (فقلت يا رسول الله فبأى المنازل أنزلهم عند ذلك أ بمنزله ردّه أم بمنزله فتنه فقال بمنزله فتنه) و ذلك لبقائهم على الاقرار بالشهادتين و ان ارتكبوا من المحارم ما ارتكبوا لشبهه غطت على أعين أبصارهم، فلا يجرى عليهم فى الظاهر أحكام الكفر و إن كانوا باطنا من أخبث الكفار.

تنبيهات

- :

الاول

قال الشارحان المعتزلى و البحرانى: إنّ هذا الخبر الذى رواه أمير المؤمنين عليه السّلام عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قد رواه كثير من المحدّثين عنه عليه السّلام عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: إنّ الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب على جهاد المشركين قال عليه السّلام فقلت: يا رسول الله ما هذه الفتنة التى كتب على فيها الجهاد؟ قال صلّى الله عليه و آله و سلّم فتنة قوم يشهدون أن لا إله إلا الله، و أنّى رسول الله و هم مخالفون للسّنة، فقلت:

يا رسول الله فعلى م أفاتلهم و هم يشهدون كما أشهد؟ قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: على الاحداث فى الدّين و مخالفه الأمر، فقلت: يا رسول الله إنك كنت وعدتني بالشهادة فاسأل الله أن يعجلها لى بين يديك، قال: فمن يقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين أما أنّى وعدتك بالشهادة و ستشهد تضرب على هذا فتخضب هذه فكيف صبرك إذا؟ فقلت يا رسول الله ليس ذا بموطن صبر هذا موطن شكر، قال: أجل أصبت فأعدّ للخصومه فانك مخاصم، فقلت: يا رسول الله لو بينت لى قليلا، فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم إنّ امتى ستفتن

من بعدى فتأول القرآن، و تعمل بالرأى، و تستحل الخمر بالنيذ، و السحت بالهدية و الربا بالبيع، و تحرف الكلم عن مواضعه، و تغلب كلمه الضلال فكن جليس بيتك حتى تقلدها، فاذا قلدها، جاشت عليك الصدور، و قلبت لك الامور، فقاتل حينئذ على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله، فليست حالهم الثانية دون حالهم الاولى، فقلت: يا رسول الله فبأى المنازل انزل هؤلاء المفتونين؟ أم بمنزله فتنه أم بمنزله رده؟ فقال صلى الله عليه و آله و سلم: بمنزله فتنه يعمهون فيها إلى أن يدركهم العدل، فقلت يا رسول الله أ يدركهم العدل منا أم من غيرنا؟ قال صلى الله عليه و آله و سلم: بل منا، بنا فتح الله و بنا يختم، و بنا ألف الله بين القلوب بعد الشرك، فقلت: الحمد لله على ما وهب لنا من فضله.

بيان

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: كن جليس بيتك هكذا فى نسخه الشارح المعتزلى فعيل بمعنى فاعل أى كن من يجالس بيتك، و فى نسخه البحرانى جلس بيتك بالحاء المهملة وزان حبر قال فى مجمع البحرين: فى الخبر كونوا أحلاس بيوتكم، المجلس بالكسر كساء يوضع على ظهر البعير تحت البرذعه، و هذا هو الأصل، و المعنى الزموا بيوتكم لزوم الاحلاس و لا تخرجوا منها فتقعوا فى الفتنه، و الضمير فى تقلدها و قلدها على البناء للمفعول فيهما راجع إلى الخلافه، و التقليد مأخوذ من عقد القلاده على الاستعاره و تقليدهم اطاعتهم و ترك الفساد، و جاش القدر بالهمز و غيره غلا، و قلبت لك الامور أى دبروا أنواع المكائد و الحيل.

الثانى

قال الشارح المعتزلى: فى قوله عليه السلام: بل بمنزله فتنه، تصديق لمذهبنا فى أهل البغى و أنهم لم يدخلوا فى الكفر بالكليه، بل هم فساق، و الفاسق عندنا فى منزله بين المنزلتين خرج من الايمان و لم يدخل فى الكفر، انتهى.

اقول: قد علمت تحقيق الكلام فى حكم البغاه و الخوارج فى شرح الخطبه

الثالثة و الثلاثين و ظهر لك هناك أنهم محكومون بكفرهم باطنا و إن يجرى عليهم فى الظاهر أحكام الاسلام، و لقد ظفرت
حيثما بلغ بنا الشرح إلى هذا المقام على تحقيق أنيق للعلامة المجلسى قدس سره العزيز فى هذا المرام، فأحببت أن أوردته هنا
لكونه معاضدا لما قدّمنا، فأقول:

قال قدس الله روحه فى المجلد الثامن من البحار فى باب حكم من حارب أمير المؤمنين عليه الصلاة و السلام:

تذييل فى أحكام البغاه

اعلم أنه قد اختلف فى أحكام البغاه فى مقامين:

الاول فى كفرهم

، فذهب أصحابنا إلى كفرهم قال المحقق الطوسى رحمه الله عليه فى التجريد: محاربوا علىّ عليه السلام كفره، و مخالفوه فسقه.

أقول: و لعل مراده إنّ مخالفه فى الحرب و الذين لم ينصروه فسقه كما يؤمى إليه بعض كلماته فيما بعد.

و ذهب الشافعى إلى أنّ الباغى ليس باسم ذمّ، بل هو اسم من اجتهد فأخطأ بمنزله من خالف الفقهاء فى بعض المسائل.

و قال شارح المقاصد: و المخالفون لعلىّ عليه السلام بغاه، لخروجهم على امام الحقّ بشبهه من ترك القصاص من قتله عثمان، و
لقوله صلى الله عليه و آله و سلم لعمار رضى الله عنه تقتلك الفئة الباغية، و قد قتل يوم صفين على يد أهل الشام، و لقول علىّ
عليه الصّلاه و الصّلام: إخواننا بغوا علينا و ليسوا كفّارا و لا فسقه و ظلمه، لمالهم من التأويل و إن كان باطلا، فغايه الأمر أنّهم
أخطئوا فى الاجتهاد، و ذلك لا يوجب التفسيق فضلا عن التكفير.

و ذهبت المعتزله إلى أنه اسم ذمّ و يسمّونهم فساقا.

و الدلائل على ما ذهب إليه أصحابنا أكثر من أن تحصى، و قد مضت الأخبار الداله عليه و سيأتى فى أبواب حبّ أمير المؤمنين
و إمام المتّقين علىّ بن أبى طالب

الثانى فيما اغتتمه المسلمون من أموال البغاه

فذهب بعض الأصحاب إلى أنه لا- يقسم أموالهم مطلقا، و ذهب بعضهم إلى قسمه ما حواه العسكر دون غيره من أموالهم و تمسك الفريقان بسيرته عليه السلام فى أهل البصره.

قال الأؤلون: لو جاز الاغتنام لم يردّ عليه السّلام عليهم أموالهم و قد روى أنّه عليه السّلام نادى من وجد ماله فله أخذه فكان الرّجل منهم يمرّ بمسلم يطبخ فى قدر فيسأله أن يصبر حتّى ينضج فلا يصبر فيكفأها و يأخذها، و أنّه عليه السّلام كان يعطى من القوم من له بينه و من لم يكن له بينه فيحلفه و يعطيه.

و قال الآخرون لو لا- جوازه لما قسم عليه السّلام أموالهم أوّلا بين المقاتله و قد كان ردّها عليهم بعد ذلك على سبيل المنّ لا الاستحقاق كما منّ النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم على كثير من المشركين، و قد رووا عنه عليه السلام أنّه قال: مننت على أهل البصره كما منّ النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم على أهل مكّه، و لذا ذهب بعض أصحابنا على جواز استرقاقهم كما جاز للرّسول صلّى الله عليه و آله و سلّم فى أهل مكّه، و المشهور عدمه.

و الّذى نفهم من الأخبار أنّهم واقعا فى حكم المشركين و غنايمهم و سبيهم فى حكم غنايم المشركين و سبيهم، و القائم عليه السّلام يجرى عليهم تلك الأحكام، و لمّا علم أمير المؤمنين عليه السّلام استيلاء المخالفين على شيعته لم يجر هذه الأحكام عليهم لئلا يجروها على شيعته، و كذا الحكم بطهارتهم و جواز مناكتهم و حلّ ذبيحتهم لاضطرار معاشره الشّيعه معهم فى دوله المخالفين.

و يدلّ عليه ما رواه الكلينيّ باسناده عن أبى بكر الحضرمي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول: لسيره علىّ يوم البصره كانت خيرا للشّيعه ممّا طلعت عليه الشّمس لأنّه علم أنّ للقوم دوله فلو سباهم لسببت شيعته، قلت فأخبرنى عن القائم أيسير بسيرته عليه السّلام؟ قال: لا إنّ عليّا سار فيهم بالمنّ، للعلم من دولتهم، و إنّ القائم عليه السّلام يسير فيهم بخلاف تلك الشّيره، لأنّه لا دوله لهم.

و أمّا ما لم يحوها العسكر من أموالهم فنقلوا الاجماع على عدم جواز

تملكها، و كذلك ما حواه العسكر إذا رجعوا إلى طاعه الامام عليه السّلام و إنّما الخلاف فيما حواه العسكر مع إصرارهم، و أمّا مدبرهم و جريحهم و أسيرهم فذو الفئه منهم يتبع و يجهز عليه و يقتل، بخلاف غيره، و قد مضت الأخبار في ذلك و ستأتي في باب سيرته عليه السّلام في حروبه.

تكملة

قال الشّيخ قدّس الله روحه في تلخيص الشّافى عندنا أنّ من حارب أمير المؤمنين و ضرب وجهه و وجه أصحابه بالسّيف كافر، و الدّليل المعتمد في ذلك إجماع الفرقة المحقّقه الاماميّه على ذلك، فإنّهم لا يختلفون في هذه المسأله على حال من الأحوال و تدلّنا على أنّ إجماعهم حجّه فيما تقدّم، و أيضا فنحن نعلم أنّ من حاربه عليه السّلام كان منكرا لامامته و دافعا لها، و دفع الامامه كفر كما أنّ دفع النّبوه كفر، لأنّ الجهل بهما على حدّ واحد.

و قد روى عن النّبي صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال: من مات و هو لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّه، و ميتة الجاهليّه لا تكون إلّا على كفر.

و أيضا روى عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم أنّه قال: حربك يا عليّ حربي و سلمك يا عليّ سلمى، و معلوم أنّه صلّى الله عليه و آله و سلّم إنّما أراد أحكام حربك تماثل أحكام حربي، و لم يرد أنّ إحدى الحربين هي الاخرى، لأنّ المعلوم ضروره خلاف ذلك و ان كان حرب النّبي كفرا أوجب مثل ذلك في حرب أمير المؤمنين عليه السّلام لأنّه جعله مثل حربه.

و يدلّ على ذلك أيضا قوله صلّى الله عليه و آله: اللهمّ وال من والاه و عاد من عاداه، و نحن نعلم أنّه لا- يجب عداوه أحد بالاطلاق إلّا عداوه الكفار.

و أيضا فنحن نعلم أنّ من كان يقاتله يستحلّ دمه و يتقرّب إلى الله بذلك، و استحلال دم مؤمن مسلم كفر بالاجماع، و هو أعظم من استحلال جرعه من الخمر الّذي هو كفر بالاتّفاق.

فان قيل: لو كانوا كفّارا لوجب أن يسير فيهم بسيره الكفار، فيتبع مولّيهم و يجهز على جريحهم، و يسبى ذراريهم، فلنّما لم يفعل ذلك دلّ على أنّهم لم

يكونوا كفّارا.

قلنا: لا- يجب بالتساوي في الكفر التّساوي في جميع أحكامه، لأنّ أحكام الكفر مختلفه، فحكم الحربى خلاف حكم الذّمى، و حكم أهل الكتاب خلاف حكم من لا كتاب له من عباد الأصنام، فإنّ أهل الكتاب يؤخذ منهم الجزيه و يقوّون على أديانهم، و لا يفعل ذلك بعباد الأصنام، و عند من خالفنا من الفقهاء يجوز التّزوّج بأهل الذّمه و إن لم يجر ذلك في غيرهم، و حكم المرتدّ بخلاف حكم الجميع، و إذا كان أحكام الكفر مختلفه مع الاتّفاق في كونه كفرا لا- يمتنع أن يكون من حاربه كافرا و إن سار فيهم بخلاف أحكام الكفّار.

و أمّا المعتزله و كثير من المنصفين من غيرهم فيقولون بفسق من حاربه و نكث بيعته و مرق عن طاعته، و إنّما يدعون أنّهم تابوا بعد ذلك، و يرجعون في اثبات توبتهم إلى امور غير مقطوع بها و لا معلومه من أخبار الآحاد، و المعصيه معلومه مقطوع عليها، و ليس يجوز الرّجوع عن المعلوم إلّا بمعلوم مثله.

الترجمه

فصل ثانی از کلام آن امام انام است می فرماید:

راه ایمان راهی است روشن تر از همه راهها، و نورانی تر از جمیع چراغها، پس با ایمان استدلال کرده می شود بأعمال صالحه، و با أعمال صالحه استدلال کرده می شود بایمان، و با ایمان آباد شده می شود علم، و با علم ترس حاصل می شود از مرگ و با مرگ ختم می شود دنیا، و با دنیا محکم می شود کار آخرت، و با قیامت نزدیک شده می شود بهشت عنبر سرشت از برای متّقین، و اظهار می شود دوزخ از برای معصیتکاران و بدرستی که مخلوقان هیچ مکان نگاهدارنده نیست ایشان را از ورود قیامت در حالی که سرعت کننده اند در میدان آن بسوی غایت نهایت که عبارتست از سعادت و شقاوت.

بعض دیگر از این کلام در بیان حال أهل قبور است می فرماید:

ص: ۳۱۰

بتحقیق که کوچ کردند ایشان از قرارگاه قبرها، و منتقل شدند بمحل انتقال غایتها که عبارتست از بهشت و جهنم، و از برای هر خانه از این دو خانه اهلست که طلب نمی کنند عوض نمودن آن را بخانه دیگر، و نقل کرده نمی شوند از آن خانه بسوی غیر آن، و بدرستی که امر بمعروف و نهی از منکر دو خلق پسندیده هستند از اخلاق خدا، و بدرستی که این دو خلق نزدیک نمی گردانند از مرگ و کم نمی کنند از روزی، و لازم نمائید بخودتان عمل کردن کتاب خدا را، پس بدرستی که اوست ریسمان محکم، و نور آشکار و شفا دهنده با منفعت، و سیراب کننده که رفع عطش می نماید، و نگاه دارنده از برای کسی که تمسک بآن نماید، و نجاه دهنده مر کسی که تعلق بآن داشته باشد، کج نمی شود تا راست کرده شود، و عدول نمی کند از حق تا طلب کرده شود بازگشت آن بسوی حق، و کهنه نمی کند آن را کثرت ورد آن بزبانها و دخول آن بگوشها، هر کس قایل شد بآن کتاب صادق شد، و هر کس عمل نمود بآن سبقت کرد بدرجات جنان و روضه رضوان.

و بر خواست بسوی آن حضرت در اثنای این کلام مردی، پس عرض نمود ای امیر مؤمنان خبر ده ما را از فتنه و بلیه و آیا پرسیدی آنرا از حضرت رسول الله صلی الله علیه و آله و سلم؟ پس فرمود:

زمانی که نازل نمود حق سبحانه و تعالی آیه «الْم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ».

یعنی منم خدای لطیف مجید آیا گمان کردند مردمان که ایشان ترک کرده میشوند بحال خودشان بمحض این که می گویند ایمان آوردیم ما و حال آنکه ایشان امتحان کرده نشوند، آن حضرت فرمود زمانی که نازل شد این آیه دانستم من که فتنه نازل نمی شود بما و حال آنکه حضرت رسالتآب صلی الله علیه و آله و سلم در میان ما است، پس گفتم یا رسول الله چیست این فتنه و امتحان که خبر داده تو را خداوند متعال بآن؟ پس فرمود آن حضرت که: ای علی بدرستی که امت من زود باشد که بفته افتند بعد از من

پس گفتم ای رسول خدا آیا نبود که گفتی مرا در روز جنگ احد هنگامی که بدرجه شهادت رسیدند کسانی که شهید شدند از مسلمانان و منع شد از من شهادت پس دشوار آمد این شهید نشدن بمن، پس فرمودی تو بمن که: شاد باش که شهادت از پس تو است، پس فرمود حضرت رسول بمن که: یا علی کار بهمین قرار است یعنی البتّه شهید خواهی شد پس چگونه است صبر تو آن هنگام؟ عرض کردم:

یا رسول الله نیست این مقام از مقامهای صبر و شکیبائی و لکن از مواضع بشارت و شکر است، پس فرمود آن حضرت: ای علی بدرستی این قوم زود باشد که مفتون باشند بعد از من بمالهای خودشان و منت گذاری کنند بدین خود پیروردگار خودشان، و آرزو نمایند رحمت او را و ایمن شوند از سخط او، و حلال شمارند حرام او را با شبهه های دروغ و با خواهشات غفلت کننده، پس حلال شمارند شراب را به نیبذ، و رشوت را باسم هدیه، و ربا را بسبب مبیعه، پس گفتم: یا رسول الله بکدام منزلها نازل کنم ایشان را در آن حال آیا بمنزله فتنه یا بمنزله مرتد شدن؟ پس فرمود که بمنزله فتنه از جهت این که ظاهرا اقرار بشهادتین دارند اگر چه باطنا کافرنند.

و من خطبه له علیه السلام و هی المآه و السادسه

اشاره

و الخمسون من المختار فی باب الخطب

الحمد لله العذی جعل الحمد مفتاحا لذكره، و سببا للمزید من فضله، و دلیلا علی آلاءه و عظمته، عباد الله إنّ الدّهر یجری بالباقین کجریه بالماضین، لا یعود ما قد ولی منه، و لا یبقی سرمدا ما فیہ، آخر فعاله كأوله، متشابهه أمورہ، متظاھرہ أعلامه، فکائنکم

ص: ۳۱۲

بالساعة تحذوكم حدو الزاجر بشوله، فمن شغل نفسه بغير نفسه تحير في الظلمات، وارتبك في الهلكات، و مدت به شياطينه في طغيانه، وزينت له سىء أعماله، فالجنه غايه السابقين، و النار غايه المفرطين، اعلموا عباد الله أن التقوى دار حصن عزيز، و الفجور دار حصن ذليل، لا يمنع أهله، و لا يحرز من لجأ إليه، ألا و بالتقوى تقطع حمة الخطايا، و باليقين تدرك الغايه القصوى، عباد الله الله في أعز الأنفس عليكم، و أحبها إليكم، فإن الله قد أوضح لكم سبيل الحق، و أنار طريقه، فشقوه لازمه، أو سعاده دائمه، فتزودوا في أيام الفناء لأيام البقاء، قد دلتم على الزاد، و أمرتم بالظعن، و حثتم على المسير، فإنما أنتم كركب وقوف لا تدرن متى تؤمرون بالسير، ألا- فما يصنع بالدنيا من خلق للآخرة، و ما يصنع بالمال من عمّا قليل يسلبه، و يبقى عليه تبعته و حسابه، عباد الله إنه ليس لما وعد الله من الخير مترك و لا- فيما نهى عنه من الشرّ مرغّب، عباد الله احذروا يوما تفحص فيه الأعمال، و يكثر فيه الزلزال، و تشيب فيه الأطفال، اعلموا عباد الله أن عليكم رقدا من أنفسكم، و عيوننا من جوارحكم، و حفاظ صدق يحفظون أعمالكم، و عدد أنفاسكم، لا

تستركم منهم ظلمه ليل داج، ولا يكتنكم منهم باب ذو رتاج، وإن غدا من اليوم قريب، يذهب اليوم بما فيه، ويجيء الغد لاحقاً به، فكأن كل امرء منكم قد بلغ من الأرض منزل وحدته، ومخبط حفرتة، فيا له من بيت وحده، ومنزل وحشه، ومفرد غربه، وكأن الصيحه قد أتتكم، والساعة قد غشيتكم، وبرزتم لفصل القضاء، قد زاحت عنكم الأباطيل، واضمحلّت عنكم العلل، واستحقّت بكم الحقائق، وصدرت بكم الامور مصادرها، فأتعظوا بالعبر، واعتبروا بالغير، وانتفعوا بالنذر.

اللغة

(زجر) البعير من باب نصر ساقه و (شول) جمع شائله على غير قياس و هي من الابل ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجفّ لبنها و جمع الجمع أشوال، و أمّا الشائل بغير هاء فهي التياقه تشول و ترفع ذنبها للقاح و الجمع شول مثل راع و ركع و (الحمه) بضمّ الحاء و فتح الميم ابره العقرب و هي محلّ سمّها، و ربّما يطلق على نفس السمّ، و يروى حمّه بالتشديد من حمه الحرّ و هو معظمه و (رتج) الباب أغلقه كارتجه و (مخبط حفرتة) في بعض النسخ بالخاء المعجمه لأنّ القبر يخطّ أولاً ثمّ يحفر، و في بعضها بالحاء المهمله من حطّ القوم إذا نزلوا.

الاعراب

قوله: الله الله في أعزّ الأنفس، منصوبان على التحذير، و حذف العامل وجوبا اي احذروا الله أو اتقوا الله قال نجم الأئمة: و حكمه اختصاص وجوب الحذف

بالمحذر منه المكرّر كون تكريره دالاً على مقارنه المحذر منه للمحذر بحيث يضيق الوقت إلا عن ذكر المحذر منه على أبلغ ما يمكن، وذلك بتكريره و لا يتسع لذكر العامل مع هذا المكرّر، وإذا لم يكرّر الاسم جاز إظهار العامل اتفاقاً وقوله: فشقوه لازمه أو سعادته دائمه، مرفوعان على الخبرية أى فعاقبتكم شقوه أو سعادته، أو مبتدءان محذوفاً الخبير، و لا يضّر نكارتهم لكونهما نكره موصوفه و التقدير فشقوه لازمه لمن نكب عنها أو سعادته دائمه لمن سلكها، أى سلك هذه الطرق، و يجوز أن يكونا فاعلين لفعل محذوف.

وقوله: فما يصنع، استفهام انكارى على سبيل التفرّيع و التوبيخ، و عن فى قوله. عمّا قليل، بمعنى بعد، و الضمير فى قوله: أنه ليس آه للشأن، و إضافه المخطّ إلى حفرتة من باب الاضافه فى سعيد كرز إذ المراد بهما القبر، و قوله:

فيا له من بيت وحده، التّداء للتّفخيم و التّهويل، و اللّام للاستغاثه، و الضّمير فى له، راجع إلى مخطّ حفرتة، و من بيت وحده تميز.

قال الرّضى: و قد يكون الاسم فى نفسه تاماً لا لشيء آخر أعنى لا يجوز اضافته فينصب عنه التميز و ذلك فى شيئين: أحدهما الضّمير و هو الأكثر و ذلك فيما فيه معنى المبالغه و التّفخيم كمواضع التّعجب نحو يا له رجلاً و يا لها قصّه و يا لك ليلاً و يا لها خطّه «إلى أن قال» فان كان الضّمير فيها (١) لا يعرف المقصود منه فالتميز عن المفرد كقول امرء القيس:

فيا لك من ليل كأنّ نجومه بكلّ مغار القتل شدّت يذبّل

و إن عرف المقصود من الضّمير برجوعه إلى سابق معيّن كقولك: جئنى زيد فيا له رجلاً و ويله فارساً و يا ويحه رجلاً و لقيت زيدا فلله درّه رجلاً، أو بالخطاب لشخص معيّن نحو قلت لزيد يا لك من شجاع و لله درّك من رجل و نحو ذلك، فليس التميز عن المفرد، لأنّه لا إبهام إذا فى الضّمير بل عن النسبه الحاصله بالاضافه، كما يكون كذلك إذا كان المضاف إليه فيها ظاهراً، نحو يا لزيد رجلاً

ص: ٣١٥

و لله درّ زيد رجلا إلى آخر ما ذكره.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشريفة قد خطب بها للنصح و الموعظة و تنبيه المخاطبين من نوم الغفلة و الجهالة، و افتتحها بما هو حقيق أن يفتتح به كلّ كلام ذى بال أعنى حمد الله سبحانه و الثناء عليه تعالى بجمله من نعوت كماله فقال (الحمد لله الذى جعل الحمد مفتاحا لذكره) قال الشارح المعتزلى: لأنّ أوّل الكتاب العزيز الحمد لله ربّ العالمين، و القرآن هو الذكر قال سبحانه:

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ».

أقول: هذا إنّما يتمّ لو كان سورة الفاتحة أوّل ما نزل من القرآن أو يكون هذا الجمع و الترتيب و وقوع الفاتحة فى البداء بجعل من الله سبحانه.

أمّا الثانى فباطل قطعاً إذ نظم السور و تأليفها و ترتيبها على ما هى عليه الآن إنّما كان فى زمن عثمان و من فعله حسبما عرفته فى تذييلات شرح الفصل السابع عشر من الخطبة الاولى.

و أمّا الأوّل فهو أيضا غير معلوم بعد، بل المشهور بين المفسّرين أنّ أوّل سورة نزلت بمكّه هو سورة اقرء باسم ربك، و قد رواه فى مجمع البيان فى تفسير سورة هل أتى عن ابن عباس و غيره، نعم قد روى هناك عن سعيد بن المسيّب عن علىّ عليه السلام أنّ أوّل ما نزل بمكّه فاتحة الكتاب، ثمّ اقرء باسم ربك.

فالأولى أن يقال إنّ المراد أنه سبحانه جعل الحمد مفتاحا لذكره فى عدّه سور، و اطلاق الذكر على السوره لا غبار عليه كما أنّ القرآن يطلق على المجموع و على البعض من سورة و آيه و نحوها (و سببا للمزيد من فضله) بمقتضى وعده الصادق فى كتابه العزيز أعنى قوله: «لِئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ».

(و دليلا على آلائه و عظمته) أمّا كونه دليلا على آلائه فيحتمل معنيين.

أحدهما أنه دليل للحامد على آلائه سبحانه أى على الفوز بها إذ الحمد و الشكر سببان للوصول إلى النعم موجبان لزيادتها
حسبما عرفت آنفاً، و أنها منه دون غيره، فمن حمد له تعالى فقد اهتدى بحمده إلى نيل نعمه.

و ثانيهما أنّ الحمد لله تعالى دليل على أنه صاحب الآلاء و النعم إذ الحمد لا يليق إلا بوليّ النعمه، و لعلّ الثاني أظهر.

و أمّا كونه دليلاً على عظمته فللدلالته على عدم تناهى قدرته و عدم نفاذ ملكه و خزائنه إذ كلما ازداد الحمد ازدادت النعمه لا
يزيده كثره العطاء إلا كرمها وجودا فسبحان من لا تفنى خزائنه المسائل، و لا تبدل حكيمته الوسائل.

و لما فرغ من حمد الله سبحانه شرع فى التذكير و الموعظه فقال (عباد الله إنّ الدهر يجرى بالباقيين كجرية بالماضين) يعنى أنّ
جريانه بالأخلاف كجريانه بالأسلاف قال الشّاعر:

فما الدهر إلا كالزمان الذى مضى و لا نحن إلا كالقرون الأوائل

و هو من تشبيه المعقول بالمعقول، إذ الجرى أمر عقلا-نى غير مدرك باحدى الحواس الخمس، و من باب التشبيه المفصل
للتصريح بوجه الشبه و كونه مذكورا فى الكلام و هو قوله (لا يعود ما قد ولى منه و لا يبقى سرمد ما فيه) يعنى أنّ ما ولى منه و
أدبر فقد فات و مضى لا عود له أبداً، و ما هو موجود فيه فهو فى معرض الزوال و الفناء ليس له ثبات و لا بقاء، إذ وجود الزمانى
إنما هو بوجود زمانه، فيكون منقضيًا بانقضائه، و فى هذا المعنى قال الشّاعر:

ما أحسن الأيام إلا أنّها يا صاحبى إذا مضت لم ترجع

(آخر فعاله كأوله) و عن بعض النسخ كأولها فالضمير راجع إلى فعاله، و على ما فى المتن فالضمير راجع إلى الدهر فيحتاج إلى
تقدير مضاف كأول فعاله، و المراد واحد و أنّ هو أجزاء الزمان أولاً و آخرها سابقا و لا حقا على وتيره واحده و نسق واحد أى
(متشابهه اموره) فأنه كما كان أولاً- يعدّ قوما للفقير و آخرين للغنى و طائفه للصحة و اخرى للمرض، و فرقه للضعفه و اخرى
للرفعه، و جمعا للوجود

و آخر للعدم، و هكذا كذلك هو آخر، و بالجملة فإن حديثه يخبر عن قديمه، و جديده ينبيء عن عتيقه قال الشارح المعتزلي: و روى متسابقه اموره، أى شىء منها قبل كل شىء كأنها خيل تتسابق فى مضمار (متظاهره أعلامه) أى دلالاته على سجيته و شيمته و أفعاله التى يعامل بها الناس قديما و حديثا تظاهر بعضها بعضا و تعاضده هذا.

و نسبه هذه الأمور إلى الدهر و إن كان الفاعل فى الحقيقه هو الرب تعالى باعتبار كونه من الأسباب المعده لحصول ما يحصل فى عالم الكون و الفساد من الخير و الشر و السعه و الضيق حسبما عرفت فى شرح الخطبه الثانيه و الثلاثين.

و قوله (فكأنكم بالساعه تحذوكم حد و الزاجر بشوله) قد مر تحقيق الكلام فى شرح نظير هذا الكلام له عليه السلام فى شرح الخطبه الحاديه و العشرين و استظهرنا هناك أن المراد بالساعه ساعات الليل و النهار، لأنها تسوق النار إلى الدار الآخره و يسعى الناس بها إليها، و يجوز أن يراد بها هنا القيامه و إن لم نجوزها فيما تقدم لباء لفظه ورائكم هناك عنه، و لعل إرادته هذه هنا أظهر بملاحظه لفظه فكأنكم فتأمل.

و تسميتها بالساعه باعتبار أن الناس يسعى إليها، فيكون المقصود به الاشاره إلى قرب القيامه و كونها حاديه للمخاطبين باعتبار أنها لا- بد للناس من الحشر إليها و الاجتماع فيها للسؤال و الجواب و الحساب و الكتاب و الثواب و العقاب لا مناص لهم عن وقوفها فكأنها تسوقهم إليها ليجمعوا فيها و ينظر إلى أعمالهم و إنما شبه حدوهم بحدو الزاجر بشولها لأن سائق الشول إنما يسوقها بعنف و سرعه لخلوها من الضرع و اللبن بخلاف سائق العشار فإنه يرفق بها و لا يجرها كما هو ظاهر.

و لما نبه على قرب الساعه و أنها تحذو المخاطبين أردفه بالثنيه على وجوب الاشتغال بالنفس أى بصرف الهمة إلى محاسبتها و إصلاحها و تركيتها و ترغيبها إلى ما اريد منها (ف) ان (من شغل نفسه بغير نفسه) لا يتحصل له نور

يهتدى به فى ظلمات طريق الآخرة بل إنّما يحصل على أغطيه من الهيئات البدنيه و أغشيه متحصّيه من الاشتغال بزخارف الدنيا حاجبه له عن نور البصيره فلأجل ذلك يكون قد (تحرّير فى الظلمات) و تاه فيها (و ارتبك) أى اختلط (فى الهلكات) لا يكاد يتخلّص منها (و مدّت به شياطينه فى طغيانه و زينت له سىء أعماله) كما قال عزّ من قائل:

«إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ وَ إِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ.»

يعنى أنّ الذين اتّقوا الله باجتنب معاصيه إذا طاف عليهم الشيطان بوساوسه تذكروا ما عليهم من العقاب بذلك فيجتنبوه و يتركونه فاذا هم مبصرون للرشد، و إخوان المشركين من شياطين الجنّ و الانس يمدونهم فى الضلال و المعاصى و يزيدونهم فيه و يزينون ما هم فيه ثمّ لا يقصرون لا يكفون الشياطين عن استغوائهم و لا يرحمونهم و قيل: معناه و إخوان الشياطين من الكفار يمدّهم الشياطين فى الغيّ ثمّ لا يقصرون هؤلاء مع ذلك كما يقصر الذين اتّقوا، هكذا فى مجمع البيان.

ثمّ ذكر غايه وجود الانسان و قال:(فالجنّه غايه السابقين و النار غايه المفرطين) و كفى بالجنّه نعمه لمن طلب، و كفى بالنار نقمه لمن هرب، و تخصيص الجنّه بالسابقين و النار بالمفرطين تنبيها على فضيله السّبق و رذيله التّفريط بتقوى الباعث على طلب أشرف الغايتين و الهرب من أحسهما.

و لما كان السّبق إلى الجنّه و النّجاه من النار لا يحصل إلاّ بالتقوى و بالكفّ عن الفجور أردفه بذكر ثمرات هذين الوصفين و شرح ما يترتب عليهما من الفضائل و الرذائل فقال:(اعلموا عباد الله أنّ التقوى دار حصن عزيز و الفجور دار حصن ذليل) قال الشّارح المعتزلى: أى دار حصانه، فأقيم الاسم مقام المصدر هذا و نسبه العزّه و الدّلّه إلى الدّار من التّوسّع باعتبار عزّه من تحصّن بالأوّل و ذلّه من تحصّن بالآخر

أمّا الأوّل فلأنّ التقوى تحرز من اتقى فى الدّنيا من الرّذائل المنقصه و القبايح الموقعه له فى الهلكات و المخازى، و فى الآخره من النار و غضب الجبار كالحصن الحصين الذى يحرز متحصّنه من المضارّ و المكاره.

و أما الثانى فلأنّ الفجور يوقع الفاجر فى الدّنيا فى المعاطب و المهالك و لا ينجيه فى الآخره من العذاب الأليم و السخط العظيم، فهو بمنزله دار غير وثيق البنيان منهدم الحيطان و الجدران (لا- يمنع أهله و لا- يحرز من لجأ إليه) و من تحصّن بدار كذلك ليكوننّ ذليلاً مهاناً لا محاله.

(ألا و بالتقوى تقطع حمه الخطايا) التشبيه المضمّر فى النفس للخطايا بالعقارب أو بذوات السموم من الحيوان استعاره بالكنايه و ذكر الحمه تخييل و القطع ترشيح و المراد أنّ بالتقوى يتدارك و ينجبر سريان سمّ الخطايا و الآثام فى النفوس الموجب لهلاكها الأبد كما يقطع سريان سموم العقارب و الأفاعى فى الأبدان بالباد زهر و الترياق و يمنع من نفوذها فى أعماق البدن بقطع العضو المملدوغ من موضع اللدغ، و على روايه حمه بالتشديد فالمقصود أنّ بها تدفع شدّتها و ترفع.

و لما نبه على كون التقوى حاسمه لمادّه الخطايا، و كان بذلك إصلاح القوّه العمليّه تبه على ما به يحصل إصلاح القوّه النظريّه أعنى اليقين فقال: (و باليقين تدرك الغايه القصوى) و إدراكها به لأنّ الانسان إذا كملت قوّته النظريّه باليقين و قوّته العمليّه بالتقوى، بلغ الغايه القصوى من الكمال الانسانى البتّه.

ثمّ عاد عليه السّلام إلى تحذير العباد تأكيداً للمراد فقال: (عباد الله الله الله) أى راقبوه سبحانه و اتّقوه تعالى (فى أعزّ الأنفس عليكم و أحبّها إليكم) الظاهر أنّ المراد بأعزّ الأنفس عليهم نفسهم، إذ كلّ أحد يحبّ نفسه بالذّات و لغيره بالعرض و التّبّع، و لذلك قال سبحانه:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ ناراً وَقُودُهَا النَّاسُ»

«وَالْحِجَارَةُ» قَدَّمَ الْأَمْرَ بِوَقَايَةِ النَّفْسِ عَلَى الْأَهْلِ لِكُونِهَا أَوْلَىٰ بِهَا مِنَ الْغَيْرِ هَذَا.

وَقَالَ الشَّارِحُ الْبَحْرَانِيُّ: وَفِي الْكَلَامِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّ لِلْإِنْسَانَ نَفْسًا مُتَعَدِّدَةً وَهِيَ بِاعْتِبَارِ مَطْمَئِنِّهِ وَأَمَارِهِ بِالسُّوءِ وَلَوَامِهِ وَبِاعْتِبَارِ عَاقِلِهِ وَشَهْوِيَّتِهِ وَغَضَبِيَّتِهِ، وَالْإِشَارَةُ إِلَىٰ الثَّلَاثِ الْأَخِيرَةِ وَأَعَزَّهَا النَّفْسُ الْعَاقِلَةُ إِذْ هِيَ الْبَاقِيَةُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَعَلَيْهَا الْعِقَابُ وَفِيهَا الْعَصِيَّةُ.

أَقُولُ: كَوْنُ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِشَارَةً إِلَىٰ مَا ذَكَرَهُ بَعِيدَ غَايَتِهِ (فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ الْحَقِّ وَأَنَارَ طَرِيقَهُ) وَيُرْوَىٰ فَأَبَانَ طَرِيقَهُ، فَالْعَطْفُ لِلتَّفْسِيرِ يَعْنِي أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ أَتَمَّ الْحُجَّةَ عَلَيْكُمْ، وَأَزَالَ الْعُذْرَ عَنْهُ بِمَا بَعَثَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ وَأَنْزَلَهُ مِنَ الزُّبُرِ وَالْكِتَابِ، وَأَبْلَجَ لَكُمْ نَهْجَ الْحَقِّ عَلَىٰ لِسَانِهِمْ (ف) لَمْ يَبْقَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا (شَقْوَهُ لِأَنَّهُ) لَمَنْ نَكَبَ عَنْهُ (أَوْ سَعَادَهُ دَائِمَةً) لَمَنْ سَلَكَه كَمَا قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ «إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا».

ثُمَّ عَادَ عَلَىٰ الْحَثِّ عَلَىٰ أَخْذِ الزَّادِ لِيَوْمِ الْمَعَادِ وَقَالَ: (فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ الْفَنَاءِ لِأَيَّامِ الْبَقَاءِ قَدْ دَلَّلْتُمْ عَلَىٰ الزَّادِ) أَيَّ دَلَّكُمْ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ:

«وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ».

(وَأَمْرْتُمْ بِالظُّعْنِ) وَالرَّحِيلِ (وَحَثَّمْتُمْ عَلَى الْمَسِيرِ) يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الظُّعْنُ وَالْمَسِيرُ كُنَايَتَيْنِ عَنْ تَرْكِ الدُّنْيَا وَالرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ وَالسَّيْرِ إِلَيْهَا بِالْقُلُوبِ وَالنَّفُوسِ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالْأَمْرِ وَالْحَثِّ مَا وَرَدَ فِي الْكِتَابِ وَالسِّيَرَةِ مِنَ الْآيَاتِ وَالْأَخْبَارِ الْمُنْفَرَةِ مِنَ الْأُولَىٰ وَالْمُرغَبَةِ فِي الْآخِرَىٰ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِمَا مَعْنَاهُمَا الْحَقِيقِيَّ أَعْنَى السَّيْرِ وَالرَّحْلَةَ إِلَى الْآخِرَةِ بِالْأَبْدَانِ فَيَكُونُ الْأَمْرُ وَالْحَثُّ كُنَايَةً عَمَّا أَوْ جَدَّ اللَّهُ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَعْدَّةِ لِفَسَادِ الْمَزَاجِ الْمُقْرَبَةِ إِلَى الْمَوْتِ، وَعَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْحَادِيَيْنِ

للإنسان بتعاقبها إلى وطنه الأصلي على ما مرّ تحقيقاً وتفصيلاً في شرح الخطبه الثالثه و الستين.

فإنّما أنتم كركب وقوف لا تدرّون متى تؤمرون بالسّير) لَمَّا أمرهم بالتزوّد في الدّنيا علّله بذلك تنبيها على وجوب المبادرة إلى أخذ الزّاد لأنّ المسافر إذا كان زمام أمره بيد غيره ولا يعلم متى يسار به لزم عليه أن يبادر إلى زاده كيلا يفجأه السّفر و يسير بغير زاد فيعطب.

قال الشّارح البحراني: قوله:فإنّما أنتم كركب إلى آخره فوجه التّشبيه ظاهر، فالإنسان هو النّفس، و المطايا هي الأبدان و القوى النّفسانيه و الطريقت هي العالم الحسيّ و العقليّ، و السّير الّمدى ذكر ما قبل الموت هو تصرّف النّفس في العالمين لتحصيل الكمالات المعدّه و هي الزّاد لغايه السّجاده الباقيه، و أمّا السّير الثّاني الّمدى هم وقوف ينتظرون و لا يدرون متى يؤمرون به فهو الرّحيل إلى الآخرة من دار الدّنيا و طرح البدن و قطع عقبات الموت و القبر إذ الإنسان لا يعرف وقت ذلك.

(ألا فما يصنع بالدّنيا من خلق للآخرة) الاستفهام في معرض التّنفير عن الدّنيا و التّوبيخ لطالبيها إذ الإنسان لَمَّا كان مخلوقا للآخرة فمقتضى العقل أن يصرف همّته إليها لا إلى الدّنيا الرّائله عنه عن قليل (و ما يصنع بالمال عمّا قليل يسلبه) و هو في معرض التّنفير عن المال بالتّنبيه على أنّه مسلوب عنه بعد زمان قليل فيزول سريعا لذّته (و يبقى عليه تبعته) أي اثمه (و حسابه) و ما كان هذا وصفه فحرى بأن يرفض و يترك لا أن يقتنى و يجمع.

ثمّ رغب في الخير بقوله (عباد الله أنّه ليس لما وعد الله من الخير مترك) أي ليس للخيرات و المثوبات التي وعدها الله سبحانه في كتابه و على لسان نبيه صلّى الله عليه و آله و سلّم محلّ لأن تترك رغبه عنها إلى غيرها إذ كلّ خير دونها زهيد، و كلّ نفع عندها قليل كما قال عزّ من قائل:

«الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا» و في سورة آل عمران:

«رُزِنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمِآبِ قُلْ أُوْتِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ». هذا و مقصوده عليه السَّلام بذلك الكلام التَّريغ في الطَّاعات المحصَّلة للخيرات الاخرويَّة و التَّحضيض عليها و على القيام بوظائفها.

ثمَّ نَفَرَ عن الشَّرِّ بقوله (و لا- فيما نهى عنه من الشَّرِّ مرغب) أى ليس في المحرَّمات و المعاصي التي نهى الله سبحانه عنها محلَّ لأنَّ يرغب فيها مع وجود نهيه و كونها مبعوضه عنده محصَّله للآثام و العقوبات الدَّائمة (عباد الله احذروا يوما تفحص فيه الأعمال) أى تكشف و تجد كلَّ نفس ما عملت من خير محضرا و ما عملت من سوء تودَّلو أنَّ بينها و بينه أمدا بعيدا (و يكثر فيه الزَّلزال) و نظير التَّحذير عنه بكثره الزَّلزال التَّحذير في قوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَ مَا هُمْ بِسُكَارَى وَ لَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ».

قال فى مجمع البيان معناه يا أيها العقلاء المكلفون اتقوا عذاب ربكم و اخشوا معصيه ربكم إن زلزاله الأرض يوم القيامه أمر عظيم هايل لا يطاق، يوم ترون الزلزاله أو الساعه تشغل كل مرضعه عن ولدها و تنساه، و تضع الحبالى ما فى بطونها و هو تهويل لأمر القيامه و تعظيم لما يكون فيه من الشدايد أى لو كان ثم مرضعه لذهلت أو حامل لوضعت و إن لم يكن هناك حامل و لا مرضعه، و ترى الناس سكارى من شدّه الخوف و الفزع، و ما هم بسكارى من الشراب و قيل: معناه كأنهم سكارى من ذهول عقولهم لشده ما يمرّ بهم لأنهم يضطربون اضطراب السكران هذا (و) لشده ذلك اليوم أيضا(يشيب فيه الأطفال) كما قال تعالى: «يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا».

قال الطبرسى: و هذا وصف لذلك اليوم و شدته كما يقال هذا أمر يشيب منه الوليد و تشيب منه النواصي إذا كان عظيما شديدا. و قال الشارح المعتزلى: قوله عليه السلام يشيب فيه الأطفال الكلام جار مجرى المثل و ليس ذلك على حقيقته لأنّ الامه مجتمعه على أنّ الأطفال لا يتغير حالهم فى الآخره إلى الشيب، و الأصل فى هذا أنّ الهموم و الأحزان إذا توالى على الانسان شاب سريعا قال أبو الطيب:

و الهمّ يخترم الجسيم مخافه و يشيب ناصيه الصبى و يهرم

ثم عقب بالتحذير من المعاصى بقوله (اعلموا عباد الله أنّ عليكم رسدا من أنفسكم) أى حرسا و حفظه ملازمين لكم غير منفكين عنكم، و أراد به الجوارح و الأعضاء، و لذا فسره بقوله (و عيوننا من جوارحك) مراقبين لكم شهداء عليكم يوم القيامه كما قال تعالى فى سوره السجده:

«و يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا»

«شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَيِّئُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ وَ جُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَ قَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَ هُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ».

روى فى الصّافى عن القمى نزلت فى قوم تعرض عليهم أعمالهم فينكرونها فيقولون ما عملنا شيئا منها، فيشهد عليهم الملائكة الذين كتبوا عليهم أعمالهم قال الصادق عليه السلام فيقولون لله: يا ربّ هولاء ملائكتك يشهدون لك، ثمّ يحلفون بالله ما فعلوا من ذلك شيئا و هو قول الله عزّ و جلّ «يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم» و هم الذين غضبوا أمير المؤمنين عليه السلام فعند ذلك يختم الله عزّ و جلّ على ألسنتهم و ينطق جوارحهم فيشهد السّمع بما سمع ممّا حرّم الله، و يشهد البصر بما نظر به إلى ما حرّم الله عزّ و جلّ، و يشهد اليدان بما أخذتا، و تشهد الرّجلان بما سعتا فيما حرّم الله، و يشهد الفرج بما ارتكب ممّا حرّم الله، ثمّ أنطق الله عزّ و جلّ ألسنتهم، فيقولون هم لجلودهم: لم شهدتم علينا الآية قال: و الجلود الفروج.

و فى الصّافى عن القمى أيضا فى تفسير قوله تعالى فى سورة يس:

«الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَ تُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَ تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ».

قال: إذا جمع الله عزّ و جلّ الخلق يوم القيامة دفع إلى كلّ إنسان كتابه فينظرون فيه فينكرون أنّهم عملوا من ذلك شيئا، فتشهد عليهم الملائكة، فيقولون، يا ربّ ملائكتك يشهدون لك، ثمّ يحلفون أنّهم لم يعملوا من ذلك شيئا و هو قول الله عزّ و جلّ: «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ» فإذا فعلوا ذلك ختم الله على ألسنتهم و تنطق جوارحهم بما كانوا يكسبون، هذا

و بما ذكرنا ظهر لك ضعف ما ذكره الشارح البحراني بل فساده من أن شهاده الجلود و غيرها بلسان الحال و النطق به، فإن كل عضو لما كان مباشرا لفعل من الأفعال كان حضور ذلك العضو و ما صدر عنه في علم الله تعالى بمنزله الشهاده القوليه بين يديه، فإن ذلك مخالف لظاهر الآيه و نصّ الروايه لدلالتهما على كون الشهاده بلسان القال لا بلسان الحال كما زعمه الشارح و توهم.

و قوله (و حفاظ صدق يحفظون أعمالكم و عدد أنفاسكم) أراد بهم الكرام الكاتبين قال تعالى:

«إِذْ يَتَلَقَى الْمُتَلَقِيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ».

قال في مجمع البيان: ذكر سبحانه أنه مع علمه به و كل به ملكين يحفظان عليه عمله الزاما للحجّه، فقال: إذ يتلقى المتلقيان، و هما الملكان يأخذان منه عمله فيكتبانه كما يكتب المملى عليه، عن اليمين و عن الشمال قعيد، المراد بالقعيد هو الملازم العدى لا يبرح لا القاعد الذي هو ضدّ القائم، و قيل: عن اليمين كاتب الحسنات و عن الشمال كاتب السيئات عن الحسن و مجاهد، و قيل: الحفظه أربعة: ملكان بالليل، و ملكان بالنهار عن الحسن، ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد أى ما يتكلم بكلام فيلظّه أى يرميه من فيه إلاّ- لديه حافظ حاضر معه يعنى الملك الموكّل به إمّا صاحب اليمين و إمّا صاحب الشمال، يحفظ عمله لا يغيب عنه، و عن أبى أمامه عن النبى صلى الله عليه و آله و سلّم قال: إنّ صاحب الشمال ليرفع القلم ستّ ساعات عن العبد المسلم المخطى أو المسىء، فان ندم و استغفر الله منها ألقاها و إلاّ- كتب واحده، و فى روايه اخرى قال: صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال، فاذا عمل حسنه كتبها له صاحب اليمين بعشر أمثالها و إذا عمل سيئه فأراد صاحب الشمال أن يكتبها قال له صاحب اليمين: امسك، فيمسك عنه سبع ساعات، فان استغفر الله منها لم يكتب عليه شىء، و إن لم يستغفر الله كتب له سيئه واحده، هذا

و قد علم بذلك أنه سبحانه مع علمه بحال العبد و كونه أقرب إليه من حبل الوريد و كل عليه لحكمه اقتضته من تشديد في تثبط العبد من المعصيه و تأكيد في اعتبار الأعمال و ضبطها للجزاء و إلزام الحجة يوم يقوم الأشهاد حفظه صدق يحفظون عمله و يضبطونه و هم ملازمون له غير غائبين عنه أبدا.

كما أشار إليه بقوله (لا- تستركم منهم ظلمه ليل داج) أى شديده الظلمه (و لا يكتنكم) أى لا يستركم (منهم باب ذور تاج) أى باب عظيم مغلق.

ثم حذر بقرب الموت فقال: (و ان غدا من اليوم قريب) كنى بالغد عن وقت الموت (يذهب اليوم بما فيه) من الخير و الشر و الطاعة و المعصيه (و يجيء الغد لاحقا به) ثم حذر ببلوغ القبر و كنى عنه بقوله (فكان كل امرء منكم قد بلغ من الأرض منزل وحدته و مخط حفرته) و أشار إلى هول ذلك المنزل و وصفه بالأوصاف الموحشه المنفره فقال (فيا له من بيت وحده و منزل وحشه و مفرد غربه) ثم حذر بالصيحة و نفخ الصور و قيام الساعة فقال: (و كان الصيحة قد أتتكم و الساعة قد غشيتكم) و الظاهر أن المراد بالصيحة الصيحة و النفخه الثانيه و قد اشير اليهما أعنى الصيحتين في سوره يس قال تعالى:

«ما يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَ هُمْ يَخْصَمُونَ فَلَا يَسْتَعْطِئُونَ تَوَصِيَّةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ وَ نَفْخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ».

قال في مجمع البيان: أى ما ينتظرون إلا صيحه واحده يريد النفخه الاولى عن ابن عباس، يعنى أن القيامة تأتيهم بغته تأخذهم الصيحة «و هم يخصمون» أى

يختصمون في امورهم و يتبايعون في الأسواق، ثم أخبر عن النفخة الثانية و ما يلقونه فيها إذا بعثوا بعد الموت فقال: و نفخ في الصور فاذا هم من الأجداث، و هي القبور، إلى ربهم أى إلى الموضع الذى يحكم الله فيه لا- حكم لغيره هناك، ينسلون، أى يخرجون سراعاً ثم أخبر عن سرعه بعثهم فقال: إن كانت إلا صيحه واحده، أى لم تكن المدّه إلا مدّه صيحه واحده، فاذا هم جميع لدينا محضرون، أى فاذا الأولون و الآخرون مجموعون في عرصات القيامة محضرون في موقف الحساب و في سوره الزمر:

«و نَفَخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ».

قال فى مجمع البيان: فصعق من فى السموات آه أى يموت من شدّه تلك الصيحه التى تخرج من الصور جميع من فى السموات و الأرض، و قوله: ثم نفخ فيه أخرى، يعنى نفخه البعث و هى النفخة الثانية.

(و برزتم لفصل القضاء) أى لحكم العدل الفاصل بين الحقّ و الباطل لتمييز المصيب من المخطى، و المسلم من الكافر، و المؤمن من المنافق ليجزى كلّ ما عمل كما قال عزّ من قائل:

«وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ».

(قد زاحت عنكم الأباطيل) أى بعدت و تنحت عنكم الهيآت الباطله الممكنه الزوال (و اضمحلت عنكم العلل) أى ذهبت و انحلت عنكم العلل و الأمراض النفسانيّه (و استحقت بكم الحقائق) قال الشارح المعتزلى: أى حقّت و وقعت

فاستعمل بمعنى فعل (و صدرت بكم الأمور مصادرها) أراد به رجوع كل امرء إلى ثمره ما قدم، قاله البحراني (فاتعظوا بالعبر) أي بكل ما يفيد اعتبارا و تتبها على أحوال الآخرة و بما فيه تذكرك للموت و ما بعده من الشدايد و الأهوال، ألا ترى إلى الآباء و الاخوان و الأبناء و الولدان و الأقرباء و الجيران كيف طحتهم المنون، و توالى عليهم السنين، و فقدتهم العيون، اندرست عن وجه الأرض آثارهم و انقطعت عن الأفواه أخبارهم.

إذا كان هذا حال من كان قبلنا فأنا على آثارهم نتلاحق

(و اعتبروا بالغير) أي بتغيرات الدهر و انقلاباته على أهله، لا يدوم سروره، و لا تتم أموره، لا يقيم على حال، و لا يتمتع بوصول، و عوده كاذبه. و آماله خائبه.

تحدّثك الأطماع أنك للبقاء خلقت و أنّ الدهر خلّ موافق

كأنك لم تبصر اناسا ترادفت عليهم بأسباب المنون اللواحق

(و انتفعوا بالنذر) أي بكل ما أفاد تخويفا بالآخرة و ما فيها من المفزعات و الدواهي فيا من عدم رشده، و ضلّ قصده إنّ أوقاتك محدوده، و أنفاسك معدوده، و أفعالك مشهوره، و أنت مقيم على الاصرار، غافل عن يوم تشخص فيه الأبصار.

إذا نصب الميزان للفصل و القضا و ابلس محجاج و اخرس ناطق

و اججت النيران و اشتد غيظها إذا فتحت أبوابها و المغالط

فأنك مأخوذ بما قد جنيته و إنك مطلوب بما أنت سارق

فقارب و سدّد و اتق الله وحده و لا تستقلّ الزاد فالموت طارق

الترجمه

از جمله خطب بلیغه آن امام مبین و ولی ربّ العالمین است در نصیحت و موعظه و تنفیر از دنیا و ترغیب بعقبی می فرماید:

حمد و ثنا مر خدای راست که گردانید حمد را کلید از برای ذکر خود، و سبب زیادتی فضل و انعام خود، و دلیل بر نعمتهای خود و عظمت بی نهایت خود،

ای بندگان خدا بدرستی روزگار جاری می شود بباقی ماندگان مثل جاری شدن او بر گذشتگان در حالتی که باز نمی گردد آنچه که پشت گردانیده از آن، و باقی نمی ماند همیشه آنچه که در او است، آخر کارهای او مثل اول کارهای اوست شبیه است بهمدیگر کارهای او، هم پشت یکدیگرند علامتهای او، پس گویا که شما می بینید قیامت را میراند شما را بسوی خود مثل راندن کسی که بعنف و زجر شتر ماده بی شیر و بچه خود را براند، پس کسی که مشغول نماید نفس خود را بغير اصلاح نفس خود متحیر می ماند در ظلمتهای جهالت، و آمیخته شود در تباهی هلاکات، و بکشند او را شیطانها در طغیان او، و زینت می دهند از برای او عملهای بد او را پس بهشت پایان کار سبقت کنندگانست، و جهنم نهایت کار تفریط نمایندگان بدانید ای بندگان خدا که تقوی حصن حصینی است با عزت، و فسق و فجور خانه حصنی است با ذلت که منع نمی کند اهل خود را از بلا- و مکاره، و حفظ نمی کند کسی را که پناه برد بسوی او، آگاه باشید که با تقوی بریده می شود نیش پر زهر گناها، و با یقین درک می شود غایه قصوی.

ای بندگان پرهیزید از خدا در عزیزترین نفسها بر شما و دوست ترین آنها بسوی شما، پس بدرستی که حق تعالی واضح گردانیده از برای شما راه حق را، و ظاهر نموده راههای آن را، پس نهایت کار یا شقاوتیست لازم، یا سعادتیست دائم پس توشه بردارید در روزهای فنا از برای روزهای بقاء، پس بتحقیق که راه نموده شدید بر توشه آخرت و مأمور شدید برحلت و حث و ترغیب شدید بسیر کردن بسوی وطن اصلی، پس بدرستی که شما مانند سوارانید منتظر ایستاده که نمی دانید چه وقت مأمور خواهید شد بحرکت.

آگاه باشید چه می کند دنیا را کسی که خلق شده است از برای آخرت، و چه کار دارد با مال کسی که بعد از زمان قلیل سلب می شود از آن و باقی می ماند بر او و بال و حساب آن، ای بندگان خدا بدرستی که نیست مر چیزی را که وعده فرموده است خدا از نیکوئی جای ترکی، و نیست در آنچه نهی فرموده از آن از

بدی جای رغبتی، ای بندگان خدا حذر نمائید از روزی که جستجو می شود در آن عملها، و بسیار می شود در آن زلزله، و پیر می شوند در آن بچه گان.

بدانید ای بندگان خدا که بر شما است نگهبانان از نفسهای خودتان، و جاسوسان از اعضاء و جوارح شما، و نگهدارندگان راست و درست یعنی کرام الکااتبین که نگه می دارند عملهای شما را و شماره نفسهای شما را در حالتی که نمی پوشاند شما را از ایشان تاریکی شب تار، و پنهان نمی سازد شما را از آنها در محکم بسته شده، و بدرستی که فردا نزدیکست از امروز می رود امروز با آنچه که در اوست از خیر و شر، و می آید فردا در حالتی که لاحق است بآن.

پس گویا هر مردی از شما بتحقیق رسیده است از زمین بمنزل تنهائی خود، و بمحلّ خطّ گودال خود که عبارتست از قبر او، پس ای بسا تعجب أ یقوم مرا بمنزل و مکان از خانه تنهائی و منزل بیمناک و محلّ تفرّد غریبی، و گویا صدای نفخه صور اسرافیل آمده است بشما، و قیامت احاطه نموده بر شما، و بیرون آمده اید از قبر بجهه حکم عدل پروردگار که تمیز دهنده است میان حق و باطل در حالتی که بعید شده است از شما باطلها، و زایل شده از شما علتهای، و مستحق شده است بشما حقیقتها و بازگشته بشما امورات بمواضع بازگشتن خودشان.

پس پند گیرید با عبرتها، و عبرت نمائید با تغیرات روزگار، و منتفع باشید با چیزهایی که می ترساند شما را از عذاب نار، و از سخط خداوند قهار.

و من خطبه له علیه السلام و هی المآه و السابعه

اشاره

و الخمسون من المختار فی باب الخطب

و الظاهر أنّها مع الخطبه الثّامنه و الثّمانین متّحدتان ملتقطتان من خطبه طویلّه قدّمنا روايتها من الکافی فی شرح الخطبه التی أشرنا اليها

ص: ۳۳۱

أرسله على حين فتره من الرّسل، و طول هجعه من الامم، و انتقاض من المبرم، فجاءهم بتصديق الّذى بين يديه، و النّور المقتدى به، ذلك القرآن فاستنطقوه و لن ينطق، و لكن أخبركم عنه، ألا- إنّ فيه علم ما يأتى و الحديث عن الماضى، و دواء دائكم، و نظم ما بينكم. منها - فعند ذلك لا يبقى بيت مدر و لا وبر إلّا و أدخله الظّلمه ترحه، و أولجوا فيه نغمه، فيومئذ لا يبقى لهم فى السّماء عاذر، و لا- فى الأرض ناصر، أصفيتم بالأمر غير أهله، و أوردتموه غير ورده، و سينتقم الله ممّن ظلم مأكلا بمأكل، و مشربا بمشرب، من مطاعم العلقم، و مشارب الصّبر و المقر، و لباس شعار الخوف، و دثار السّيف، و إنّما هم مطايا الخطيئات، و زوامل الآثام، فاقسم ثمّ أقسم لتنخمنها أمّيه من بعدى كما تلفظ النّخامه، ثمّ لا تذوقها و لا تتطعم بطعمها أبدا ما كرّ الجديدان.

اللغه

(الفتره) بين الرّسل انقطاع الوحى و الرّساله و (الهجعه) التّومه من اللّيل أو من أوّله و (أبرم) الحبل جعله طاقين ثمّ فتله و أبرم الأمر أحكمه و (الترحه) المرّه من التّرح بالتحريك الهمّ و الحزن و (أصفيت) فلانا بكذا خصّصته به و (المأكل) و (المشرب) مصدران بمعنى الأكل و الشّرب و يجوز هنا أن يجعللا بمعنى المفعول و (المقر) ككتف الصّبر أو شبيهه به أو السّم كالمقروزان

فلس و (الشعار) ما يلي الجسد من الثياب و (الدثار) ما فوقه و (المطايا) جمع مطيه و هي الدابه تمطو أى تجدد فى سيرها و (الزوامل) جمع الزامله و هى التى يحمل عليها من الابل و غيرها و (تنخم) دفع بشىء من أنفه أو صدره و (النخامه) بالضّم النخاعه.

الاعراب

على فى قوله عليه السلام: على فتره بمعنى فى كما فى قوله تعالى:

«عَلَى حِينَ غَفَلَهُ مِنْ أَهْلِهَا» «عَلَى مُلْكِكَ سُلَيْمَانَ».

و من فى قوله: من الرسل نشويه و كذا فى قوله: من الامم و من المبرم، و الباء فى قوله فجاءهم بتصديق آه يحتمل المصاحبه و التعديه.

قال الشارح المعتزلى: ما أكل منسوب بفاعل مقدر أى يأكلون مأكلا، و الباء هنا للمجازاه الداله على الصله كقوله تعالى:

«فَبِمَا نَقَضَتْهُمْ مِيثَاقَهُمْ» و قال سبحانه «قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ» و قال البحرانى: و مأكلا و مشربا منصوبان بفاعل مضممر و التقدير و يبدهم مأكلا بمأكل.

أقول: الظاهر أن الباء على ما قرره الشارح المعتزلى من الفعل سببه لا- للمجازاه، و إن كان مراده بالمجازاه هى السببه فلا مشاحه، و على تقرير البحرانى فهى للمقابله، و على قول الأول فمن فى قوله: من مطاعم العلقم و مشارب الصبر، بيان لمأكلا و مشربا، و على قول الثانى فهى بيان لقوله: بمأكل و مشرب فافهم جيّدا.

و الانصاف أنه لا حاجه إلى تقدير الفعل، بل يجعل مأكلا و مشربا مفعولين لظلم بواسطه الحرف المقدر، و يجعل قوله: بمأكل متعلقا بينتقم، و على ذلك

فيكون من مطاعم بياننا لقوله: لمأكل كما قدّمناه في قول البحراني، و تقدير الكلام و سينتقم الله ممن ظلم أحدا في أكل أو شرب بأكل من مطاعم العلقم و يشرب من مشارب الصبر، و على ذلك فيستقيم الكلام على أحسن نظام كما هو غير خفي على اولى الأفهام.

المعنى

اشاره

اعلم أنّ مدار هذه الخطبه على فصلين:

الفصل الاول

في الاشاره إلى بعثه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و فضيلته عليه السلام و فضيله ما جاء به من كتاب الله سبحانه و هو قوله (أرسله على حين فتره من الرّسل و طول هجعه من الامم) قد تقدّم شرح هاتين القرينتين في شرح الخطبه الثامنه و الثمانين، فليراجع ثمّه (و انتفاض من المبرم) أى انتفاض ما أبرمه الأنبياء و الرّسل من أحكام الدّين و أحكامه من قوانين الشرع المبين (فجاءهم بتصديق الذى بين يديه) أى جاءهم الرّسول مصاحبا بالتصديق أى مصدقا لما قبله فيكون التصديق وصفا لنفس الرسول كما قال تعالى:

«وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ».

و على كون الباء للتّعديه فالمعنى أنّه أتاهم بكتاب فيه تصديق الذى بين يديه، فيكون المصدّق هو الكتاب كما قال تعالى:

«نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ».

قال في مجمع البيان: أى لما قبله من كتاب و رسول عن مجاهد و قتاده و الزّبيح و جميع المفسّرين و إنّما قيل لما بين يديه لما قبله لأنّه ظاهر له كظهور الذى بين يديه.

و قال الفخر الرّازى فى تفسير هذه الآيه: الوصف الثّانى لهذا الكتاب قوله:

مصدّقًا لما بين يديه، و المعنى أنّه مصدّق لكتب الأنبياء عليهم السّلام و لما أخبروا به عن الله عزّ و جلّ.

ثمّ فى الآيه وجهان:

الأوّل أنّه تعالى دلّ بذلك على صحّه القرآن لأنّه لو كان من عند غير الله لم يكن موافقا لسائر الكتب، لأنّه كان أميا لم يختلط بأحد من العلما و لا تلمذ لأحد و لا قرء على أحد شيئا، و المفترى إذا كان هكذا امتنع أن يسلم عن الكذب و التّحريف، فلما لم يكن كذلك ثبت أنّه عرف هذه القصص بوحي الله الثّانى قال أبو مسلم: المراد منه أنّه تعالى لم يبعث نبيا قطّ إلاّ بالدّعاء إلى توحيدِهِ و الايمان به و تنزيهه عمّا لا يليق به، و الأمر بالعدل و الاحسان و الشّرايع الّتى هى صلاح كلّ زمان، فالقرآن مصدّق لتلك الكتب فى كلّ ذلك بقى فى الآيه سؤالان:

الأوّل كيف سمّى ما مضى بأنّه بين يديه و الجواب أنّ تلك الأخبار لغايه ظهورها سماها بهذا الاسم.

الثانى كيف يكون مصدّقًا لما تقدّمه من الكتب مع أنّ القرآن ناسخ لأكثر تلك الأحكام و الجواب إذا كانت الكتب مبشّره بالقرآن و بالرّسول و دالّه على أنّ أحكامها تثبت إلى حين بعثته و أنّها تصير منسوخه عند نزول القرآن كانت موافقه للقرآن، فكان القرآن مصدّقًا لها، و أمّا فيما عدا الأحكام فلا شبهه فى أنّ القرآن مصدّق لها، لأنّ دلائل المباحث الالهيه لا تختلف فى ذلك، فهو مصدّق لها فى الأخبار الوارده فى التوراه و الانجيل، هذا.

و الأظهر كون التّصديق فى قوله عليه السّلام: وصفا للقرآن و الباء فيه للتّعديده بقريته قوله (و التّور المقتدى به) فأنّه وصف له أيضا و كونه نورا يهتدى به فى ظلمات الجهل، و يقتدى بأحكامه ظاهر، قال سبحانه:

«قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ».

(ذلك) الموصوف بما تقدّم هو (القرآن) المنزل من عند الله إعجازاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (فاستنطقوه) يحتمل أن يكون المراد به الأمر باستفهام مضامينه و تفهم ما تضمنته من الحقائق و الدقائق و الحلال و الحرام و الحدود و الأحكام.

و لَمَّا كان التّفهّم عنه بنفسه غير ممكن لاشتماله على المحكم و المتشابه و النَّاسخ و المنسوخ و الظّاهر و الباطن و التنزيل و التأويل و غيرها عقّبه بقوله (و لن ينطق) أى لا يمكن تفهيمه بنفسه أبداً بل لا بدّ له من مترجم فأردفه بقوله (و لكن أخبركم عنه) تنبيهاً على أنّه عليه السّلام مترجمه و قيمه و مفهم معانيه و ظواهره و بواطنه.

و يجوز أن يكون استفعل بمعنى أفعل فيكون المراد باستنطاقهم له إنطاقهم إياه و لَمَّا كان ذلك موهما لكونه ذا نطق بنفسه أتى بقوله: و لن ينطق، من باب الاحتراس الذي عرفت في ديباجه الشرح من المحسنات البديعية ثمّ عقّبه بقوله: و لكن أخبركم عنه تنبيهاً على أنّه خطّ مسطور بين الدفتين ليس له لسان بل لا بدّ له من ترجمان و هو عليه السّلام لسانه و ترجمانه و إلى ذلك يشير عليه السّلام في الخطبه المأه و الثانيه و الثمانين بقوله:

فالقرآن أمر زاجر و صامت ناطق، أى صامت بنفسه و ناطق بترجمانه، و لعلنا نذكر لهذا الكلام معنى آخر فى مقامه إنشاء الله حيثما بلغ الشرح إليه هذا.

و قد تقدّم فى التّذييل الثّالث من تذييلات الفصل السّابع عشر من الخطبه الاولى الأدلّه العقليّه و النقليه على أنّ دليل القرآن و قيمه و ترجمانه و العالم بمعانيه و مبانيه و بأسراره و بواطنه و ظواهره هو أمير المؤمنين عليه السّلام و الطيّبون من أولاده سلام الله عليهم جميعاً.

و قد علمت هناك أيضاً أنّ القرآن مشتمل على علم ما كان و ما يكون و ما هو كائن و إليه أشار هنا بقوله (ألا إنّ فيه علم ما يأتى) أى أخبار اللاحقين كليّاتها

و جزئياتها و أحوال الموت و البرزخ و البعث و النشور و القيامة و الجنه و النار و درجات الجنان و دركات الجحيم و أحوال السّابِقون إلى الاولى و السّائرون إلى الأخرى، و تفاوت مراتب المثابين و المعاقبين في الثواب و العقاب شدّه و ضعفًا و قلّه و كثره و غير ذلك ممّا يحدث في المستقبل.

(و الحديث عن الماضي) أى أخبار السّابِقين و كيفيه بدء الخلق من السّماء و الأرض و الشّجر و الحجر و الثّبات و الانسان و الحيوان و قصص الأنبياء السّلف و اممهم و معاصريهم من ملوك الأرض و السّلاطين و غير ذلك ممّا مضى.

(و دواء دائكم) لاشتماله على الفضائل العلميّه و العمليّه بها يحصل اصلاح النفوس و الشّفاء من الأمراض النّفسانيّه و البرء من داء الغفله و الجهاله (و نظم ما بينكم) لتضمّنه القوانين الشّرعيّه و الحكمه السّياسيه الّتي بها نظام العالم و استقامه الأمور.

الفصل الثاني (منها)

في وصف حال بنى اميّه و الاخبار عن ملكهم و ظلمهم و زوال دولتهم بعد فسادهم في الأرض و هو قوله (فعند ذلك لا يبقى بيت مدر و لا وبر) أى أهل الحضرة و البدو (إلاّ و أدخله الظلمه) من بنى اميّه و من أعوانهم (ترحه) أى همّا و حزنا (و اولجوا) أى ادخلوا (فيه نومه) و عقوبه (فيومئذ) يحيق بهم العذاب و (لا- يبقى لهم في السّماء عاذر) أى ناصر (و لا في الأرض ناصر) فيزول دولتهم و يكسر صولتهم.

و أردف ذلك بتوبيخ المخاطبين الرّاضين بفعل الظّلمه و المتقاعدين عن ردعهم عن ظلمهم فقال (أصفيتم بالأمر) أى آثرتم بأمر الخلافه (غير أهله) الّذى هو حقّ له (و أوردتموه غير ورده) أى أنزلتموه عند من لا- يستحقّه من الأوّل و الثّاني و الثّالث و من يحذو حذوهم من معاويه و ساير بنى اميّه، إذ الخطاب في أصفيتم

و إن كان متوجّها إلى المخاطبين الحاضرين إلا أنّ المراد به العموم كسائر الخطابات الشّفاهيّة.

(و سيتنقم الله ممّن ظلم مأكلا- بمأكل و مشربا بمشرب من مطاعم العلقم و مشارب الصّبر و المقر) أى يبدل نعمتهم بالنّقمه و مطاعمهم اللّذيذه الشّهيّه بالمريره.

قال الشّارح البحرانى: و استعار لفظ العلقم و الصّبر و المقر لما يتجرّعونه من شدايد القتل و أحوال العدوّ و مرارات زوال الدّوله (و) ينتقم أيضا ب (لباس شعاع الخوف و دثار السّيف) أى بالخوف اللّازم لهم لزوم الشّعار و بالسّيف اللّازم عليهم لزوم الدّثار، و تخصيص الشّعار بالخوف و الدّثار بالسّيف لأنّ الخوف باطن فى القلوب و السّيف ظاهر فى البدن كما أنّ الشّعار ما كان يلى الجسد من الثّياب و الدّثار ما فوقه فناسب الأوّل بالأوّل و الثّانى بالثّانى (و أنّما هم مطايا الخطيئات و زوامل الآثام) يعنى أنّهم حمّال المعاصى و السيئات لكون حركاتهم و سكناتهم كلّها على خلاف القانون الشّرعى.

ثمّ أخبر عن زوال ملكهم و أتى بالقسم البارّ المؤكّد تنبيها على أنّ المخبر به واقع لا محاله فقال (فاقسم) بالله العليم (ثمّ اقسم) به و إنّه لقسم لو تعلمون عظيم (لتنخمتها اميّه) أى لتلفظنّ الخلافة بنو أميّه (من بعدى كما تلفظ النخامه) أى تدفع من الصدر و الأنف (ثمّ لا تذوق) لذت (ها و لا تتطعم بطعمها أبدا ما كثر الجديدان) أى اللّيل و النهار يعنى أنّهم لا يجدون حلاوتها و لا يستلذون بها و لا ينالون إليها أبدا الدّهر، لأنّه تعالى قد أخبر نبيّه صلّى الله عليه و آله و سلّم إنّ مدّه ملكهم ألف شهر بقوله:

«لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ».

و أخبره رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أمير المؤمنين عليه السّلام و أولاده الطاهرين.

روى فى الصّافى عن على بن إبراهيم القمى (ره) قال: رأى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كان قرودا تصعد منبره فغمّه ذلك، فأنزل الله سورة القدر:

«إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَ مَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ».

تملك بنو أمیه لیس فیها لیلہ القدر.

و فیہ عن الکافی عن الصادق علیہ السّلام أرى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فِي مَنَامِهِ أَنَّ بَنِي أُمِّيهِ يَصْعَدُونَ عَلَى مَنْبَرِهِ مِنْ بَعْدِهِ وَ يَضَلُّونَ النَّاسَ عَنِ الصِّرَاطِ الْقَهْقَرِيِّ، فَأَصْبَحَ كَثِيْبًا حَزِيْنَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَهَبْطَ عَلَيْهِ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَالِي أَرَاكَ كَثِيْبًا حَزِيْنَا قَالَ: يَا جِبْرَائِيلُ إِنِّي رَأَيْتُ بَنِي أُمِّيهِ فِي لَيْلَتِي هَذِهِ يَصْعَدُونَ مَنْبَرِي مِنْ بَعْدِي يَضَلُّونَ النَّاسَ عَنِ الصِّرَاطِ الْقَهْقَرِيِّ، فَقَالَ: وَ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا إِنِّي مَا أَطَّلَعْتُ عَلَيْهِ، فَعَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ نَزَلَ عَلَيْهِ بِأَيِّ مِنَ الْقُرْآنِ يُونِسَهُ بِهَا قَالَ:

«أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ» وَ أَنْزَلَ عَلَيْهِ «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَ مَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ».

جعل الله ليله القدر لئيبه خيرا من ألف شهر ملك بنى أمية، و فى معناه اخبار آخر هذا و قد تقدّم تفصيل زوال الدوله الأمويه و انقراضهم بيد السفاح فى شرح الخطبه المأه و الرابعه، فليراجع هناك.

الترجمه

از جمله خطب آن بزرگوار و ولّی پروردگار است در بعثت پیغمبر آخر الزمان و فضیلت قرآن و وصف حال بنی امیه و ظلم ایشان و زوال دولت آنها بعد از فساد و طغیان می فرماید:

فرستاد خدای تبارک و تعالی پیغمبر مختار را در زمان منقطع شدن وحی و خالی

بودن آن از پیغمبران، و بر درازی خواب غفلت از امتان، و هنگام شکسته شدن ریسمان پرتاب شریعت پیشینان، پس آورد بایشان تصدیق آن چیزی را که پیش از او بود از توراه و انجیل و زبور، و آورد نوری را که اقتدا و تبعیت می شود بآن، آن نور عبارتست از قرآن پس طلب کنید نطق و گفتار او را و حال آنکه أبدا گویا نخواهد شد، و لکن من خبر دهم شما را به مضمون آن از جهه این که منم ترجمان قرآن آگاه باشید بدرستی در قرآن است علم آنچه که خواهد آمد و خبر از گذشته یعنی متضمن علم اولین و آخرین است، و در اوست دواء درد شما و نظام ما بین شما.

از جمله آن خطبه است می فرماید:

پس نزد دولت بنی امیه باقی نمی ماند هیچ خانه که ساخته شده باشد از گل و خشت و نه خانه که بنا شده باشد از پشم یعنی نمی ماند عمارتی در شهر و نه خرگاهی در بیابان مگر این که داخل می کنند ظلام در آن خانه هم و حزن را، و در آورند در آن عقوبت و نعمت را، پس در آن روز باقی نماند از برای ظلام در آسمان عذر آورنده، و نه در زمین یاری کننده، اختیار کردید شما بامر خلافت غیر اهل آن را، و وارد کردید امر خلافت را در غیر محل او، و زود باشد که انتقام بکشد خداوند قهار از کسی که ظلم کرده باشد کسی را در مأکول و مشروبی با مأکول و مشروبی که از مأکولات تلخ است و از مشروبات تلخ و بد مزه، و با لباس باطنی خوف و ترس و با لباس ظاهری شمشیر، و بدرستی که ایشان شتران بار کش گناهانند و شتران توشه معاصی، پس قسم می خورم بخدا باز قسم می خورم البته می اندازد خلافت را بنی امیه بعد از من چنانچه انداخته شود آب دهن از دهن پس از آن نچشند هرگز چاشنی خلافت را، و نمی خورند طعام آن را هیچ مادامی که باز گردد شب و روز.

اشاره

و الخمسون من المختار في باب الخطب

و لقد أحسنت جواركم، و أحطت بجهدى من ورائكم، و أعتقتكم من ربى الذلّ، و حلق الضّيم، شكرا منى للبرّ القليل، و إطراقا عمّا أدركه البصر، و شهدته البدن من المنكر الكثير.

اللغه

(الجوار) بالضّمّ و قد يكسر المجاوره و (الربى) بالكسر و زان حمل جبل فيه عدّه عرى يشدّ به البهم و كلّ عروه ربقه بالكسر و الفتح و يجمع على ربق كعنب و أرباق كأصحاب و رباق كجبال و (الحلق) بالتحريك جمع الحلقة بسكون اللّام على غير القياس و ربّما يجمع على حلق بالسّكون كبدره و بدر و على حلق كقصعه و قصع، و حكى يونس عن أبى عمرو بن العلاء أنّ الحلقة بالفتح، و على هذا فالجمع بحذف الهاء قياس كقصبه و قصب، قاله الفيومى فى مصباح اللّغه.

الاعراب

الواو فى قوله: و لقد، للقسم و المقسم به محذوف لكونه معلوما، و شكرا مفعول له للأفعال المتقدّمه على سبيل التنازع، و من فى قوله: من المنكر، بيان لما أدركه.

المعنى

الظاهر أنّه خاطب به أهل الكوفه، و الغرض منه المنّ على المخاطبين

والتَّسْبِيحِ عَلَى حَسَنِ مَدَارَاتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَهُمْ وَصَفَحَهُ عَنْهُمْ وَغَضَّ عَنْ خَطِيئَاتِهِمْ عَلَى كَثْرَتِهَا كَمَا قَالَ (وَلَقَدْ أَحْسَنْتَ جَوَارِكُمْ) أَي مَجَاوِرْتَهُمْ أَي كُنْتَ لَكُمْ جَارًا حَسَنًا وَقَدْ وَقَعَ نَظِيرُ التَّعْبِيرِ بِهَذِهِ اللَّفْظَةِ فِي كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَاءُ وَالتَّيَاسِعُ وَالعَشْرِينَ حَيْثُ قَالَ هُنَاكَ: وَإِنَّمَا كُنْتَ جَارًا جَوَارِكُمْ بَدَنِي أَيَامًا، وَأَرَادَ بِمَجَاوِرَتِهِ لَهُمْ مُطْلَقَ الْمُصَاحِبَةِ وَالمَعَاشِرَةِ عَلَى سَبِيلِ الكِنَايَةِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهِ مَعْنَاهُ الحَقِيقِيُّ، لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ارْتَحَلَ مِنَ المَدِينَةِ إِلَى البَصْرَةِ لِجِهَادِ التَّائِكِينَ، وَاحْتِاجَ إِلَى الاستِنصَارِ بِأَهْلِ الكُوفَةِ إِذْ لَمْ يَكُنْ جَيْشُ الحِجَازِ وَافِيًا بِمُقَابِلَتِهِمْ، ثُمَّ اتَّصَلَتْ تِلْكَ الفِتْنَةُ بِفِتْنَةِ أَهْلِ الشَّامِ فَاضْطُرَّ إِلَى المَقَامِ بَيْنَهُمْ وَصَارَ جَارًا لَهُمْ كَمَا تَقَدَّمَ الإِشَارَةُ إِلَى ذَلِكَ فِي الكَلَامِ السَّبْعِينَ وَشَرْحِهِ.

(وَ أَحَطْتُ بِجَهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ) قِيلَ: أَرَادَ بِالإِحَاطَةِ مِنَ الوَرَاءِ دَفْعَ مَنْ يَرِيدُهُمْ بِشَرِّ لَأَنَّ العَدُوَّ غَالِبًا يَكُونُ مِنْ وَرَاءِ الهَارِبِ.

أَقُولُ: بَلِ الظَّاهِرُ أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّهُ كَانَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قُوَّةَ ظَهْرِهِمْ وَشِدَّةَ أَرْهَمِهِ (وَ اعْتَقْتَكُمْ مِنْ رَبِّقِ الذَّلِّ وَ حَلَقِ الضَّيْمِ) وَ الظُّلْمَ أَرَادَ بِهِ أَنَّهُ دَفَعَ عَنْهُمْ ذُلَّ الإِسْرِ وَ ظُلْمَ الأَعْدَاءِ، وَ المَقْصُودَ حِمَايَتَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ وَ اعْتِرَازَهُمْ بِهِ (شَكَرَا مِنِّي لِلْبَرِّ القَلِيلِ) أَي ثَنَاءَ مِنِّي وَ مُحَمَّدَهُ لِأَفْعَالِكُمُ الحَسَنَةِ عَلَى قَلَّتِهَا (وَ إِطْرَاقًا) أَي سَكُوتًا وَ غَضًّا (عَمَّا أَدْرَكَهُ البَصْرُ وَ شَهِدَهُ البَدَنُ مِنَ المُنْكَرِ الكَثِيرِ) وَ إِطْرَاقَهُ عَنْهُمْ مَعَ مَشَاهِدَتِهِمْ عَلَى المُنْكَرَاتِ عَلَى كَثْرَتِهَا إِذَا لَعْدَمَ تَمَكُّنَهُ مِنَ الإِنْكَارِ وَ الرَّدْعِ بِالعَنْفِ وَ القَهْرِ، أَوْ لَانْجِرَارِهِ إِلَى مَا هُوَ أَعْظَمُ فَسَادًا وَ مَفْسُدَةً مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ.

قَالَ الشَّارِحُ البَحْرَانِيُّ: وَ ظَاهِرٌ أَنَّهُمْ كَانُوا غَيْرَ مَعْصُومِينَ، وَ مُحَالٌ أَنْ يَسْتَقِيمَ دَوْلُهُ أَوْ يَتِمَّ مُلْكُهُ بِدُونِ الإِحْسَانِ إِلَى المَحْسِنِينَ مِنَ الرُّعْيَةِ وَ التَّجَاوُزِ عَنْ بَعْضِ المَسِيئِينَ.

الترجمة

از جمله خطب فصاحت نظام و بلاغت فرجام آن امام آنام است در اظهار حسن رفتار و کردار خود نسبت بأصحاب و أتباع می فرماید:

ص: ۳۴۲

قسم بخدا هر آینه بتحقیق نیکو کردم همسایگی شما را و حقّ جوار را خوب بجا آوردم، و احاطه نمودم بقدر طاقت خود از پس شما، و آزاد کردم شما را از ریسمانهای ذلّت و از حلقه های ظلم و ستم بجهت تشکر از من مر نیکوئی اندک شما را که آن طاعت قلیل شما است نسبت بمن، و بجهت سکوت و چشم در پیش افکندن از آنچه که درک نمود آن را چشم من و مشاهده کرد آن را بدن من از منکرات و اعمال قبیحه کثیره، بجهت این که دفع آن مؤذی بر فساد عظیم می شد.

و من خطبه له علیه السلام و هی المآه و التاسعه

اشاره

و الخمسون من المختار فی باب الخطب

و شرحها فی فصلین:

الفصل الاول

اشاره

أمره قضاء و حكمه، و رضاه أمان و رحمه، يقضى بعلم، و يعفو بحلم، اللَّهُمَّ لك الحمد على ما تأخذ و تعطى، و على ما تعافى و تبلى، حمدا يكون أرضى الحمد لك، و أحبّ الحمد إليك، و أفضل الحمد عندك، حمدا يملاء ما خلقت، و يبلغ ما أردت، حمدا لا يحجب عنك، و لا يقصر دونك، حمدا لا ينقطع عدده، و لا يفنى مدده، فلسنا نعلم كنه عظمتك إلاّ أنا نعلم أنّك حيّ قيوم، لا تأخذك سنه و لا نوم، لم ينته إليك نظر، و لم يدركك بصر، أدركت الأبصار، و أحصيت الأعمال، و أخذت بالنواصي و الأقدام، و ما الذي نرى

ص: ۳۴۳

من خلقك، و نعجب له من قدرتك، و نصفه من عظيم سلطانك، و ما تغيب عنا منه، و قصرت أبصارنا عنه، و انتهت عقولنا
دونه، و حالت سواتر الغيوب بيننا و بينه أعظم، فمن فرغ قلبه، و أعمل فكره، ليعلم كيف أقمت عرشك، و كيف ذرأت خلقك،
و كيف علقت في الهواء سمواتك، و كيف مددت على مور الماء أرضك رجع طرفه حسيرا، و عقله مبهورا، و سمعه والها، و
فكره حائرا.

اللغة

قال الفيومي (عافاه) الله محى عنه الأسقام و العافية اسم منه و هي مصدر جاءت على فاعله، و مثله ناشئه الليل بمعنى نشوء الليل و
الخاتمه بمعنى الختم، و العاقبه بمعنى العقب، و ليس لوقعتها كاذبه و (حسر) البصر حسورا من باب قعد كل لظول مدى و نحوه
فهو حسير و (بهره) بهرا من باب نفع غلبه و منه قيل للقمر الباهر لظهوره على ساير الكواكب و (اله) تحير.

الاعراب

جملة لا تأخذه في محلّ النصب على الحال، و ما في قوله عليه السلام: و ما الذي نرى للاستفهام على وجه الاستحقار، و الواو في
قوله عليه السلام: و ما تغيب، حالیه و ما موصول اسمی بمعنى الذي مرفوع المحلّ على الابتداء و خبره أعظم.

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبه متضمّن لتعظيم الله سبحانه و تبجيله بجملة

من نعوت كماله و أوصاف جماله قال عليه السّلام (أمره قضاء و حكمه) يجوز أن يراد بأمره الأمر التكويني أعنى الاختراع و الاحداث، فيكون القضاء بمعنى الانفاذ و الامضاء، و حمله عليه حينئذ من باب المبالغه أو المصدر بمعنى الفاعل أو المفعول، يعنى أن أمره سبحانه نافذ و ممضى لا رادّ له و لا دافع كما قال عزّ من قائل «إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ».

اي إذ أراد أن يكونه فيكون.

قال الزّمخشري: فان قلت: ما حقيقه قوله: أن يقول له كن فيكون؟ قلت: هو مجاز من الكلام و تمثيل لأنّه لا يمتنع عليه شيء من المكونات و أنّه بمنزله من المأمور المطيع إذا ورد عليه أمر الأمر المطاع، و المراد بالحكمه حينئذ العدل و النّظام الأكمل، فمحصل المعنى أنّ أمره تعالى نافذ في جميع الموجودات و المكونات، متضمّن للعدل، و مشتمل على النّظام الأكمل.

و يجوز أن يراد به الأمر التّكليفى فيكون القضاء بمعنى الحتم و الالتزام يعنى أنّ أمره سبحانه حتم و إزام مشتمل على الحكمه و المصلحه فى المأمور به كما هو مذهب العدلّيه من كون الأوامر و التّواهي تابعه للمصالح و المفساد الكامنه الواقعيّه، و قد تكون المصلحه فى نفس الأمر دون المأمور به كما فى الأوامر الابتلائيّه.

و يجوز أن يكون المراد به الشّأن فيكون القضاء بمعنى الحكم، يعنى أنّ شأنه تعالى حكم و حكمه لأنّه القادر القاهر العالم العادل، فبمقتضى قدرته و سلطانه حاكم، و بمقتضى علمه و عدله حكيم.

و كون الأمر بمعنى الشّأن قد صرح به غير واحد منهم الزّمخشري فى تفسير الآيه السّابقه قال: إنّما أمره إنّما شأنه إذا أراد شيئاً إذا دعاه داعى حكمه إلى تكوينه و لا- صارف أن يقول له كن أن يكونه من غير توقّف، فيكون فيحدث أى فهو كائن موجود لا محاله.

(و رضاه أمان و رحمه) أى أمان من النار و رحمه للأبرار إذ رضوانه سبحانه مبدء كل منحه و نعمه، و منشاء كل لذّه و بهجه كما قال تعالى:

«وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ».

(يقضى بعلم) أى يحكم بما يحكم به لعلمه بحسن ذلك القضاء و اقتضاء الحكمه و العدل له و هو كالتفسير لقوله: أمره قضاء و حكمه، كما أنّ قوله (و يعفو بحلم) بمنزله التفسير لقوله: و رضاه أمان و رحمه، لأنّ العفو يعود إلى الرضا بالطاعة بعد تقدّم الذنب، و إنّما يتحقّق العفو مع قدره على العقاب إذ العجز عن الانتقام لا يسمّى عفواً فلذلك قال: يعفو بحلم، يعنى أنّ عفوه لكونه حليماً لا يستنفره الغضب.

ثمّ أتى عليه تعالى بالاعتراف بنعمه فقال (اللهم لك الحمد على ما تأخذ و تعطى و على ما تعافى و تبلى) أى على السيّء و الضّرء و الشده و الرّخاء، و قد تقدّم تحقيق معنى الأخذ و الاعطاء، و وجه استحقاق الله سبحانه للحمد بهذين الوصفين فى شرح الخطبه المأه و الثانيه و الثلاثين، و وجه استحقاقه للحمد على البلاء و الابتلاء هناك أيضاً مضافاً إلى شرح الخطبه المأه و الثالثه عشر.

و أقول هنا زياده على ما تقدّم: إنّ قد ثبت فى علم الأصول أنّ الله عزّ و علا الغنى المطلق عمّا سواه و المتعالى عن الحاجه إلى ما عداه، بل غنى كلّ مخلوق بوجوده، و قوام كلّ موجود بوجوده، فاذا جميع ما يصدر عنه سبحانه فى حقّ العباد من الأخذ و الاعطاء و المعافاه و الابتلاء و الافتقار و الاغناء ليس الغرض منها جلب منفعه لذاته أو دفع مضرّه عن نفسه، بل الغرض منها كلّها مصالح كامنه للمكلفين و منافع عائده إليهم يعلمها سبحانه و لا نعلمها إلاّ بعضاً منها ممّا علّمنا الله سبحانه بالقوه العاقله أو بتعليم حججه، فكم من فقير لا يصلحه إلاّ الفقر و لو استغنى لطغى، و كم من غنى لا يصلحه إلاّ الغنى و لو افتقر لكفر، و ربّ مريض لو كان معتدل المزاج لا نهمك فى الشّهوات و اقتحم فى الهلكات، و كأتين من صحيح البنيه لو مرض

لم يصبر عليه و أحبّ المتيّه، و هكذا جميع ما يفعله سبحانه في حقّ المكلفين فهو في الحقيقة نعمه منه تعالى عليهم ظاهره أو باطنه كما قال عزّ من قائل «وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَ بَاطِنَةً» فاذا ثبت أنّ هذه كلّها إناعم منه سبحانه عليهم، و إحسان اليهم ظهر وجه استحقاقه للحمد و الثناء عليها كلّها إذ الشكر على النعم فرض عقلا و نقلا هذا.

و يدلّ على ما ذكرنا من كون الابتلاء منه تعالى في الحقيقة نعمه منه على العباد ما رواه في الكافي عن سليمان بن خالد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّهُ ليكون للعبد منزله عند الله فما ينالها إلّا باحدى خصلتين: إمّا بذهاب في ماله أو ببلية في جسده.

و فيه عن يونس بن رباط قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ أهل الحقّ لم يزالوا منذ كانوا في شدّه اما إنّ ذلك إلى مدّه قليله و عافيه طويله.

و فيه عن عبيد بن زرارهِ قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إنّ المؤمن من الله عزّ و جلّ لأفضل مكان ثلاثا إنّهُ لبيئته بالبلاء ثمّ ينزع نفسه عضوا عضوا و هو يحمد الله على ذلك.

ثمّ أخذ في تفخيم شأن حمده عليه و تعظيمه باعتبار كفيّته فقال (حمدا يكون أرضى الحمد لك) أى أكمل رضاء منك به من غيره (و أحبّ الحمد إليك و أفضل الحمد عندك) أى أشدّ محبّه منك إليه و أرفع منزله عندك من سائر المحامد لا تصافه بالفضل و الكمال و رجحانه على ما سواه.

ثمّ اتبعه بتفخيمه باعتبار كميّته فقال (حمدا يملأ ما خلقت) من السّماء و العرش و الأرض (و يبلغ ما أردت) من حيث الكثرة و الزّيادة.

ثمّ بتفخيمه باعتبار الخلوص فقال (حمدا لا يحجب عنك و لا يقصر) أى لا يحبس (دونك) لخلوصه من شوب العجب و الزّيا و سائر ما يمنعه عن الوصول إلى درجه القبول و الرّضا ثمّ باعتبار مادّته فقال (حمدا لا ينقطع عدده و لا يفنى مدده) هذا و تكرار

لفظ الحمد إمّا لقصد التعظيم كما فى قوله:

«وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ» و فى قوله: «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَ مَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ».

أو للتلذذ بذكر المكرر كما فى قول الشاعر:

سقى الله نجدا و السلام على نجد و يا حَبْذا نجد على الناي و البعد

نظرت إلى نجد و بغداد دونه لعلّى أرى نجدا و هيهات من نجد

و فى قوله:

تالله يا ظبيات القاع قلن لنا ليلاى منكنّ أم ليلي من البشر

أو للاهتمام بشأنه، ثم إنّه عليه السّلام لَمّا بالغ فى حمده سبحانه و الثناء عليه من حيث الكيف و الكمّ و الخلوص و العدد و المدد، و كان الحمد عبارته عن الوصف بالجميل على وجه التعظيم و التبجيل، و كان ذلك موهما لمعرفة عظمه المحمود له حقّ معرفتها، عقّب ذلك بالاعتراف بالعجز عن عرفان كنه عظمته، تنبيها على عدم إمكان القيام بوظائف الثناء عليه و إن بولغ فيه منتهى المبالغه، تأسيا بما صدر عن صدر النّبوه من الاعتراف بالعجز حيث قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: لا احصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، و لهذا أتى بالفاء المفيدة للتعقيب و الاتّصال فقال (فلسنا نعلم كنه عظمتك) لقصور المشاعر الظاهره و الباطنه من المتفكره و المتخيّله و غيرهما و القوه العقلانيه و إن كانت على غايه الكمال و بلغت إلى منتهى معارجها عن إدراك ذاته و اكتناه عظمته (إلاّ أنا نعلم) أى لكن نعرفك بصفات جمالك و جلالك فنعلم (أنك حىّ قيوم).

قال فى الكشاف: الحىّ الباقي الّذى لا سبيل عليه للفناء و على اصطلاح المتكلّمين الّذى يصحّ أن يعلم و يقدر، و القيوم الدائم القيام بتدبير الخلق و حفظه (لا تأخذك سنه) هى ما يتقدّم النّوم من الفتور يسمّى النّعاس (و لا نوم) بالطريق الأولى و هو تأكيد للنّوم المنفى ضمنا.

قال الرّمخسرى: و هو تأكيد للقيوم لأنّ من جاز عليه ذلك استحال أن يكون قيوماً، و منه حديث موسى عليه السّلام أنه سأل الملائكة و كان ذلك (١) من قومه كطلب الرؤيه: أ ينام ربّنا؟ فأوجى الله إليهم أن يوقظوه ثلاثاً و لا يتركوه ينام، ثمّ قال: خذ بيدك قارورتين مملوّتين فأخذهما و ألقى الله عليه النعاس فضرب إحداهما على الاخرى فانكسرتا، ثمّ أوحى إليه قل لهؤلاء إنّي امسك السماوات و الأرض بقدرتي فلو أخذني نوم أو نعاس لزلتا.

و كيف كان فالمقصود بقوله: لا تأخذك سنه و لا نوم تنزيهه تعالى عن صفات البشر و تقديسه عن لوازم المزاج الحيوانى.

فان قلت: مقتضى المقام أن ينفى النوم أوّلاً و السنه ثانياً إذ مقام التقديس يناسبه نفى الأقوى ثمّ الأضعف كما تقول: زيد لا يقدم على الحرام بل لا يأتي بالمكروه، و فلان لا يفوت عنه الفرائض و لا النوافل، كما أنّ التمجيد بالاثبات على عكس ذلك، فيقدم فيه غير الأبلغ على الأبلغ تقول: فلان عالم تحرير و جواد فياض.

قلت: سلّمنا و لكنه قدّم سلب السنه تبعاً لكلام الله سبحانه و ملاحظه للترتيب الطبيعى، فإنّ السنه لما كانت عباره عن الفتور المتقدّم عن النوم فساق الكلام على طبق ما فى نفس الأمر.

(لم ينته إليك نظر) عقلى أو بصرى (و لم يدر كك بصر) قد تقدّم تحقيق عدم امكان إدراكه تعالى بالنظر و البصر أى بالمشاعر الباطنه و الظاهره فى شرح الفصل الثانى من الخطبه الاولى و شرح الخطبه التاسعه و الأربعين و الخطبه الرابعه و السّتين و الفصل الثّانى من الخطبه التّسعين مستوفى و أقول هنا مضافاً إلى ما سبق: إنّ قوله عليه السلام: لم يدر كك بصر، إبطال لزعم المجوزين للرؤيه، فإنّ الاعمه قد اختلفوا فى رؤيه الله تعالى على أقوال، فذهب الاماميه و المعتزله إلى امتناعها مطلقاً، و ذهب المشبهه و الكراميه إلى جوازها

ص: ٣٤٩

١- (١) اى كان ذلك السؤال من طلب قومه و لاجل استدعائهم، منه

منزها عن المقابله و الجهه و المكان.

قال الاعرابى فى كتاب إكمال الاكمال ناقلا عن بعض علمائهم إن رؤيته تعالى جايزه فى الدنيا عقلا، و اختلف فى وقوعها و فى أنه هل رآه النبى صلى الله عليه و آله و سلم ليله الاسرى أم لا، فأنكرته عايشه و جماعه من الصحابه و التابعين و المتكلمين، و أثبت ذلك ابن عباس، و قال: إن الله اختصه بالرؤيه و موسى بالكلام و إبراهيم بالخله، و أخذ به جماعه من السلف، و الأشعرى، و جماعه من أصحابه و ابن حنبل و كان الحسن يقسم لقد رآه، و قد توقف فيه جماعه، هذا حال رؤيته فى الدنيا.

و أما رؤيته فى الآخره فجايزه عقلا، و أجمع على وقوعها أهل السنه و أحوالها المعتزله و المرجئه و الخوارج، و الفرق بين الدنيا و الآخره أن القوى و الادراكات ضعيفه فى الدنيا حتى إذا كانوا فى الآخره و خلقهم للبقاء قوى إدراكهم فأطاقوا رؤيته، انتهى كلامه على ما حكى عنه.

و قد عرفت فيما تقدم أن استحاله ذلك مطلقا هو المعلوم من مذهب أهل البيت عليهم السلام، و عليه إجماع الشيعة باتفاق المخالف و المؤلف، و قد دلت عليه الأدله العقليه و النقليه من الآيات و الأخبار المستفيضه، و من جمله تلك الآيات قوله سبحانه:

«لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ».

استدل بها النافون للرؤيه و قرروها بوجهين:

أحدهما أن إدراك البصر عباره شايعه عن الادراك بالبصر إسناد للفعل إلى الآله، و الادراك بالبصر هو الرؤيه بمعنى اتحاد المفهومين أو تلازمهما، و الجمع المعرف باللام عند عدم قرينه العهديه و البعضيه تفيد العموم و الاستغراق باجماع أهل العربيه و الاصول و أئمه التفسير، و بشهاده استعمال الفصحاء، و صحه الاستثناء فالله سبحانه قد أخبر بأنه لا يراه أحد فى المستقبل، فلو رآه المؤمنون فى الجنه لزم كذبه.

ص: ٣٥٠

و اعترض عليه بأن اللّام فى الجمع لو كان للعموم و الاستغراق كان قوله:

تدركه الابصار موجه كليه، و قد دخل عليها النفى فرفعها هو رفع الايجاب الكلى و رفع الايجاب الكلى سلب جزئى، و لو لم يكن للعموم كان قوله: لا تدركه الأبصار سالبه مهمله فى قوّه الجزئيه فكان المعنى لا تدركه بعض الأبصار، و نحن نقول بموجه حيث لا يراه الكافرون، و لو سلّم فلا نسلم عمومه فى الأحوال و الأوقات، فيحمل على نفي الرّؤية فى الدنيا جمعا بين الأدله.

و الجواب أنه قد تقرّر فى موضعه أنّ الجمع المحلّى باللّام عام نفيا و اثباتا فى المنفى و المثبت كقوله تعالى:

«وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ» وَ «مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ».

حتى أنه لم يرد فى سياق النفى فى شىء من الكتاب الكريم إلا بمعنى عموم النفى و لم يرد لنى العموم أصلا، نعم قد اختلف فى النفى الداخلى على لفظه كلّ لكنّه فى القرآن المجيد أيضا بالمعنى الذى ذكرنا كقوله تعالى:

«وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ».

إلى غير ذلك، و قد اعترف بما ذكرنا فى شرح المقاصد و بالغ فيه.

و أمّا منع عموم الأحوال و الأوقات فلا يخفى فساده، فإنّ النفى المطلق غير المقيد لا وجه لتخصيصه ببعض الأوقات إذ لا ترجيح لبعضها على بعض، و هو من الأدله على العموم عند علماء الاصول.

و أيضا صحّه الاستثناء دليل عليه و هل يمنع أحد صحّه قولنا: ما كلّمت زيدا إلا يوم الجمعة، و لا اكلمه إلا يوم العيد و قال تعالى «وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ»، إلى قوله «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ» و قال «لَا تُخْرِجُوهُنَّ» إلى قوله «إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ» و أيضا كلّ نفى ورد فى القرآن بالنسبه إلى ذاته تعالى فهو للتأييد و عموم الأوقات لا سيّما ما قبل هذه الآيه.

و أيضا عدم إدراك الأبصار جميعا لا يختص بشيء من الموجودات خصوصا مع اعتبار شمول الأحوال و الأوقات، فلا يختص به تعالى فتعين أن يكون التمدح بمعنى عدم إدراك شيء من الأبصار له في شيء من الأوقات.

و ثانيهما أنه تعالى تمدح بكونه لا يرى به فإنه ذكره في أثناء المديح و ما كان من الصفات عدمه مدحا كان وجوده نقصا، فيجب تنزيه الله تعالى بنفيه مطلقا.

ثم لما نفى عنه درك الأبصار له أثبت له دركه للأبصار فقال عليه السلام (أدركت الأبصار و أحصيت الأعمال) كما نطق به الكتاب العزيز قال عز من قائل:

«لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» و قال أيضا «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَلْحَسَنُ اللَّهُ وَ نَسُوهُ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ».

أى أحاط به عددا لم يغب عنه شيء و نسوه لكثرتة أو تهاونهم به، و الله على كل شيء شهيد أى يعلم الأشياء كلها من جميع وجوهها لا يخفى عليه شيء منها، و قال أيضا تلو هذه الآية:

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَ لَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَ لَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

ثم وصفه سبحانه بكمال الاقتدار فقال (و أخذت بالتواصي و الأقدام) أى أحاطت قدرتك بنواصي العباد و أقدامهم، و أخذت بها على وجه القهر و الإذلال، و يجوز أن يكون المراد به خصوص أخذ المجرمين بنواصيهم و أقدامهم يوم القيامة كما قال تعالى:

«يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيْمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَ الْأَقْدَامِ».

و نسبته عليه السلام الأخذ إلى الله سبحانه مع كونه فعل الملائكة من باب الاسناد إلى السبب الأمر كما أسند الله التوفى إلى نفسه فى قوله:

«اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» مع كونه فعل ملك الموت بدليل قوله سبحانه فى سورة السجده:

«قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ».

قال الفخر الرازى فى تفسير الآيه الاولى: و فى كيفية الأخذ ظهور نكالهم لأن فى نفس الأخذ بالناصيه إذلالا و إهانه، و كذلك الأخذ بالقدم.

و فى الأخذ بها و جهان بل قولان لأهل التفسير.

أحدهما أن يجمع بين ناصيتهم و قدمهم من جانب ظهورهم فيربط بنواصيهم أقدامهم أو من جانب وجوههم فتكون رؤوسهم على ركبهم و نواصيهم فى أصابع أرجلهم مربوطه.

و الثانى أنهم يسحبون سحبا، فبعضهم يؤخذ بناصيته، و بعضهم يجرّ برجله ثم استفهم على سبيل الاستحقار لما استفهم عنه فقال (و ما الذى نرى من خلقك) أى من مخلوقاتك على كثرتها و اختلاف أجناسها و أنواعها و هيئاتها و مقاديرها و خواصها و أشكالها و ألوانها إلى غير هذه من أوصافها و حالاتها التى لا يضبطها عدّ و لا يحيط بها حدّ (و نعجب له من قدرتك) أى من مقدوراتك الغير المتناهية عددا و مددا و كيفا و كما (و نصفه من عظيم سلطانك) النافذ فى الأنفس و الآفاق، و الماضى فى أطباق الأرض و أقطار السماء (و) الحال أنّ (ما تغيب عنا

منه) أى من مخلوقك و مقدرورك و ملككك (و قصرت أبصارنا عنه) من محسوسات الموجودات (و انتهت عقولنا دونه) من معقولات المخلوقات (و حالت سواتر الغيوب بيننا و بينه) أى كانت سرادقات العزّه و أستار القدره عائله بيننا و بينه، و حاجبه لنا من الوصول إليه من غيابات الغيوب و الغيب المحجوب.

(أعظم) و أفخم يعنى أنّه لو قيس كلّ ما شاهدناه بأبصارنا و أدركناه بعقولنا و وصفناه بألستتنا ممّا ذراه الله سبحانه فى عالم الامكان إلى ما غاب عنّا من أسرار القدره و الجلال، و شئون الكبرياء و الجمال لم يكن إلّا أقلّ قليل كنسبه الجدول إلى النهر، بل القطره إلى البحر (فمن فرغ قلبه) للنظر فى عجائب الملك و الملكوت (و أعمل فكره ليعلم) مشاهد العزّ و السلطان و القدره و الجبروت و أنّه (كيف أقمت عرشك) فى الجوّ على عظمه (و كيف ذرأت) أى خلقت (خلقك) على كثرته (و كيف علقت فى الهواء سماواتك) بغير عمد (و كيف مددت على مور الماء) أى موجه و اضطرابه (أرضك) على ثقلها مع عدم رسوبها فيه (رجع طرفه حسيرا) كليلا- (و عقله مبهورا) مغلوبا (و سمعه والها) متحيرا (و فكره حائرا) قاصرا عن الاهتداء إليه و عن الوصول إلى معرفته.

و محصّيه أنّه لو بالغ أحد فى إعمال فكره و بذل وسعه للوصول إلى معرفه بعض ما أبدعه الله سبحانه فى عالم الغيب و الشّهاده من بدايع القدره، و لطايف الحكمه، و عجائب الصّنع ليعجز و حار، و انقطع و استحار، فكيف لو رام معرفه كلّه و يشهد على ما ذكره عليه السّلام ما قدّمنا فى شرح الخطبه الأولى و فى شرح الخطبه التّسعين، فليراجع ثمّه.

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن حضرتست که فصل اول آن متضمن اوصاف کمال حضرت ذوالجلالست می فرماید که:

أمر خدای تعالی حکمیست لازم و موافق است با حکمت و خوشنودی آن امانست

از عقوبت و سبب مغفرتست و رحمت حکم می فرماید بعلم شامل خود، و عفو می فرماید با حلم کامل، پروردگارا مر تو راست حمد بر آنچه می گیری و می دهی، و بر آنچه که سلامت می داری از بلیات و مبتلا می نمائی بآفات، حمد می کنم تو را حمد کردنی که باشد خوشنودترین حمدها از برای تو، و دوست ترین حمدها بسوی تو و فاضل ترین حمدها نزد تو، چنان حمدی که پر سازد آنچه را خلق کرده، و برسد بمقامی که مراد تو است، حمدی که محجوب نباشد از درگاه تو، و ممنوع و محبوس نباشد نزد بارگاه تو، حمدی که منقطع نشود شماره و عدد آن، و فانی نشود ماده و مدد آن پس نیستیم ما که بدانیم نهایت بزرگی جلال تو را غیر از این که می دانیم که تو زنده قائم بامور مخلوقان، اخذ نمی کند تو را مقدمه خواب که خواب خفیف است و نه خواب گران، منتهی نشد بسوی کمال تو نظر و فکری، و درک نمود جمال تو را هیچ بصری، درک کردی تو بصرها را، و در شماره آوردی عملها را، و اخذ کردی به پیشانیها و قدمهای مردمان.

و چه چیز است آنچه که می بینیم از خلق تو و تعجب می کنیم از برای او از قدرت تو، و وصف می کنیم آن را از بزرگی پادشاهی تو و حال آنکه آنچه که غایب شده از ما از آن، و قاصر شده بصرهای ما از درک آن و نهایت رسیده عقلهای ما نزد آن، و حایل شده پرده های غیبهها میان ما و میان آن بزرگتر است.

پس هر که فارغ نماید قلب خودش را و اعمال کند فکر خود را تا بداند که چگونه بر پا داشته عرش خود را، و چه سان آفریده مخلوقات خود را، و چه قرار در آویخته در هوا آسمانهای خود را، و چه نوع گسترانیده بر موج آب زمین خود را بر می گردد بینائی او در مانده و آواره، و عقل او مغلوب، و قوه سامعه او حیران، و قوه متفکره او متحیر و سرگردان.

يدعى بزعمه أنه يرجو الله، كذب و العظیم ما باله لا يتبين رجاؤه في عمله، و كل من رجا عرف رجاؤه في عمله إلا رجاء الله فإنه مدخول، و كل خوف محقق إلا خوف الله فإنه معلول، يرجو الله في الكبير و يرجو العباد في الصغیر، فيعطى العبد ما لا يعطى الرب، فما بال الله عز و جل يقصر به عما يصنع به بعباده، أ تخاف أن تكون في رجاءك له كاذبا، أو تكون لا تراه للرجاء موضعا، و كذلك إن هو خاف عبدا من عبده أعطاه من خوفه ما لا يعطى ربه، فجعل خوفه من العباد نقدا، و خوفه من خالقه ضمارا و وعدا، و كذلك من عظمت الدنيا في عينه، و كبر موقعها في قلبه، أثرها على الله فانقطع إليها، و صار عبدا لها. و لقد كان في رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كاف لك في الاسوه، و دليل لك على ذم الدنيا و عيبها، و كثره مخازيها و مساوئها، إذ قبضت عنه أطرافها، و وطئت لغيره أكنافها، و فطم من رضاعها و زوى عن زخارفها. و إن شئت ثنيت بموسى كليم الله صلى الله عليه و آله و سلم إذ يقول «رب إنى لما أنزلت إلی من خير فقير» و الله ما سئله إلا خبزا يأكله، لأنه كان

يأكل بقله الأرض، ولقد كانت خضره البقل ترى من شفيف صفاق بطنه لهزاله، و تشذب لحمه. وإن شئت ثلثت بداود صلى الله عليه صاحب المزامير، وقارى أهل الجنه فلقد كان يعمل سفائف الخوص بيده، ويقول لجلسائه: أيكم يكفينى بيعها، و يأكل قرص الشعير من ثمنها. وإن شئت قلت فى عيسى بن مريم عليه السلام قد كان يتوسد الحجر، و يلبس الخشن، و كان إدامه الجوع، و سراجة بالليل القمر، و ظلاله فى الشتاء مشارق الأرض و مغاربها، و فاكهته و ريحانه ما تنبت الأرض للبهائم، و لم تكن له زوجه تفتنه، و لا ولد يحزنه، و لا مال يلفته، و لا طمع يذله، دابته رجلاه، و خادمه يداه. فتأس بنبيك الأطيب الأظهر صلى الله عليه و آله و سلم، فإن فيه أسوه لمن تأسسى، و عزاء لمن تعزى، و أحب العباد إلى الله المتأسسى بنبيه، و المقتص لأثره، قضم الدنيا قضمًا، و لم يعرها طرفًا، أهضم أهل الدنيا كشحًا، و أخصمهم من الدنيا بطنًا، عرضت عليه الدنيا فأبى أن يقبلها، و علم أن الله سبحانه أبغض شيئًا فأبغضه، و حقر شيئًا فحقره، و صغر شيئًا فصغره، و لو لم يكن فينا إلا حبنا ما أبغض الله و رسوله، و تعظيمنا ما

صَغَرَ اللَّهُ ورسوله، لكفى به شقاقاً لله، ومحاذة عن أمر الله. ولقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ، وَيَجْلِسُ جُلُوسَ الْعَبْدِ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَّ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَيَكُونُ السِّتْرَ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ، فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ، يَقُولُ: يَا فُلَانَهُ - لِأَحَدِي أَزْوَاجَهُ - غَيْبِيهِ عَنِّي، فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا، فَأَعْرَضُ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَآمَاتُ ذِكْرَهَا عَنِ نَفْسِهِ، وَأَحَبُّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتَهَا عَنِ عَيْنِهِ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا، وَلَا يَعْتَقِدَهَا قَرَارًا، وَلَا يَرْجُو فِيهَا مَقَامًا، فَأَخْرِجَهَا مِنَ النَّفْسِ، وَأَشْخِصْهَا عَنِ الْقَلْبِ، وَغَيِّبْهَا عَنِ الْبَصَرِ، وَكَذَلِكَ مِنْ أَبْغَضَ شَيْئًا أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ، وَأَنْ يَذْكَرَ عِنْدَهُ. وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِي الدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا، إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصِّيَّتِهِ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زَلْفَتِهِ، فَلْيَنْظُرْ نَاطِرٌ بِعَقْلِهِ، أَكْرَمَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ أَمْ أَهَانَهُ؟! فَإِنْ قَالَ: أَهَانَهُ، فَقَدْ كَذَبَ وَالْعَظِيمِ، وَإِنْ قَالَ: أَكْرَمَهُ، فَلْيَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ الدُّنْيَا وَزُوِيَهَا عَنْ أَقْرَبِ النَّاسِ مِنْهُ، فَتَأْسَى مَتَأَسَّ بَنِيَّهِ، وَاقْتَصَّ أَثْرَهُ، وَوَلَجَ مَوْلَجَهُ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنُ

الهلكه، فإنَّ الله جعل محمّدا صلّى الله عليه وآله وسلّم علما للسّاعه، و مبشّرا بالجنّه، و منذرا بالعقوبه، و خرج من الدّنيا خميصا، و ورد الآخره سليما، لم يضع حجرا على حجر حتّى مضى لسبيله، و أجاب داعى ربّه، فما أعظم منه الله عندنا حين أنعم علينا به سلفا نتّبعه، و قائدا نطا عقبه، و الله لقد رقعت مدرعتى هذه حتّى استحيت من راقعها، و لقد قال لى قائل: أ لا تنبذها عنك، فقلت: اعزب عني، فعند الصّباح يحمد القوم السّرى.

اللغه

(الزّعم) مثلته الزّاء قد يطلق على الظنّ و الاعتقاد الفاسد و منه قوله تعالى «رَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا».

و قد يطلق على القول الباطل و الكذب، و ربّما يطلق على القول الحقّ و المراد هنا الأوّل و (مدخول) مفعول من الدّخل بالتسكين و هو المكر و الخديعه و العيب و مثله الدّخل محرّكه قال تعالى:

«وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمُ».

أى مكر و خديعه و (الضّمّار) ما لا يرجى من الوعود هكذا قال الشّارح المعتزلى و قال الفيروزآبادى: الضّمّار ككتاب من المال الّذى لا يرجى رجوعه، و من العذاب ما كان ذا تسويق و خلاف العيان، و من الدّين ما كان بلا أجل و (الاسوه) بالكسر و الضّمّ القدوه و (المخازى) جمع مخزاه و هى الأمر يستحى من ذكره لقبحه و (المساوى) العيوب و (الأكناف) الأطراف و (شفّ) الثّوب شفّا و شفيفا رقّ فحكى ما تحته.

و (الصّفاف) ككتاب الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشّعر و (الهزال) بضمّ الهاء نقيض السّمن و (المزامير) جمع المزمارة و هى الآله التى يزمر فيها من زمر يزمر و يزمر من باب نصر و ضرب زمرا و زميرا غنى فى القصب و نحوه و مزامير داود ما كان يتغنّى به من الزّبور و ضروب الدّعاء و (السّفايف) جمع السّيفه و هى النّسيجه من سفت الخوص و أسففته نسجته، و فى نسخه الشّارح المعتزلى بعد قوله: و يلبس الخشن: و يأكل الجشب، و هو كالجشيب الخشن الغليظ البشع من كلّ شىء و السيّء الماكل أو بلا ادم.

(و لا ولد يحزنه) مضارع حزن كنصر قال تعالى «أتى ليحزننى أن تذهبوا به» و يقرأ يحزن مضارع أحزنه الشّىء و (لفته) عن كذا يلفته صرفه و لواه و (القضم) الأكل بأدنى الفم أى بأطراف الأسنان و يروى قضم بالّزيادة المهمله من القضم و هو القصر و (الهضم) محرّكه انضمام الجنين و خمص البطن و (الكشح) الخاصره (و حقر شيئا) يروى بالتّخفيف و التّضعيف

الاعراب

الباء فى قوله: بزعمه، للسّببىّه إن كان الزّعم بمعنى الظنّ و الاعتقاد، و إلّا فهى صلّه، و الواو فى قوله: كذب و العظيم، للقسم و إنّما قال: و العظيم و لم يقل:

و الله العظيم، تأكيدا لعظمه البارى سبحانه، لأنّ الموصوف إذا لغى و ترك و اعتمد على الصّفه حتّى صارت كالاسم كانت أدلّ على تحقّق مفهوم الصّفه كالحارث و العبّاس هكذا قال الشّارح المعتزلى.

و قال البحرانى: و إنّما قال: و العظيم، دون الله لأنّ ذكر العظمه هنا أنسب للرجاء، و الاضافه فى قوله: من خوفه، من اضافه المصدر إلى الفاعل أو المفعول، و اللّام فى قوله تعالى: لما أنزلت إلى من خير فقير، بمعنى إلى أو للتّعليل أو ضمن فقير معنى سائل فعدى باللّام، و الواو فى قوله: و لقد كانت، للقسم و المقسم به محذوف لمعلوميّته، و سلفا، و قائدا، منصوبان على الحال من ضمير به.

اعلم أنه عليه السّلام قد نبّه في هذا الفصل من كلامه عليه السّلام على بطلان دعوى من يدعى رجاء ثواب الله سبحانه و خوف عقابه و يزعم أنّصافه بهذين الوصفين اللّذين هما من أوصاف السّالكيين و حالات الطّالبيين و مقامات العارفين الرّاعبين، و عقبه بالتزهد عن الدّنيا بالأمر بالتأسّى على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و جملة من السّلف الصّالحين من الأنبياء و المرسلين حيث زهدوا في الدّنيا، و آثروا الآخرة على الاولى لما رأوا من معايها و مساوئها، و قد تقدّم في التّنبية الثّالث من تنبيهات الفصل السّادس من فصول الخطبه الثّانية و الثّمانين تحقيق معنى الرّجاء و تفصيل الكلام فيه و لا حاجة إلى الاعاده، و إنّما نشير هنا إلى محصّل ما أوردناه هناك تمهيدا و توضيحا للمتن.

فأقول: خلاصه ما قلناه فيما تقدّم: إنّ الرّجاء عبارته عن ارتياح النّفس لانتظار ما هو محبوب عندها، فهو حاله لها تصدر عن علم و تقتضى عملا، فمن كان يرجو لقاء ربه و يأمل ثوابه فليعمل عملا صالحا و لا يشرك بعباده ربّه أحدا، كما نطق به الكتاب الكريم و القرآن الحكيم، فاللّازم على الرّاجي للثواب من الملك الوهاب عزّ و علا أن يبذر المعارف الالهيه في قلبه، و يدوم على سقيه بماء الطّاعات و يجتهد في تطهير نفسه عن شوكة الأخلاق الرّديه المانعه من نماء العلم و زياده الايمان، و ينتظر من فضل الله سبحانه أن يشبته على ذلك إلى زمان وصوله و حصاد عمله، فذلك الانتظار هو الرّجاء الحقيقي المحمود.

إذا عرفت ذلك فنقول: إنّ من النّاس من يتبع هواه و يفرط في أمر مولاه و يغمر في المعاصي و يدوم على المناهى و مع ذلك كلّ (يدعى بزعمه) الفاسد و نظره الكاسد (أنّه يرجو الله) و يأمل لقائه فقد (كذب) في دعواه و خاب فيما يتوقّعه و يتمناه (و) الرّبّ (العظيم) لما قد عرفت أنّ الرّجاء بدون إصلاح العمل حمق و جهاله، و من دون تزكيه النّفس سفه و ضلاله (ما باله) استفهام على سبيل التّوبيخ و التّقرّيع أى ما بال هذا الدّاعى للرّجاء (لا يتبين رجاءه في عمله) يعنى أنّه لو كان

رجاؤه صدقا لظهر رجاؤه في عمله، و ذلك لأننا نرى أن كل من رجا شيئا من سلطان أو غيره فإنه يتابعه و يخدمه و يتقرب إليه و يتحّب إليه و يبالغ في طلب رضاه و يسارع إلى خدمته و يأتي بقدر طوعه كل ما هو مطلوب له و محبوب عنده ليظفر بمراده و ينال إلى ما يرجوه منه، و هذا المدعى للرجاء حيث لا يظهر رجاؤه في عمله يتبين أنه كاذب في دعواه، غير خالص في رجاءه.

و هذا معنى قوله (و كل من رجا عرف رجاؤه في عمله إلا رجاء) من يرجو (الله فإنه مدخول) أى معيب (و كل خوف محقق) أى كل خائف فخوفه محقق ثابت له أصل و حقيقه يظهر آثاره على الخائف (إلا خوف الله) تعالى (فإنه معلول) أى مشتمل على المرض و العلة حيث لا يظهر آثاره و علاماته على من يخافه سبحانه كما ستعرفه تفصيلا.

هذا على تقدير عود الضمير في قوله: فإنه، إلى خوف الله، و يجوز عوده إلى كل خوف بأن يجعل محقق صفة لخوف و إلا بمعنى غير و هذه الجملة أعنى جملة فإنه معلول خبرا لكل خوف، فيكون محصّل المعنى أن كل خوف ثابت غير خوف الله سبحانه فإن هذا الخوف معلول، بخلاف خوفه سبحانه فإنه الخوف الصريح الحقيقى، و ذلك لأن ما يخاف به من غيره تعالى فهو أمر دنيوى سريع الزوال و الانقضاء، مع أن ذلك الغير لا يقدر على ايقاع مكروه على الخائف إلا بمشيئه الله سبحانه و إقدار منه له عليه، بخلاف الخوف منه تعالى فإنه خوف من القادر القاهر لا يراد لقضائه و لا دافع لحكمه، و عذابه أليم لا يفنى، و سخطه عظيم لا ينقطع و لا يتناهى و يؤيد هذا الاحتمال الثانى فى هذه الفقرة ما فى بعض النسخ بدل قوله:

و كل من رجا آه و كل رجاء إلا رجاء الله فانه مدخول، وجه التأييد أن الضمير حينئذ يعود إلى كل رجاء فيكون سوق كلتا الفقرتين على مساق واحد، و يتطابق الكلّيتان كما هو غير خفى على البصير، هذا.

و أكد كون رجائه لله سبحانه معلولا بقوله (يرجو الله فى الكبير) أى يرجو رحمته و مغفرته و نعمته و منته و جنته التى عرضها السماء و الأرض (و يرجو العباد

فى الصّغير) أى فى امور دنيويّه زهيده المنفعه قليله الجدوى سريعه الزوال و الانقضاء و مع ذلك (فيعطى العبد ما لا يعطى الرّب) الاتيان بلفظ الاعطاء فى يعطى الرّب للمشاكله، و المراد أنّه يكشر عمله لمن يرجوه من العباد و يتقرّب إليه بكلّ وسيله ليفوز بما يتوقّعه منه، و يتهاون فى طاعه ربّه و يتكاسل فى عبادته و يقصّر فيما يقربه إليه مع أنّ اللازم عليه أن يكون عمله بعكس ذلك، فيكون قيامه بوظايف التّقرّب إلى الله سبحانه أكثر و أكد من القيام بوظايف التّقرّب إلى غيره، حيث إنّ المرجوّ الكبير يستدعى ما يناسبه ممّا هو وسيله إليه كمّيّه و كيفيّه.

و حيث إنّ عكس فى القيام بوظايف رجاء و لم يعط ربه ما أعطاه سواه فحقيق بالتّوبىخ و الملام و التّقريع و التّبكيه، و لذلك قال ذمّا و تشنيعا (فما بال الله عزّ و جلّ يقصر به عمّا يصنع به عباده) أى عمّا يعمل به، و يصانع لهم من المصانعه الّتى هى أن تصنع شيئا لغيرك لتصنع لك مثله.

و أكد التّوبىخ و التشنيع بقوله (أ تخاف أن تكون فى رجاءك له كاذبا أو تكون لا تراه للرجاء موضعا) يعنى أنّ قصورك فى القيام بوظايف الرّجا كاشف من خوفك من أحد أمرين كلاهما باطل:

أحدهما أن تكون كاذبا فى رجاءك له سبحانه لزعمك أنّك لا تستعدّ مع العمل بلوازم رجائه تعالى لافاضه الجود منه عليك و لا تنال إلى مرجوّك، و هو خطأ عظيم ناش عن ضعف الاعتقاد بالوعود الّتى وعدّها الله سبحانه على ألسنه رسله و أنبيائه لمن عمل صالحا و يرجو رحمه ربّه.

و ثانيهما أن تكون لا تراه للرجاء موضعا، و هو كفر صريح ناش من توهم عجزه أو بخله، هذا.

و لما نبه على بطلان دعوى المدّعين للرجاء و شنعهم على تلك الدّعوى، عقبه بالتّشنيع على الخائفين بسبب قصورهم فى لوازم الخوف، و توضيح قصورهم فيها محتاج إلى تحقيق معنى الخوف و بيان حقيقته

فأقول: إنَّ الخوف كما فى إحياء العلوم عبارته عن تألم القلب و احتراقه بسبب توقع مكروه فى الاستقبال، و قد ظهر هذا فى بيان حقيقته الرجاء و هو صفة تقتضى علما و عملا.

اما العلم فهو العلم بالسبب المفضى إلى المكروه، و ذلك كمن جنى على ملك ثم وقع فى يده فيخاف القتل مثلا و يجوز العفو و الافلات، و لكن يكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوه علمه بالأسباب المفضيه إلى قتله، و هو تفاحش جنايته و كون الملك حقودا غضوبا منتقما، و كونه محفوبا بمن يحته على الانتقام، خاليا عمن يتشفع إليه فى حقه، و كان هذا الخائف عاطلا عن كل وسيلة و حسنه تمحو أثر جنايته عند الملك، فالعلم بتظاهر هذه الأسباب سبب لقوه الخوف و شده تألم القلب، و بحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف.

و قد يكون الخوف لا عن سبب جنايه قارفها الخائف، بل عن صفة المخوف منه كالذى وقع فى مخالِب سبع، فأنه يخاف السبع لصفه ذات السبع و هى سطوته و حرصه على الافتراس غالبا و إن كان افتراسه بالاختيار.

و قد يكون من صفة جبلية للمخوف منه كخوف من وقع فى مجرى سيل أو جوار حريق من الغرق و الاحتراق، لأند طبع الماء مجبول على السيلان و الاغراق، و كذا النار على الاحتراق، فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث المثير لاحتراق القلب و تألمه، و ذلك الاحتراق هو الخوف.

فكذلك الخوف من الله تاره يكون لمعرفة الله و معرفه صفاته و أنه لو أهلك العالمين لم يبال و لم يمنع مانع، و تاره يكون لكثرة الجنايه من العبد بمقارفة المعاصى، و تاره يكون بهما جميعا، و يحسب معرفته بعيوب نفسه و معرفته بجلال الله تعالى و استغناؤه و أنه لا يستل عما يفعل و هم يستلون تكون قوه خوفه فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه و بربه و لذلك قال صلى الله عليه و آله و سلم: أنا أخوفكم لله، و كذلك قال الله: إنما يخشى الله من عباده العلماء.

و أما العمل فهو أنه إذا حصل له الخوف أوجب ذلك الكف و التوقى عن

كل ما يؤدى إلى المكروه المتوقع الذى يخاف منه.

و خوف الله سبحانه إذا ثبت فى القلب و اشتد يظهر أثره على البدن و على الجوارح و الصفات.

اما البدن فبالنحول و الصيفار و الغشيه و الزعقه و البكاء، و قد نشق به المراره فيفضى إلى الموت، أو يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل، أو يقوى فيورث القنوط و اليأس.

و اما الجوارح فبكفها عن المعاصى و تقييدها بالطاعات تلافيا لما فرط و استعدادا للمستقبل.

و اما الصفات فبأن يقمع الشهوات و يكدر اللذات فتصير المعاصى المحبوه عنده مكروهه كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيها إذا عرف أن فيه سماً فتحرق الشهوات بالخوف و تتأدب الجوارح و يحصل فى القلب الذبول و الخشوع و الاستكانه و يفارقه الكبر و الحقد و الحسد بل يصير مستوعب الهمم بخوفه و النظر فى خطر عاقبته، فلا يتفرغ لغيره و لا يكون له شغل إلا المراقبه و المحاسبه و المجاهده و الضنه بالأنفاس و اللحظات، و مؤاخذه النفس بالخطرات و الخطوات و الكلمات و يكون حاله حال من وقع فى مخالاب سبع ضار لا يدري أنه يغفل عنه فيفلت أو يهجم عليه فيهلك فيكون ظاهره و باطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره هذا حال من غلبه الخوف و استولى عليه.

و قوه المراقبه و المحاسبه و المجاهده بحسب قوه الخوف الذى هو تألم القلب و احتراقه و قوه الخوف بحسب قوه المعرفه بجلال الله تعالى و صفاته و أفعاله و بعيوب النفس و ما بين يديها من الأخطار و الأهوال.

و أقل درجات الخوف مما يظهر أثره فى الأعمال أن يمنع عن المحظورات و يسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعا، فان زادت قوته كف عما يتطرق إليه امكان التحريم فيكف أيضا عن المشتبهات و يسمى ذلك التقوى، إذ التقوى أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه، و قد يحمله على ترك ما لا بأس به مخافه ما به

بأس، و هو الصّيدق فى التّقوى، فإذا انضمّ إليه التّجرّد للخدمه فصار لا يبنى ما لا يسكنه، و لا يجمع ما لا يأكله، و لا يلتفت إلى دنيا يعلم أنّها تفارقه، و لا يصرف إلى غير الله تعالى نفسا من أنفاسه، فهو الصّدق و صاحبه جدير بأن يسمّى صديقا.

و يدخل فى الصّيدق التّقوى، و يدخل فى التّقوى الورع، و يدخل فى الورع العفه فإنّها عباره عن الامتناع عن مقتضى الشّهوات خاصّه فإذا الخوف يؤثّر فى الجوارح بالكفّ و الاقدام، و يتجدّد له بسبب الكفّ اسم العفّه، و هو كفّ عن مقتضى الشّهوه و أعلى منه الورع، فإنّه أعمّ لأنّه كفّ عن كلّ محظور و أعلى منه التّقوى، فإنّه اسم للكفّ عن المحظور و الشّبّهه جميعا و ورائه اسم الصّديق و المقرب.

إذا عرفت ذلك ظهر لك معنى قوله (و كذلك إن هو خاف عبدا من عبيده) سبحانه (أعطاه من خوفه) الضمير راجع إلى الخائف أو العبد أى أعطاه من أجل خوفه إياه (ما لا يعطى ربّه) يعنى أنّه يقوم بمقتضيات خوفه إن خاف غير الله تعالى فيفعل ما يأمر و يترك ما ينهى و يأتى بما يريد بخلاف خوفه منه سبحانه فيدعى الخوف و لا يظهر أثره عليه (فجعل خوفه من العباد نقدا) أى كالنقد المعجل لوجود آثاره فيه بالفعل (و خوفه من خالقه ضمارا و وعدا) ذا تسويق غير موجود آثاره فيه بعد هذا.

و لَمّا تبّه على بطلان دعوى المدّعين للخوف و الرّجاء و كذبهم فى تلك الدّعوى معلّلا بكون رجاهم لغير الله تعالى أكثر و أكّد، و خوفهم من غيره سبحانه أقوى و أشدّ، و فهم من ذلك ضمنا بدلاله الالتزام أنّ توجّههم و مراقبتهم إلى غيره عزّ و علا أكثر من مراقبتهم و توجّههم إليه، حيث إنّهم يؤثرون غيره عليه إذا رجوا، و يقدمون خوف الغير على خوفه إذا خافوا أردف ذلك بالتّنبيه على أنّ حال أبناء الدّنيا كذلك، لا يثارهم الدّنيا عليه تعالى و انقطاعهم إليها و افتتانهم بها و رغبتهم إليها دونه.

و بهذا ظهر لك حسن الارتباط و المناسبه بين ما مرّ و بين قوله (و كذلك من

عظمت الدّنيا فى عينه) و راقه زبرجها (و كبر موقعها من قلبه) و عظم محلّها عنده للذّاتها العاجله و شهواتها الموجوده الحاضره (آثرها على الله) و اختارها على ما لديه ممّا لا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر لكونه آجلا غاييا (فانقطع إليها و صار عبدا لها) و لمن فى يديه شىء منها حيثما زالت زال إليها و حيثما أقبلت أقبل عليها، غافلا عن أنّه ظلّ زائل، و ضوء آفل، و سناد مائل، و غرور حائل.

و لَمّا وصف حال أبناء الدّنيا المفتونين بها عقبه بأمرهم بالتأشّيرى برسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم المعرض عنها لما رأى من فنائها و زوالها و مخازيها و معايها تزهيدا لهم عنها، و تنبيها على خطائهم فى الافتتان بها فقال (و لقد كان فى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم كاف لك فى الاسوه) أى فى القدوه و الاتّباع (و دليل لك على ذمّ الدّنيا و كثره مخازيها) أى مهالكها و مقابحها و فضايحها (و مساويها) أى معايها.

و أشار إلى دليل الذّم بقوله (إذ قبضت عنه أطرافها و وطئت) أى هيأت (لغيره أكنافها) و جوانبها و (فطم من رضاعها) و التقم غيره ضرعها (و زوى) أى نحى (عن زخارفها) و قرّب إلى غيره زبرجها.

و دلّله هذه الجمله على ذمّها و عيبها أنّه لو كان لها وقع عنده سبحانه و لها كرامه لديه لم يضمن بها على أحبّ خلقه إليه و أشرفهم و أكرمهم عنده، فحيث زويها عنه و بسطها لغيره دلّ ذلك على خسيتها و حقارتها و هوانها و إلى ذلك يشير ما فى الحديث: ما زوى الله عن المؤمن فى هذه الدّنيا خير ممّا عجل له فيها.

قال بعض شراح الحديث: أى ما نحى من الخير و الفضل، و تصديق ذلك أنّ الرّجل منهم يوم القيامة يقول: يا ربّ إنّ أهل الدّنيا تنافسوا فى دنياهم فنكحوا النّساء و لبسوا الثّياب اللّينه و أكلوا الطّعام و سكنوا الدّور و ركبوا المشهور من الدّواب فأعطنى مثل ما أعطيتهم، فيقول الله تبارك و تعالى: و لكلّ عبد منكم ما أعطيت أهل الدّنيا منذ كانت الدّنيا إلى أن انقضت سبعون ضعفا.

(وإن شئت ثببت) إعراض رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ الدُّنْيَا (ب) إعراض (موسى كليم الله) عنها أو إن شئت ثببت الإِسْوَه بِالرُّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْإِسْوَه بِالْكَلِيمِ (إذ يقول) مَا حَكَى اللهُ سَبْحَانَهُ عَنْهُ فِي سُورَةِ الْقَصَصِ بِقَوْلِهِ «رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ» أَي إِنِّي مُحْتَاجٌ (١) إِلَى مَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ أَوْ سَائِلٌ طَالِبٌ لِمَا أَنْزَلْتَهُ، أَوْ إِنِّي فَقِيرٌ مِنَ الدُّنْيَا لِأَجْلِ مَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرِ الدِّينِ وَهُوَ النَّجَاهُ مِنَ الظَّالِمِينَ أَي صِرْتَ فَقِيرًا لِأَجْلِ ذَلِكَ لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَ فِرْعَوْنَ فِي ثَرَوِهِ وَسَعِهِ وَ مَلِكِهِ، وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ رِضًا بِالْبَدَلِ النَّبِيِّ وَفِرْحَانًا بِهِ وَشُكْرًا لَهُ، وَعَلَى ذَلِكَ فَالْمُرَادُ بِمَا فِي قَوْلِهِ لِمَا أَنْزَلْتَ، هُوَ خَيْرُ الدِّينِ وَالنَّجَاهُ مِنَ الظَّالِمِينَ وَقَالَ فِي الْكَشَافِ إِنِّي لِأَيِّ شَيْءٍ أَنْزَلْتَ إِلَيَّ قَلِيلٌ أَوْ كَثِيرٌ غَثٌّ أَوْ سَمِينٌ لِفَقِيرٍ.

وَحَمَلَهُ الْأَكْثَرُونَ عَلَى الطَّعَامِ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا فِي الصِّيفِيِّ عَنِ الْكَافِي وَالْعِيَّاشِيِّ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ الطَّعَامَ، قَالَ: وَفِي الْإِكْمَالِ رَوَى أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى شَقِّ تَمْرِهِ.

وَفِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: سَأَلَ نَبِيَّ اللهِ فَلَقَ خُبْزَ يَقِيمُ بِهِ صَلْبَهُ وَيُؤَيِّدُهُ أَيْضًا كَمَا يُؤَيِّدُ تَضَمِينِ فَقِيرٍ مَعْنَى سَائِلٍ وَكُونَ اللَّامِ لِلصَّيْلَةِ قَوْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَ اللهُ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزًا يَأْكُلُهُ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بِقَلْبِهِ الْأَرْضَ) إِذْ خَرَجَ مِنْ مَدِينَةِ فِرْعَوْنَ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ بِغَيْرِ ظَهْرٍ وَلَا دَابَّةٍ وَلَا خَادِمٍ وَلَا زَادٍ تَخْفِضُهُ الْأَرْضُ مَرَّةً وَتَرْفَعُهُ أُخْرَى حَتَّى انْتَهَى إِلَى أَرْضِ مَدِينٍ، وَكَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَدِينٍ مَسِيرُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَقِيلَ: ثَمَانِيَةَ، فَخَرَجَ مِنْهَا حَافِيًا وَلَمْ يَصِلْ إِلَى مَدِينٍ حَتَّى وَقَعَ خَفِّ قَدَمِيهِ، وَكَانَ لَا يَأْكُلُ فِي مَدَّةِ مَسِيرِهَا إِلَّا حَشِيشَ الصَّحْرَاءِ وَبَقْلَ الْأَرْضِ.

(وَ لَقَدْ كَانَتْ خَضْرَاهُ الْبَقْلُ تَرَى مِنْ شَفِيفِ صَفَاقِ بَطْنِهِ) يَعْنِي أَنَّ جِلْدَ بَطْنِهِ

ص: ٣٤٨

١- (١) هَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى تَضَمِينِ فَقِيرٍ مَعْنَى مُحْتَاجٍ وَجَعَلَ اللَّامُ بِمَعْنَى الِى، وَالثَّانِي مَبْنِيٌّ عَلَى تَضَمِينِهِ مَعْنَى الطَّلَبِ وَالسُّؤَالِ وَجَعَلَ اللَّامُ لِلصَّلَةِ، وَالثَّلَاثُ مَبْنِيٌّ عَلَى اِبْقَاءِ الْفَقِيرِ عَلَى مَعْنَاهِ الْأَصْلِيِّ وَجَعَلَ اللَّامُ لِلتَّعْلِيلِ، وَلكلِّ وَاحِدٍ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ، مِنْهُ

بسبب رفته لم يكن حاجبا عن إدراك البصر لما ورائه و ذلك (لهزاله و تشذب لحمه) أى تفرقه قال فى عدّه الدّاعى: و يروى أنّه أى موسى عليه السّلام قال يوما يا ربّ إنّى جائع فقال الله أنا أعلم بجوعك، قال: يا ربّ أطمعنى قال: إلى أن اريد.

و فيما أوحى إليه عليه السّلام يا موسى الفقير من ليس له مثلى كفى، و المريض من ليس له مثلى طيب، و الغريب من ليس له مثلى مونس قال: و يروى حبيب، يا موسى ارض بكسره من شعير تسدّ بها جوعتك، و بخرقه توارى بها عورتك، و اصبر على المصائب، و إذا رأيت الدّنيا مقبله عليك فقل: «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» عقبه قد عجلت فى الدّنيا، و إذا رأيت الدّنيا مدبره عنك فقل: مرحبا بشعار الصّالحين، يا موسى لا تعجبنّ بما اوتى فرعون و ما تتمّع به فآتما هى زهره الحياه الدّنيا.

(و إن شئت ثلثت بداود) بن أيش من أولاد يهودا سمى به لأنّه داوى جرحه بوذّ و قد قيل: داوى وده بالطّاعه حتّى قيل عبد، رواه فى البحار من معانى الأخبار و غيره (صاحب المزامير) قال الفيروزآبادى: مزاميره ما كان يتغنّى به من الزّبور و قال الشّارح المعتزلى: يقال: إنّ داود اعطى من طيب النّغم و لده ترجيع القراءه ما كان الطيور لأجله تقع عليه و هو فى محرابه، و الوحش تسمعه فيدخل بين النّاس و لا تنفر منهم لما قد استغرقها من طيب صوته.

و فى البحار من الامالى عن هشام بن سالم عن الصّادق عليه السّلام فى الحديث الآتى و كان إذا قرء الزّبور لا يبقى جبل و لا حجر و لا طائر و لا سبع إلاّ جاذبه (و) لعله لطيب صوته كان (قارى أهل الجنّه فلقد كان يعمل سفائف الخوص) أى نسايج ورق النّخل (بيده و يقول لجلسائه أيكم يكفينى بيعها و يأكل قرص الشعير من ثمنها) قال فى البحار: لعلّ هذا كان قبل أن ألان الله له الحديد.

و روى فيه من تفسير على بن إبراهيم فى قوله تعالى «وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ» أى سبّحى لله «وَالطَّيْرَ وَ أَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ» قال: كان داود إذا مرّ فى البرارى يقرأ الزّبور يسبّح الجبال و الطير معه و الوحوش و ألان الله

له الحديد مثل الشمع حتى كان يتخذ منه ما أحب.

وفيه من الفقيه بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله إلى داود نعم العبد لو لا أنك تأكل من بيت المال ولا تأكل بيدك شيئا قال: فبكى داود عليه السلام فأوحى الله تعالى إلى الحديد أن لن لعبدى داود فألان الله له الحديد، فكان يعمل كل يوم درعا فيبيعها بألف درهم فعمل ثلاثمأه و ستين درعا فباعها بثلاثمأه و ستين ألفا، واستغنى عن بيت المال.

وعن صاحب الكامل كان داود بن ايشاح (ايش خ ل) من أولاد يهود او كان قصيرا أزرق قليل الشعر، فلما قتل طالوت أتى بنو إسرائيل داود و أعطوه خزاين طالوت و ملكوه عليهم.

وقيل إن داود ملك قبل أن يقتل جالوت، فلما ملك جعله الله نبيا ملكا و أنزل عليه الزبور و علمه صنعه الدرع و ألان له الحديد و أمر الجبال و الطير أن يسبحن معه إذا سبح، و لم يعط الله أحدا مثل صوته كان إذا قرء الزبور تدنو الوحش حتى يؤخذ بأعناقها، و كان شديد الاجتهاد، كثير العبادة و البكاء، و كان يقوم الليل و يصوم نصف الدهر، و كان يحرسه كل يوم و ليله أربعة آلاف، و كان يأكل من كسب يده أربعة آلاف، و كانت مده ملكه أربعين و تمام عمره مائة، هذا.

وقد اتضح بذلك أنه عليه السلام مع ما آتاه الله من الملك و النبوه و البسطه زهد في الدنيا و رغب عنها و جعل رزقه في كد يمينه، و العجب أنه مع زهده ذلك عيره حزقيل النبي و يعجبني أن أذكر قصته معه لمناسبتها بالمقام، و دلالتها على ذم الدنيا المسوق له هذا الفصل من كلام الامام عليه السلام فأقول: روى في البحار من أمالي الصيّدوق عن أبيه عن عليّ عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: إن داود خرج ذات يوم يقرأ الزبور و كان إذا قرء الزبور لا يبقى جبل و لا حجر و لا طائر و لا سبع إلا جاذبه، فما زال يمرّ حتى انتهى إلى جبل فاذا على ذلك الجبل نبيّ عابد يقال له حزقيل، فلما سمع دوىّ الجبال و أصوات السباع و الطير علم أنه داود فقال،

داود: يا حزقيلا أأذن لي فأصعد إليك؟ قال: لا، فبكى داود عليه السّلام فأوحى الله جلّ جلاله إليه يا حزقيلا لا تعير داود و سلني العافيه، فقام حزقيلا فأخذ بيد داود عليه السّلام فرفعه إليه فقال: داود عليه السّلام يا حزقيلا هل هممت بخطيئه قطّ؟ قال: لا، قال:

فهل دخلك العجب ممّا أنت فيه من عباده الله تعالى؟ قال: لا، قال: فهل ركنت إلى الدّنيا فأحببت أن تأخذ من شهوتها و لذتها؟ قال: بلى ربّما عرض بقلبي، قال:

فما ذا تصنع إذا كان ذلك؟ قال: أدخل هذا الشّعب فأعتبر بما فيه.

قال: فدخّل داود النّبىّ الشّعب فاذا سرير من حديد عليه جمجمه باليه و عظام فانيه، و إذا لوح حديد فيه كتابه، فقرأها داود فاذا هى: أنا أردى شلم ملكت ألف سنه و بنيت ألف مدينه و افتضضت ألف بكر فكان آخر أمرى أن صار التّراب فراشى، و الحجاره و سادتى، و الدّيونان و الحيات جيرانى، فمن رآنى فلا يغترّ بالدّنيا و فى البحار أيضا دخل داود غارا من غيران بيت المقدس، فوجد حزقيلا يعبد ربّه و قد يبس جلده على عظمه فسلمّ عليه، فقال: أسمع صوت شعبان ناعم فمن أنت؟ قال: أنا قال: الذى له كذا و كذا امه؟ قال: نعم و أنت فى هذه الشّده قال: ما أنا فى شده و لا أنت فى نعمه حتى تدخل الجنّه.

(و ان شئت قلت فى عيسى بن مريم عليه السّلام) أى ان شئت أن تذكر حال المسيح فاذا ذكر أنّه ل (قد كان يتوسّد الحجر) أى يأخذه و ساده له (و يلبس) اللباس (الخشن و كان إدامه الجوع) قال العلامة المجلسى: لعلّ المعنى أنّ الانسان إنّما يحتاج إلى الادام لأنّه يعسر على النّفس أكل الخبز يابسا، فأما مع الجوع الشّديد فيلتدّ بالخبز و لا يطلب غيره فهو بمنزله الادام، أو أنّه كان يأكل الخبز دون الشّبع فكان الجوع مخلوطا به كالادام.

أقول: و يحتمل أن يكون المراد أنّه كان يلتدّ بالجوع كما يلتدّ بالادام و الطّعام، أو أنّ الجوع كان بدلا عن إدامه فاستعير لفظ الجوع له من باب استعاره اسم الضّدّ للضّدّ مثل قوله فى الخطبه الثّانيه: نومهم سهود و كحلهم دموع.

(و سراجُه بالليل القمر) يستضىء به كما يستضاء بالسراج (و ظلاله فى

الشّتاء) أى مكمنه من البرد (مشارك الأرض) فى الضّحى (و مغاربها) فى المساء (و فاكهته و ريحانه ما تنبت الأرض للبهائم) و استعاره الفاكهه و الرّيحان لما تنبت باعتبار التذاذ ذوقه و شمّه به كالتذاذ غيره بالفواكه و الرّياحين (و لم تكن له زوجة تفتنه و لا ولد يحزنه و لا مال يلفته) أى يلويه و يصرفه عن ذكر الله (و لا طمع يذلّه) أى يوقعه فى الدّلّه و الهوان (دأبته رجلاه و خادمه يداه) أى انتفاعه بهما كما ينتفع غيره بالدّابه و الخادم.

و اعلم أنّ ما وصف عليه السّلام به عيسى فقد روى عنه عليه السّلام نحوه فى عدّه الدّاعى قال: و أمّا عيسى روح الله و كلمته فأنّه كان يقول: خادمى يداى و دأبّتى رجلاى و فراشى الأرض و وسادى الحجر و دفئى فى الشّتاء مشارق الأرض و سراجى بالليل القمر و ادامى الجوع و شعارى الخوف و لباسى الصّوف و فاكهتى و ريحانى ما أنبتت الأرض للوحوش و الأنعام، أبيت و ليس لى شىء، و أصبح و ليس لى شىء، و ليس على وجه الأرض أحد أغنى منّى و رواه مثله فى البحار من ارشاد القلوب إلّا أنّ فيه بدل مشارق الأرض مشارق الشّمس، و بدل ريحانى ريحانتي.

و فى عدّه الدّاعى عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: فى الانجيل إنّ عيسى قال:

اللّهّم ارزقنى غدوه رغيفا من شعير رعشيه رغيفا من شعير و لا ترزقنى فوق ذلك فاطغى.

أقول: و ان شئت فاتبع ذكر حال هؤلاء الأنبياء الأكرمين بذكر حال غيرهم من الأنبياء و المرسلين.

و اذكر نوحا نجى الله فأنّه مع كونه شيخ المرسلين و قد روى أنّه عاش ألفى عام و خمسمائه عام، و عمّر فى الدّنيا مديدا، مضى منها و لم يبق فيها بيتا، و كان إذا أصبح يقول لا امسى و إذا امسى يقول لا أصبح.

و انظر إلى أبى الأنبياء إبراهيم خليل الرّحمن فقد كان لباسه الصّوف و طعامه الشّعير.

ثمّ انظر إلى يحيى بن زكريا كان لباسه اللّيف و أكله ورق الشّجر.

ثم إلى سليمان بن داود فقد كان مع ما هو فيه من الملك العظيم يلبس الشعر و إذا جنّه الليل شدّ يديه إلى عنقه فلا يزال قائما باكيا حتى يصبح، و كان قوته من سفائف الخوص يعملها بيده، و هكذا كان حال ساير الأنبياء في إعراضهم عن الدنيا.

و أما سيّد البشر فوصف حاله إجمالا قد مرّ و قد تقدّم أنّ فيه كافيا لك في الاتباع به و الاهتداء بهداه، و لذلك عقبه بالأمر بالتأسي به و أردفه بوصف حاله تفصيلا فقال (فتأسّ بنبيك الأطيب الأطهر صلّى الله عليه و آله و سلّم) و أتبع له (فإنّ فيه اسوه لمن تأسي و عزاء لمن تعزى) أى نسبه لمن انتسب (و أحبّ العباد إلى الله المتأسي بنبيه و المقتصّ) المتتبع (لاثره) و إنّما كان أحبّ العباد إليه سبحانه لقوله تعالى «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ» قال الفخر الرازي: قال المتكلمون محبه الله للعبد عبارته عن إرادته تعالى ايصال الخيرات و المنافع فى الدّين و الدّنيا إليه، و قال بعض المحقّقين: و من المتكلمين من أنكر محبه الله لعباده كالزّمخشري و أترابه، زعما منهم أنّ ذلك يوجب نقصا فى ذاته و لم يعلموا أنّ محبه الله تعالى لخلقه راجعه إلى محبه ذاته، هذا.

و قوله (قضم الدّنيا قضا) استيناف بيانى، فأنه لما ذكر أنّ أحبّ العباد إلى الله من اقتصّ أثر النّبى صلّى الله عليه و آله و سلّم، و كان ذلك مظنه لأن يسأل عن الأثر الذى يقتصّ أردف بهذا الكلام و ما يتلوه جوابا لهذا السّؤال المتوهم، و تفصيلا لما فيه الاسوه، و به يكون الاقتصاص، و أراد بقضمه اقتصاره صلّى الله عليه و آله و سلّم فى الدّنيا على قدر الضّروره إذا لقضم يقابل الخضم و الأوّل أكل الشىء اليابس بأطراف الأسنان، و الثانى الأكل بالفم كلّه للأشياء الرّطبه كما قال عليه السّلام فى وصف حال بنى اميه فى الخطبه الشقشقيه: يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الرّبيع، و فى حديث أبى ذر «رض» يخضمون و نقضم و الموعد لله (و لم يعرها طرفا) أى لم يعطها نظره على وجه العاريه فكيف بأن يجعلها مطمّح نظره، و هو كناية عن عدم التفاته إليها(أهضم أهل الدّنيا كشحا و أخصمهم

بطنا) أى أخصصهم خاصره و بطنا، و هو كناية عن كونه أشدّهم جوعا و أقلّهم شبعا كما روى أنّه صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلّم إذا اشتدّ جوعه كان يربط على بطنه حجرا و يسمّيه المشبع مع كونه مالكا لقطعه واسعته من الدّنيا.

قال الغزالي فى احياء العلوم: و فى الخبر أنّ النّبى صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلّم كان يجوع من غير غور أى مختارا لذلك.

قال: و كانت عايشه تقول إنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلّم لم يمتل قطّ شبعا و ربّما بكيت رحمه له مما أرى به من الجوع فأمسح بطنه بيدي و أقول نفسى لك الفداء لو تبلّغت من الدّنيا بقدر ما يقويك و يمنعك من الجوع، فيقول: يا عايشه اخوانى من اولى العزم من الرّسل قد صبروا على ما هو أشدّ من هذا، فمضوا على حالهم فقدموا على ربّهم فأكرم ما بهم و أجزل ثوابهم، فأجدنى أستحى إن ترفّعت فى معيشتى أن يقصر بى غدا دونهم، فالصّبر أيّاما يسيره أحبّ إلّى من أن ينقص حظّى غدا فى الآخرة، و ما من شىء أحبّ إلّى من اللّحوق بأصحابى و إخوانى، قالت عايشه: فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعه حتّى قبضه الله إليه.

و عن أنس قال: جاءت فاطمه صلوات الله و سلامه عليها بكسره خبز إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلّم فقال: ما هذه الكسره؟ قالت: قرص خبزته و لم تطب نفسى حتى أتيتك منه بهذه الكسره، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلّم: أما أنّه أوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثه أيّام، هذا، و سنورد فصلا مشبعا فى فضيله الجوع و فوائده بعد الفراغ من شرح الخطبه إنشاء الله.

(عرضت عليه الدّنيا فأبى أن يقبلها) إشاره إلى ما ورد فى غير واحد من الأحاديث العامّيه و الخاصّيه من أنّه صَلَّى اللهُ عليه و آله عرض عليه مفاتيح كنوز الأرض فامتنع من قبولها.

منها ما فى الكافى عن عدّه من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن خالد عن القاسم بن يحيى عن جدّه الحسن بن راشد عن عبد الله بن سنان عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: خرج النّبى صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلّم و هو محزون، فأتاه ملك و معه مفاتيح خزائن الأرض فقال: يا محمّد

هذه مفاتيح خزائن الدنيا يقول لك ربك: افتح و خذ منها ما شئت من غير أن تنقص شيئاً عندي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الدنيا دار من لا دار له و لها يجمع من لا عقل له، فقال له الملك: و الذي بعثك بالحق لقد سمعت هذا الكلام من ملك يقوله في السماء الرابعة حين اعطيت المفاتيح.

و منها ما في الوسائل عن الكليني عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل و فيه: ثم قال عليه السلام: يا محمد لعلك ترى أنه صلى الله عليه وآله وسلم شبع من خبز البر ثلاثة أيام منذ بعثه الله إلى أن قبض، ثم رد على نفسه ثم قال: لا و الله ما شبع من خبز البر ثلاثة أيام متواليه منذ بعثه الله إلى أن قبضه، أما أنتي لا أقول إنه كان لا يجد، لقد كان يجير الرجل الواحد بالماء من الابل فلو أراد أن يأكل لأكل، و قد أتاه جبرئيل بمفاتيح خزائن الأرض ثلاث مرّات يخيره من غير أن ينقص ممّا أعدّ الله له يوم القيامة شيئاً، فيختار التواضع لله، الحديث.

و قد مرّ في شرح الكلام التاسع و الستين في التذنيب الأوّل من شرحه المسوق لكيفيه شهاده أمير المؤمنين عند اقتصاص حاله في ليله تسع عشره من شهر رمضان حديث عرض المفاتيح بروايه لوط بن يحيى بنحو آخر فتذكر (و علم صلى الله عليه وآله وسلم أنّ الله سبحانه أبغض شيئاً) و لم يرد له أولياءه (فأبغضه) النبي صلى الله عليه وآله وسلم لنفسه لأنه لا يشاء إلا أن يشاء الله روى في إحياء العلوم عن موسى بن يسار قال: قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنّ الله عزّ و جلّ لم يخلق خلقاً أبغض إليه من الدنيا و أنّه منذ خلقها لم ينظر إليها.

و فيه أيضاً قال رسول الله: الدنيا موقوفه بين السماء و الأرض منذ خلقها الله لم ينظر إليها و تقول يوم القيامة: يا رب اجعلني لأدنى أوليائك اليوم نصيباً، فيقول اسكتي يا لا شيء إني لم أرضك لهم في الدنيا أرضاك لهم اليوم؟ (و حقر شيئاً فحقره) أى حقره النبي صلى الله عليه وآله وسلم لحقارته عند الله سبحانه كما روى في الكافي عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن جميل بن درّاج عن أبي عبد الله عليه السلام قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجدي اسكك ملقى على مزبله ميتاً فقال

لأصحابه كم يساوى هذا؟ فقالوا: لعله لو كان حيا لم يساو درهما، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم و الذى نفسى بيده الدنيا أهون عند الله من هذا الجدى على أهله.

(و صغر شيئا) أراد تصغيره بالنسبه إلى ما أعدّه لأولياته فى الآخرة (فصغره) قال فى إحياء العلوم قال داود بن هلال: مكتوب فى صحف إبراهيم عليه السلام: يا دنيا ما هونك على الأبرار الذين تمنعت و تزينت لهم إني قدفت فى قلوبهم بغضك و الصيود عنك، و ما خلقت خلقا أهون على منك كل شأنك صغير، و إلى الفناء تصير قضيت عليك يوم خلقتك أن لا تدومى لأحد، و لا يدوم لك أحد و إن بخل به صاحبك و شح عليك، طوبى للأبرار الذين اطلعونى من قلوبهم على الرضا، و من ضميرهم على الصدق و الاستقامه، طوبى لهم مالهم عندى من الجزاء إذا وفدوا إلى من قبورهم إلا التور يسعى أمامهم، و الملائكه حافون بهم حتى ابلغهم ما يرجون من رحمتى، هذا و لما ذكر أن الدنيا مبعوضه لله، حقيره عنده و كذلك عند النبي صلى الله عليه وآله و سلم تبعاً لرضائه تعالى، عقب ذلك بالتنبيه على أن اللازم على المتأسى له صلى الله عليه وآله و المقتص لأثره أن يبغض ما أبغضه الله و رسوله و يحقر ما حقره و إلا لكان مواداً لما حاد الله و رسوله فقال (و لو لم يكن فينا إلا جبننا ما أبغض الله و رسوله و تعظيمنا ما صغر الله و رسوله لكفى به شقاقاً لله) و مخالفه له (و محاده عن أمر الله) أى معاداه و مجانبه عنه.

و إلى ذلك ينظر ما روى أن سلمان رضى الله عنه كان متحسراً عند موته، فقيل له: يا أبا عبد الله على ما تأسفك؟ قال: ليس تأسفى على الدنيا، و لكن رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم عهد إلينا و قال: لتكن بلغه أحدكم كزاد الراكب، و أخاف أن يكون قد جاوزنا أمره و حولى هذه الأساور، و أشار إلى ما فى بيته و إذا هو دست و سيف و جفنه.

ثم أشار إلى تواضعه و تذللته صلى الله عليه وآله و سلم فى مأكله و مجلسه و مركبه و غيرها فقال (و لقد كان صلى الله عليه وآله و سلم يأكل على الأرض و يجلس جلسه العبد) و قد ورد التصريح بذلك

فى روايات كثيرة مروية فى الوسائل فى كتاب الأظعمه.

ففىه عن محمد بن يعقوب الكلينى باسناده عن هارون بن خارجه عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يأكل أكل العبد، و يجلس جلسه العبد و يعلم أنه عبد.

و عن الكلينى عن الحسن الصّيقلى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السّلام يقول مرّت امرأه بذية برسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم و هو يأكل و هو جالس على الحضيض (1) فقالت: يا محمد إنك تأكل أكل العبد و تجلس جلوسه، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم: و أى عبد أعبد منى.

و فىه عن البرقى عن عمرو بن جميع عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم يأكل بالأرض، هذا.

و ظهور التّواضع فى الأكل على الأرض واضح.

و المراد بأكله أكل العبد إمّا ذلك أعنى الأكل على الأرض، أو الأكل بثلاثة أصابع لا بالإصبعين كما يشعر به ما فى الوسائل عن البرقى عن أبى خديجه عن أبى عبد الله عليه السّلام أنه كان يجلس جلسه العبد و يضع يده على الأرض و يأكل بثلاثة أصابع، و قال: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم كان يأكل هكذا ليس كما يفعله الجبارون يأكل أحدهم بإصبعيه، أو الأكل من غير اتّكاء و يدلّ عليه ما فى الوسائل عن الكلينى عن معاوية بن وهب عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: ما أكل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم متّكئاً منذ بعثه الله إلى أن قبضه تواضعاً لله عزّ و جلّ.

و عن زيد الشّحام عن أبى عبد الله عليه السّلام قال: ما أكل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم متّكئاً منذ بعثه الله حتّى قبض كان يأكل أكله العبد، و يجلس جلسه العبد، قلت: و لم ذلك؟ قال: تواضعاً لله عزّ و جلّ.

و أما المراد من كون جلوسه جلسه العبد إمّا جلوسه على الأرض، و يدلّ عليه ما مرّ أو الجلوس من غير ترّبّع كما هو جلوس الملوّك، و يدلّ عليه ما فى الوسائل

ص: ٣٧٧

عن الكليني عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام إذا جلس أحدكم على الطعام فليجلس جلسه العبد ولا يضعنّ احدى رجله على الأخرى و يتربع، فأنها جلسه يبغضها الله و يمقتها.

أو الجلوس دون شرفه، و يفيد ما في الوسائل أيضا عن الكليني مرسلا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إذا دخل منزلا قعد في أدنى المجلس إليه حين يدخل.

(و يخصف بيده نعله) و تضمّن لبس النعل المخصوفه للتواضع ظاهر لا سيما إذا كان لابسها هو الخاصف، و قد تأسّى به صلى الله عليه و آله و سلم أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الوصف مضافا إلى سائر الصفات كما يفصح عنه ما مرّ في عنوان الخطبه الثالثه و الثلاثين عن ابن عباس أنّه قال: دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام بذي قار و هو يخصف نعله، فقال لى ما قيمه هذه النعل؟ فقلت: لا قيمه لها، فقال عليه السلام: و الله لهى أحبّ إلى من امرتكم إلا أن اقيم حقّا أو أدفع باطلا.

(و يرقع بيده ثوبه و يركب الحمار العارى و يردف خلفه) و معلوم أنّ ركوب الحمار العارى آيه التواضع و هضم النفس، و إرداف غيره خلفه أكد في الدلالة عليه.

روى في الوسائل من العيون عن الرضا عليه السلام عن آبائه عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال خمس لا أدعهنّ حتى الممات: الأكل على الحضيض مع العبد، و ركوبى الحمار موكفا(1) و حلب العنز بيدي، و لبس الصوف، و التسليم على الصبيان لتكون سنه من بعدى.

و كذلك لبس الثوب المرقع لا سيما إذا كان اللابس هو الراقع.

ثمّ أشار إلى مبغوضيه الدنيا و قيناتها عنده بقوله (و يكون الستر على باب بيته و يكون فيه التصاوير) الظاهر أنّ المراد به تصاوير الشجر و النبات و نحوها لا تصاوير الحيوان و غيره من ذوى الأرواح، إذ بيته صلى الله عليه و آله و سلم كان مهبط الوحي

ص: ٣٧٨

و مختلف الملائكه و لا يدخل الملك بيتا فيه صوره مجسمه كما ورد به الأخبار.

(فيقول صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم يا فلانہ لإحدى أزواجه غيبي عني) الظاهر أنه أراد بها عايشه كما يؤمى إليه في باب الزهد من إحياء العلوم قال: و رأى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم على باب عايشه سترًا فهتكه و قال: كلما رأيتك ذكرت الدنيا أرسلني به إلى آل فلان.

قال الشارح البحراني: أمره بتغيب التصاوير محافظه من حركة الوسواس الخناس، و كما أن الأنبياء عليهم السلام كانوا كاسرين للنفس الأمارة بالسوء، و قاهرين لشياطينهم كانوا أيضا محتاجين إلى مراعاتهم و مراقبتهم و تفقد أحوال نفوسهم في كل لحظة و طرفه، فانها كاللصوص المخادعين للنفوس المطمئنه مهما تركت و غفل عن قهرها و التحفظ منها عادت إلى طباغها.

أقول: لا يخفى ما في هذا التعليل بعد الغض عن كونه خلاف ما يستفاد من كلامه عليه السلام من الركاه و السخافه و السماجه و إساءه الأدب بالنسبه إلى خاتم النبيين صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم بل و سائر أولياء الدين و كيف يتصور في حقه صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم حركة الوسواس الخناس مع وجود ملكه العصمه و لو لم يغب عنه عليه السلام التصاوير، بل الظاهر أن أمره صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم بتغيبها إنما هو لأجل أن الدنيا و زخارفها كانت مبعوضه عنده بالذات و مكروهه لديه بالطبع، فأمر بتغيبها لكونها موجه لذكر ما يبغضه و يتنفر عنه و يعاديه.

كما يؤمى إليه قوله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم (فأني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا و زخارفها) و يدل عليه صريحا قوله عليه السلام الآتي و كذلك من أبغض شيئا آه (فأعرض صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم عن الدنيا بقلبه و أمات ذكرها عن نفسه) و هو الزهد الحقيقي (و أحب أن تغيب زينتها عن عينه لكيلا يتخذ منها ريشا) أي لباسا فاخرا، و ذلك لما روى عنه صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم إن الله يحب المبتذل الذي لا يبالي ما لبس قال في إحياء العلوم: قال أبو بردة: اخرجت لنا عايشه كساء ملبدا و إزارا غليظا فقالت: قبض رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم في هذين.

قال: و اشترى رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم ثوبا بأربعة دراهم و كانت قيمه ثوبه عشرة

و كان إزاره أذرع و نصفا و اشترى سراويل بثلاثه دراهم و كان يلبس شملتين بيضاوين و كانت تسمى حلّه لأنهما ثوبان من جنس واحد، و ربّما كان يلبس بردين يمانين أو سحوليين من هذه الغلاظ، و كان شراك نعله قد اخلق فابدل بسير جديد فصلّى فيه فلما سلّم: قال اعيدوا الشراك الخلق و انزعوا هذا الجديد فاني نظرت إليه في الصلاه، و كان صلّى الله عليه و آله و سلّم قد احتذى مرّه نعلين جديدين فأعجبه حسنهما فخرّ ساجدا و قال: أعجبنى حسنهما فتواضعت لرّبّي خشيه أن يمقتني فدفعهما إلى أوّل مسكين رآه.

(و لا يعتقدّها قرارا و لا يرجو فيها مقاما) لأنها دار مجاز لا دار قرار

أحلام نوم أو كظّل زائلاّ اللّيب بمثلها لا يخذع

و لذلك قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: الدّنيا دار من لا دار له، و لها يجمع من لا عقل له، و عليها يعادى من لا علم له، و عليها يحسد من لا فقه له، و لها يسعى من لا يقين له و لنعم ما قيل:

أرى طالب الدّنيا و إن طال عمره و نال من الدّنيا سرورا و أنعما

كبان بنى بنيانه فأقامه فلما استوى ما قد بناه تهدّما

(فأخرج) محبّت (ها من النّفس و أشخص) رغبت (ها عن القلب و غيب) زينت (ها عن البصر) و ذلك لفرط بغضه لها و نفرتة عنها و كراسته إيّاها (و كذلك) حال (من أبغض شيئا) فانه إذا أبغضه (أبغض أن ينظر إليه و أن يذكر عنده) ثمّ أكّد ما قدّم و قال: (و لقد كان في رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم ما يدلّك على مساوى الدّنيا و عيوبها إذ جاع فيها مع خاصّته).

أمّا جوعه صلّى الله عليه و آله و سلّم فقد عرفته فيما تقدّم، و أقول هنا مضافا إلى ما سبق:

روى أحمد بن فهد في عدّه الداعي أنه صلّى الله عليه و آله و سلّم أصابه يوما الجوع فوضع صخره على بطنه ثمّ قال: ألا ربّ مكرم لنفسه و هو لها مهين، ألا ربّ مهين لنفسه و هو لها مكرم ألا ربّ نفس جايعه عاريه في الدّنيا طاعمه في الآخرة ناعمه يوم القيامة، ألا ربّ نفس كاسيه ناعمه في الدّنيا جايعه عاريه يوم القيامة، ألا ربّ نفس متخوّض متنعّم فيما أفاء الله على رسوله ما له في الآخرة من خلاق، ألا إنّ عمل أهل الجنّه حزنه يربوه

ألا إنّ عمل أهل النار سهله لشهوه، ألا ربّ شهوه ساعه أورثت حزنا طويلا يوم القيامة.

و أما جوع خاصته فقد ورد في روايات مستفيضه.

منها ما في إحياء العلوم قال أبو هريره: ما أشبع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أهله أعنى أهل بيته و أزواجه و أهل بطانته من أصحابه ثلاثه أيام تباعا من خبز الحنظله حتّى فارق الدّنيا، و قال إنّ أهل الجوع في الدّنيا هم أهل الشّبع في الآخرة.

و فيه قال الفضيل ما شبع رسول الله منذ قدم المدينة ثلاثه أيام من خبز البرّ قالت عايشه: كانت تأتي علينا أربعون ليله و ما يوقد في بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مصباح و لا نار، قيل لها: فيم كنتم تعيشون؟ قال: بالأسودين: التمر و الماء.

و أما جوع أخصّ خاصّيته أعنى أهل بيت العصمه و الطّهاره فهو غنى عن البيان، و كتب الخاصّه بل العامّه قد تضمّنت أخبارا كثيرا في ذلك المعنى، و لنقتصر على ثلاثه أحاديث.

أحدها ما رواه المحدثّ الجزائري في الأنوار التّعمانيّه عن الصدوق طاب ثراه باسناده إلى خالد بن ربعي قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السّلام دخل مكّه في بعض حوائجه فوجد اعرابيا متعلّقا بأستار الكعبه و هو يقول: يا صاحب البيت بيتك و الضيف ضيفك و لكلّ ضيف من مضيفه قرى فاجعل قرأى منك الليله المغفره فقال أمير المؤمنين عليه السّلام لأصحابه: أما تسمعون كلام الأعرابي؟! قالوا:

نعم قال عليه السّلام: الله اكرم من أن يردّ ضيفه.

قال: فلمّا كان من الليله الثانيه وجده متعلّقا بذلك الركن و هو يقول: يا عزيزا في عزّك فلا أعزّ منك في عزّك أعزّني بعزّ عزّك في عزّ لا يعلم أحد كيف هو أتوجّه إليك و أتوسّل إليك بحقّ محمّد و آل محمّد عليك اعطني ما لا يعطيني أحد غيرك، و اصرف عني ما لا يصرفه أحد غيرك.

قال فقال أمير المؤمنين عليه السّلام لأصحابه: هذا و الله الاسم الأكبر بالسريانيه أخبرني به حبيبي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سأله الجنّه فأعطاه و سأله صرف النار فصرفها عنه.

قال: فلما كان الليله الثالثه وجده و هو متعلق بذلك الركن و هو يقول:

يا من لا يحويه مكان و لا يخلو منه مكان بلا كيفيه كان ارزق الأعرابي أربعة آلاف درهم.

قال: فتقدم إليه أمير المؤمنين عليه السلام و قال يا اعرابي سألت ربّك فأفراك، و سألت الجنّه فأعطاك، و سألته أن يصرف عنك النار فصرفها عنك و فى هذه الليله تسأله أربعة آلاف درهم؟ قال الاعرابي: من أنت؟ قال عليه السلام أنا عليّ بن أبي طالب قال الاعرابي: أنت و الله بغيتي و بك أنزلت حاجتي، قال عليه السلام: سل يا اعرابي، قال:

اريد ألف درهم للصدّاق، و ألف درهم اقضى بها (به خ) ديني، و ألف درهم اشترى بها دارا، و ألف درهم أتعيّش بها، قال أنصفت يا اعرابي فاذا خرجت من مكّه فسل عن داري بمدينه الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم.

فأقام الاعرابي بمكّه اسبوعا فخرج فى طلب أمير المؤمنين عليه السلام إلى المدينه و نادى من يدلّنى على دار أمير المؤمنين عليه السلام فقال الحسين بن عليّ من بين الصبيان أنا أدلّمك على دار أمير المؤمنين و أنا ابنه الحسين بن عليّ، فقال الاعرابي: من أبوك؟ قال: أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: من أمّك؟ قال: فاطمه الزهراء سيّده نساء العالمين، قال: من جدّك؟ قال: محمّد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال من جدّتك؟ قال خديجه بنت خويلد، قال: من أخوك؟ قال أبو محمّد الحسن بن عليّ عليه السلام، قال: قد أخذت الدنيا بطرفيها امش إلى أمير المؤمنين عليه السلام و قل له إنّ الاعرابي صاحب الضمان بمكّه على الباب.

قال: فدخل الحسين بن عليّ عليهما السلام فقال يا أبا اعرابيّ بالباب و يزعم أنه صاحب الضمان بمكّه، قال: فقال: يا فاطمه عندك شيء يأكله الاعرابي؟ قالت:

اللهم لا فتلبّس أمير المؤمنين عليه السلام و خرج و قال: ادعوا إلى أبا عبد الله سلمان الفارسي قال. فدخل سلمان الفارسي (رض) فقال عليه السلام: يا أبا عبد الله اعرض الحديقه التي غرسها رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم على التجار.

قال: فدخل سلمان إلى السوق و عرض الحديقه فباعها باثنى عشر ألف درهم

و أحضر المال و أحضروا الاعرابي فأعطاه أربعة آلاف درهم و أربعين درهما نفقه، و وقع الخبر إلى سؤال المدينة فاجتمعوا، و مضى رجل إلى فاطمه فأخبرها بذلك فقالت:

آجرك الله في ممشاك، فجلس عليّ عليه السّلام و الدرّاهم مصبوبة بين يديه حتّى اجتمع عليه أصحابه فقبضه قبضه و جعل يعطى رجلا رجلا حتى لم يبق معه درهم واحد فلما أتى المنزل قالت له فاطمه عليه السّلام: يا ابن عم بعث الحائض الذي غرسه لك والدى، قال: نعم بخير منه عاجلا- و آجلا- قالت: فأين الثمن؟ قال دفعته إلى أعين استحيت أن أذلّها بذلّ المسأله اعطيتها قبل أن تسألني، قالت فاطمه: أنا جايعه و أولادى جايعان و لا شكّ إلّا و أنّك مثلنا فى الجوع لم يكن لنا منه درهم و أخذت بطرف ثوب عليّ، فقال عليّ: خلىنى، فقالت عليها السّلام: لا و الله أو يحكم بينى و بينك أبى.

فهبط جبرئيل على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فقال: يا محمّد ربك يقرءك السّلام و يقول اقرأ علينا منى السّلام و قل لفاطمه: ليس لك أن تضربى على يديه و لا تلزمنى بثوبه فلما أتى رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم منزل عليّ عليه السّلام وجد فاطمه ملازمه لعليّ عليه السّلام، فقال لها يا بتيه ما لك ملازمه لعليّ؟ قالت: يا أبت باع الحائض الذى غرسه له باثنى عشر ألف درهم لم يحبس لنا منه درهما واحدا نشترى به طعاما، فقال: يا بتيه إنّ جبرئيل يقرئنى من ربّى السّلام و يقول: اقرأ علينا منى السّلام و أمرنى أن أقول لك ليس لك أن تضربى على يديه و لا تلزمنى بثوبه، قالت فاطمه: أستغفر الله و لا أعود أبدا.

قالت فاطمه عليها السّلام: فخرج أبى فى ناحيه و زوجى فى ناحيه فما لبث أن أتى أبى صلّى الله عليه و آله و سلّم و معه سبعة دراهم سود هجريه، فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: يا فاطمه أين ابن عمى فقلت له: خرج، فقال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: هاك هذه الدرّاهم فاذا جاء ابن عمى فقولى له يبتاع لكم بها طعاما، فما لبث إلّا يسيرا حتّى جاء عليّ عليه السّلام فقال:

رجع ابن عمى فأنى أجد رايحه طيبه، قالت: نعم و قد دفع إلّى شيئا تبتاع به طعاما قال: فقال عليّ عليه السّلام: هاتيه، فدفعت إليه سبعة دراهم سود هجريّه فقال: بسم الله

والحمد لله كثيرا طيبا وهذا من رزق الله تعالى، ثم قال عليه السلام: يا حسن قم معي فأتيا السوق فإذا هما برجل واقف وهو يقول: من يقرض الملي الوفي؟ قال: يا بنى نعطيته قال: اى والله يا أبة، فأعطاه على الدرهم كلها، فقال: يا أبتاه أعطيته الدرهم كلها؟ قال: نعم يا بنى إن الذى يعطى القليل قادر على أن يعطى الكثير.

قال: فمضى على عليه السلام إلى باب رجل يستقرض منه شيئا، فلقية اعرابى و معه ناقه، فقال: يا على اشتر منى هذه الناقه قال: ليس معى ثمنها قال: فانى انظرك به إلى القبض، قال: بكم يا اعرابى؟ قال: بمأه درهم، فقال على عليه السلام: خذها يا حسن فأخذها.

فمضى على عليه السلام فلقية اعرابى آخر المثل واحد و الثياب مختلفه فقال: يا على تبيع الناقه، قال على عليه السلام: و ما تصنع بها؟ قال: أغزو بها أول غزوه يغزوها ابن عمك؟ قال عليه السلام: إن قبلتها فهى لك بلا ثمن، قال: معى ثمنها و بالثمن أشتريها، قال: فبكم اشتريتها؟ قال عليه السلام: بمأه درهم، قال اعرابى: فللك سبعون و مأه درهم، قال على عليه السلام للحسن عليه السلام: خذ السبعين و المأه و سلم المأه للأعرابى الذى باعنا الناقه و السبعين لنا نبتاع بها شيئا، فأخذ الحسن عليه السلام الدرهم و سلم الناقه قال على عليه السلام: فمضيت أطلب اعرابى الذى ابتعت منه الناقه لأعطيه ثمنه فرأيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم جالسا لم أر فيه جالسا قبل ذلك اليوم و لا بعده على قارعه الطريق، فلما نظر النبى صلى الله عليه و آله و سلم إلى تبسم ضاحكا حتى بدت نواجذه، قال على عليه السلام أضحك الله سنك و بشرك بيومك، فقال يا أبا الحسن إنك تطلب الاعرابى الذى باعك الناقه لتوفيه الثمن؟ فقلت: إى و الله فداك أبى و امى، فقال: يا أبا الحسن العدى باعك الناقه جبرائيل و الذى اشترىها منك ميكائيل و الناقه من نوق الجنه و الدرهم من عند رب العالمين فأنفقها فى خير و لا تخف إقتارا.

الثانى ما روته العامه و الخاصه بروايات كثيره تنيف على عشرين فى سبب نزول سوره هل أتى، فلنقتصر على روايه واحده.

وهي ما في غايه المرام عن الصّيدوق بسنديين مذكورين فيه أحدهما عن ابن عبّاس، و ثانيهما عن الصّادق جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السّلام في قول الله عزّ وجلّ «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ» قال عليه السّلام: مرض الحسن والحسين وهما صبيّان صغيران فعادهما رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومع رجلاّن (١) فقال أحدهما لو نذرت في ابنيك نذرا إن عافهما الله قال عليه السّلام أصوم ثلاثه أيّام لله شكرا لله عزّ وجلّ، وكذلك قالت فاطمه، وقال الصّبيان ونحن أيضا نصوم ثلاثه أيّام، وكذلك قالت جاريتهن فضّه فألبسهما الله العافيه فأصبحوا صائمين، وليس عندهم طعام.

فانطلق علىّ عليه السّلام إلى جاره من اليهود يقال له: شمعون يعالج الصّوف، فقال له: هل لك أن تعطيني جزّه من صوف تغزلها ابنه محمّد بثلاثه أصوع من شعير قال: نعم، فأعطاه، فجاء بالصّوف والشّعير وأخبر فاطمه فقبلت وأطاعت، ثمّ عمدت فغزلت ثلث الصّوف ثمّ أخذت صاعا من الشّعير فطحنته وعجنته وخبزت منه خمسه أقراص لكلّ واحد منهم قرص، و صلّى علىّ عليه السّلام مع التّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم المغرب ثمّ أتى منزله فوضع الخوان وجلسوا خمستهم.

فأول لقمه كسرّها علىّ عليه السّلام إذا مسكين واقف، فقال: السّلام عليكم يا أهل بيت محمّد أنا مسكين من مساكين المسلمين أطعموني ممّا تأكلون أطعمكم الله من موائد الجنّه، فوضع اللّقمه من يده ثمّ قال عليه السّلام:

فاطم ذات المجد واليقين يا بنت خير النّاس أجمعين

أما ترين البائس المسكين جاء إلى الباب له حنين

يشكو إلى الله ويستكين يشكو إلينا جائع حزين

كلّ امرء بكسبه رهين من يفعل الخير يكن حسين

موعده في جنّه و مين حرّمها الله على الصّنين

وصاحب البخل يقف حزين تهوى به النّار إلى سجين

شرا به الحميم والغسلين

ص: ٣٨٥

١- (١) و هما أبو بكر و عمر كما في روايه الخوارزمي منه

فأقبلت فاطمه عليها السلام تقول.

أمرك سمع يا ابن عم و طاعه ما بي من لؤم و لا ضراعه

غذيت باللّب و بالبراعه أرجو إذا أشبعت في مجاعه

أن الحق الخيار و الجماعه و أدخل الجنّه في شفاعه

و عمدت إلى ما كان من الخوان فدفعته إلى المسكين و باتوا جياعا و أصبحوا صياما لم يذوقوا إلا الماء القراح.

ثمّ عمدت إلى الثلث الثاني من الصّوف فغزلته ثمّ أخذت صاعا من الشعير فطحنته و عجنته و خبزت منه خمسه أقراص لكلّ واحد قرص، و صلّى عليّ عليه السلام المغرب مع النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم ثمّ أتا إلى منزله فلما وضع الخوان بين يديه و جلسوا خمستهم.

فأول لقمه كسرها عليّ عليه السلام إذا يتيم من يتامى المسلمين قد وقف فقال:

السلام عليكم يا أهل بيت محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم أنا يتيم المسلمين أطعموني ممّا تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنّه، فوضع عليّ عليه السلام اللقمه من يده ثمّ قال عليه السلام:

فاطم بنت السّيد الكريم بنت نبىّ ليس بالزّنينم

قد جاءنا الله بذا اليتيم من يرحم اليوم فهو رحيم

موعده في جنّه النّعيم حرّمها الله على اللّئيم

و صاحب البخل يقف ذميم تهوى به النار إلى الجحيم

شرا به الصّديد و الحميم

فأقبلت فاطمه عليها السلام تقول:

فسوف أعطيه و لا ابالى و اوثر الله على عيالى

أمسوا جياعا و هم أشبالى أصغرهما يقتل في القتال

في كربلا يقتل باغتيال لقاتليه الويل و الوبال

تهوى به النار إلى سفال كبوله زادت على الأكبال

ثم عمدت فأعطته جميع ما على الخوان، و باتوا جياعا لم يذوقوا إلا الماء القراح

ص: ٣٨٦

فأصبحوا صياما.

و عمدت فاطمه عليها السّلام فعزلت الثّلت الباقي من الصّوف و طحنت الثّلت الباقي و عجنته و خبزت منه خمسه أفراص لكلّ واحد منهم قرص و صلّى علىّ عليه السّلام مع النّبىّ ثمّ أتى منزله فقرب إليه الخوان فجلسوا خمستهم.

فأول لقمه كسرها علىّ عليه السّلام إذا أسير من أسير المشركين قد وقف بالباب فقال: السّلام عليكم يا أهل بيت محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم تأسرونا و تشدّونا و لا تطعمونا، فوضع علىّ عليه السّلام اللّقمه من يده ثمّ قال:

فاطم يا بنت النّبىّ أحمد بنت نبيّ سيّد مسدّد

قد جاءك الأسير ليس يهتدى ما يزرع الزارع سوف يحصد

فأعطيه و لا تخطيه بنكد

(١) فأقبلت فاطمه عليها السّلام و هى تقول:

لم يبق ممّا كان غير صاع قد دبرت كفى مع الدّراع

شبلای و الله هما جياع يا ربّ لا تتركهما ضياع

أبوهما للخير ذو اصطناع عبل الدّراعين طويل الباع

و ما علىّ رأسى من قناع إلاّ عباء نسجها بصاع

و عمدوا إلى ما كان علىّ الخوان فأعطوه و باتوا جياعا و أصبحوا مفطرين ليس عندهم شىء.

قال شعيب فى حديثه: و أقبل علىّ عليه السّلام بالحسن و الحسين عليهما السّلام نحو رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و هما يرتعشان كالفراخ من شدّه الجوع، فلمّا بصر رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال:

يا أبا الحسن أشدّ ما يسوءنى ما أرى بكم انطلق إلى بنتى فاطمه عليها السّلام فانطلقوا و هى فى محرابها قد لصق بطنها بظهرها من شدّه الجوع و غارت عيناها،

ص: ٣٨٧

١- (١) هكذا فى روايه الصدوق و لا يستقيم وزن الشعر و أثبتناه كما وجدناه و فى روايه الخوارزمى عن ابن عباس (رض): فأطعمى من غير من نكد. و بعده: حتى تجازى بالذى لم ينفد منه

فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ضَمَّهَا إِلَيْهِ، وَقَالَ: وَاعْتَنَاهُ أَنْتُمْ مِنْذُ ثَلَاثِ أَيَّامٍ أَرَى فِهَيْطَ جِبْرَائِيلَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خذ ما هنالك في أهل بيتك، قال: وما آخذ يا جبرئيل؟ قال:

«هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ» حَتَّى بَلَغَ «إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا» وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ مَهْرَانَ فِي حَدِيثِهِ: فَوَثَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى دَخَلَ مَنْزِلَ فَاطِمَةَ فَرَأَى مَا بِهِمْ فَجَمَعَهُمْ ثُمَّ انْكَبَّ عَلَيْهِمْ يَبْكِي، وَقَالَ: أَنْتُمْ مِنْذُ ثَلَاثِ أَيَّامٍ أَرَى وَأَنَا غَافِلٌ عَنْكُمْ، فَهَيْطَ جِبْرَائِيلَ بِهَذِهِ الْآيَاتِ «إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا» قَالَ:

هِيَ عَيْنٌ فِي دَارِ النَّبِيِّ يَتَفَجَّرُ إِلَى دُورِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ «يُوفُونَ بِالنَّذْرِ» يَعْنِي عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَالْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَجَارِيَتَهُمَا فَضَّهَ «وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا» يَقُولُ عَابِسًا كُلُّوْحَا «وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ» يَقُولُ عَلَى حُبِّ شَهْوَتِهِمُ الطَّعَامَ وَيُثَارِهِمْ لَهُ «مِسْكِينًا» مِنْ مَسَاكِينِ الْمُسْلِمِينَ «وَيَتِيمًا» مِنْ يَتَامَى الْمُسْلِمِينَ «وَأَسِيرًا» مِنْ أَسَارَى الْمُشْرِكِينَ، وَيَقُولُونَ إِذَا أَطْعَمُوهُمْ «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا» قَالَ: وَاللَّهِ مَا قَالُوا هَذَا وَلَكِنَّهُمْ أَضْمَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ فَأَخْبَرَ اللَّهُ بِأَضْمَارِهِمْ يَقُولُ: لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً تَكَاثُفُونَا بِهِ، وَلَا شُكُورًا تَتَنَوَّنَ عَلَيْنَا بِهِ، وَلَكِنَّا إِنَّمَا نَطْعَمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ وَطَلَبِ ثَوَابِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ «فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا» نَضْرَهُ فِي الْوَجْهِ وَسُرُورًا فِي الْقَلْبِ «وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا» جَنَّةً يَسْكُونُهَا وَحَرِيرًا يَفْرَشُونَهَا وَيَلْبَسُونَهَا «مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ» وَالْأَرَائِكُ السَّرِيرُ عَلَيْهِ الْحِجْلَةُ «لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمَهْرِيرًا» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَبَيْنَا أَنْ أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ إِذَا رَأَوْا مِثْلَ الشَّمْسِ اشْرَقَتْ لَهُ الْجَنَانُ فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: يَا رَبِّ إِنَّكَ قَلْتَ فِي كِتَابِكَ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا، فَيُرْسِلُ اللَّهُ جَلَّ اسْمُهُ إِلَيْهِمْ جِبْرَائِيلَ فَيَقُولُ: لَيْسَ هَذِهِ شَمْسٌ لَكِنِ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ ضَحِكَا فَأَشْرَقَتْ الْجَنَانُ مِنْ نُورِ ضَحِكِهِمَا، وَنَزَلَتْ هَلْ أَتَى فِيهِمْ إِلَى قَوْلِهِ: وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا.

أقول: وقد أثبت الزوايه برمتها وإن كان خاتمتها خارجه من الغرض الذي

نحن فيه شعفا منى بذكر ماثر أمير المؤمنين و زوجته و الطيبين من أولادهما سلام الله عليهم، و فيما روينا من الفضل الذى تخصصوا به ما لم يشركهم فيه أحد و لا ساواهم فى نظير له مساو.

الثالث ما فى الصافى من الأمالى عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه جاء إليه رجل فشكى إليه الجوع، فبعث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلى بيوت أزواجه فقال: ما عندنا إلا ماء، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: من لهذا الرجل الليلة؟ فقال على بن أبى طالب: أنا له يا رسول الله و أنا فاطمه عليها السلام فقال لها: ما عندك يا ابنة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم؟ فقالت: ما عندنا إلا قوت العشيء لكنا نؤثر ضيفنا، فقال: يا ابنة محمّد صلى الله عليه و آله نومى الصبيء و أطفى المصباح، فلما أصبح على عليه السلام غدا على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فأخبره الخبر، فلم يبرح حتى أنزل الله عزّ و جلّ «و يُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَ لَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَ مَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» هذا.

و قد ظهر لك ممّا تضمّنته هذه الروايات الثلاث الذى هو أنموذج ممّا تضمّنته ساير الروايات كيفيّة عيش رسول الله مع خواصّه فى دار الدّنيا و زهدهم فيها و ايثارهم الآخرة على الاولى و أنّها قبضت عنه و عن أهل بيته (و زويت) أى صرفت و نحت (عنه زخارفها) و زينتها (مع عظيم) تقربه و (زلفته فلينظر ناظر بعقله) أنه لو يكون فى الدّنيا و الاكثار منها خير لم يفت هؤلاء الأكياس الذين هم أقرب الخلق إلى الله و خاصّيته و حججه على ساير الناس، بل تقربوا إليه سبحانه بالبعد عنها، و تحبّبوا إليه تعالى بالبغض لها.

و ليتفكّر بفكره سليمه أنه (أكرم الله تعالى محمّدا صلى الله عليه و آله) و ساير أنبيائه و أوليائه (بذلك) الضيق فى الدّنيا و الاعسار فيها (أم أهانه) و أهانهم.

(فان قال أهانه) و إيّاهم (فقد كذب و العظيم) ضروره أنّ أحقر ملك من ملوك الدّنيا لا يقصد بأحد من خاصّيته إذا كان مطيعا له متقادا لأمره مخلصا فى طاعته الاهانه فكيف يصدر ذلك عن ملك السلوك و سلطان السلاطين حكيم الحكماء و رحيم الرحماء فى حقّ أخصّ خواصّه و أقربهم إليه و أشدهم زلفه عنده و اكثرهم

طاعه له.

(وإن قال أكرمهم) و أكرمهم كما هو الحقّ و الصدق (فليعلم أنّ الله) قد (أهان غيره) و غيرهم إذ الشىء إن كان عدمه إكراما و كمالاته كان وجوده نقصا و إهانته ف (حيث بسط الدنيا) له أى لذلك الغير (و زويها عن أقرب الناس منه) كان فى بسطها له إهانته لا محاله.

(فتأسى متأس بنبيه و اقتص أثره و ولج مولجه) الفاء فصيحته و الجملات الثلاث إخبار فى معنى الانشاء أى إذا عرف زهد النبى فى الدنيا و علم أنّها دار هوان فليتأس المتأسى به صلى الله عليه و آله، و ليتبع أثره و ليدخل مدخله و يحدو حدوه و ليرغب عنها.

(وإلا فلا يأمن الهلكه) لأنّ حبّ الدنيا و التنافس فيها رأس كلّ خطيئه جاذبه من درجات النعيم إلى دركات الجحيم.

و أوضح هذه العلة بقوله (فإنّ الله سبحانه جعل محمّدا صلى الله عليه و آله علما للساعة و مبشّرا بالجنّه و منذرا بالعقوبه) أى مطلعاً بأحوال الآخرة جميعها، فحيث آثر الآخرة على الاولى و ترك الركون إليها مع اطلاعه عليهما علم أن ليس ذلك إلا لكون الدنيا مظنه الهلاك، و العقبى محلّه النجاه و الحياه، فالراكن إليها متعرّض للهلاك الدائم و الخزى الأبد لا محاله.

و يظهر لك عدم ركونه صلى الله عليه و آله إليها بأنّه (خرج من الدنيا خميصا) أى جائعا إمّا حقيقه أو كناية عن عدم الاستمتاع بها (و ورد الآخرة سليما) من التبعات و المكاره (لم يضع حجرا على حجر) كناية عن عدم بنائه فيها (حتى مضى لسبيله و أجاب داعى ربّه).

قال الحسن: مات رسول الله و لم يضع لبنه على لبنه و لا قصبه على قصبه، رواه فى إحياء العلوم.

و فيه أيضا قال النبى صلى الله عليه و آله: إذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله فى الماء و الطين.

وقال عبد الله بن عمر: مرّ علينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ونحن نعالج خصًا، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ما هذا؟ قلنا: خصّ لنا قد وهى، فقال: أرى الأمر أعجل من ذلك.

وقال الغزالي: وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما يكفيه كلف أن يحمله يوم القيامة، هذا.

ولما فرغ من التزهيد في الدنيا والترغيب في الآخرة بالتنبيه على هوانها وحقارتها بما لا مزيد عليه، وبشرح حال أولياء الدين من خاتم النبيين وسائر الأنبياء والمرسلين سلام الله عليهم أجمعين في رفضهم لها وتركهم آياها، أردف ذلك بالإشارة إلى زهده وإظهار غايه الامتنان من الله سبحانه في إنعامه عزّ وجلّ عليه عليه السّلام بالتأسيى بنبيّه فقال: (فما أعظم نعمه الله عندنا حين أنعم علينا به) أي برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ (سلفا نتبعه وقائدا نطأ عقبه) ونقفوا أثره ونسلك سبيله في زهده.

وأوضح أتباعه وتأسييه به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالإشارة إلى بعض مراتب زهده فأنه أنموذج من سائر المراتب، وفيه عبره لمن اعتبر، وكفايه لمن تذكّر، فقال: (والله لقد رفعت مدرعتي هذه) وهو ثوب من صوف يتدرّع به (حتى استحيت من راقعها) لكثرة رقعها (ولقد قال لي قائل) لما رأى أنّها خلق و سمل (ألا تنبذها) و تطرحها (عنك فقلت) له (اعزب) أي غب و تباعد (عنى فعند الصّباح يحمد القوم السرى) وهو مثل يضرب لمن احتمل المشقه عاجلا لينال الرّاحه آجلا.

وأصله أنّ المسافر إذا احتمل المشقه وحرم على نفسه لذه الرقاد وبادر إلى السرى من أول الليل وجدّ في سيره فأنه يبلغ عند الصّباح منزله و يصل إليه سالما غانما و ينزل أحسن المنازل و أشرفها مقدّما على غيره، و يستريح من تعب الليل و يكون محمودا، بخلاف من أخذ نوم الغفله و آثر اللذه العاجله على الآجله، فأنه إذا سرى في آخر الليل و فى اخريات الناس فأنه ربما يغيله اللصوص فلا يسلم أو يضلّ؟؟؟ عن الطريق فيعطب، و مع سلامته يكون مسيره فى حرّ النهار على و صب و تعب، فيصل إلى المنزل بعد ما سبق غيره إلى أحسنه و أشرفه، فلا يجد له منزلا و مقيلا إلا أردء المنازل و أدونها، فعند ذلك يلوم نفسه بتفريطه، و يذمه غيره و يندم

على ما فُزط و لا ينفعه الندم.

و بهذا التقرير انقدح لك وجه المطابقه بين المثال و الممثل.

بيانه أنّ ذلك النشأ المشوبه بالكدورات و العلايق الظلمانيه البدنيّه بمنزله الليل، و النشأ الاخرويّه المطابقه لتلك النشأ التي هي دار التجرد الصافيه عن الكدورات و العلاقات بمنزله الصّباح الواقع عقيب الليل، و الوطن الأصلي للانسان هي الدار الآخره، و هو في الدنيا بمنزله المسافر، فمن ترك الدنيا وجدّ في السير إلى الآخره بالمواظبه على الطاعات و الرياضات الشاقّه الموصله له إليها وصل إلى مقصده، و نزل في غرفات الجنان، و فيهنّ خيرات حسان فعند ذلك يكون محمودا مسرورا عند نفسه و عند الخالق و الخلايق لما صبر على مشاقّ الدنيا و مقاساه الشدائد.

و من أخذه نوم الغفله فيها و اغترّ باللذات الحاضره و الشهوات العاجله، و رد الآخره و ليس له مقام إلاّ سجّين، و لا شراب و طعام إلاّ من حميم و غسلين، فعند ذلك يلومه نفسه و غيره و يندم على تقصيره، و يقعد ملوما محسورا و يدعو ثورا

تذييلان

الاول

قد مضى في مقدّمات شرح الخطبه الشقشقيّه و في غيرها بعض الكلام في زهد أمير المؤمنين عليه السلام، و أقول هنا مضافا إلى ما سبق:

روى في عدّه الدّاعي عن خبير بن حبيب قال: نزل بعمر بن خطّاب نازله قام لها و قعد، و تربخ لها و تقطر (١) ثم قال: يا معشر المهاجرين ما عندكم فيها قالوا: يا أمير المؤمنين أنت المفزع و المنزل، فغضب و قال: «يا أيّها اللّذين آمنوا اتّقوا الله و قولوا قَوْلًا سَدِيدًا»، أما و الله إنّنا و إياكم لنعرف ابن بجدتها (٢) و الخبير

ص: ٣٩٢

١- (١) تربخ بالباء الموحده و الخاء المعجمه استرخى، و تقطر تهيأ للقتال و رمى بنفسه من علو، ق.

٢- (٢) ابن بجدتها بالباء و الجيم يقال: بالعالم بالشيء، و للدليل الهادي، و لمن لا يبرح عن قوله هكذا في ق

بها، قالوا: كأنك أردت ابن أبي طالب؟ قال: و أنى يعدل بي عنه و هل طفحت جرّه بمثله؟ قالوا: فلو بعثت إليه، قال: هيهات هيهات هناك شمش من هاشم و لحمه من الرسول و اثره من علم يؤتى لها و لا يأتى، امضوا إليه فاقصفوا(١) نحوه و أفضوا إليه، و هو فى حايط له عليه تبان يترك على مسحاته(٢) و هو يقول: «أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ يُمْنَى ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى» و دموعه تهمى على خديه، فأجهش(٣) القوم لبكائه ثم سكن و سكنوا، و سأله عمر عن مسأله فأصدر إليه جوابها فلوى عمر يديه ثم قال: أما و الله لقد أراذك الحق و لكن أبى قومك، فقال عليه السلام: يا أبا حفص خفف عليك من هناك و من هنا إن يوم الفصل كان ميقاتا، فانصرف و قد أظلم وجهه و كأنما ينظر إليه من ليل.

و فى شرح المعتزلى عن أحمد بن حنبل قال: لما ارسل عثمان إلى على عليه السلام وجدوه مؤتزرا بعباء محتجزا بعقال(٤) و هو يهنأ(٥) بعيرا له.

و فى كشف الغمه من مناقب الخوارزمى عن عبد الله بن أبى الهذيل قال: رأيت على بن أبى طالب عليه السلام قميصا زريًا إذا مدّه بلغ الظفر، و إذا أرسله كان مع نصف الذراع، و منه عن عدى بن ثابت قال: اتى على بن أبى طالب عليه السلام بفالودج فأبى أن يأكل منه، و قال: شىء لم يأكل منه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لا أحب أن آكل منه.

و منه عن أبى مسطر قال: خرجت من المسجد فاذا رجل ينادى من خلفى:

ارفع إزارك فإنه أتقى لثوبك و أبقى لك و خذ من رأسك إن كنت مسلما، فمشيت خلفه و هو مؤتزر بازار و مرتد برداء و معه الدرّه كأنه أعرابى بدوى، فقلت من هذا

ص: ٣٩٣

١- (١) اى تزاحموا اليه.

٢- (٢) سراويل صغير يستر العوره المغلظه يكون مع الملاحين، و تركل بمسحاته ضربها برجله لتدخل الارض، منه

٣- (٣) اى تهيئوا للبكاء

٤- (٤) أى شدّ وسطه بالحبل لتشمير ثوبه و يقال لذلك الحبل الحجاز

٥- (٥) أى يطلبه بالقطران

فقال لى رجل أراك غريبا بهذا البلد، قلت: أجل رجل من أهل البصره، قال: هذا على أمير المؤمنين عليه السلام حتى انتهى الى دار بنى أبي معيط و هو سوق الابل فقال: بيعوا و لا تحلفوا فانّ اليمين تنفق السلعه و تمحق البركه.

ثم أتى أصحاب التمر فاذا خادمه تبكى فقال: ما يبكيك؟ قالت: باعنى هذا الرجل تمرا بدرهم فردّوه موالى فأبى أن يقبله، فقال: خذ تمر ك و أعطها درهمها فانّها خادم ليس لها أمر، فدفعه، فقلت أ تدرى من هذا؟! قال: لا قلت: على بن أبى طالب أمير المؤمنين عليه السلام فصبّ تمره و أعطها درهمها و قال: احبّ أن ترضى عنى، فقال:

ما أرضانى عنك إذا وفيتهم حقوقهم.

ثم مرّ مجتازا بأصحاب التمر فقال: يا أصحاب التمر أطعموا المساكين يربو كسبكم.

ثم مرّ مجتازا و معه المسلمون حتى أتى أصحاب السمك فقال: لا يباع فى سوقنا طاف.

ثم أتى دار فرات و هو سوق الكرايس فقال: يا شيخ أحسن بيعى فى قميصى بثلاثه دراهم، فلما عرفه لم يشتري منه شيئا، فأتى غلاما حدثا فاشترى منه قميصا بثلاثه دراهم و لبسه ما بين الرّسغين إلى الكعيين، و قال حين لبسه: الحمد لله الذى رزقنى من الرّياش ما أتجمل به فى الناس و اوارى به عورتى.

ف قيل له: يا أمير المؤمنين هذا شىء ترويه عن نفسك أو شىء سمعته من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: بل شىء سمعته من رسول الله صلّى الله عليه و آله يقوله عند الكسوه: فجاء أبو الغلام صاحب الثوب فقيل يا فلان قد باع ابنك اليوم من أمير المؤمنين عليه السلام قميصا بثلاثه دراهم قال: أفلا أخذت منه درهمين.

فأخذ أبوه درهما و جاء به إلى أمير المؤمنين عليه السلام و هو جالس على باب الرّحبه و معه المسلمون، فقال: امسك هذا الدرهم يا أمير المؤمنين، قال عليه السلام: ما شأن هذا الدرهم؟ قال: كان ثمن قميصك درهمين، فقال: باعنى رضاي و أخذ رضاه.

و منه قال ابن الأعرابى: إنّ عليّ عليه السلام دخل السوق و هو أمير المؤمنين فاشترى قميصا بثلاثه دراهم و نصف فلبسه فى السوق فطال أصابعه، فقال عليه السلام

للخياط: قصه، قال: فقصه و قال الخياط: أحوصه (١) يا أمير المؤمنين؟ قال: لا و مشى و الدرّه على كتفه و هو عليه السّلام يقول: شرعك ما بلغك المحلّ شرعك (٢) ما بلغك المحلّ.

و فى كشف الغمه أيضا قال هارون بن عنترة: قال حدّثنى أبى قال: دخلت على على بن أبى طالب عليه السّلام بالخورنق و هو يرعد تحت سمل (٣) قطيفه، فقلت:

يا أمير المؤمنين إنّ الله تعالى قد جعل لك و لأهل بيتك فى هذا المال ما يعمّ و أنت تصنع بنفسك ما تصنع؟ فقال: و الله ما أرزاكم من أموالكم شيئا و أنّ هذه لقطيفتى التى خرجت بها من منزلى من المدينة ما عندى غيرها.

و فيه و خرج عليه السّلام يوما و عليه ازار مرقوع فعوتب عليه فقال: يخشع القلب بلبسه و يقتدى بى المؤمنين إذا رآه على.

و اشترى عليه السّلام يوما ثوبين غليظين فخير قنبرا فيهما، فأخذ واحدا و لبس هو الآخر، و رأى فى كتمه طولا عن أصابعه فقطعه.

و كان عليه السّلام قد ولّى على عكبرا رجلا من ثقيف قال: قال لى على عليه السّلام إذا صلّيت الظهر غدا فعد إلىّ، فعدت إليه فى الوقت المعين فلم أجد عنده حاجبا يحبسنى دونه فوجدته جالسا و عنده قدح و كوز ماء، فدعا بوعاء مشدود مختوم، فقلت: قد أمننى حتّى يخرج إلىّ جوهرًا، فكسر الختم فاذا فيه سويق فأخرج منه فصّبه فى القدح و صبّ عليه ماء فشرب و سقانى فلم أصبر فقلت له: يا أمير المؤمنين أتصنع هذا فى العراق و طعامه كما ترى فى كثرته؟ فقال عليه السّلام: أما و الله ما أختم عليه بخلا- به و لكنّى أبتاع قدر ما يكفينى فأخاف أن ينقص فيوضع فيه من غيره و أنا أكره أن أدخل بطنى إلاّ طيبًا، فلذلك أحترز عليه كما ترى، فأياك و تناول ما لا تعلم حلّه.

قال كاشف الغمه بعد روايته لهذه الأخبار و غيرها ممّا تركنا روايتها خوف الاطاله: و كم له صلّى الله عليه من الآثار و الأخبار و المناقب التى لا تستر أو يستر

ص: ٣٩٥

١- (١) الحوص الخياطه

٢- (٢) اى كفاك و حسبك

٣- (٣) السمل الخلق من الثياب.

وجه النهار، و السيره التي هي عنوان السير، و المفاخر التي يتعلم منها من فخر، و المآثر التي تعجز من بقي كما أعجزت من غير، فأعجب بهذه المكارم و الأفعال التي هي غرر في جهات الأيام، و الزهاده التي فاق بها جميع الأنام، و الورع الذي حمله على ترك الحلال فضلا عن الحرام، و العبادة التي أوصلته إلى مقام وقف دونه كل الأقسام.

و لما ألزم نفسه الشريفة تحمل هذه المتاعب، و قادها إلى أتباعه فانقادت انقياد الجنائب، و ملكها حتى صاحب منها أكرم عشير و خير مصاحب، و استشارها ليختبرها فلم تنه إلا عن منكر و لا أمرت إلا بواجب صار له ذلك طبعاً و سجيته، و انضمت عليه ظاهراً و نية، و اعمل فيه عزيمة بهمة قويته، و استوى في السعي لبلوغ غاياته علانية و طويته، فما تحرك حركه إلا بفكر و في تحصيل أجر، و في تخليد ذكر لا لطلب فخر و إعلاء قدر، بل لامثال أمر و طاعه في سرّ و جهر، فلذلك شكر الله سعيه حين سعى، و عمه بالطفاه العميمه و رعى، و أجاب دعائه لما دعى، و جعل اذنه السميعه الواعيه فسمع و وعى، فاسأل الله بكرمه أن يحشرني و محبتيه و إياه معاً.

قال كاشف الغمه: أنشدني بعض الأصحاب لبعض العلويين.

عبت على الدنيا و قلت إلى متى أكابد عسرا ضره ليس ينجلي

أكل شريف من على جدوده حرام عليه الرزق غير محلل

فقلت نعم يا ابن الحسين رميتكم بسهمي عنادا حين طلقني علي(1)

التذييل الثاني

لما كان هذا الفصل من خطبته عليه السلام متضمناً للتحريض على الجوع و الترغيب فيه تأسيًا بالنبي صلى الله عليه و آله و سلم و سائر السلف الصالحين أحببت أن أعرفك فوايد الجوع

ص: ٣٩٦

١- (١) و بيالى انى رأيت فى بعض الكتب نسبه هذه الابيات الى الشريف الرضى مؤلف المتن و عليه فالمراد بالحسين فى البيت الاخير هو أبو الرضى ره كما عرفته فى ديباجه الشرح فى ترجمته، منه

و آفات الشَّبَعِ على ما يستفاد من الأخبار و يدلّ عليه الوجدان و التجربه فأقول:

قال الغزالي في إحياء العلوم ما ملخصه ببعض تصرف و تغيير مَنّا: إنّ في الجوع عشر فوايد.

الفائده الاولى صفاء القلب و إيقاد القريحه و إنفاذ البصيره، فإنّ الشَّبَعِ يورث البلاده و يعمي القلب و يكثّر البخار في الدماغ شبه السِّكر حتّى يحتوى على معادن الفكر، فيثقل القلب بسببه عن الجريان في الأفكار و عن سرعه الادراك قال رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: أحيوا قلوبكم بقله الضحك و قلّه الشَّبَعِ، و طهروها بالجوع تصفو و ترق.

و قال لقمان لابنه: يا بنيّ إذا امتلئت المعده نامت الفكره و خرس الحكمه و قعدت الأعضاء عن العباده.

الثانيه رقه القلب و صفائه الّذى به يتهيأ لادراك لذّه المناجاه و التّأثر بالدّكر، فكم من ذكر يجرى على اللسان و لكنّ القلب لا يلتذّ به و لا يتأثر حتّى كأنّ بينه و بينه حجابا من قسوه القلب، و إنّما يحصل التلذذ و التّأثر بخلوّ المعده كما هو معلوم بالتّجربه.

الثالثه الانكسار و الدّل و زوال البطر و الأشر و الفرح الّذى هو مبدء الطغيان و الغفله عن الله كما قال تعالى «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنٍ طَغِيٌّ أَنْ رَأَاهُ اسْتَيْغَىٰ» فلا تنكسر النّفس و لا تذللّ بشيء كما تذللّ بالجوع، فعنده تسكن لربّها و تخشع و تدعن بعجزها و ذلّها لما ذاق حيلتها بلقمه طعام و أظلمت الدّنيا عليها بشربه ماء، و ما لم يشاهد الانسان ذلّ نفسه و عجزه لا يرى عزّه مولاه و لا قهره.

و لذلك إنّ النّبىّ صلّى الله عليه و آله لمّا جاءه جبرئيل و عرض عليه خزائن الدّنيا و أبى من قبولها قال لجبرئيل: دعنى أجوع يوما و أشبع يوما، فاليوم الّذى أجوع فيه أنضرع إلى ربّي و أسأله، و اليوم الّذى أشبع فيه أشكر ربّي و أحمده، فقال له جبرئيل: وفقت لكلّ خير.

الرابعه التّذكّر بجوعه جوع الفقراء و المساكين و المحتاجين، لأنّ الانسان إنّما يقيس غيره على نفسه فيلاحظ حال الغير بملاحظه حاله، فاذا شاهد في نفسه ألم الجوع يعرف بذلك ما في المحتاجين من الألم، فيوجب ذلك مواساتهم، و يدعو إلى الاطعام و الشّفقه و الرّحمه على خلق الله، و الشّبعان بمعزل عن ذلك و غفله منه.

و لذلك قيل ليوסף عليه السّلام: لم تجوع و في يديك خزائن الأرض؟ فقال:

أخاف أن اشبع فانسى الجايع.

الخامسه التّذكّر به جوع يوم القيامة و عطشه، فإنّ العبد لا ينبغي أن يغفل أهوال يوم القيامة و آلامها.

قال في عدّه الدّاعي: قال النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: أكثر النّاس شبعاً أكثرهم جوعاً يوم القيامة، لأنّ تذكّرها يهيج الخوف و الخشيّه من الله و هو زمام النّفس الأماره العاطف لها عن الفحشاء و المنكر.

السادسه و هى أعظم الفوائد كسره شهوات المعاصى كلّها و الاستيلاء على النّفس فإنّ منشأ المعاصى الشّهوات و القوى، و مادّه القوى و الشّهوات هى الأطعمه البتّه، فتقليلها يضعف كلّ شهوه و قوه، و إنّما السّعاده كلّها فى أن يملك الرّجل نفسه و لا يملكه نفسه و كما أنّك لا تملك الدّابه الجموح إلاّ بضعف الجوع و الهزال فاذا شبعت قويت و شردت و جمحت، فكذلك النّفس.

و لذلك قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: إنّ الشّيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدّم فى العروق، فضيّقوا مجاريه بالجوع.

السابعه دفع النوم و دوام التّيهر، فإنّ من شبع شرب كثيراً، و من أكثر شربه أكثر نومه، و فى كثيره النّوم ضياع العمر و فوات التّهجد و العمر أنفاس الجواهر و هو رأس مال الانسان به يتّجر و يتزوّد لآخرتّه، و فضيله التّهجد غير خفيّه.

الثامنه تيسير المواظبه على العبادات، فإنّ كثرة الأكل مانعه منها، لأنّها محتاجه إلى زمان يشتغل فيه بالأكل و مضغ الطّعام و ازدراده فى الفم، و ربّما يحتاج إلى شراء الطّعام و طبخه و غسل اليد و نحوها، و فى ذلك تفويت العمر و تضييع الوقت

فلو صرف زمانه المصروف إلى ذلك في الطّاعات و المناجاة لعظم أجره و كثير ربحه التاسعه صحه البدن و السّلامه من الأمراض، فإنّ سببها كثرة الأكل و حصول فضله الأخلاط في المعده و العروق.

روى إنّ سقراط الحكيم كان قليل الأكل فقيل له في ذلك: فأجاب إنّ الأكل للحياه و ليس الحياه للأكل.

قال المحدث الجزائري في زهر الزبيح: ورد في الحديث أنّ حكيمًا نصرانيًا دخل على الصادق عليه السلام فقال: أفي كتاب ربكم أم في سنّه نبيكم شيء من الطّب؟ فقال: أمّا في كتاب ربنا فقولته تعالى «كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لَا تُسْرِفُوا» و أمّا في سنّه نبينا: الاسراف في الأكل رأس كلّ داء و الحميه منه رأس كلّ دواء، فقام النصراني و قال: و الله ما ترك كتاب ربكم و لا سنّه نبيكم شيئًا من الطّب لجالينوس قال: روى عنه عليه السّلام أنه لو سئل أهل القبور عن السّبب و العلّه في موتهم لقال أكثرهم التّخمه، فعلم من ذلك أنّ عمده السبب للمرض هو كثرة الأكل و ممانعه المرض من العبادات و تشويشه للقلب و منعه من الذّكر و الفكر و تنغيصه للعيش معلوم.

العاشره خفّه المؤنه، فإنّ من اعتاد قلّه الأكل كفاه القليل من الطعام و اليسير من المال، بخلاف من تعود البطنه، فإنّ بطنه صار غريما له آخذًا بخناقفه في كلّ يوم و ليله، فيلجأه إلى أن يمدّ عين الطمع إلى الناس، و يدخل المداخل فيكتسب إما من الحرام فيعصى، أو من الحلال فيحاسب.

هذا كله مضافا إلى ما في قلّه الأكل من التمكن من الايثار و التصدّق بفاضل قوته على الفقراء و المساكين، فيكون يوم القيامه في ظلّ صدقته، و قد تقدّم في شرح الخطبه المأه و التاسعه في فضائل الصوم و الصدقه ما يوجب زياده البصيره في هذا المقام فليتذكّر.

ثم انه بقى الكلام في مقدار قلّه الأكل، و قد عينه النبيّ صلّى الله عليه و آله فيما رواه عنه في عدّه الدّاعي قال: و يروى عنه صلّى الله عليه و آله و سلّم أنه قال: حسب ابن آدم لقيمات يقمن

به صلبه، فان كان و لا بدّ فليكن الثلث للطعام و الثلث للشراب و الثلث للنفس.

قال القرطبي لو سمع بقراط بهذه القسمة لتعجب في هذه الحكمة.

قيل: لا شكّ إنّ أثر الحكمة في هذا الحديث واضح و إنّما خصّ الثلاثة (1) بالذكر، لأنّها أسباب حياه الحيوان، لأنّه لا يدخل البطن سواها.

و مراتب الأكل على ما قاله بعضهم سبع: الاولى ما به تقوم الحياه الثانيه أن يزيد حتّى أن يصوم و يصلّى عن قيام، و هذان واجبان الثالثه أن يزيد حتّى يقوى على أداء النوافل الرابعه أن يزيد حتّى يقدر على التكسب للتوسع، و هذان مستحبان الخامسه أن يملاء الثلث و هذا جاز السادسه أن يزيد على ذلك فيثقل البدن و يكثر النوم، و هذا مكروه السابعه أن يزيد حتّى يتضرّر و هي البطنه المنهيه عنها و هذا حرام، و يمكن إدخال الأولى إلى الثانيه و الثالثه إلى الرابعه.

الترجمه

فصل دويم از اين خطبه متضمّن است ابطال دعوى بعض أهل زمان رجا بثواب خداوند را و خوف از عقاب آن می فرمايد:

ادّعا می کند بزعم فاسد خود که امیدوار است بخدای تعالی دروغ می گوید بحقّ خدای بزرگ، چیست حال او که ظاهر نمی شود رجا و امیدواری در عمل او و هر که امید داشته باشد شناخته می شود امیدواری در عمل و کردار او مگر امید بخداوند متعال که بدرستی آن مغشوش است و معیوب، و هر ترس محقق است مگر ترس از حق تعالی پس بدرستی که آن معلولست و مریض، امید می دارد آن شخص بخدا در چیز بزرگ و امید می دارد به بندگان در چیز حقیر پس می دهد به بنده چیزی را که نمی دهد پیروردگار، پس چیست شأن خدای عزّ و جل که تقصیر کرده می شود بأو از آن چیزی که رفتار می شود با آن بر بندگان او، آیا می ترسی که

ص: ۴۰۰

باشی در امیدواری تو باو دروغ گوی، یا باشی که نه بینی او را از برای امیدواری محل قابل.

و همچنین است اگر او بترسد از بنده از بندگان خدا عطا می کند باو از جهه خوف خود چیزی را که عطا نمی کند پروردگار خود، پس می گرداند ترس خود را از بندگان نقد و ترس خود را از خالق خود وعده غیر امیدوار، و همین قرار است کسی که عظم و شأن داشته باشد دنیا در چشم او، و بزرگ باشد وقع دنیا از قلب او ترجیح می دهد آن دنیا را بر خدا پس بالکلیه رجوع نماید بآن دنیا و برگردد بنده از برای آن.

و بتحقیق که هست در رفتار و کردار حضرت رسالت‌آب صلی الله علیه و آله و سلم کفایت کننده مر تو را در تأسی و پیروی نمودن بآن بزرگوار و راه نماینده از برای تو بر مذمت دنیای فانی و کثرت مهالک و معایب آن، از جهه این که بسته شد از او اطراف آن، و مهیا شد از برای غیر او جوانب او، و باز گرفته شد از شیرخواری دنیا، و دور کرده شد از زینتهای آن.

و اگر بخواهی دو تا گردانی اعراض حضرت رسالت‌آب را از دنیا با اعراض و زهد حضرت موسی کلیم الله وقتی که گفت بخداوند تعالی: بار پروردگارا بدرستی من محتاجم به آن چه که فرو می فرستی بمن از طعام، قسم بخدا که سؤال نمی کرد از خداوند مگر نانی که بخورد آنرا، بجهه این که بود آن حضرت می خورد سبزی زمین را، و بتحقیق که بود سبزی تره دیده می شد از پوست درون شکم او بجهه لاغری او و کمی گوشت او.

و اگر می خواهی سه تا گردانی آنرا با زهد حضرت داود علیه السلام صاحب مزمارهای زبور و قرائت کننده اهل بهشت، پس بتحقیق که بود عمل می کرد بیافته شده های برگ درخت خرما یعنی زنبیل می بافت بدست خود می گفت بهمنشینان خود کدام یک از شما کفایت می کند مرا بفروختن این، و می خورد نان جوی از قیمت آن.

و اگر بخواهی بگوئی در عیسی بن مریم علیه السلام پس بتحقیق که بود بالش اخذ می نمود سنگ را، و می پوشید جامه درشت را، و بود نان خورش او گرسنگی و چراغ او در شب روشنائی ماه، و سایه بانهای او در فصل زمستان مشرقهای آفتاب و مغربهای آن، و میوه او و ریحان او آنچه که می رویانید آن را زمین از برای حیوانات و نبود او را زنی که مفتون نماید او را، و نه فرزندی که محزون کند او را، و نه مالی که برگرداند او را از حق، و نه طمع که دلیل بگرداند او را، مرکب او پایهای او بود، و خدمتکار او دستهایش بود.

پس تأسی کن به پیغمبر پاک پاکیزه خودت صلی الله علیه و آله و سلم، پس بتحقیق که در اوست قابلیت متبوعیت از برای کسی که اقتدا و تبعیت نماید، و لیاقت انتساب از برای کسی که نسبت خود را با او بدهد، و دوستترین بندگان بسوی خدا کسی است که تأسی نماید به پیغمبر خود و متابعت کند اثر او را، خورد دنیا را خوردنی اندک باطراف دندان و پر نکرد از آن دهان خود را، و نظر التفات بسوی او نگماشت، لاغرترین اهل دنیا بود از حیثیت تهی گاه، و گرسنه ترین ایشان بوده از حیثیت شکم، عرض کرده شد بر او خزاین دنیا پس امتناع فرمود از قبول آن و دانست که خدای تعالی دشمن داشته چیزی را پس دشمن گرفت آن حضرت نیز آنرا، و حقیر گرفته چیزی را پس حقیر گرفت آن حضرت نیز آن را، و کوچک و بی مقدار شمرده چیزی را پس کوچک شمرد آن هم او را.

و اگر نشود در ما هیچ چیز مگر محبت ما بچیزی که دشمن داشته خدا و رسول او، و تعظیم ما چیزی را که خوار و خرد شمرده خدا و رسول او هر آینه کفایت می کند آن از حیثیت مخالفت مر خدا را، و از حیثیت معاداه و مجانبت از فرمان آن.

و بتحقیق که بود حضرت رسول صلی الله علیه و آله و سلم می خورد طعام را بر روی زمین، و می نشست مانند نشستن غلام، و می دوخت با دست خود کفش خودش را، و پینه می زد با دست خود رخت خود را، و سوار می شد بر دراز گوش برهنه و ردیف میکرد

در پس خود دیگری را، و می بود پرده بر در خانه آن حضرت پس می شد در آن پرده نقش نگارها، پس می فرمود بر یکی از زوجات خود: ای فلانه پنهان کن این را از نظر من، پس بدرستی که من زمانی که نظر می کنم بسوی آن یاد می کنم دنیا و زینتهای آنرا.

پس اعراض فرمود از دنیا بقلب مبارک خود، و معدوم ساخت ذکر دنیا را از نفس نفیس خود، و دوست گرفت که غایب شود زینت آن از چشم جهان بین خود تا این که اخذ ننماید از دنیا لباس فاخری، و اعتقاد نکند آنرا آرامگاهی، و امید نگیرد در آن اقامت را، پس بیرون نمود دنیا را از نفس نفیس، و کوچانید حب دنیا را از خواطر آنور، و غایب گردانید آن را از نظر آفتاب منظر، و همچنین است هر کس که دشمن می گیرد چیزی را دشمن می گیرد آنکه نگاه کند بسوی آن و آنکه ذکر بشود نام و نشان آن در نزد او.

و بتحقیق که هست در رسول خدا صلی الله علیه و آله و سلم چیزی که دلالت کند ترا بر بدیهای دنیا و عیبهای آن از جهت این که گرسنه ماند در دنیا با خواص خودش، و دور کرده شد از او زینتهای آن با وجود بزرگی قرب و منزلت او.

پس باید که نظر کند نظر کننده بعقل خود که آیا گرامی داشته خدای تعالی محمد مصطفی صلی الله علیه و آله را به سبب این، یا خوار نموده آن را؟ پس اگر گوید خوار فرموده او را پس بتحقیق که دروغ گفته قسم بخدای بزرگوار، و اگر گوید گرامی داشته او را پس باید که بداند آنکه خدای متعال بتحقیق که خوار کرده غیر او را از جهت این که بسط فرموده دنیا را از برای آن غیر، و صرف نموده دنیا را از اقرب خلق بسوی او.

پس باید که تأسّی نماید تأسّی کننده به پیغمبر برگزیده خود، و پیروی نماید اثر او را، و داخل شود بمحلّ دخول آن، و إلاّ پس ایمن نشود از هلاکت.

پس بدرستی که خدای تعالی گردانید محمد مصطفی صلی الله علیه و آله را نشانه از برای قیامت، و بشارت دهنده به بهشت، و ترساننده با عقوبت، بیرون رفت آن حضرت از دنیا در حالتی که شکم تهی بود، و وارد شد بآخرت در حالتی که سالم بود از مکاره

و معایب، نهاد سنگ بالای سنگی تا این که در گذشت براه خود و اجابت فرمود دعوت کننده پروردگار خود را.

پس چه قدر بزرگست منت و نعمت خدا در نزد ما وقتی که انعام فرمود با آن حضرت بر ما پیش روی که متابعت کنیم او را، و پیشوائی که کام می نهیم در پی او، قسم بخدا بتحقیق که پینه دوزاندم این درّاعه خود را تا بمرتبه که خجالت کشیدم از پینه دوزنده آن، و بتحقیق که گفتم مرا گوینده: آیا نمی اندازی آن را از خودت؟! پس گفتم که دور شو از من که در نزد صبح ستایش کرده می شوند مردمان شب رونده.

و من خطبه له علیه السلام و هی المآه و الستون

اشاره

من المختار فی باب الخطب

بعثه بالنور المضیء، و البرهان الجلی، و المنهاج البادی، و الكتاب الهادی، أسرته خیر أسره، و شجرته خیر شجره، أغصانها معتدله و ثمارها متهدله، مولده بمکه، و هجرته بطیبه، علا بها ذكره، و امتدّ بها صوته، أرسله بحجّه كافیة، و موعظه شافیة، و دعوه متلافیه، أظهر به الشرایع المجهوله، و قمع به البدع المدخوله، و بین به الأحكام المفصولة، فمن یبتغ غیر الإسلام دینا تتحقّق شقوته، و تنفصم عروته، و تعظم كبوته، و یکن ما به إلى الحزن الطویل، و العذاب الوبیل، و أتوكل على الله توكل الإنابه إليه، و أسترشده السبیل

ص: ۴۰۴

المؤذيه إلى جنته، القاصده إلى محلّ رغبته. أوصيكم عباد الله بتقوى الله و طاعته فإنّها النّجاه غدا، و المنجاه أبدا، رهّب فأبلغ، و رغب فأسبغ، و وصف لكم الدّنيا و انقطاعها، و زوالها و انتقالها، فأعرضوا عمّا يعجبكم فيها لقلّه ما يصحبكم منها، أقرب دار من سخط الله، و أبعدها من رضوان الله، فغضّوا عنكم عباد الله غمومها و أشغالها لما قد أيقنتم به من فراقها و تصرّف حالاتها، فاحذروها حذر الشّفيق النّاصح، و المجدّد الكادح، و اعتبروا بما قد رأيتم من مصارع القرون قبلكم قد تزايلت أوصالهم، و زالت أبصارهم و أسماعهم، و ذهب شرفهم و عزّهم، و انقطع سرورهم و نعيمهم، فبدّلوا بقرب الأولاد فقدها، و بصحبه الأزواج مفارقتها، لا يتفاخرون، و لا يتناسلون، و لا يتزاورون، و لا يتجاورون، فاحذروا عباد الله حذر الغالب لنفسه المانع لشهوته النّاطر بعقله، فإنّ الأمر واضح، و العلم قائم، و الطّريق جدد، و السّبيل قصد.

اللغة

(بعثه) و ابتعث أرسله فانبعث و (أسره) الرّجل بالضمّ رهطه الأدنون

ص: ٤٠٥

و (التهدل) الاسترخاء و التدلى و (طيه) بالفتح و التخفيف اسم مدينه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم كتابه و الطيه و كان اسمها يثرب فسمّاها رسول الله صلى الله عليه و آله بطيه و (التلافى) الاستدراك و (قمعه) يقمعه قهره و ذلك و ضربه بالمقمعه و زان مكنسه و هى العمود من الحديد أو كالمحجن يضرب به على رأس الفيل و خشبه يضرب به الانسان على رأسه و (كبا) الجواد كبا عثر فوق إلى الأرض و انكبّ على وجهه و الاسم الكبوه و (نجا) نجوا و نجاه خلص و قال الشارح المعتزلى: و المنجاه مصدر نجا ينجو و النجاه النّاقه ينجى عليها و (لا يتجاورون) بالجيم من المجاوره و يروى بالحاء المهمله.

الاعراب

الباء فى قوله: بالتور، للمصاحبه و الملايسه، و تعديه القاصده بالى لتضمينها معنى الافضاء، و فاعل رهّب و رغب راجع إلى الله تعالى، و الفاء فى قوله: فأعرضوا، فصيححه و أقرب دار خبر لمبتدأ محذوف، و جمله قد تزايدت استيناف بيانى، و الفاء فى قوله: فبدّلوا، عاطفه من عطف المفضل على المجرم.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبه متضمّنه لذكر مباح النبى صلى الله عليه و آله و سلم و مناقبه الجميله ثم الموعظه الحسنه و التنفير عن الدنيا بالتنبيه على معايبها و مساويها.

قال عليه السلام (ابتعثه) و فى بعض النسخ بعثه بدله و هما بمعنى كما مرّ (بالتور المضىء) أراد به نور النبوه، و تفسير الشارح المعتزلى له بالدين او القرآن و هم لأنّ المراد بالمنهاج الآتى ذلك، و الكتاب أيضا يجىء ذكره و التأسيس أولى من التأكيد (و البرهان الجلى) أى بالمعجزات الباهرات و الأدله الواضحه على حقيته (و المنهاج المبادى) أى الطريق الظاهر يعنى الشريعه و الدين (و الكتاب الهادى) إلى سبيل الجته و طريق النجاه قال تعالى:

«ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ».

(اسرته خير اسره و شجرته خير شجره) أى رهطه خير رهط و أصله خير أصل، و قد مضى شرح هاتين القرينتين فى شرح الخطبه الثالثه و التسعين مستوفيا و لا حاجه هنا إلى الاعاده.

(أغصانها معتدله) المراد بها الأغصان المعهوده أعنى أهل بيت العصمه و الطهاره فإنّ الجمع المضاف إنّما يفيد العموم حيث لا عهد، و القرينه على اراده الخصوص هنا قائمه و هى قوله معتدله فإنّ الظاهر أنّ المراد به اعتدالها فى الكمالات النفسائيه و كونها مصونه من التفريط و الافراط كما قال تعالى:

«وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا».

روى بريد العجلي فى هذه الآيه عن أبى جعفر عليه السلام أنه قال: نحن الامه الوسط.

و فى روايه حمران عنه عليه السلام إنّما انزل الله:

«وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا» يعنى عدلا «لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا».

قال: و لا- يكون شهداء على الناس إلا- الأئمه و الرّسل، فقد علم بما ذكرناه أنّ ما قاله الشارح البحرانى من أنّ لفظ الاغصان مستعار لأشخاص بيته صلى الله عليه و آله و سلم كعلّى عليه السلام و أولاده و زوجته و أعمامه و اخوته، و اعتدال هذه الأغصان فى الفضل و الشرف سخيف، إذ اعتدال الأولين مسلم، و أمّا الأعمام و الاخوه فقياسهم عليهم فاسد، و التقارب بينهم ممنوع.

(و ثمارها متهدله) أى ثمار هذه الشجره الظاهره من أغصانها متدليه و هو كناية عن سهوله الانتفاع بها، و أراد بالثمار العلوم الحقه المأخوذه عنهم عليهم السلام.

(مولده بمكّه) شرّفها الله يوم الجمعة عند طلوع الشمس السابع عشر من ربيع الأول عام الفيل قاله أبو عليّ الطبرسى و قد تقدّم تفصيل تاريخ ميلاده صلى الله عليه و آله و سلم

و طالع ولادته صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم في شرح الفصل السادس عشر من الخطبه الاولى.

(و هجرته بطيبه) هاجر إليها و هو ابن ثلاث و خمسين كما يدل عليه ما رواه في كشف الغمّه عن أبي جعفر الباقر عليه السّلام قال: قبض رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم و هو ابن ثلاث و ستين سنة في سنة عشر من الهجره، فكان مقامه بمكّه أربعين سنة، ثم نزل عليه الوحي في تمام الأربعين، و كان بمكّه ثلاث عشر سنة، ثم هاجر إلى المدينه و هو ابن ثلاث و خمسين سنة، فأقام بالمدينه عشر سنين و قبض صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم (علايها) أى في طيبه (ذكره) لأنّه قهر الأعداء و انتصر من الكفّار بعد الهجره إليها بنصره أهلها، و لذلك سمّى أهلها بالأنصار (و امتدّ بها صوتها) أى انتشرت دعوتها فيها و بلغ صيت الاسلام إلى الأصقاع و الأكناف بعد ما هاجر إليها.

(أرسله بحجّه كافيّه) يعنى الآيات القرآنيه الكافيّه فى إثبات نبوّته مضافه إلى سائر معجزاته صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم (و موعظه شافيّه) لأسقام القلوب و أمراض النفوس، و المراد بها ما اشتمل عليه الكتاب الكريم و السنّه الكريمه من الوعد و الوعيد و ضرب الأمثال و التذكير بالقرون الخاليه و الامم الماضيه الموقظه للخلق من نوم الغفله و المنقذه لهم من ضلال الجهاله (و دعوه متلافيّه) متداركه بها ما فسد من نظام أمر الدّين فى أيام الجاهليّه.

(أظهر به الشّرايع المجهوله) الظاهر أنّ المراد بها قوانين الشّريعه النّبويّه الّتي كانت مجهوله بين النّاس ثمّ ظهرت و عرفت بعد وجوده صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم و تشريعه أيّاه، و يجوز أن يراد بها شرايع الماضين من السنن الّتي لم تكن منسوخه و إنّما كانت مجهوله بين النّاس لبعده العهد و طول الزّمان و اتّباع الهوى فأظهرها النّبى صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم و أمر بأخذها و لزومها.

(و قمع به البدع المدخوله) أراد بها ما كان أهل الفتره و أيام الجاهليّه أبدوها فى الدّين و أدخلوها على الشّرع المبين من عباده الأصنام و نحرهم لها و حجّهم لأجلها و زعمهم أنّها تقرّبهم إلى الله زلفى، و من النّسب و الطواف بالبيت عريانا و غيرها من البدع الّتي لا تحصي فأذلّ الله سبحانه بعث النّبى صَلَّى اللهُ عليه و آله تلك البدع و أذلّ المبدعين و قطع دابر الكافرين.

(وَيُنَبِّئُ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ) أى أحكامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْمَفْصُولَةَ الْآنَ بَيَانَهُ، لَا أَنَّهَا كَانَتْ مَفْصُولَةً قَبْلَ (فَمَنْ يَبْتَغِ) وَيَطْلُبُ (غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا) بَعْدَ مَا بَلَغَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَعْلَمَهُ وَشَرَعَهُ وَأَفْصَحَ عَنْ مَعَالِمِهِ وَأَقَامَ الْأَدْلَةَ الْقَاطِعَةَ وَالْبِرَاهِينَ السَّاطِعَةَ عَلَى صِحَّتِهِ وَحَقِّيَّتِهِ (تَتَحَقَّقُ شَقْوَتُهُ) فِي الْآخِرَةِ (وَتَنْفَصِمُ عَرْوَتُهُ) أَى يَنْقَطِعُ مَا يَتَمَسَّكُ بِهِ مِنْ حَبْلِ النَّجَاةِ (وَتَعْظُمُ كِبْوَتُهُ) وَعَثْرَتُهُ فَيَطِيحُ فِي نَارِ الْجَحِيمِ وَالسَّيْخِطِ الْعَظِيمِ (وَيَكُنْ) مَرْجِعُهُ وَ(مَأْبَهُ) إِلَى الْحَزَنِ الطَّوِيلِ وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ) الْمَتَضَمَّنِ لِلْهَلَاكِ وَالْوَبَالِ فِي دَارِ الْبَوَارِ، وَهَذَا مَرَادٌ مِنْ فَسْرِهِ بِالشَّدِيدِ.

(وَأَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْ الْإِنَابَةَ إِلَيْهِ) أَى تَوَكَّلْ الْمَلْتَفَتِ عَنْ غَيْرِهِ وَالرَّاجِعِ بِكَلِيَّتِهِ إِلَيْهِ لِلْعِلْمِ بِأَنَّ غَيْرَهُ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يُعْطَى وَلَا يَمْنَعُ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي رَوَايَةِ الْكَافِي: أَوْحَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَى دَاوُدَ مَا اعْتَصَمَ بِهِ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي دُونَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِي عَرَفْتَ ذَلِكَ مِنْ نَيْتِهِ ثُمَّ تَكِيدُهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَ مِنْ فِيهِنَّ إِلَّا جَعَلْتَ لَهُ الْمَخْرَجَ مِنْ بَيْنَهُنَّ، وَ مَا اعْتَصَمَ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِي عَرَفْتَ ذَلِكَ مِنْ نَيْتِهِ إِلَّا قَطَعْتَ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ مِنْ يَدِهِ وَ أَسَخْتَ الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهِ وَ لَمْ أَبَالْ بِأَيِّ وَادٍ يَهْلِكُ.

(وَ أَسْتَرَشَدَهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَةَ إِلَى جَنَّتِهِ الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ) أَى الطَّرِيقَ الَّتِي مِنْ سَلَكِهَا أَدَّتُهُ إِلَى جَنَّتِهِ، وَ مِنْ قَصْدِهَا أَفْضَتُهُ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ.

ثُمَّ عَقَّبَ ذَلِكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَالْوَصِيَّةِ بِمَا لَا يَزَالُ يُوصِي بِهِ دَائِمًا فَقَالَ (أَوْصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ طَاعَتِهِ فَانَّهَا النَّجَاةُ غَدًا) إِفْرَادَ الضَّمِيرِ مَعَ تَعَدُّدِ الْمَرْجِعِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُمَا فِي الْمَعْنَى شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَ لِكَوْنِهِمَا سَبَبُ النَّجَاةِ أُطْلِقَ عَلَيْهِمَا النَّجَاةُ مِنْ بَابِ إِطْلَاقِ الْمَسْبَبِ عَلَى السَّبَبِ، فَيَكُونُ مَجَازًا مَرْسَلًا، وَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ الشَّارِحُ الْمَعْتَرِئُ مِنْ أَنَّ النَّجَاةَ اسْمٌ لِلتَّنَاقُهِ الَّتِي يَنْجِي عَلَيْهَا فَيَكُونُ اسْتِعَارَهُ تَشْبِيهًا لِهَمَّا بِالْمَطِيئَةِ الَّتِي يَرْكَبُ عَلَيْهَا فَيَخْلُصُ مِنَ الْعَطْبِ، فَانَّ الْمَطِيئَةَ يَنْجُو بِهَمَّا مِنَ الْهَلَاكِ الْآخَرِيِّ وَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ.

(وَ الْمَنْجَاةُ أَبْدًا) جَعَلَهُمَا مَحَلَّ النَّجَاةِ بِاعْتِبَارِ حَصُولِهِمَا فِي الْإِتِّصَافِ بِهَذَيْنِ

الوصفين، فشبها بالمحل الذي يحل فيه الشيء و أطلق عليهما لفظ المنجاه من باب تسميه الشيء باسم محله.

ولمّا أمر بالتقوى والطاعة وكانت الطاعة عبارة عن امتثال الأوامر والتواهي أشار إلى أنّ الله سبحانه قد أعذر وأنذر وأنتم الحجة ولم يبق لأحد معذره في التقصير حيث (رهب) المجرمين بعذاب الجحيم والسخط العظيم (فأبلغ) في تربيته (ورغب) المطيعين في درجات الجنان والحدور والغلمان وأكبر نعمائه الرضوان (فأسبغ) وأكمل في ترغيبه (و وصف لكم) في قوله:

«إِعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مُضْفَرًا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ».

كما وصف في غيره من آيات الكتاب الكريم والقرآن الحكيم (الدنيا وانقطاعها وزوالها وانتقالها) و حيث إنّها موصوفة بالانقطاع متصفه بسرعه الزوال والانقضاء (فاعرضوا) بقلوبكم (عمّا يعجبكم منها) من زينتها وزخارفها وازهدوا فيها و في رياشها (لقله ما يصحبكم منها) قال الشارح البحراني: و إنّما قال: لقله ذلك و لم يقل لعدمه لأنّ السالكين لا بدّ أن يستصحبوا منها شيئا و هو ما يكتسبه أحدهم من الكمالات إلى الآخرة، و لكنّ القدر الذي يكتسبه المترفون من الكمالات إذا قصدوا بأموالهم و ساير زينه الحياه الدنيا الوصول إلى الله نزر قليل، و مع ذلك فهم في غايه الخطر و مزله القدم في كلّ حركه و تصرّف، بخلاف أهل القشف الذين اقتصروا منها على مقدار الضروره البدئيه، و يحتمل أن يريد بالقليل الذي يصحبهم منها كالكفن و نحوه.

(أقرب دار من سخط الله) لأنها محفوفه بالشهوات الموجهه لسخطه و أكثر أهلها محبّون لها راغبون إليها متابعون للهوى، و رأس كلّ خطيئه حبّ الدنيا

و أبعدها من رضوان الله) لأن الطالب فيها لتحصيل رضوانه و للانتفاع بقيناتها في سلوك سبيله قليل (فغضوا عنكم عباد الله) و كففوا عن أنفسكم و اخرجوا عن قلوبكم (عمومها و أشغالها لما قد أيقنتم به من فراقها و تصرف حالاتها) يعني أن الغم و الاشتغال انما يحسن أن يوجهها نحو ما يبقى دون ما يفنى مع أن الاشتغال بما يفنى شاغل عن الاشتغال بما يبقى، و هو ليس فعل العاقل.

و روى في الكافي عن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يحيى بن عقبة الأزدي عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال أبو جعفر عليه السلام مثل الحريص على الدنيا مثل القز كلما زادت من القز على نفسها لفا كان أبعدها من الخروج حتى تموت غما.

و قال أبو عبد الله عليه السلام: أغنى الغنى من لم يكن للحرص أسيرا.

و قال: لا تشعروا قلوبكم الاشتغال بما قد فات فتشغلوا أذهانكم عن الاستعداد لما لم يأت (فاحذروها) على أنفسكم (حذر الشفيق الناصح) على شفيقه (و) حذر (المجد الكادح) من خيبه سعيه.

روى في الكافي عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن عبد الله بن المغيرة عن غياث ابن إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن في كتاب علي عليه السلام إنما مثل الدنيا كمثل الحية ما ألين مسها و في جوفها السم النافع يحذرها الرجل العاقل، و يهوى إليها الصبي الجاهل.

(و اعتبروا بما قد رأيتم من مصارع القرون) الماضيه (قبلكم) فانكم عمّا قليل لاحقون بهم و صائرون مثلهم (قد تزايلت أوصالهم) و أعضائهم (و زالت أسماعهم و أبصارهم) و جرت أحداقهم على الخدود، و سالت أفواههم و مناخرهم بالقيح و الصديد (و ذهب شرفهم و عزهم و انقطع سرورهم و نعيمهم) فلا تنظر إلى طيب عيشهم و لين رياشهم و لكن انظر إلى سرعه ظعنهم و سوء منقلبهم.

يا راقد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

أفنى القرون التي كانت منعمه كز الجد يدان إقبالا و إدبارا

كم قد أبادت صروف الدهر من ملك قد كان في الدهر نفاعا و ضرارا

يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسى و يصبح في دنياه سفارا

هلا تركت من الدنيا معانقه حتى تعانق في الفردوس أبكارا

إن كنت تبغى جنان الخلد تسكنها فينبغى لك أن لا تأمن النارا

ثم انظر إلى أهل القبور كيف صاروا إليها بعد سكنى القصور، و انتقلوا إلى دار الوحده و ارتحلوا إلى بيت الوحشه ليس لهم أنيس به يستأنسون و لا-سكن إليه يسكنون (فبدلوا بقرب الأولاد فقدها و بصحبه الأزواج مفارقتها) بل استوحش من قربهم الأولاد و الأصحاب، و استنفر من قبرهم الألاف و الأحباب (لا يتفاخرون و لا يتناسلون و لا يتزاورون و لا يتجاورون) إذ لم يبق لهم زائر و لا مجاور

و حلوا بدار لا تزاور بينهم أنى لسكان القبور التزاور

و إنما صار هوام الأرض لهم الزوار و الضيفان، و الحشرات و الديدان لهم الجيران و انحصر لباسهم و ريشهم في الأكفان.

(فاحذروا عباد الله) ثم احذروا (حذر الغالب لنفسه) الأماره بالسوء (المانع لشهوته) المؤديه إلى هلكته (الناظر بعقله) المميز بين منفعتة و مضرتة (فإن الأمر واضح) أى أمر الدنيا و الآخره ظاهر لا خفاء فيه (و العلم قائم) أى علم الشريعة الهادى إلى الحق قائم لا غبار عليه (و الطريق) إلى الله (جدد) سهل (و السبيل) إلى رضوان الله تعالى (قصد) مستقيم.

فطوبى لعبد آثر الله ربه و جاد بدنياه لما يتوقع

الترجمه

از جمله خطب شریفه آن جبل الله المتین و سید و صیین است مشتمل است بر مناقب حضرت رسالت و متضمن است موعظه و نصیحت را می فرماید:

مبعوث فرمود خداوند تعالی پیغمبر آخر الزمان صلی الله علیه و آله و سلم را با نور روشن کننده که عبارتست از نور نبوت، و با دلیل آشکارا که عبارتست از معجزات رسالت،

و با راه واضح که جاژه شریعت است، و با کتاب مشتمل بهدایت که قرآن کریم است، رهط و قبیله آن حضرت بهترین قبیلت، و درخت آن بزرگوار بهترین درختهاست، شاخهای آن درخت معتدلند و متقارب، و میوه های آن فروریخته شده است و آویزان، مکان ولادت آن حضرت مکه معظمه است، و هجرت او بمدینه طیبه در مدینه بلند شد ذکر آن، و کشیده شد در آن صدای آن، در رسید بافاق و اکناف فرستاد خداوند عزّ و جلّ او را با حجّت کفایت کننده، و با موعظه شفا دهنده، و با دعوت تدارک کننده، ظاهر فرمود خدا باظهار و بیان آن حضرت شریعتهای مجهوله را، و منکوب و مخدول نمود بوجود او بدعتهای مدخوله را، و روشن گردانید بزبان گوهر فشان او حکمهای فصل شده را، پس هر که طلب نماید غیر از اسلام دینی را متحقّق می شود شقاوت او، و گسیخته می شود متمسک او، و بزرگ گردد لغزش او، و باشد بازگشت او بسوی اندوه دراز، و عذاب شدید، و توکل می کنم بخداوند توکل رجوع کردن بسوی او، و طلب ارشاد می کنم از او براهی که رساننده باشد ببهشت عنبر سرشت او، و قصد کننده باشد به محلّ رغبت او.

وصیت میکنم شما را ای بندگان خدا پرهیزکاری از خدا و فرمان برداری او، پس بدرستی که پرهیزکاری و فرمان برداری رستگاریست فردا روز قیامت، و محلّ رستگاریست همیشه، ترسانیده خدای عزّ و جلّ مخلوقات را بعقاب، و ترغیب فرموده ایشان را بثواب، و وصف نموده از برای شما دنیای بی وفا و بریده شدن آنرا و زوال آن را و انتقال آن را، پس اعراض نمائید از آنچه که شگفت می آورد شما را در دنیا از جهت کمی آنچه که همراه خواهد شد با شما از دنیا، نزدیک ترین خانه ایست از غضب خدا، و دورترین خانه ایست از رضای خدا.

پس باز دارید از خودتان ای بندگان خدا غمهای دنیا و شغلهای آن را از جهت آنکه محققا یقین کرده اید بآن از مفارقت آن و انقلاب حالات آن، پس بترسید در آن همچو ترسیدن برادر مهربان نصیحت کننده، و مثل ترسیدن صاحب جدّ و جهد سعی کننده، و عبرت بردارید به آن چه که دیدید از مهالک قرنهایی که

پیش از شما بودند، بتحقیق که جدا شد از یکدیگر عضوهای بدن ایشان، و زایل شد گوشها و چشمهای ایشان، و رفت بزرگواری و عزت ایشان، و بریده گشت شادی و نعمت ایشان، پس بدل کرده شدند بنزدیکی اولاد نایابی ایشان را، و بمصاحبت زنان جدائی ایشان را، تفاخر نمی توانند بکنند بیکدیگر، و نسل أخذ نمی کنند، و زیارت یکدیگر نمی نمایند، و با هم همسایگی نمی کنند.

پس حذر کنید ای بندگان خدا مثل حذر نمودن کسی که غلبه نماید بر نفس خود، و منع کننده باشد شهوت خود را، و نظر کننده باشد بچشم عقل خود پس بدرستی که امر دنیا و آخرت واضح است و روشن، و علم شریعت قائمست و بر پا و راه حق سهل است و آسان، و راه درست مستقیم است و راست.

هنا انتهى الجزء التاسع من هذه الطبعه الجديده النفيسه، و تمّ تصحيحه و ترتيبه و تهذيبه بيد العبد «السيد ابراهيم الميانجي» عفى عنه و عن والديه في اليوم الثاني عشر من شهر الله الاعظم سنه - ۱۳۸۱ - و يليه انشاء الله الجزء العاشر و اوله:

المختار المأه و الواحد و الستون، و الحمد لله أولا و آخرا و ظاهرا و باطنا.

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند؟

سوره زمر / ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ. ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفاً علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب «مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱. بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)
۲. تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی
۳. جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه، تبلت ها، رایانه ها و ...
۴. سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو
۵. گسترش فرهنگ عمومی مطالعه
۶. زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱. عمل بر مبنای مجوز های قانونی
۲. ارتباط با مراکز هم سو
۳. پرهیز از موازی کاری

۴. صرفا ارائه محتوای علمی

۵. ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱. چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲. برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳. تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴. تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵. ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶. تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷. راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸. طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹. برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰. برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

JAVA.۱

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

در پایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می
نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان - خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آواده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی - پلاک ۱۲۹/۳۴ - طبقه
اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۰۲۱ - ۸۸۳۱۸۷۲۲

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹



مرکز تحقیقات رایانگی

اصفهان

گامی

WWW



برای داشتن کتابخانه های تخصصی
دیگر به سایت این مرکز به نشانی

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

مراجعه و برای سفارش با ما تماس بگیرید.

۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹

